

الدكتور

بونسر مجي عبد الله العزّي

كلية التربية للبنات

الجامعة العراقية - بغداد

معايير النظرية النصية

في شعر الصعاليك الإهويين

دراسة وتطبيق



مكتبة وهبة

في شارع الجمهورية، القاهرة

ت. ١٣٩١٧٤٧ فاكس ١٣٩٠٣١٤٦



دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

العزي ، يونس يحيى .

معايير النظرية النصية في شعر

الصعاليك الأمويين : دراسة وتطبيق /

يونس يحيى عبدالله العزي . ط ١ . - القاهرة :

مكتبة وهبة للطبع والنشر والتوزيع ، ٢٠١٨ ،

٥٠٠ صفحة ، ٢٤ سم

تتمك . ٤٧٥ ٢٢٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشعر العربي - تاريخ - العصر الأموي

أ- العنوان

٨١١,٣



معايير النظرية النصية

في شعر الصعاليك الأمويين

دراسة وتطبيق

الدكتور

يونس يحيى عبدالله العزي

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة

٥٠٠ صفحة ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع : ٢٠١٨/٨٢٠٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N.

978-977-225-475-0

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة .
غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا
الكتاب أو أى جزء منه ، أو تخزينه
على أجهزة استرجاع أو استرداد
إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأي
وسيلة أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله
على أي نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر .

All rights reserved to Wabbah Publisher.
No Part of this Publication may be
reproduced, stored in a retrieval
system, or transmitted, in any form or
by any means, electronic, mechanical,
photocopying, recording or otherwise,
without the prior written permission of
the publisher .

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأى
المؤلف وهو المسئول عنها وحده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

الشكر

الشكر لله وحده أن جعلني من المسلمين وأسبغ عليَّ نِعَمًا لا تُحصى ،
فسبحانه له الحمد وله الثناء .

والشكر لأستاذي : الأستاذ الدكتور طه محمد عوض الله الجندي ،
والأستاذ الدكتور شعبان محمد مرسى ، فقد جادا عليَّ بكل نصيح وتوجيه ،
وبذلا كل رعاية وإرشاد حتى استوى هذا الجهد على سوقه .

والشكر موصول لأساتذتي في قسم النحو والصرف والعروض ، فهم
حراس لغة الضاد ، وحاملو لوائها ، فجزاهم الله عن الأمة خيرا .
والشكر لأهلي (والدي ، إخواني ، زوجي ، أبنائي) ، فلهم أيدٍ ما زالت
مرفوعة تدعو الله لي بالتوفيق .

والشكر لكل أخوة الصديق ورفاق العمر ، الذين كلهم صانع معروف
وغافر زلة ، حفظ الله حيَّهم ورحم ميتهم .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	١٧
التمهيد.....	٢٣
الصعلكة لغةً واصطلاحاً.....	٢٣
مصادر شعر الصعاليك في العصر الأموي.....	٢٨
الشعراء الصعاليك تراجمهم وأشعارهم.....	٣٧
مكانة شعر الصعاليك الأمويين في اللغة.....	٦١
مفهوم النص.....	٧٣

الباب الأول

التماسك النصي في شعر الصعاليك الأمويين

(٨٣-٢٥٨)

الفصل الأول

وسائل الربط النحوي (السبك)

(٨٥-٩٠)

مدخل : وسائل الربط النحوي (السبك) تعريفها وأقسامها وجهود
الباحثين العرب فيها.....

المبحث الأول

الإحالة

(٩١-١٠٦)

تعريف الإحالة وأقسامها.....	٩١	الإحالة غير الضميرية.....	١٠٠
الإحالة الضميرية.....	٩٢	اسم الإشارة.....	١٠٠
من قضايا الإحالة في العربية..	٩٣	ألفاظ المقارنة.....	١٠٢
عودة الضمير في العربية.....	٩٥	الاسم الموصول.....	١٠٤
تعدد المحال إليه.....	٩٨		

المبحث الثاني

التحديد

(١٠٧-١٢٢)

١١٤	التكثير وصوره بين النَحْوَيْنِ...	١٠٧	تعريف التحديد.....
١١٧	طريقة التكثير غير العرفية.....		علامة التعريف وعلامة
	التحديد من خلال تاء التأنيث	١٠٨	التكثير في العربية.....
١١٩	الساكنة.....		معيّارا التحديد وقضية
١٢٠	التحديد السابق.....	١٠٩	التعريف بالعهد.....
١٢١	التحديد اللاحق.....	١١١	التفرد والتعويض.....
		١١٣	التشيط الموسع.....

المبحث الثالث

الاستبدال

(١٢٣-١٣٠)

١٢٥	الاستبدال الاسمي.....	١٢٣	تعريف الاستبدال.....
١٢٧	الاستبدال الفعلي.....		إسهام الاستبدال في تماسك
١٢٩	الاستبدال القولي.....	١٢٣	النص.....
			أقسام الاستبدال ونماذجها من
		١٢٥	شعر الصعاليك.....

المبحث الرابع

الحذف

(١٣١-١٤٠)

١٣٥	حذف الفعل وحده.....	١٣١	تعريف الحذف.....
١٣٦	حذف الجملة من الكلام.....	١٣٣	أقسام الحذف.....
	كيفية حدوث التماسك من	١٣٤	الحذف في العربية.....
١٣٧	خلال الحذف.....	١٣٤	حذف الاسم.....

١٣٧	الدليل على المحذوف.....	١٣٩	المتلقي.....
١٣٩	التكرار التقديري.....		

المبحث الخامس

الربط

(١٤١-١٥٨)

١٤١	تعريف الربط.....	١٤٥	الاستدراك.....
	وسائل الربط عند دي بوجراند	١٤٩	التفريع.....
١٤١	وتطبيقاتها العربية.....		الربط عند محمد خطابي
١٤١	مطلق الجمع.....	١٥٦	والأزهر الزناد.....
١٤٣	التخيير.....		

الفصل الثاني

السبك المعجمي

(١٥٩-١٦٠)

١٥٩	مدخل : تعريف السبك المعجمي وأقسامه.....
-----	---

المبحث الأول

التكرار

(١٦١-٢٠٢)

١٦١	تعريف التكرار.....	١٧١	٤- البديل.....
١٦١	أنواع التكرار.....	١٧٤	أقسام البديل.....
١٦٢	١- إعادة اللفظ.....	١٧٨	الثالث : شبه التكرار.....
١٦٢	الأول : التكرار المحض.....	١٧٨	١- الجناس.....
١٦٤	الثاني : التكرار الجزئي.....	١٧٩	٢- الترادف.....
١٦٧	١- التوكيد المعنوي.....	١٨٢	٣- شبه الترادف.....
١٦٨	٢- المصدر المؤكد لفعله.....	١٨٣	٤- الإعادة بالمطلق.....
١٦٩	٣- الحال المؤكدة.....	١٨٥	٥- الاسم العام.....

١٩٢	طروق خيال المحبوبة.....	١٨٦	تكرار الجمل والقصص
١٩٥	التوازي.....	١٨٧	والمواقف.....
١٩٧	التكرار الضمني.....	١٨٧	تكرار جملة النداء (قصيدة القتال الكلابي).....
١٩٧	أولاً : حروف التأكيد.....	١٨٩	موقف ابنة مالك بن الربيع.....
١٩٨	ثانياً : الزيادة.....	١٩٠	قصة جحدر العكلي مع الأسد

المبحث الثاني

التضام

(٢٠٣-٢١٦)

٢٠٨	٣- علاقة الجزء بالكل.....	٢٠٣	تعريف التضام.....
٢٠٩	٤- علاقة الجزء بالجزء.....	٢٠٤	أهمية التضام في عملية التماسك.....
٢١٠	٥- علاقة التدرج.....	٢٠٤	إشارة ابن سنان الخفاجي إلى التضام.....
٢١٠	٦- علاقة عناصر القسم العام والمصاحبات المستمرة.....	٢٠٤	العلاقات التضامية.....
٢١١	١- علاقة التضاد.....	٢٠٥	٢- علاقة التلازم الذكري.....
٢١٢	٢- علاقة التلازم الذكري.....	٢٠٧	في شعر الصعاليك الأمويين

الفصل الثالث

معياري التأسيس النصي النحوي (السبك) والدلالي (الحبك)

(٢١٧-٢٢٤)

٢١٧	مدخل : معايير النص.....	٢١٧	معايير النص بين نحو الجملة ونحو النص.....
٢١٧	تعريف معايير النص.....	٢١٨	أقسام معايير النص.....
٢٢٢	الحد الأدنى من المعايير.....		

المبحث الأول

السبك

(٢٢٥-٢٤٠)

٢٢٥	تعريف السبك لغة	عناصر السبك في النص
٢٢٧	مصطلح السبك	الأول
٢٢٩	السبك في الاصطلاح	عناصر السبك في النص
٢٣٦	درجات السبك في نصين	الثاني
٢٣٢	للسمهي العكلي	

المبحث الثاني

الحبك

(٢٤١-٢٥٨)

٢٤١	تعريف الحبك لغة	ثانياً : مفهوم علاقات الحبك..
٢٤٢	ترجمة مصطلح الحبك	١- علاقة وحدة المرجع
٢٤٣	الحبك في الاصطلاح	٢- علاقة الاختلاف والتغيير
٢٤٥	وسائل الحبك عند (دي بوجراند)	٣- علاقة التبعية
٢٤٥	المفاهيم النظرية للحبك	ثالثاً: مفهوم الحلقات المفقودة
	أولاً : مفهوم الحبك الطولي	أعراف الحبك والرابطة
٢٤٦	المتدرج	الإنجازية

الباب الثاني

معايير النص التأسيسية الخاصة في شعر الصعاليك الأمويين

(٢٥٩-٤١٦)

الفصل الأول

معيّارا تأسيس النص بين المنتج والمتلقي (القصد والقبول)

(٢٦١-٣٢٨)

المبحث الأول

القصد

(٢٦٣-٢٩١)

٢٦٣	تعريف القصد	القصد والدلالة
٢٦٤		

القصد ونية المتكلم.....	٢٦٧	وضوح القصد في (الكناية
نظرية الأفعال الكلامية.....	٢٧٠	والامتعارة والتشبيه).....
تعريف الأفعال الكلامية.....	٢٧١	تقسيم التشبيه المجمل مراعاة
أقسام الأفعال الكلامية.....	٢٧٢	للقصد.....
القصد والأفعال الكلامية.....	٢٧٣	ما كان قريب المأخذ (ظاهر
الامتداد العربي للأفعال	٢٧٦	القصد).....
الكلامية.....	٢٧٦	ما كان بعيد المأخذ (غير
القصد وفهم المخاطب.....	٢٧٩	ظاهر القصد).....

المبحث الثاني

القبول

(٢٩٣-٣٢٨)

تعريف القبول.....	٢٩٣	المبررات غير اللغوية.....	٣٠٦
القبول وثقافة المتلقي.....	٢٩٤	١- الاعتقادية.....	٣٠٦
القبول بين الجملة والنص.....	٢٩٥	٢- العقلية.....	٣٠٨
أولاً : القبول على مستوى		٣- العاطفية.....	٣٠٩
الجملة في شعر الصعاليك.....	٢٩٨	٤- الحالية.....	٣١٤
ثانياً : القبول على مستوى		المبررات اللغوية.....	٣١٨
النص.....	٢٩٩	أولاً : التكرار (قصيدة مالك	
الأماكن ودورها في القبول.....	٣٠٠	بن الريب في رثاء نفسه).....	٣١٨
السجون.....	٣٠٠	ثانياً : التعليل.....	٣٢١
البلدان.....	٣٠١	ثالثاً : التقريب (كاد ، لو ،	
الخوف والتشرد في شعر		لولا ، التشبيه).....	٣٢٣
الصعاليك الأمويين.....	٣٣٠		
مبررات القبول عند المتلقي...	٣٠٦		

الفصل الثاني المعيار التأسيسي لمحتوى النص (التناص)

(٣٨٠-٣٢٩)

المبحث الأول التناص التعريف والأقسام

(٣٤٤-٣٣١)

٣٣٧ رأي الدكتور صلاح فضل.....	٣٣١ تعريف التناص.....
٣٣٨ رأي الدكتور تمام حسّان.....	٣٣٢ تقسيم دي بوجراند للتناص....
رأي الدكتور محمد	التناص في الاتصال شبه
٣٣٩ عبد المطلب.....	٣٣٣ المباشرة.....
٣٤٠ رأي الدكتور أحمد عفيفي.....	إشارات التناص في التراث
٣٤١ رأي محمد مفتاح ومناقشته....	٣٣٤ العربي.....
	جهود بعض الباحثين العرب
	٣٣٧ في التناص.....

المبحث الثاني مصادر التناص في شعر الصعاليك

(٣٦٠-٣٤٥)

٣٤٩ الشعر.....	٣٤٥ القرآن الكريم.....
٣٥٨ التاريخ.....	٣٤٨ الحديث الشريف.....

المبحث الثالث نماذج التناص في شعر الصعاليك

(٣٨٠-٣٦١)

٢- الإخبار عن المحبوب	٣٦١ تناص المعاني العامة.....
٣٦٤ بد(نبئت أو يقولون).....	١- تمني طروق خيال
٣٦٦ ٣- البكاء على المنزل (الطلل)	٣٦٢ المحبوب.....

٣٧٠	١- التحريض على الغزو	٣٦٦	٤- رؤية البرق.....
٣٧٠(السرقه)	٣٦٦	٥- الندم على قتل الأقارب.....
٣٧١	٢- ضوء النار من داخل السجن.....	٣٦٧	تناص المعاني الخاصة.....
٣٧٣	٣- رثاء النفس.....	٣٦٧	١- مبارزة الأسد (عند جحدر العلكي).....
٣٧٧	٤- النعي في عدم ركوب ناقة المقتول.....	٣٦٩	٢- الشك في النجاة عند السمهري العكلي.....
٣٧٨	٥- صوت الحمام في الغربة..	٣٦٩	٣- طرفا السيف (عند جعفر بن علبة الحارثي).....
٣٧٩	التناص في المسميات.....	٣٧٠	تناص المعاني المشتركة.....

الفصل الثالث

معيّارا تأسيس السياق (المقامية والإعلامية)

(٤٥٧-٣٨١)

المبحث الأول

المقامية

(٣٩٣-٣٨٣)

٣٨٧	أَنْ الخفيفة بعد فعل (الظن)...	٣٨٣	تعريف المقامية.....
٣٨٩	مقامية (السجن) في شعر الصعاليك الأمويين.....	٣٨٥	المقامية في نحو الجملة.....
		٣٨٦	احتمال صيغة (أفعل) للاسمية والفعلية.....

المبحث الثاني

الإعلامية

(٤١٦-٣٩٥)

٣٩٩	الإعلامية في الجملة.....	٣٩٥	تعريف الإعلامية.....
٤٠٣	مراتب الكفاءة الإعلامية.....	٣٩٦	إشارات إلى الإعلامية في التراث العربي.....

الدرجة الأولى : الإعلامية	الدرجة الثانية : الإعلامية
المنخفضة..... ٤٠٣	المتوسطة..... ٤١٠
فكرة خلو النص من الإعلامية ٤٠٦	الدرجة الثالثة : الإعلامية
	المرتفعة..... ٤١٤

المبحث الثالث

خفض الكفاءة الإعلامية ورفعها

(٤١٧-٤٥٧)

٤١٧	خفض الكفاءة الإعلامية.....	درجات الإعلامية بين دي
٤١٨	الخفض الرجعي.....	بوجراتد والجرجاني..... ٤٢٦
٤٢٠	الخفض التقديمي.....	الملحق التطبيقي : تحليل
٤٢١	الخفض الخروجي.....	قصيدة المزارر الفقعسي في
٤٢٣	رفع الكفاءة الإعلامية.....	رثاء أخيه بدر..... ٤٢٩
٤٢٤	الرفع الرجعي.....	نص القصيدة..... ٤٢٩
٤٢٤	الرفع التقديمي.....	أولاً : قراءة النص..... ٤٣١
٤٢٥	الرفع الخروجي.....	ثانياً : تماسك النص..... ٤٣٤
		ثالثاً : نصية القصيدة..... ٤٤٢
	الخاتمة.....	٤٥٩
	قائمة المصادر والمراجع.....	٤٦٣
	ملحق رقم (١) كشف بأشعار الصعاليك الأمويين حسب كل بحر.....	٤٩١
	ملحق رقم (٢) جدول أشعار الصعاليك الأمويين في لسان العرب.....	٤٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه البررة أجمعين وبعد :

فإن الدرس العربي يستقبل من سنين خلت جهود علماء الغرب في حقل اللسانيات فيوظفها في كثير من الأحيان في خدمة لغة الضاد ، ولعل الربع الأخير من القرن العشرين شهد تلاقحاً للعلوم والمعارف الإنسانية أنتج ما يعرف اليوم بنظرية النص التي نهض بأساسها (روبرت دي بوجراند) ليتلقاها العالم ولا سيما العربي منه بدرجة يمكن أن توصف بالقبول ؛ وأمارات هذا القبول أن الدراسات التطبيقية في هذه النظرية تتزايد بمرور الأيام على النص العربي شعراً ونثراً بغض النظر إن كانت هذه التطبيقات شاملة للنظرية ، أو مقتصرة على فروع منها ، أو متوافقة معها بكل الجزئيات ، أو مخالفة لها في بعض منها ، وإنَّ القبول المذكور يتجلى في المراكز العلمية العربية ، وذلك بتوجيه طلاب الدراسات العليا إلى تناول هذه النظرية في موضوعاتهم التي يقدمونها للحصول على الشهادات العلمية .

ولعلي أحد المتخصصين الذين سلكوا هذه السبيل ، فلي تجربة مع الشعر الجاهلي من خلال الأشعار الستة الجاهلية التي شرحها أبو بكر عاصم ابن أيوب البطلوسي النحوي (ت ٤٩٤ هـ) إذ تناولت جهوده النحوية من خلال شرحه في بحث الماجستير ؛ فحصل لي من التعلق بالشعر ما وجدته في نفسي من إجلال وتعظيم لهذه اللغة الشريفة التي اختارها الله (عز وجل) لغة

لكتابته الخاتم ، وقد كان لجحدر العكلي وشجاعته وإقدامه بين يدي الحجاج ابن يوسف الثقفي الفضل في قدح خاطرة العنوان لهذه الدراسة لينتظم عقده بعنوان معايير النظرية النصية دراسة وتطبيق في شعر الصعاليك الأمويين .

أسباب اختيار الموضوع :

إن سبب اختياري موضوع الكتاب قضايا عديدة هي :

١- الرغبة في تطبيق نظرية النص على نصوص خاضعة لمعايير نحو الجملة ؛ لذا حُدِّدَ بالعصر الأموي الداخل في زمن الاحتجاج ، ساعياً في كشف مرونة النص العربي عند التطبيق إذ اللغة العربية تشارك واللغات الإنسانية الأخرى في مبادئ الاتصال .

٢- يمثل شعر الصعاليك نصاً واحداً بعقويته وعدم التصنع والتكلف فيه ؛ لما أضفته عليه ظروف قائله الاجتماعية ؛ فهم شركاء الخوف والتشرد والحرمان والمطاردة والانقطاع عن المجتمع هاربين أو مسجونين ؛ مما يعني أن شعرهم يمثل بحق لغتهم التي تمثل إلى حد ما لغة المجتمع بكل أحداثه ، فدراسته على وفق نظرية النص تكشف عن البعد اللغوي والاجتماعي لهذه الطائفة في عصر بني أمية .

٣- النص المختار نص بكر على مستوى نحو الجملة ومستوى نحو النص ، فلم يُدرس شعر الصعاليك في عصر الأمويين بصورة شاملة على أنه نص له خصائصه وسماته ، فإن كل ما كتب عنه أو حقق منه في غالبه ألفاظ يكشفها المعجم اللغوي اقتُبِسَتْ بحرفها وجل ما فيها من توجيهات دلالية جاءت نصاً من كتب الأئمة المتقدمين ، ومع هذا هي جهود لا تنكر غير أنها قصرت عن إظهار شعر هؤلاء الصعاليك كنص يستحق مزيد اعتناء .

٤- السعي لإثراء الدرس اللغوي العربي المعاصر بتطبيقات نصية من خلال شعر الصعاليك في العصر الأموي ، إذ ما تزال التطبيقات النصية على

النصوص العربية قليلة بالنظر إلى ضخامة النتاج العربي من النصوص في شتى الفنون الأدبية .

بعض الدراسات السابقة :

ولقد سبقت دراسات عديدة هذه الدراسة من جانب ما يتعلق بالنظرية النصية وتطبيقها على النصوص الشعرية ، فقد نوقشت الأطروحة الموسومة (أشعار الهذليين دراسة نحوية نصية) للعام الدراسي ٢٠١٠-٢٠١١م ، مقدمة إلى قسم النحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم جامعة القاهرة إعداد الطالب : حسام جليل عبد العاطي ، وبإشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، وقد تناولت الموضوع في بابين كان الباب الأول منهما في (بناء الجملة في أشعار الهذليين) ويتضمن ثلاثة فصول الأول (بناء الجملة الاسمية) ، والفصل الثاني (بناء الجملة الفعلية) ، والفصل الثالث (وسائل إطالة الكلام في شعر الهذليين) ، والباب الثاني كان (الترايط النصي في أشعار الهذليين) ، وقد ضمنه أربعة فصول ؛ الأول : السبك والحبك ، والفصل الثاني القصصية في أشعار الهذليين ، والفصل الثالث التقبيلية في أشعار الهذليين ، والفصل الرابع : الحجاج في أشعار الهذليين . والذي يلاحظ على هذه الدراسة أن الطالب قسم المحتوى بين الجملة والنص ؛ فكان الباب الأول للجملة والباب الثاني للنص ، ولم يتعرض لوسائل التماسك كما أنه اكتفى بذكر ثلاثة معايير تأسيسية من أصل خمسة هي : (القصصية والتقبيلية والإعلامية) تاركاً ذكر المقامية والتناص . فالذي يمكن أن يضاف على هذه الدراسة هو مزيد اهتمام بوسائل التماسك النصية وتقسيم الدراسة بين هذه الوسائل والمعايير التأسيسيين (السبك والحبك) اللذين يمثلان النحو في الباب الأول من جهة ، وبين المعايير التأسيسية الباقية من جهة أخرى في الباب الثاني : وأما الجملة فلم أخصها بفصل محدد أو قضية محددة بل كانت في طيات الدراسة مفرقة في المباحث لكمال الاعتماد عليها في غالب وسائل التماسك ومعياري السبك والحبك .

وهناك دراسات تناولت شعر الصعاليك الإسلاميين من جانب محدد منه ،
منها :

شعر اللصوص في العصر الإسلامي (١-١٣٢هـ) ، إعداد : وهران حبيب ،
إشراف الدكتور حكمت عيسى ، (ماجستير) ، جامعة تشرين ١٩٩٨م ، ٢٣٤ ،
صفحة .

ودراسات تناولت شعر الصعاليك الجاهليين ، مثل : لغة الشعر عند
الصعاليك قبل الإسلام دراسة لغوية أسلوبية ، رسالة تقدم بها الطالب : وائل
عبد الأمير خليل الحربي ، إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل ، العراق ،
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، بإشراف
الأستاذ الدكتور : علي ناصر غالب ، ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - شباط ٢٠٠٣م
وهي ٣٧٧ صفحة .

تجدر الإشارة إلى أن التمهيد تضمن جملة من المصادر التي يمكن أن تعد
دراسات سابقة ؛ لأنها تدور في إطار هذه الدراسة جاءت تحت عنوان (مصادر
موجودة) .

منهج البحث :

تقتضي طبيعة الدراسة المنهج النصي مما يلزم البحث المنهج الوصفي
لبعض القواعد التي تتناول معايير النظرية النصية ، والمنهج التحليلي للنماذج
المختارة للدراسة من شعر الصعاليك الأمويين ، وإن المنهج المقارن يسير إليه
البحث مقارنا بين آراء علماء النص الغربيين والنحاة العرب ، هذا المنهج العام
للباحث أما المنهج التفصيلي فهو على نحو ما يأتي :

١- أقوم بعرض آراء النصيين وتعريفهم لأي عنصر أتعرض له فيما يتعلق
بنظرية النص ، ثم أشفع هذا العرض بما توصل إليه الباحثون العرب من
آراء وتقسيمات متعلقة بتلك العناصر مجتهدا لإعطائها صبغتها العربية من
أمثلة وتطبيقات من أشعار الصعاليك الأمويين .

٢- أَلْتَمَسَ - غَالِبًا - النظائر العربية لما قرره علماء النص في نظريتهم ،
محاولاً استبعاد فكرة أن هذه النظائر مجرد إشارات متناثرة في التراث
العربي ولا تمثل بحق دراسة لعلم نص عربي .

٣- اعتماد آراء النصيين الغربيين من خلال ما ترجم من كتبهم وفي حال كون
مصدر ما لم يترجم إلى العربية ؛ ككتاب هاليداي ورقية حسن الذي يُعدُّ
من أهم مصادر علم النص ، فعند نقل رأيهما سأكون معتمداً على مَنْ نقل
منهما مشيراً إلى المصدر الوسيط .

٤- تخص الدراسة صعاليك العصر الأموي الذين عاشوا حياة صعلة فيهم ،
وكانت حوادثهم وتلصصهم وقطعهم الطريق وغاراتهم فيه ثابتة ؛ لذا استبعد
فئات من الصعاليك ؛ لأسباب منها التوبة قبل دخول عصر بني أمية كتوبة
الشاعر يزيد بن الصقيل في زمن عثمان بن عفان ، ومنها الجهل بزمن
الشاعر فلم يُعرف لبعض الشعراء الصعاليك زمن محدد ؛ مثل وبرة بن
الجحدر المعني ، وعياش الضبي ، ولوط الطائي ، ومنها عدم ثبوت
تصعلكه في عصر الأمويين ، فقد استبعدت من كان مخضرمًا بين
العصرين الأموي والعباسي ولم تثبت له جنيات وأخبار عن تصعلكه في
العصر الأموي مثل عبيد ابن أيوب العنبري وصاحبه الأحيمر السعدي ،
ومنها ما يجانب نفسية الصعلوك فهم سادة أشراف مثل مرة بن محكان ،
وعبيد الله بن الحر الجعفي ، وأبي لطيفة العقيلي .

٥- توثيق المصادر التي استعنت بها في كتابة هذا البحث تكون بذكر الكتاب
ثم مؤلفه والمحقق إن وجد ودار النشر ومكانه ورقم الطبعة وتاريخها ،
ويكون ذكره بهذا التفصيل أول مرة في هوامش الرسالة مع قائمة المصادر ،
وعند تكراره فسأكتفي بذكر الكتاب ، وفي حالة تشابه الأسماء لبعض
المصادر أقيده باسم مؤلفه ، وتُضاف كلمة (ينظر) قبل المصدر الذي نُقلتُ
عنه الفكرة والضحوى ، وتجريد المصدر من هذه الكلمة يعني أن النص
مقتبس كما هو في المصدر .

٦- هناك رموز رأيت التنبيه عليها وهي :

(ت : وفاة ، هـ : هجرية ، م : ميلادية ، د : دون ، ط : طبعة ، د . ط ، دون
طبعة ، ت : تاريخ ، د / ت : دون تاريخ ، مج : مجلد ، ج : جزء)

٧- يكون استخدام علامات الترقيم بما هو متعارف عليه في كتابة البحوث
العلمية ، وقد خصصت القوسين المعكوفين [] - لاسم البحر الشعري
إزاء كل بيت أو قطعة أو قصيدة أذكرها .

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الأستاذ
الدكتور **طه محمد عوض الله الجندي** - رحمه الله - ، فهو العالم الذي
عوضني الله به رعاية الوالد ، فكان نعم الأستاذ نصيحاً وإرشاداً وتوجيهاً ،
والأستاذ الدكتور : **شعبان محمد مرسي** الذي ما رأيته إلا عالماً ، ولم ألفه
إلا معلماً قد ألبسه الله حُلَّةَ الوقار ، وأسندك عليه هيبة التواضع ؛ فازدأنت به
وبأمثاله هذه الدار المباركة دار العلوم والمعرفة .

ثم أهون على نفسي بما يقول ابن الأثير (الوشي المرقوم : ١٦٧) « ولا يزال
المرء في أمان من عقله حتى يؤلف كتاباً أو يقول شعراً ، وهذا هو معيار
الأفكار والمضمار الذي لا تسلم فيه الجياد من العتار » ، ثم إني لأحيل ما في
هذا البحث من جهد موفق وقول سديد إلى الله عز وجل ، ومنه سبحانه التوفيق ،
وما كان فيه من خطأ وزلل ونسيان فمن نفسي والشيطان ومنهما أستعيد .

وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

يونس يحيى

١٢ من ربيع الأول ١٤٣٩هـ

الموافق ١ من ديسمبر ٢٠١٧م

التمهيد

إنَّ الوقوف عند بعض المصطلحات التي ترد في طيات هذا الكتاب ضرورة تستدعي التمهيد لها تجنباً لطول بعض المقدمات ، أو تكرار بعض الحواشي والتعليقات :

أولاً : الصَّلَكَة لغةً واصطلاحاً :

جاء في المعجمات المعنى اللغوي لهذه الكلمة فـ « مصعلك الرأس مُدَوَّر الرأس قال ^(١) : [الطويل]

يُخَيَّلُ فِي الْمَرْغَى لِمَنْ بِشَخْصِهِ مُصَعْلَكُ أَغْلَى قَلَّةِ الرَّأْسِ نَقْنَقُ » ^(٢)
وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ) : « ويقال : تصعلكت الإبل ، إذا طرحت أوبارها » ^(٣).

أما المعنى الاصطلاحي لهذه المفردة فهو الفقر ، فـ « الصعلوك وفعله التصعلك ويجمع الصعاليك قال : [البسيط]

إِنَّ أَتْبَاعَكَ مَوَالِي السُّوءِ تَتَّبِعُهُ لَكَائِصَعْلُكَ مَا لَمْ تُتَّخِذْ نَشَبًا

(١) ديوان ذي الرمة ، قدم له : أحمد حسن بسيج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٩٥م : ١٨٢ .

(٢) العين - كتاب العين - مرتباً على حروف المعجم تصنيف : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ترتيب وتحقيق : الدكتور عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٣م : (صعلك) ، ٣٩٨/٢ . و (نقنق) من النقنق صوت الضفدع والدجاجة نقنق ونقنقة والنقنق الظليم ، العين (نقنق) ٢٦٠/٤ .

(٣) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط/٤ ، ١٩٩٠م : (صعلك) ، ١٥٩٥/٤ - ١٥٩٦ .

وهم قوم لا مال لهم ولا اعتماد»^(١)، فعبارة: (لا مال لهم) جازمة بالفقر، يقول الجوهري: «الصعلوك: الفقير، وصعاليك العرب: ذؤابنها، وكان عروة بن الورد يسمي عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه، والتصعلك: الفقر. قال الشاعر: [الطويل]

غنيما زماناً بالتصعلك والغنى^(٢).

وفي كلام الخليل (ت ١٧٠ هـ) زيادة على معنى الفقر في (التصعلك) جاءت بعبارة: «ولا اعتماد»، وقد نسب ابن منظور (ت ٧١١ هـ) هذه الزيادة إلى الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)^(٣)، وقد سبقه إليها الخليل^(٤)، وقد تطلق هذه اللفظة على غير الفقراء باعتبار أصل حالهم فقد يكون الصعلوك سارقاً أو قاطعاً للطريق، فجعفر بن علبة الحارثي كان شاعراً صعلوكاً^(٥)، ومع هذا كان سبب

(١) العين: (صعلك)، ٣٩٨/٢، و (نُشْبَا) في البيت، المال الأصيل، العين: (نشب) ٢٢٠/٤.

(٢) يُنظَر: الصحاح، (صعلك)، ١٥٩٥/٤-١٥٩٦، صدر البيت لحاتم الطائي وعجزه: كما الدهر في أيامه العسر واليسر.

يُنظَر: ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٨١ م: ٥١، وفيه (عَيْنَا زَمَانًا).

(٣) يُنظَر: تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (مطابع سجل العرب) مصر من ١٩٦٤-١٩٦٧ م: (ع، ك) ٣/٣٠٣.

(٤) يُنظَر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، د. ط، د. ت: ٤٥٥/١٠، وتاج العروس، من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عدد من المتخصصين منهم عبد الستار أحمد فراج، حسين نصار ومصطفى حجازي وعبد السلام هارون وغيرهم، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء، في الكويت، مطبعة حكومة الكويت. طبعات الأجزاء مختلفة في سنة الطبع: (صعلك): ٢٤٠/٢٧.

(٥) يُنظَر: خزانة الأدب: ٢٠٣/٢.

قتله ؛ أنه قتل رجلاً من بني عقيل ؛ لامة كان يزورها أو غارة أغارها عليهم^(١) ومهما يكن من شيء فجعفر قد تجاوز بتصعلكه الفقر عندما قتل الرجل ، ولعل ما يوضح أن من التصعلك ما تجاوز حدود الفقر ما جاء في ترجمة يعلى الأحول ؛ ففي الأغاني وخزانة البغدادي أنه : كان فاتكاً خليعاً ، من لصوص البادية ، يجمع صعاليك الأزدي ويغير بهم على أحياء العرب^(٢) ، فهذا يظهر أن من الصعاليك أهل غارات وسرقات ، وقد خصّ الدكتور حسين عطوان الصعاليك الأمويين بهذا ، فقال : « كل الصعاليك الأمويين يوصفون بأنهم لصوص »^(٣) .

الألفاظ ذات العلاقة بالتصعلك :

تعرض المعجم لألفاظ لها صلة بالتصعلك ؛ لكونها قد تنوب عن معنى الصعلكة وتؤديها ، فقد جمع الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في فقه اللغة أسماء كثيرة للسارق ومعانيها ، ونقل عنه صاحب معجم اللطائف في اللغة^(٤) معاني ، وزاد عليها ألفاظاً ، منها :

(١) يُنظَر : الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) تحقيق : الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم الساعقيني والأستاذ بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٨م : ٣٢/١٣ .

(٢) يُنظَر : الأغاني : ١٠٤/٢٢ ، خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - بالقاهرة - د . ط . د . ت : ٢٧٢/٥ .

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، د . ط ، ١٩٧٠م : ٩٦ ويقول أيضاً : « رهو أن هولاء الصعاليك العاملين المجهوليين كانوا من اللصوص كما يصفهم القدماء » المصدر نفسه : ٩٧-٩٨ .

(٤) يُنظَر : فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) قرأه وقدم له وعلق عليه : خالد فهمي ، تصدير : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ١/ ، ١٩٩٨ : ٢٣٦-٢٣٧ ، معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة ، للبايبي أحمد بن مصطفى الدمشقي ، تحقيق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة - القاهرة - د . ت : ١٢٤-١٢٥ .

أولا - اللَّصَّ :

اللَّصُّ : واحدُ اللَّصُوصِ ، واللَّصُّ بالضم : لغة فيه ، وَلَصَّ بَيْنَ اللَّصُوصِيَّةِ ، وهو يَتَلَصَّصُ ، وأَرْضٌ مَلَصَّةٌ : ذاتُ لُصُوصٍ ، والأَلَصُّ : المتقاربُ المنكبين يكادان يمسَّان أذنيه ، والأَلَصُّ أيضاً : المتقاربُ الأضراسِ ، وفيه لَصَصٌ^(١) ، واللصوصية والتلصص واللصوصة مصدر اللَّصَّ ، والتلصيص كالترصيص في البنيان ، قال رؤبة : [الرجز]

لَصَصَ مِنْ بُنْيَانِهِ الْمَلَصَصُ^(٢)

وقد لقب به كثير من الشعراء الصعاليك منهم بدر الفقعسي وأخوه المَرَّار ؛ فقد « كان بدر هو وأخوه (المَرَّار) لُصين وبدر أشهر منه بالسرقة ، وأكثر إغارات على الناس »^(٣) وجحدر العكلي أكثر ما يوصف باللَّصَّ^(٤) ، وكان مالك بن الريب ورفيقه شظاظ الضبي من اللصوص ، وشظاظ يضرب به المثل ؛ فيقال : أَلَصَّ من شظاظ^(٥) .

(١) يُنظَرُ : الصحاح : (لصص) ، ١٠٥٦/٣ .

(٢) يُنظَرُ : العين : (لصص) ٨٤/٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ، تأليف : صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرناؤوط ، وتركبي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م : ١٠ : ٥٧ .

(٤) يُنظَرُ : معجم البلدان ، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٧٧ م : ٤٠٨/١ ، ٥٣٠ ، ٨٨/٢ ، ٤٤٥ ، ٥٤٤ ، ١٠٧/٤ ، ١٣/٥ .

(٥) يُنظَرُ : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م : ٣٥٣/١ ، مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميلاني (ت ٥١٨ هـ) حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ١٩٥٥ م : ٢٥٧/٢ ، خزنة الادب : ٢١٠/٢ .

ثانيًا - الفاتك :

الفتك : « أن تهّم بالشيء فتركبه وإن كان قتلاً قال : [الطويل]

وما الفتك إلا أن تهّم ففَعَلَا

والفاتك الذي يرتكب ما تدعوه إليه نفسه من الجنایات والجمع الفتكاء^(١) الفاتك : الجريء ، والفتك : أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌ غافل حتى يشدّ عليه فيقتله^(٢) ، ولعل هذا المعنى يوصف به الصعاليك الذين يقتربون الجنایات فيقال : فاتك أو صعلوك فاتك أو لص فاتك ، فالشاعر جحدر العكلي كان لسنًا فاتكًا شجاعًا^(٣) ، وكان طهمان بن عمرو الكلابي شاعرًا فاتكًا^(٤) ، وقد جمع له البكري بين التصعلك والفتك ؛ فوصفه بأنه : « شاعر من صعاليك العرب وفتاكهم »^(٥) والقتال الكلابي اسمه ، عبد الله و« القتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه »^(٦) .

(١) العين : (فتك) ٣/٣٠٠ .

(٢) يُنظَر : الصحاح : (فتك) ٤/١٦٠٢ ، مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٧٩ م : (لص) : ٥/٢٠٥ .

(٣) يُنظَر : خزنة الأدب : ٧/٤٦٣ .

(٤) يُنظَر : الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ١/١٩٩٢ م : ٤/٦٤٢ .

(٥) سمط اللآلئ ، للوزير أبي عبيد البكري الأوني (ت ٤٨٧ هـ) ويحتوي على (اللائئ في شرح أمالي القاضي ، بمشاطرة عبد العزيز الميمني) نسخه وصححه وحقق وأضاف إليه (ذيل اللآلئ في شرح ذيل الأمالي) عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية . د . ط ، د . ت : ١/٤٧٣ .

(٦) الأغاني : ٩١/٢٤ .

ثالثاً - الهلاك :

جاء في العين « الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس طلباً لمعروفهم من سوء الحال »^(١)، وقوم هلاك صعاليك سينو الحال^(٢)

إن هذه اللفظة ظاهرة القرب من المعنى اللغوي للتصعلك إذا فسرت به ؛
فقليل : الهلاك : الصعاليك والهلاك : الفقراء

ثانياً : مصادر شعر الصعاليك في العصر الأموي .

احتوت المكتبة العربية على كثير من المصادر التي تضمنت أخبار وأشعار الصعاليك في العصر الأموي ، تم تقسيمها إلى مفقود وموجود مع العرض أن هذه هي المصادر الأصلية ، وهناك مصادر أخرى قد تضمنت عدداً ليس بالقليل من أخبار الصعاليك وأشعارهم ؛ مثل كتاب الأغاني للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون (ت ٥٩٧هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحمودي (ت ٦٢٢هـ) ، وخزانة الأدب للبغدادى (ت ١٠٩٣هـ) ، وشعراء أمويون للدكتور (نوري حمودي القيسي)^(٣) ، وغيرها .

أولاً : المصادر المفقودة :

قد تكون بعض هذه المصادر - وإن كانت مفقودة - لا تُعنى بالشعر وهو

(١) العين : (هلك) ٣١٨/٤ - ٣١٩ ، ويُنظر : تهذيب اللغة : (هلك) ١٥/٦ ، تاج العروس : (هلك) ٤٠٧/٢٧ .

(٢) يُنظر : أساس البلاغة ، تأليف : أبي القاسم جابر الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١/١ ، ١٩٩٨ م : ٧٠٥/١ .

(٣) يُنظر : شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق : الدكتور نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، د . ط ، ١٩٧٦ م ، ذكر فيه أشعار خمسة صعاليك هم : مالك بن الربيع : ١١/١ - ٦٣ ، والسمهري العكلي : ١٢٩/١ - ١٥٦ ، وجحدر المحرزي : ١٥٩/١ - ١٩٢ والخطيم المحرزي : ٢٤١/١ - ٢٧٣ ، والمرار الفقعسي : ٤٢٧/٢ - ٥٠٣ .

ما ألمح إليه الأستاذ عبد المعين الملوحي^(١)، ولا سيما أن عناوات هذه الكتب لم تتضمن ما يفصح عن مضمونها مثل (أشعارهم) ونحوها، وهي ما يأتي:

١- الخُراب والصوص : للقيط بن بُكير المحاربي (ت ١٩٠هـ) أبي هلال الكوفي من بني محارب بن خصفة من الرواة للعلم المصنفين للكتب، كان سيء الخلق شاعراً من رواة الكوفة، وله كتاب الخُراب والصوص^(٢)، وقيل هو الحراب والصوص^(٣)، ولعله تصحيف وقع في الكلمة.

٢- لصوص العرب : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء تيم قريش البصري النحوي العلامة (ت ٢١٦هـ)^(٤)، قال الجاحظ في حقه : « لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه »^(٥)، غير أن الكتاب مفقود لم يصل إلينا.

٣- كتاب الصعاليك : صرح في سمط اللآلئ باسم الكتاب، ونسبته إلى أبي عبيدة في الكلام عن قول الشاعر^(٦) : [الطويل]

(١) يُنظر : أشعار اللصوص وأخبارهم جمع وتحقيق : عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٣م : ٩/١.

(٢) يُنظر : الوافي بالوفيات ٣٠٣/٢٤، معجم الأدباء، تأليف : ياقوت الحموي الرومي، تحقيق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م : ٢٢٥٠/٥،
(٣) يُنظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا، عني بتصحيحه : المعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي : بيروت د. ط، د. ت : ٢٨٩/٢.

(٤) يُنظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف : أبي العباس بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت : ٢٣٩/٥،
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، عني بتصحيحه : محمد شرف الدين يالتقايا والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان د. ط، د. ت : ١٥٥٠/٢.

(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٣٥/٥.

(٦) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي : صناعة : الدكتور محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م : ٢١/٢.

لَقَدْ هَزَّتْ مَنِي بَنَجْرَانُ أَنْ رَأَتْ مَقَامِي فِي الْكَبْلَيْنِ أَمْ أَبَانِ
فبين أنه لِعُطَارِدِ بْنِ قُرَّانٍ ، قاله أبو عبيدة في كتاب الصعاليك ^(١) .
وقد ذكر هذا الكتاب من غير نسبة إلى أبي عبيدة في رسالة الصاهل
والشاحج ^(٢) ، وهو برواية علي بن سليمان ^(٣) .
٤- أخلاق الشطار : للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، ذكره ياقوت الحموي ^(٤) .
٥- كتاب اللصوص : للجاحظ : جاء في المغرب ما نصه : « وفي كتاب
للصوص للجاحظ : « الفش : معالجة ذوارة الباب » ، وعن الليث : « هو
تتبع السرقة الدون » . والأول الوجه ^(٥) وقد ذكره حاجي خليفة ، فقال :
« كتاب اللصوص لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى
خمس وخمسين ومائتين » ^(٦) .

(١) يُنظَر : سمط اللآلي : ١٨٤/١ .

(٢) يُنظَر : رسالة الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري ، (ت ٤٤٩ هـ) ، تحقيق :
الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ،
١٩٨٤ م : ٥٤١ .

(٣) علي بن سليمان بن الفضل النحوي أبو الحسن الأخفش الأصغر (ت ٣١٥ هـ) قرأ
على ثعلب والمبرد واليزيدي ، يُنظَر : بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،
لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ،
ط/٢ ، ١٩٧٩ م : ١٦٧/٢ - ١٦٨ .

(٤) يُنظَر : معجم الأدباء ٢١٢٠/٥ ، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
مؤلفه : إسماعيل باشا البغدادي ، طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها
البهية إستانبول ، سنة : ١٩٥١ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، د . ط ، د
ت : ٨٠٢/٢ .

(٥) المغرب في ترتيب المعرب ، تأليف أبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي ابن
المطرز ، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ،
سوريا - حلب ، ط/١ ، ١٩٧٩ م : ١٤٠/٢ ، معجم الأدباء : ٢١١٨/٥ .

(٦) كشف الظنون : ١٤٥٤/٢ ، وهدية العارفين : ٨٠٣/٢ .

٦- كتاب حيل اللصوص : للجاحظ ، وقد أشار إليه في مقدمة كتابه (الحيوان)^(١) .

٧- أخبار اللصوص : تصنيف أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) بهذه التسمية جاء في الأغاني^(٢) ، وهو ما أثبتته بروكلمان^(٣) ، وما اعتمده الأستاذ عبد المعين الملوحي في كتابه (أشعار اللصوص وأخبارهم)^(٤) ، وفي معجم الأدباء (أشعار اللصوص)^(٥) ، وسماء البغدادى (أشعار لصوص العرب) في أول ذكر له في خزانته^(٦) ، وقد نقل منه كثيرا ، ولعل هذا النقل كان من أكثر من نسخة للكتاب ؛ لأنه قد أفصح في بعض مواضع نقله أنه ينقل من نسخة قديمة صحيحة^(٧) ، ويقول بحق صاحب هذا الكتاب : « أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم في كتابه »^(٨) ،

(١) يُنظَر : الحيوان : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م : ٣/١ .

(٢) يُنظَر : الأغاني : ٩١/٢٤ .

(٣) يُنظَر : تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، د . ت : ١٦٤/٢ .

(٤) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ٨/١ .

(٥) يُنظَر : معجم الأدباء : ٢٣٢٩/٥ .

(٦) يُنظَر : خزانة الأدب : ٢١/١ .

(٧) يُنظَر : المصدر نفسه : ٢٠٦/١١ .

(٨) المصدر نفسه : ٤٦٦/٧ ، قد استوفيتي كلام لشيخ المحققين عبد السلام محمد هارون ، عن تضمين البغدادى خزانته بعض الكتب الصغار النادرة ، وعدّها منها كتاب اللصوص للسكري ؛ (يُنظَر : تحقيق النصوص ونشرها ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ٧ ، ١٩٩٨ م : ٢٠) والظاهر أنه لم يكن كتاب السكري صغيرا لو صف البغدادى ؛ أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم ، وهذا فيما يبدو ينافي الصغر ، وللبغدادى نصوص تبين أنه لم يضمن خزانته كتاب اللصوص للسكري منها ما قاله عن القتال الكلابي : « وأورد له صاحب كتاب اللصوص جنيات كثيرة وله فيها أشعار » . (خزانة الأدب : ١١٢/٩) ولم يذكر البغدادى له إلا القليل من الشعر وبعض الأخبار .

وقد يختصر البغدادي أو يزيد في اسم هذا الكتاب في بعض المواضع ؛ فيقول : (كتاب اللصوص)^(١) ، أو (أشعار اللصوص)^(٢) ، أو (شرح أشعار اللصوص)^(٣) .

٨- كتاب : السِّلّ والسرقة : للحسن بن أحمد أبي محمد الأعرابي المعروف^(٤) بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة ، ويقال : إنه كان يتعاطى تسويد لونه ، ويدهن بالقطران ، ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي ، وقد عاش في القرن الخامس الهجري لذكر التراجم أنه صَنَفَ في سنة اثنتي عشرة وأربع مائة وقرئ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربع مائة ، وله كتاب السل والسرقة وغيره^(٥)

وهو كتاب مفقود ، ولعل البغدادي اطلع عليه في مجمل مصنفات الغندجاني ؛ لأنه بعد أن ترجم له وذكر كتبه عقب بقوله : « وأكثرها عندي والله الحمد والمنة »^(٦) .

(١) يُنظَر : خزنة الأدب : ١٥٦/٢ ، ١٦١ ، ٨٣/٦ ، ٤٦٦/٧ ، ٩٩/٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٣٤٩/١٠ ، ٢٠٦/١١ ، ٢٠٨ ، وبهذا اللفظ جاء عند ابن جني في التبيين على شرح مشكل أبيات الحماسة ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق سيدة حامد عبد العال وتغريد حسن أحمد عبد العاطي ، إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصّار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، د . ط ، ٢٠١٠ م : ١١٦ .

(٢) يُنظَر : خزنة الأدب : ٢٩/١١ وبهذا اللفظ جاء عند الفيروزآبادي ، يُنظَر : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تصنيف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) تحقيق : محمد المصري ، دار سعد الدين ، دمشق - سورية ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ م : ١١١ .

(٣) يُنظَر : خزنة الأدب : ٣٩٥/٧ .

(٤) يُنظَر : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١١٩ .

(٥) يُنظَر : معجم الأدباء : ٨٢٢/٢ ، الوافي بالوفيات : ٢٩٣/١١ .

(٦) خزنة الأدب : ٤٥/١ .

٩- ديوان أبي الرئيس الشعلي :

ينقل عنه ابن جني ويصحح عليه رواية شعر أبي الرئيس، فبعد أن نقل البيتين : [الطويل]^(١)

هَلْ تُبْلَغُنِي أَمْ حَرْبٍ وَتَقْذِفُنْ عَلَى طَرْبٍ يُّوتَ هَمُّ أَقَاتِلُهُ
مُسِنَّةً عَتَقِي حُسْنَ خَدٍّ وَمِرْفَقِي بِهِ جَنْفٌ أَنْ يَغْرُكَ الزُّورُ شَاغِلُهُ

قال : « هكذا صحة الرواية في هذين البيتين ، وكذلك وجدناهما بخط أبي موسى في ديوان أبي الرئيس »^(٢)

١٠- كتاب توبة بن مضرس : من تصانيف أبي الحسن المدائني^(٣) في الأحداث كتاب توبة بن مضرس^(٤) .

١١- ديوان القتال الكلابي : صنعه ابن السكيت (ت ٢٠٤هـ)^(٥) .

(١) البيت الأول دخله الثلم ، وهو حذف فاء (فعولن) من أوله فيبقى (فعلن) ، ومعنى : يُّوتُ يُقَالُ : خُبِرَ بَانَتْ ، وكذلك البَيُّوتُ . والبَيُّوتُ الأَمْرُ يُبَيِّتُ عَلَيْهِ صاحبه ، مُهْتَمًّا بِهِ ، وَهَمَّ بَيُّوتٌ : بَاتَ فِي الصَّدْرِ ، لسان العرب : (بيت) ١٧/٢ والجنف الميل في كل شيء ، العين : (جنف) ٢٦٧/١ ، والزُّورُ : وسط الصدر ، العين : (زور) ٢٠٠/٢ ، ويعرك : من عَرَكْتُ الأديم عَرَكًا : دَلَكْتُهُ ، العين : (عرك) ١٣٩/٣ .

(٢) التثنية على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٣٠٧ .

(٣) هو : علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني أبو الحسن مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بصري سكن المدائن ، وانتقل إلى بغداد ، وتوفي بها سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان ثقة إذا حدث عن الثقات وتصانيفه كثيرة ، ينظر : الوافي بالوفيات : ٢٩/٢٢ .

(٤) ينظر : الوافي بالوفيات : ٢٩/٢٢ - ٣٠ .

(٥) ينظر : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط ١٥/١ ، ٢٠٠٢م : ١٩٠/٤ ، وقد كان مصدر الزركلي هو الأستاذ إحسان عباس (هامش رقم : ٢) كما أنه لم يذكر هذا المصنف لابن السكيت عند ذكر مؤلفاته ، ينظر : ١٩٥/٨ .

ثانياً : مصادر موجودة :

١- ديوان طهمان بن عمرو الكلابي من شعراء اللصوص : تأليف أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري : (ت٣٧٥هـ) ، طبع لأول مرة ضمن كتاب جرزة الحاطب وتحفة الطالب^(١) ، تحرير وإخراج : البروفسور (William Wright) في بريل ، لندن عام ١٨٥٩م ، وقد قام بتحقيق الديوان محمد عبد الكريم مسعود ، طبع في دار الفكر العربي بيروت لبنان في طبعته الأولى عام ٢٠٠٢م ، وهو بالأصل رسالة جامعية للحصول على دبلوم الدراسات العليا في الجامعة اللبنانية الفرع الثالث^(٢) وقد أضاف المحقق كلمة (شرح) قبل اسم الكتاب الثابت في المخطوط^(٣) ، ويعدّه (من الشعراء اللصوص) ؛ ليكون العنوان : (شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي من الشعراء اللصوص) .

٢- ديوان القتال الكلابي : جمعه الأمتاذ إحسان عباس ، على أساس أن ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) ألف في شعره ، غير أن الكتاب قد ضاع ، وقد قام « بلمّ ما تبقى من شعره من المصادر »^(٤) وضمه ثلاث مائة وسبعة وأربعين بيتاً منها اثنا عشر بيتاً من المنسوب له ولغيره ، والنسخة التي قد اعتمدها قد طبعت في دار الثقافة بيروت - لبنان ، عام ١٩٨٩م .

(١) الكتاب عبارة عن مجموعة كتب هي : صفة السرج واللجام لابن دريد وصفة السحاب والغيث : لابن دريد أيضاً وتقليب القوافي لابن كيسان ، وديوان طهمان بن عمرو الكلابي لأبي سعيد السكري ، ومقطعات مرثي لبعض الأعراب .

(٢) ينظر : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي - من شعراء اللصوص - لأبي سعيد السكري ، تحقيق وشرح ودراسة ، محمد عبد الكريم مسعود ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان ، ط١/ ، ٢٠٠٠م : المقدمة .

(٣) ينظر : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ٩٢ ، نقل فيها صورة الصفحة الأولى من المخطوط الفريد ، والتغيير الذي حصل للعنوان ليس للباحث المحقق فيه مستند ، فعنوان المخطوط الأولى أن لا يبدل ، ولا سيما عند وجوده ظاهراً في مخطوط الديوان ، ولا صارف له عنه بموجب ضوابط التحقيق العلمي .

(٤) ديوان القتال الكلابي ، حققه : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م : ٢٥ .

٣- ديوان توبة بن الحمير ، عني بتحقيقه الدكتور خليل إبراهيم العطية ، والتحقيق كان من نسخة مخطوط أصابها الخرم فنقص من شعر توبة الكثير واختلط بشعر غيره ، فزاد المحقق في تحقيقه أن جمع ما أمكنه من شعر توبة من المراجع العربية مطبوعها ومخطوطها^(١) ، فصار عدد أبيات الديوان مائة وواحدا ، منها خمسة وثمانون في الديوان وستة عشر بيتا في الذيل ، وقد طبع ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، وأعيد طبعه في دار صادر بيروت لبنان ، سنة ١٩٩٨ م .

٤- أشعار اللصوص وأخبارهم : جمع وتحقيق : عبد المعين الملوحى ، ضمنه شعر عدد من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، هم : يعلى الأحول وشفاظ الضبي والهيردان وأبو النشاش النهشلي والسهمري العكلي وعرقل ابن الخطيم ، طبع الكتاب في دار أسامة وأصل هذه الطبعة هو ما نشره الأستاذ الملوحى في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في سلسلة أشعار اللصوص وأخبارهم^(٢) .

ثم استكمل الأستاذ الملوحى ما بدأ به ؛ فطبع الكتاب مرة أخرى بعد إضافات ضمنها أشعار عدد من الشعراء ؛ منهم بعض الصعاليك في العصر الأموي ؛ وهم : عطار بن قران ، وأبو حردبة ، وحريث بن عناب الطائي ، والخطيم العكلي ، وجحدر العكلي ، ووتليد الضبي ، ومالك بن الربيع ، وبدر

(١) يُنظر : ديوان توبة بن الحمير ، عني بتحقيقه وشرحه ، الدكتور خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط١/ ، ١٩٩٨ م : ٢٢ .

(٢) يُنظر : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : مج ٤٩ ، ج : ٢ نيسان ١٩٧٤ م ، وفيه القسم الأول : الصفحات : ٣٦٢-٣٧٦ . ومج : ٤٩ ، ج : ٣ ، نيسان ١٩٧٤ م ، وفيه القسم الثاني : الصفحات : ٥٩٥-٦٠٨ ، ومج : ٥٠ ، ج : ٣ ، تموز ١٩٧٥ م ، وفيه القسم الثالث : الصفحات : ٥٨٨-٦١٣ ، ومج : ٥٠ ، ج : ٤ ، أكتوبر ١٩٧٥ م ، وفيه القسم الرابع : الصفحات : ٨١٤-٨٢٨ . ومج : ٥٩ ، ج : ١ ، كانون الثاني : ١٩٨٤ م ، وفيه القسم السابع : الصفحات : ٦٥-٨٠ .

ابن سعيد الفقعسي ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وفضالة بن شريك الأسدي ، وشبيب بن كريب الطائي ، ومالك بن رفيع الأسدي ، وقد توهم في نسبة شعرة إلى محمد بن أنس الأسدي وعبد الله بن الأحذب السعدي . كما ضمن كتابه ديوان المزار الفقعسي بالاعتماد على ما جمع منه الدكتور نوري حمودي القيسي ، وديوان طهمان بن عمرو الكلابي بالاعتماد على ما طبع منه بشرح السكري ، وديوان القتال الكلابي بالاعتماد على ما جمعه الدكتور إحسان عباس ، وقد طبع الكتاب هذه المرة في دار الحضارة الجديدة بيروت لبنان^(١) .

٥- ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، صنعه الدكتور محمد نبيل طريفي ، وهو جزعان ذكر فيهما خمسة وأربعين شاعراً بين مخضرم وأموي كان الأمويون منهم أربعة وعشرين شاعراً ، وبقيّة الشعراء إما مجهولوا الوفاة ، أو لم يبلغوا العصر الأموي بالتصعلك ، أو نسبتهم إلى العصر العباسي الأول أولى^(٢) .

أغفل هذا الديوان ذكر عدد من الشعراء الصعاليك في هذا العصر ، هم : (توبة بن الحمير ، توبة بن مضرس ، أبو الرئيس الثعلبي ، عبد الله بن الحمير ، فضالة بن شريك الأسدي) .

٦- موسوعة الشعراء الصعاليك ، للدكتور حسن جعفر نور الدين ، طبعت في بيروت - لبنان ، شركة رشاد برس ٢٠٠٧م ، وهي جزعان كبيران ، جعل الأول للكلام عن (الصعلكة والشعر الصعلوكي في الميزان) والجزء الآخر

(١) الكتاب في ثلاثة أجزاء الجزء الأول والثاني تضمنتا الأشعار ، والجزء الثالث تناول الدراسة وما يتعلق بالشعر . طبع الكتاب بطبعات مختلفة فالمجلدان الثاني والثالث كتب عليهما الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م ، والمجلد الأول كان الطبعة الثانية في السنة نفسها . للكتاب قيمته العلمية في دراستي ، وقد عانيت الأمرين في الحصول عليه لأنه قد نفذ من الأسواق .

(٢) مثل : سليمان بن عياش الذي عاش بين سنتي (١٧٢-٢٥٦هـ) يُنظر : ديوان اللصوص : ٢٥٦/١ .

(الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث) ، وقد ضمنه شعراء المرحلة الأموية في الباب الثالث ذاكراً ستة وثلاثين شاعراً ، وما يلاحظ عليه أنه أغفل ذكر المرار الفقعي وأخيه بدر في شعراء هذه الحقبة ، وأخرج القتال الكلابي وفضالة بن شريك الاسدي منها ، وألحقهم بالمخضرمين بين الجاهلية والإسلام ، وأدخل عبيد بن أيوب العنبري مع الأمويين وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وأخرج جعفر بن عتبة الحارثي إلى عصر العباسيين ، ثم هو يجعل من جحدر العكلي ثلاثة شعراء متابعاً الدكتور حسين عطوان ، في (شعراء الصعاليك في العصر الأموي) ^(١)

ثالثاً : الشعراء الصعاليك ، تراجمهم وأشعارهم .

نظراً لتعلق الدراسة بشعراء عصر محدد فقد ترجمت لكل شاعر منهم بإيجاز ذاكراً أهم ما حدث في حياتهم وهو قليل في الغالب ، وشعر كل واحد منهم بعدد الأبيات ^(٢) :

١- **بدر بن سعيد الفقعي** : هو بدر بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة ابن الأشيم بن جحوان بن فقعي بن طريف بن عمرو بن قين بن الحارث ابن ثعلبة ابن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار ^(٣)

(١) يُنظر : موسوعة الشعراء الصعاليك ، للدكتور حسن جعفر نور الدين ، شركة رشاد برس ، بيروت - لبنان ، ط . ٥ ، ٢٠٠٧ م : ٢/١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٩-٢٤٢ ، ٢٤٧ .

(٢) يُنظر : ملحق رقم (١) فقد تضمن أسماء الشعراء الصعاليك ، وما وقفت عليه من شعرهم من كتاب شعراء أمويون وكتب أشعار اللصوص وأخبارهم للملوح ، وديوان اللصوص لمحمد نبيل طريقي موزعاً هذه الأشعار حسب نوع البحر لكل شاعر منهم .

(٣) يُنظر : خزنة الأدب : ٢٦٧/٤ ، وهي ترجمة لأخيه المرار ، ديوان اللصوص : ٧٠/١ .

أخو المَرَارِ الفقعسي ، وكان بدر هو وأخوه (المَرَار) لصين وبدر أشهر منه بالسرقة وأكثر إغارات على الناس ، وأخذ بدر ورفع إلى عثمان بن حيان المري ، وهو يومئذ على المدينة فحبسه ومكث في السجن مدة ومات فيه ^(١) .
لم يبقَ إلا نتفة من شعره اختلف في نسبتها إليه ، وأثبتها له الملوحي في أشعار اللصوص وأخبارهم ^(٢) .

٢- **تَلِيد الضُّبِّي** : كان شاعراً لصاً على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أخذ وأُقيم للناس بأمره ليدفع للناس ما أخذ منهم ، وقد أمره ببناء مسجد بنفسه ، وأنشأ بذلك شعراً ^(٣) . ولم يبق من شعره إلا عشرة أبيات جمعها له الملوحي في أشعار اللصوص وأخبارهم ^(٤) .

٣- **توبة بن الحمير** : توبة بن الحمير بن حزم ^(٥) بن كعب بن خفاجة

(١) يُنظَر : الوافي بالوفيات : ٥٧/١٠ .

(٢) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٨٢/٢ .

(٣) يُنظَر : معجم البلدان : ١٢٧/٢ ، خزنة الأدب : ٣٤٩/١ - ٣٥٠ ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، الدكتور عزيزة فوال بابتي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م : ٦٩ .

(٤) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

(٥) وقيل : حزن وقد تشير بعض المصادر إلى أن اسم جده هو : (سفيان ، ربيعة ، عقيل) يُنظَر : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي : تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٥ م : ٦٠/٧٠ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تأليف : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٢ م : ١٦٨/٦ ، وفي الإصابة في تمييز الصحابة : ٦٤٥/٥ ، الجد هو : كعب بن خفاجة .

ابن عمرو بن عقيل ويكنى أبا حرب^(١)، كان شاعراً لصاً^(٢) قتل سنة خمسة وخمسين من الهجرة^(٣) له ديوان مطبوع سبق الكلام عنه، ولم يذكر توبة ضمن ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي؛ ولعل ذلك لأن خبر توبة مرتبط بذكر ليلى الأخيلية أكثر من ارتباطه بالتلصص على الرغم من أن أخبار غاراته ولصوصيته ظاهرة في كتب السير حتى إن قولاً ينقل عن معاوية في خبر مقتل توبة ذهب مثلاً: «واها ما أبردها على الفؤاد... يا أهل الشام إن الله تعالى قتل الحمار بن الحمير، وكفى المسلمين درأه فاحمدوا الله فإنها نغية كالشهد بل هي أنفع لذي الغليل من الشهيد إنه كان خارجياً تخشى بوائقه»^(٤)

٤- **توبة بن مضر** بن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن حرام ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم أبو الجعد، يعرف بابن رميلة، وقال السكري هو توبة بن مضر بن عبيد بن حي بن ربيعة ابن سعد ابن مالك، نسبة العبسي كما في اللسان^(٥)، ويقال له الخنوت: أوله خاء معجمة مكسورة وبعدها نون مفتوحة مشددة وآخره تاء معجمة باثنتين من فوقها؛ فهو الخنوت الشاعر، ويلقب أيضاً (لهب الفوارس)، وقيل عن محمد بن حبيب: الخنوت هو توبة بن مضر بن عبيد بن حني

(١) ينظر: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم، للإمام أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠ هـ)، صححه وعلق عليه: الأستاذ الدكتور: ف. كرنكو، دار الجيل بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩١ م: ٨٤، تاريخ مدينة دمشق: ٦٠/٧٠.

(٢) ينظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة: ٤٤٥/١.

(٣) هناك خلاف في تحديد سنة مقتل توبة في كتب التراجم بين السنوات (٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٥) وقد رجح محقق الديوان أن مقتله كان سنة خمس وخمسين هجرية، ينظر: ديوان توبة بن الحمير: ١٦-١٨.

(٤) مجمع الأمثال ٣٦٢/٢

(٥) ينظر: لسان العرب: (أجل)، ١٢/١١.

بالنون^(١)، ومن تصانيف أبي الحسن المدائني^(٢) في الأحداث كتاب توبة ابن مضر^(٣)، أما لصوصيته فقد ذكرها ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبيه، وأنه قد كان في زمن معاوية ومن بعده، وكان شاعراً فائقاً ذكر في كتاب أخبار اللصوص من العرب وأشعارهم^(٤).
لم يصل إلينا من شعره إلا القليل^(٥) المتناثر في المصادر القديمة، وقد

(١) يُنظَر : الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، تأليف : الأمير الحافظ ابن ماکولا (ت ٤٧٥ هـ) اعتمد بتصحيحه والتعليق عليه : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة . ط/٣ ، ١٩٩٣ م ، ١٥٩/٢ ، القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، وبهامشه تعليقات وشروح لنسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة (١٣٠٢ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م : (باب التاء فصل الخاء) ١٤٦/١ ، تاج العروس : (خنت) ٥١٤/٤ ، (أجل) ٤٣٦/٢٧ وفيها توبة بن مضر بن عبيد .

(٢) علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني أبو الحسن مولى سمرة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف بصري سكن المدائن وانتقل إلى بغداد وتوفي بها سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان ثقة إذا حدث عن الثقات وتضافه كثيرة جداً، يُنظَر : الوافي بالوفيات ٢٩/٢٢ .

(٣) يُنظَر : الوافي بالوفيات ٢٩/٢٢ - ٣٠ .

(٤) يُنظَر : الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٩/٦ ، وفيه تصحيف في نسبة أخبار لصوص العرب وأشعارهم إلى ابن سعيد الشكري لعله بسبب النسخ أو الطباعة : فصاحب الكتاب : هو أبو سعيد السكري ويُنظَر أيضاً : الوافي بالوفيات : ٥٧/١٠ ، تاج العروس : (أجل) ٤٣٦/٢٧ .

(٥) يُنظَر : المنازل والديار ، أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) تحقيق : مصطفى حجازي ، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة د . ط ، ٢٠١١ م : ٤٥١ .

بذلت الوسع في استقصاء المظان^(١) لجمع شعره ، ثم وقفت على ما جمعه عبد الحميد محمود المعيني ، فقد جمع شعره ضمن كتابه الخاص بشعر بني تميم ، وقد عدّه جاهلياً^(٢) ، وهو ما ذهب إليه الدكتور سامي مكّي العاني إذ ترجم له على أنّه جاهلي^(٣) .

٥- جَحْدَر^(٤) بن معاوية بن جعدة العكلي المحرزي^(٥) الحنظلي^(٦) وقيل جحدر بن مالك من بني حنيفة أو الحنفي^(٧) ، ويقال اليمامي نسبة إلى بلده^(٨) ، وكان فاتكاً بأرض اليمامة فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤذبه ويلومه

(١) يُنظَر : جرّزة الحاطب وتحفة الطالب ، يتضمن (صفة السرج واللجام لابن دريد وصفة السحاب والغيث لابن دريد أيضاً وتقليب القوافي لابن كيسان ، وديوان طهمان ابن عمرو الكلابي لأبي سعيد السكري ومقطعات مرثئي لبعض الأعراب) تحرير وإخراج : البروفسور (William Wright) في بريل ، لندن عام ١٨٥٩م : ١١٥-١١٦ .

(٢) شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق عبد الحميد محمود المعيني ، منشورات نادي القصيم ، السعودية ، ١٩٨٢م : ٨١ .

(٣) معجم ألقاب الشعراء : دكتور سامي مكّي العاني ، مكتبة الفلاح : دبي ط/١ ، ١٩٨٢م : ٨١ .

(٤) وَهَمَ الدكتور حسين عطوان عندما جعل من جحدر ثلاثة شعراء ، وذلك في كلامه عن الشعراء الصعاليك الأمويين الذين قبض عليهم وسجنوا ، فقال : «ومن قبض عليه منهم وزج في ظلمات السجن مالك بن الربيع التميمي وأبو النشاش التميمي وجحدر المحرزي وجحدر بن معاوية العكلي وجحدر بن مالك الحنفي» الشعراء الصعاليك في العصر الأموي : ١٢٠-١٢١ .

(٥) يُنظَر : منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت ٥٧٩ هـ) تحقيق وشرح : الدكتور محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م : ٢٦٨/٣ .

(٦) يُنظَر : لسان العرب : (درك) ٤٢٠/١٠ .

(٧) يُنظَر : خزائن الأدب/٧/٤٦٣ وتاج العروس ١٤٣/٢٧ .

(٨) يُنظَر : تاج العروس : (ونى) ٢٦١/٤٠ هامش رقم (٢) يقول المحقق : «في مطبوع التاج ومخطوطه (لجحدر اليمامي) والمثبت من اللسان والصحاح» ، وقد أثبت اليمامي بدل اليمامي .

على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، ووقع بينه وبين الحجاج جدل امتحنه الحجاج بعدها فأدخله على أسد جائع فكانت نجاة جحدر بقتله الأسد^(١) ، وصل إلينا من شعره مائة وتسعة وثلاثون بيتاً جمعت في شعراء أمويين^(٢) .

٦- **جعفر بن عُلبة الحارثي** : هو أبو عارم جعفر بن عُلبة بن ربيعة ابن عبد يغوث - أسير يوم الكلاب - ابن معاوية بن صلاءة بن معقل ابن كعب بن الحارث بن كعب^(٣) من شعراء العصر الأموي يقول المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) : «عُلبة بن ماعز الحارثي أبو جعفر بن عُلبة المقتول في أيام هشام بن عبد الملك قتله بنو عقيل»^(٤) وقيل من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية^(٥) قتل قَوْداً برجل قتله من بني عقيل ، وهو شاعر مقل

(١) يُنظَر : الأمالي تأليف : أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، ويليهِ الذيل والنوادر للمؤلف وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ، د . ط ، د . ت : ١/٢٨٢ ، شعراء أمويون : ١/١٨٥ ، وفيه (أليس الله) وخزاة الأدب/٧-٤٦٣-٤٦٧ .

(٢) يُنظَر : شعراء أمويون : ١/١٥٩-١٨٨ . وديوان اللصوص : ١/١٥١-١٧٥ .

(٣) يُنظَر : الأغاني : ١٣/٣١ .

(٤) معجم الشعراء (ع - ي) للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) بتعليق الدكتور سالم الكرنكوي ، مكتبة القدسي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٢ م : ٣٠٥ .

(٥) يُنظَر : الأغاني : ١٣/٣١ ، شرح ديوان الحماسة ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ط ، د . ت : ١/٢٨-٢٩ . وهذه النسبة تأتي بسبب ما جاء في سبب مقتل جعفر والخلاف في اسم الأمير الذي أقاده لبني عقيل وكان على مكة هل هو إبراهيم بن هشام المخزومي في أيام هشام بن عبد الملك أو هو السري ابن عبد الله الهاشمي في عهد المنصور العباسي ، والذي أميل إليه أنه كان إبراهيم ابن هشام المخزومي ، لثبوت إمارته على مكة والمدينة لهشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين من الهجرة (يُنظَر : تاريخ مدينة دمشق : ٢/٢٦١) ، ولجزم المرزباني بأنه قتل في أيام هشام بن عبد الملك ولم ينقل خلافاً فيه ، كما أن =

غزل وفارس مذكور^(١) وصعلوك^(٢) لا خلاف في ذلك^(٣) ، وقد جُمع من شعره عشر قطع من شعره كانت أربعة وستين بيتاً^(٤) وبعد التتبع لشعره وقفت على بيتين له عند الخالدين^(٥).

٧- أبو حردبة : ليس بين أيدينا من خبر أبي حردبة ونسبه إلا اعتراف بسرقاته ، والنية على التوبة بعد عتاب من رفاقه ؛ وذلك في اجتماع لمالك

== السري ابن عبدالله لم تثبت له ولاية على مكة ، والثابت له ولاية اليمامة في أول عهد بني العباس (يُنظَر : الكامل في التاريخ ، للإمام ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) صححه ، الدكتور محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م : ٤/٤٩٣) ، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان : ٣/١٩٤) خبر مقتل جعفر وعند ذكر أمير مكة حينئذ قال : «والي مكة إبراهيم بن هشام المخزومي وقيل السري ابن عبد الله» فأورده بصيغة التضعيف والتمريض (قيل) ، ومهما يكن زمن قتله فقد عاش في العصر الأموي أكثر عمره وشعره يشبه شعر الجاهليين في المضمون والأسلوب ، يُنظَر : الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ، الدكتور حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(١) يُنظَر : الأغاني : ٣١/١٣ ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف : الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب - بيروت ، ١٩٤٧م ، ١/١٢١ .

(٢) يُنظَر : الأغاني : ١٦/٢٢٤ ، الإكمال : ٦/٢٥٥ ، خزانة الأدب : ٢/١٧٨ .

(٣) أشار الدكتور محمد نبيل طريفي في كتابه ديوان اللصوص : ١/١٨٠ ، إلى أن خلافا في مقتله ولصوصيته ، ولعله لم يقف على ما ذكره صاحب الأغاني بشأن صعلوكته ؛ لأنه ذكرها في أخبار عبد يغوث ونسبه (١٦/٢٢٤) ، وكذلك في (خزانة الأدب : ٢/١٧٨) وفي إحالات الدكتور طريفي لم يشر إلى مورد الأغاني الذي ذكرته ولم تكن خزانة الأدب من مصادره .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢/٥٥٣-٥٧٠ ، ديوان اللصوص : ١/١٨٠-١٩٩ .

(٥) يُنظَر : الأشباه والنظائر - من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، للخالدين ، أبي بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وأبي عثمان سعيد (ت ٣٩١هـ) ابني هاشم ، حققه وعلق عليه : الدكتور السيد محمد يوسف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، د . ط ، د . ت : ١/١٢٥ .

ابن الريب وأبي حردبة وشظاظ ، فتاب وقدم البصرة فاشترى فرساً وغزا الروم فأصابه سهم في نحره فاستشهد^(١) تفرد الجاحظ في نقل بيت واحد من شعر أبي حردبة :^(٢) [الكامل]

فَهَلْ الْإِلَهَ يُشِيعُنِي بِفَوَارِسٍ لَبِئْسَ أَمِيَّةً فِي سِرَارِ جَمِيرٍ

٨- حريث بن عتاب الطائي : حريث بن عتاب بالنون^(٣) بن مطر بن سلسلة

ابن كعب بن عوف بن عنين بن نائل بن أسودان ، وهو نيهان بن عمرو ابن الغوث بن طيء شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وليس مذكوراً في الشعراء ؛ لأنه كان بدوياً مقلداً^(٤) غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ولا يعدو شعره أمر ما يخصه من تشبيهه بحبي بنت الأسود وهجاء قومها^(٥) وكان حريث بن عتاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق

(١) ينظر : الأغاني ٢٢/٢٠٩-٢١٠ .

(٢) ينظر : الحيوان : ١٢٨/٥ . وفيه : « يقال : قد تجمر القوم ، إذا هم اجتمعوا حتى يصير لهم بأس ، ويكونوا كالنار على أعدائهم فكانهم جمرة ، أو كأنهم جمير من شعر مضفور ، أو جبل مرصع القوى . وبه سميت تلك القبائل والبطون من تميم : الجمار » ، وينظر أيضاً أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٣٤/١ ، وشاع يشيع ، ظهر ، وأشعته وشيعت به إذا أذعته ، والمشايعة متابعتك إسان على أمر ، العين : (شاع) ٣٧١/٢ ، ومعنى : السرار وسط الشيء وأكرمه ، لسان العرب : (سرر) ٣٥٩/٤ .

(٣) وقد جاء في بعض المراجع (حريث بن عتاب) بالتاء ، ينظر : الوافي بالوفيات : ٢٦٦/١١ ، لسان العرب : (شمرخ) ٣١/٣ ، تاج العروس : (حبيب) ٢٣٣/٢ .

(٤) في بعض المصادر يوصف بأنه شاعر مكث ، ينظر : المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء : ٢٠٨ ، الإكمال : ١٣٠/٦ .

(٥) ينظر : الأغاني : ٢٤٩/١٤ ، ٢٥١ ، خزنة الأدب : ٤٤٩/١١ ، وفي توضيح المشبه (في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم) لابن ناصر القيسي الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ) حققه وعلّق عليه : محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة ، د . ط ، د . ت : ١٤٩/٦-١٥٠ « حريث بن عتاب شاعر مكث طائي ، هو حريث بن عتاب - بفتح أوله والنون المشددة - بن مطر بن كعب بن عوف بن عنين بن غوث بن نابل ابن نيهان بن عمرو بن الغوث » بنقص وزيادة في نسبه وقد يكون من الوهم وصفه بأنه مكث ؛ لقلة شعره ومخالفة المصادر التي ترجمت له فهو عندهم مقل .

إيلا لهم فطلبه السلطان فهرب ، جمع له الملوحي في أشعار اللصوص وأخبارهم^(١) تسع قطع كانت سبعا وأربعين بيتا .

٩- **الخطيمُ المحرزي** : هو الخطيم بن نويرة العكلي المحرزي أحد بني عبد شمس من اللصوص^(٢) ، وقيل الخطيم بن محرز^(٣) عاش زمن الدولة الأموية ، له قصيدة في استعطاف سليمان بن عبد الملك ، وهو في سجن نجران بسبب سرقة سرقة فغفا عنه ، وأخرجه من السجن^(٤) جمع ديوانه ضمن كتاب شعراء أمويون^(٥) في سبع قطع كانت مائة وواحدا وستين بيتا^(٦) .

١٠- **أبو الرئيس الثعلبي** واسمه عبَّاد بن طهفة شاعر إسلامي من بني ثعلبة ابن سعد بن ذبيان وقيل أبو الرئيس الثعلبي من شعراء تغلب^(٧)

-
- (١) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٣٨/١-١٧٢ . ديوان اللصوص : ٢١٥/١-٢٢٥ .
(٢) يُنظَر : منتهى الطلب : ٢٤٥/٣ ومعجم البلدان : ٤٩٤/١ ، الحماسة البصرية ، تأليف : صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق وشرح ودراسة الدكتور : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٩ م : ١٥٥٩/٤ .
(٣) يُنظَر : تاج العروس : (ريش) ٢٣١/١٧ .
(٤) يُنظَر : معجم الشعراء المخضرمين والأمويين : ١٣٠ ، ٤٣٢ تُرجم له مرة باسم خطيم ابن نويرة والأخرى باسم المحرزي العكلي لعل المؤلف توهمت في كون الاسم لشاعرين .
(٥) يُنظَر : شعراء أمويون : ٢٤١/١-٢٧٣ .
(٦) وقد ضمنها الدكتور محمد نبيل طريفي كتابه ديوان اللصوص : ٢٣٣/١-٢٥٢ وجعلها حسب ترتيب القافية هجائيا .
(٧) يُنظَر : الإكمال ١٢٣/٤-١٢٤ ، لسان العرب ٩٤/٦ ، توضيح المشتبه : ٢٥٢/٤ ، ونسبه إلى تغلب فيه وهم ، وهو تصنيف حسب تحقيق الزبيدي ، يُنظَر : تاج العروس : (ريس) ١١١/١٦ .

أو ابن الرئيس^(١) وقال الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ابن الرئيس عباد بن طهفة التغلبي شاعر يمدح عبد الله بن عمرو بن عثمان^(٢) وجاء خبر لصوصيته في : « ما رواه أبو سعيد السكري في كتاب اللصوص أن أبا الرئيس الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان سرق ناقه كان عبد الرحمن ابن جعفر بن أبي طالب صنعها وعلفها فسرقها أبو الرئيس^(٣) وقد نصت الروايات على أن أبا الرئيس كان خبيثاً لا يبالي ما صنع ويسرق الإبل فهي دليل على تصعله^(٤) .

لم يجمع شعره في المصادر الحديثة ؛ لذا جمعت شعره من المظان فوقفت على ثلاثة عشر بيتاً .

١١ - السمهري العكلي : أبو الدليل السمهري بن بشر بن أقيشر بن مالك تب بن الحارث بن أقيش العكلي^(٥) وفي أنساب الأشراف : « ومن بني أقيش : السمهري اللص بن أويس بن مالك بن الحارث بن أقيش^(٦) »

(١) يُنظر : المؤلف والمختلف ، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) دراسة وتحقيق : الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦ م . ١١٠١/٢ ، توضيح المشتبه : ٢٥٢/٤ .

(٢) عبد الله بن عمرو بن عثمان العرجي الأمري سبط ابن عمر مدني كان يقال له المطرف من ملاحته وحسنه روى عن ابن عباس توفي بمصر سنة ست وتسعين في أيام الوليد ابن عبد الملك وروى له مسلم وأبو داود والترمذي ، يُنظر : الوافي بالوفيات : ٢٩٩/٤ ، الكامل في التاريخ : ٢٠٨/١٧ - ٢١٠ ،

(٣) يُنظر : خزنة الأدب : ٨٣/٦ - ٨٤ .

(٤) يُنظر : أنساب الأشراف (كتاب جمل من أنساب الأشراف) صنفه : أحمد بن يحيى بن حياء البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) حققه وقدم له : الدكتور سهيل زكار ، والدكتور باقي زركلي ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م : ١٤١/١٣ .

(٥) يُنظر : الأغاني : ١٦٦/٢١ ، وقيل السمهري بن أسد العكلي ، يُنظر : أساس البلاغة : ٢٤٥/١ (خون) ، ٤٠١ (رهن) ، ٥٣٣ (صب) ، وذيل الأمالي والنوادر للقاللي : ٧٦ .

(٦) أنساب الأشراف : ٢٦٧/١١ ، ويُنظر : الأغاني : ١٦٤/٢١ .

وقد حُسِمَ بمقتل عون بن جعدة بن هبيرة فهرب ، وقد جعلت الجوائز على قبضه ، وصحب بهذا الهرب لصاً أشد منه هو عبد الله الأحدب السعدي^(١) ، وسرق ناقة من راع لبني عذرة ليلحق بعبد الله الأحدب ، وقتل السمهري بعد القبض عليه وتسليمه لوالي المدينة على يد ابن أخي عون بن جعدة .

جمع شعر السمهري ضمن شعراء أمويون^(٢) ، وكان خمس عشرة قطعة تضمنت تسعة وستين بيتاً وما نسب إليه ولغيره بيتان ، وقد ضمنه صاحب ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي كتابه بالنص مع إغفاله المنسوب إليه^(٣) .

١٢- شَيْبِيبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ كُرَيْبٍ بْنِ الْمُعَلَّى بْنِ ثَيْمٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جَدْعَاءِ الطَّائِي الشَّاعِرِ الْفَارِسِ ، الَّذِي أَغَارَ عَلَى الزَّوْاجِرِ فِي زَمَنِ الْحِجَابِ^(٤) ، فَعَرَضَ لَهَا شَيْبِيبٌ وَكَانَتْ لِسُلَيْمَانَ التَّاجِرِ ، فَأَخَذَ مَا كَانَ مِنْ مَتَاعٍ^(٥) .

وقد ذكره الجاحظ بأنه : « يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - فبعث إليه أحمر بن شميطة العجلي وأخاه في فوارس ،

(١) يُنظَرُ : الْأَغَانِي : ١٦٨/٢١ .

(٢) شعراء أمويون : ١٢٩/١ - ١٥٦ .

(٣) ديوان اللصوص : ٢٢١/١ - ٢٨٧ .

(٤) هِيَ إِسْلُ كَانَتْ زَاجِرٌ بِالْكُوفَةِ تَعْلَفُ لِلنَّجَارِ ، فَخَرَجَتْ فِي خَفَّارَةِ قَيْسِ بْنِ بَجَادِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودَ ذِي الْجَدَيْنِ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي شِهَابٍ بَنِ لَأْمٍ يُقَالُ لَهُ جَهْمٌ ، كَانَ فِيمَنْ خَفَّرَهَا ، وَكَانَ فِيهَا عَتَبَرٌ وَزَنْبَقٌ وَمَتَاعٌ ، يُنظَرُ : الإصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ : ١٥٠/٥ ، ٦٣٣/٦ .

(٥) يُنظَرُ : نَسَبُ مَعْدٍ وَالْيَمَنِ الْكَبِيرِ ، لِأَبِي الْمُنْذِرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ (ت ٢٠٤ هـ) تَحْقِيقٌ : الدُّكْتُورُ نَاجِي حَسَنٌ ، عَالَمُ الْكُتُبِ وَمَكْتَبَةُ النُّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِصْرَ . ط/١ ، ١٩٨٨م : ١/٢٢٠ - ٢٢١ ، الإصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ : ٦٣٣/٦ .

فهرب شبيب^(١) ، وذكر له أربعة أبيات فقط^(٢) وهو من شعراء الحماسة الذين لم يسلمهم أبو تمام الطائي فقال : « قال بعض لصوص بني طيء »^(٣) وذكر الأبيات^(٤).

١٣ - شِظَاظ الضُّبِّي :

شِظَاظ الضُّبِّي هو مولى لبني تميم ، كان هو وجماعة من اللصوص يقطعون الطريق وهو أخبثهم ، منهم مالك بن الرب^(٥) ، وضرب به المثل فقيل : أَسْرَقُ من شِظَاظ وَالصُّ من شِظَاظ^(٦).

وقد ذكره الجاحظ من صفاته أنه لص ينطق بالحكمة^(٧) ، وقد كان متعالماً^(٨) وقتله الحجاج صلباً لكلمة قالها^(٩).

(١) يُنظَر : البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٧ ، ١٩٩٨ م : ٨٥/٣ ، ويُنظَر : أنساب الأشراف : ٣٩٤/٢ .

(٢) البيان والتبيين : ٨٥/٣ - ٨٦ .

(٣) يُنظَر : ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) دقته : محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر : ط/٢ ، ٢٠١٢ م : ٦١ .

(٤) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ٥٩٨/٢ ، وديوان اللصوص : ٢٩١/١ .

(٥) يُنظَر : الأغاني : ٢٠١/٢٢ ، خزنة الأدب : ٢١٠/٢ .

(٦) يُنظَر : مجمع الأمثال : ٣٤٧/١ ، ٢٥٧/٢ ، لسان العرب : (شهير) ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ ، الإنقاص صوت صفار الإبل والقرقرة صرت مسانها فهو يقول : علمتها استماع صوت بعيري الصغير بعد استماعها قرقرة بعيرها الكبير .

(٧) يُنظَر : البيان والتبيين : ٣٢٠/١ - ٣٢١ .

(٨) يُنظَر : معجم البلدان : ١٠٧/٤ .

(٩) يُنظَر : الأغاني : ٢١١/٢٢ .

لم يبق من شعره إلا القليل ، جُمع له قطعتان في أشعار اللصوص وأخبارهم ؛ أولهما شطران من الرجز والأخرى ثلاثة أبيات^(١) ، أما في ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي فقد اكتفى بذكر ثلاثة أبيات له^(٢) .

١٤ - طهمان بن عمرو الكلابي :

طهمان بن عمرو بن سلمة بن سَكَن بن قريظ بن عبيد بن أبي بكر ابن كلاب^(٣) ويقال الدارمي^(٤) وهو شاعر إسلامي ، وهو أحد صعاليك العرب وفتاكهم^(٥) . وكان شاعراً أخذ في سرقة فقطعت يده ، وله قصص مع آل مروان ، مات في خلافة عبد الملك^(٦) على الأرجح^(٧) ، له ديوان من تأليف أبي سعيد السكري^(٨) ، وفي معجم البلدان ما يدل على شرح السكري لشعره^(٩) ، فيه ست عشرة قطعة كان مجموع أبياتها مائة وخمسة وعشرين بيتاً ، وكانت القطعتان الأخيرتان ذيلًا على الديوان من جمع المحقق^(١٠) .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٥/١ - ٢٧ .

(٢) ديوان اللصوص : ٢٩٧/١ .

(٣) يُنظَر : معجم البلدان ٣٢١/٢ ، تاريخ مدينة دمشق : ١٧٥/٢٥ .

(٤) يُنظَر : المصدر نفسه : ٤٦٢/٢ .

(٥) يُنظَر : سمط اللالي : ٤٧٢/١ ، منتهى الطلب : ٢٧٦/٢ ، تاج العروس : ٢١/٢٢ .

(٦) يُنظَر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤/ص ٦٤٢ ، تاريخ مدينة دمشق : ١٧٤/٢٥ .

(٧) وكل ما يشير في أخباره إلى الوليد بن عبد الملك فهو على سبيل الخلط والتصحيف

يُنظَر : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ٨٦ .

(٨) يُنظَر : جرزة الحاطب وتحفة الطالب : ٧٥-٩٥ .

(٩) يُنظَر : معجم البلدان : ٤٠٦/٣ .

(١٠) يُنظَر : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ٩٧-١٦٣ ، تجدر الإشارة إلى أن

الدكتور محمد نبيل طريفي ضَمَّن كتابه ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي (٣٣٧-٣٧٥) شعر طهمان ، وقد جاء على ديوان طهمان والدراسة التي أقيمت عليه من الطالب محمد عبد الكريم مسعود من غير تعديل ولا تبديل حرف بحرف .

١٥ - عبد الله الأحذب السعدي^(١) :

جاء خبر عبد الله الأحذب ضمنا في خبر هروب السمهري العكلي من السجن فعند وصوله « أرض عذرة بن سعد وكان يستجير القوم ويستحلب الرعيان لقيه عبد الله الأحذب السعدي أحد بني مخزوم من عبد شمس ، وكان أشد منه وألصق فجنى جناية في أرض تميم فطلب فترك أرض تميم ولحق ببلاد قضاة ، وهو على نجية لا تسير »^(٢) يقول عبدالله الأحذب :^(٣) [الطويل]
لَمَّا دَعَانِي السُّمَّهْرِيُّ أَجَبْتُهُ بِأَيْضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
وَمَا كُنْتُ مَا اشْتَدْتُ عَلَى السَّيْفِ قَبْضَتِي لِأَسْلِمَ مِنْ حُبِّ الْحَيَاةِ زَمِيلِي
لم يصلنا من شعر عبد الله الأحذب إلا هذان البيتان اللذان تفرد بذكرهما صاحب الأغاني منسوبين إليه^(٤) .

(١) ذكر الملوحي في أشعار اللصوص وأخبارهم (٦١٧/٢) أنه عبد الله بن الأحذب السعدي وهو عبد الله الأحذب السعدي كما في الأغاني : ١٦٨/٢١ ، وقد تبع الدكتور طريفي الملوحي في الاسم يُنظَر : ديوان اللصوص : ٣٧٣/١ ، .

(٢) الأغاني : ١٦٨/٢١

(٣) يُنظَر : الأغاني : ١٦٨/٢١ ، والبيتان منسوبان إلى بهدل الطائي في أنساب الأشراف : ٢٦٨/١١ باختلاف في الالفاظ يسير . وذكر البيت الأول من غير نسبة في : الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكونيين ، لأبي البركات بن الأتباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق : جودة مبروك محمد مبروك ، راجعه : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠٠م : ١٦٨ .

(٤) البيت الأول دخله الخرم وهو حذف الحرف الأول من الوند المجموع فـ (فعولن) تصير عولن . ماء الحديد : الدجال : قال دجل سيفك هذا ، قد سقاه الدجال . يُنظَر : الجيم ، لأبي عمرو الشيباني ، حققه وندم له : إبراهيم الإيباري وآخرون مراجعة ، محمد خلف الله أحمد وآخرين ، الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية ، القاهرة . د . ط ، ١٩٧٤م : ٢٥٥/١ .

١٦- عبد الله بن الحُمير الخفاجي^(١) :

أخو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل^(٢) ، وقد ورد خبر عبد الله في معرض ذكر أخيه توبة ، ولعل تقدم توبة وشهرته قللت من شأن عبد الله فلم يُذكر أنه شاعر لص صراحة في ترجمته^(٣) ، ومما جعلني أسند إليه اللصوصية ويجعله في ركب الشعراء الصعاليك أنه شارك توبة في غاراته ، بل كان يتقدمه ويلبي دعوته لاعتراض العدو حتى أنه رمي بسهم خرق ساقه فهو في عصابة أخيه ملازم له ، ولربما كان يقوم بدور الناصح المرشد وكأنه أخبر من أخيه في الغزو والإغارة^(٤).

لم تقف المصادر الحديثة عند عبد الله كشاعر صعلوك ، ولم يجمع له شعر ، فاجتهدت في تتبع المظان والوقوف على شعره فكان شعره اثنين وعشرين بيتاً .

١٧- عرقل بن الخطيم :

اختلفت المصادر التي وقفت عليها في نسب عرقل بن الخطيم ففي الاشتقاق لابن دريد (ت ٣٢١هـ) ذكر أنه من بني سعد ، فيقول : « عرقل اللص معروف ، من بني سعد ، وهو أحد الشعراء اللصوص ، وهم أبو حردبة ، ومالك ابن الربيع ، وعرقل هذا ، وهو فعلل ، من قولهم : تعرقل الأمر ، إذا تداخل . وقد ابتذلت العامة هذه الكلمة فقالوا : عرقالة أي مخلط »^(٥).

(١) نسبه الخالديان إلى بني عقيل فقالا : « عبد الله بن الحمير العقيلي أخو توبة » الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين : ٣٠٤/٢ .

(٢) وقيل : إن جده حزن وقد تشير بعض المصادر إلى أن اسم جده هو : (ربيع ، سفيان ، عقيل) ينظر الآراء في اسم جده في ترجمة توبة .

(٣) ينظر : معجم الشعراء المخضرمين والأمريين : ٢٤٣ .

(٤) ينظر : الأغاني : ١١/١٤٨ .

(٥) الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ط ١/١٩٩١ م : ٥٥٥/٢ .

وفي كتاب أنساب الأشراف ذكر أنه : « من بني محرز أيضاً : عرقل اللّصّ ويقال إن اسم أبيه الخطيم أيضاً »^(١) فعبارة موحية بأنّه خطيم آخر .

أما أكثر المصادر^(٢) فإنها لم تنسبه واكتفت بذكره وذكر اسم أبيه مما جعل الأستاذ الملوحي يغلّب الظنّ أنّه ابن الخطيم العكلي ، وقد صرح أنّه لم يجد له ترجمة ولم ير له ذكراً إلا في معجم البلدان في مادتي (الرماتان ونساح)^(٣) وقد وافقه على هذا الدكتور محمد نبيل طريفي فلم يزد شيئاً على ما ذكر^(٤) .

ومهما يكن من شيء فالمصادر التي ذكرت عرقل بن الخطيم السعدي أوردت له آياتاً غير ما ذكر في معجم البلدان هي من نفس القصيدة التي نسبت إلى عرقل ابن الخطيم العكلي ؛ إذ إنّ هذه الأبيات على نفس البحر والقافية ونفس الغرض الشعري مما جعلني أضمن إلى أن القائل واحد والذي يعني البحث أكثر أنّه لصّ .

وقد استقصيت المظان فوقفتُ على أبيات من شعر عرقل بن الخطيم العكلي كانت عشرة أبيات بالإضافة إلى الأبيات الستة التي ذكرت من شعره عند الأستاذ الملوحي^(٥) وقد صرح في بعضها بلصوصيته وتصلّكه في بذل ما سرق^(٦) : [الكامل]

قُلْ لِلصُّوصِ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنِّي أَخْوِي بِسَيْفِي مَالِ كُلِّ بَخِيلٍ
مَا أَن أَهَابَ إِذَا قَعَدْتُمْ خِفَةَ مَا نَالِي وَاغْتَالِي مِنْ غَوْلٍ

(١) أنساب الأشراف : ٢٦٥/١١ .

(٢) يُنظَرُ معجم البلدان : ٢٨٣/٥ ، تهذيب اللغة (عرقل) ١٨٥/٣ ، تاج العروس (عرقل) ٤٦٣/٢٩ .

(٣) يُنظَرُ : أشعار اللصوص وأخبارهم : ١١٧/١ .

(٤) يُنظَرُ : ديوان اللصوص : ١١/٢ .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١١٧/١ - ١١٨ ، ويُنظَرُ : ديوان اللصوص : ١١/٢ .

(٦) أنساب الأشراف : ٢٦٥/١١ ، ومعني : غول : غَالَهُ الشَّيْءُ غَوْلًا وَغَتَّالَهُ : أَهْلَكَه وَأَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرُ . والغول : الْمَنِيَّةُ . وَغَتَّالَهُ : قَتَلَهُ غِيلَةً ، لسان العرب : (غول) ٥٠٧/١١ .

حَتَّى أَفَرَّقَهُ بِغَيْرِ ضَانَّةٍ وَأَمِنَلَهُ بِالْجُودِ كُلَّ مَمْلٍ
١٨- عَطَّارْدُ بْنُ قُرَّانٍ :

عَطَّارْدُ بْنُ قُرَّانٍ الحنظلي أحد بني صدي بن مالك بن حنظلة^(١)، نصت المصادر على لصوصيته^(٢)، وهو من شعراء العصر الأموي للخبر الذي أورده المرزباني (ت ٣٨٤هـ)^(٣) من أنه حبس بنجران، وأنه هجا جريراً، فهجاه بقوله^(٤) : [الوافر]

وَهَبْتَ عَطَّارْدًا لِبَنِي صَدَى وَلَوْلَا غَيْرُهُ عَلَّكَ اللَّجَامَا
وقد جمع شعره في أشعار اللصوص وأخبارهم ؛ فكان ست قطع تألفت من سبعة وعشرين بيتاً^(٥).

١٩- فضالة بن شريك الأسدي :

هو فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار ابن الحرير بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام، وهو كوفي وشعره حجة^(٦)، له ابنان شاعران عبد الله وفاتك^(٧).

(١) معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٠ ،

(٢) معجم البلدان : ٤٢٧/١ ، ٤٧٩/٢ ، ٣١٩/٤ ، ٢٧٠/٥ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٠ .

(٤) ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٨٦ م : ٤٣٩ .
ومعنى علك اللجاما : من علكت الدابة اللجام علكا حركته في فيها ، العين : (علك)
٢١٩/٣ .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٣/١ - ١٠٧ ، ديوان اللصوص : ١٧/٢ - ٢٢ .

(٦) يُنظَرُ : معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٨ ، الأغاني : ٤٨/١٢ ، الوافي بالوفيات : ١٣/٢٤ - ١٤ ، تاريخ دمشق : ٢٨٣/٤٨ .

(٧) يُنظَرُ : الأغاني : ٤٨/١٢ ، الوافي بالوفيات : ١٣/٢٤ .

وصلت إلينا أحداث من سيرته تبين صعلكته في العصر الأموي منها ما كان مع عاصم بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ويزيد بن معاوية ^(١) .

وقد أدركته المنية قبل سنة خمس وستين ^(٢) ؛ لأن عبد الملك بن مروان لما ولي ^(٣) بعث إلى فضالة يطلبه ، فوجده قد مات فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل برأ وتسرأ ^(٤) .

وقد جمع شعره الأستاذ عبد المعين الملوحي في خمسين بيتاً ^(٥) .

٢٠ - القتال الكلابي :

هو عبد الله بن محجب بن المضرحي بن عامر بن الهصان بن كعب ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ^(٦) هناك اختلاف في اسمه بين عبد الله وعبيد الله وعبيد وعبيدة وعباد ، وعتبة وقد يعتري اسم أبيه التصحيف فهو محجب ، وقد يرد مجيب ^(٧) يكنى أبا سفيان ، وقد صرحت المصادر عن

(١) يُنظر : الأغاني : ٤٩/١٢ - ٥١ ، أنساب الأشراف : ٣٥٣/٦ ، ٢٠٧/١١ تاريخ مدينة

دمشق : ٢٨٥/٤٨ ، ٢٨٨ ، الوافي في الوفيات : ٢١٦/١٧ ، ١٤٠/٢٤ ، ١٣٠/٢٤

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٢٨٩/٤٨ ، الوافي بالوفيات : ١٤٠/٢٤ .

(٦) بويح للخلافة في شهر رمضان من سنة خمس وستين ، يُنظر : بلغة الظرفاء في تاريخ

الخلفاء ، لأبي الحسن الروحي ، تحقيق : عماد أحمد هلال ومحمد حسني عبد

الرحمن ، وسعاد محمود عبد الستار ، إشراف ومراجعة : الدكتور أيمن فؤاد سيد ،

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / مركز السيرة والسنة ، جمهورية مصر العربية ،

د . ط ، ٢٠٠٩ م : ١٤٨ .

(٤) يُنظر : الأغاني : ٥٢/١٢ .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٥٧٩/٢ - ٥٨٦ .

(٦) يُنظر : الأغاني : ٩١-١٥٨/٢٢ ، المؤلف والمختلف : ٢١٨-٢١٩ ، خزنة الأدب :

١١٢/٩ .

(٧) يُنظر : معجم ما استعجم : ١٣٦/٣ الحماسة البصرية : ١١٠/١ ، ٢٣٠ ، ٧٩٧/٢

أمال القالي : ٢٢٥/٢ والمؤلف والمختلف : ٢١٨-٢١٩ .

اسم ابنه عبد العزيز ودُكره في شعره^(١) . والقتال من لصوص العصر الأموي جاء في منتهى الطلب : « هو من اللصوص وكان قد حبس في أيام مروان بن الحكم حبسه بعض ولاة المدينة فيما كان اتهم به من أمر ابن هبار ، وخشي القتال أن يقاد فقتل صاحب السجن وخرج »^(٢) .

حقق ديوانه الأستاذ إحسان عباس ، وقد ضمنه سبعة وأربعين قطعة كانت خمسة وثلاثين بيتاً بعد الثلاث مائة ما عدا الأبيات المنسوبة له ولغيره ؛ وهي اثنا عشر بيتاً وقد شكلت ست قطع^(٣) .

٢١- مالك بن ربيع :

هو مالك بن ربيع ، كان في زمن مصعب بن الزبير^(٤) ، وقيل هو مالك ابن أخي ربيع الأسدي ، كان صعلوكاً فطلبه مصعب بن الزبير فهرب منه ، وقد أنشد شعراً منه قوله : ^(٥) [الوافر]

(١) يُنظَر : ديوان القتال الكلابي : ٥٣ .

(٢) منتهى الطلب : ٢٨٢/٣ ، ويُنظَر : الحداثة البصرية : ٧٩٧/٢ ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين : ٣٣/١ ، وقد نسب في تاج العروس إلى الجاهلية يُنظَر : (أمو) ١٠٠/٣٧ .

(٣) ديوانه : ٢٥ ، ٩٩-١٠٤ . أما في ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي فقد ضمن كامل الديوان ، يُنظَر : ١١٠-٥٥/٢ ، تجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور محمد نبيل طريفي قد نقل نص ما في مقدمة الديوان : ٢٥ ، لذا يقول : (فاستطعت أن أجبع سبعة وأربعين مقطوعة وقصيدة . . .) ٤٩/٢ ، وهو نص للأستاذ إحسان عباس .

(٤) يُنظَر : دلائل الإعجاز : ٢٠٧-٢٠٨ ،

(٥) يُنظَر : ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧ ، والإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، شرح وتحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١/ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م : ١٨٦ ومعنى أحميد : من حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ وَالشَّيْءِ يَحِيدُ إِذَا عَدَلَ ؛ أَرَادَ أَنَّهَا تَفَرَّتْ وَتَرَكَّتِ الْجَادَّةَ وَالرَّجُلُ يَحِيدُ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا صَدَّ عَنْهُ خَوْفًا وَأَنْفَةً . لسان العرب : (حاد) ١٥٩/٣ .

بَغَانِي مُضْعَبٌ وَيَتَوُأْبِدُ فَأَيْنَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَا أَحَدُ

وقد أورد هذا البيت مع قطعة من ستة أبيات الأستاذ عبد المعين الملوحي منسوبة لمحمد بن أنس الأسدي ، ونقلها متابعة الدكتور محمد نبيل طريفي في ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي^(١) ، وهو وهمٌ متأً من القراءة الخطأ للنص الذي في الأمالي قال : « أنشدنا الزبير بن بكار لمالك ابن أخي ربيع الأسدي قال أنشدنيها محمد بن أنس الأسدي - وكان صعلوكاً - فطلبه مصعب بن الزبير فهرب منه وقال . . . »^(٢) فمحمد بن أنس الأسدي هو الراوي للأبيات لا قائلها ، وقد وردت بعض الأبيات من هذه القطعة بالنسبة الصحيحة إلى مالك بن ربيع في دلائل الإعجاز والإيضاح في علوم البلاغة^(٣).

٢٢ - مالك بن الريب :

هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسيل^(٤) بن ربيعة بن كابية ابن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم المازني التميمي^(٥) .
وقد حبس مالك بن الريب أكثر من مرة في مكة بسرقات يسرقها فأخرج مرة بجاه معبد بن علقمة ، وأخرى بجاه شماس بن عقبة المازني^(٦) ، فخرج

(١) يُنظَر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ٦٣٣/٢ ، لعل الوهم في نسبة هذه القطعة سرى إلى الأستاذ عبد المعين الملوحي ؛ لاعتماده في نسبتها على فهارس أمالي أبي علي القالي والذيل عليها ، فأثبت ما أثبتته المفهرس/ يُنظَر : الأمالي : ٢٢٥/٤ قافية (أحيد) . وتبعه على هذا الوهم صاحب ديوان اللصوص : ١٩٥/٢ .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧/٣ - ١٢٨ .

(٣) يُنظَر : دلائل الإعجاز : ٢٠٧-٢٠٨ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ١٨٦ .

(٤) تذكر بعض المصادر أنه (حسيل) يُنظَر : الأغاني : ٢٠١/٢٢ ، ومعجم الشعراء للمريزاني : ٣٦٤ .

(٥) يُنظَر : الشعر والشعراء : ٣٥٣/١ ، سمط اللآلئ : ٤١٩/١ . خزانة الأدب : ٢١٠/٢ .

(٦) أنساب الأشراف : ٤٢/١٣ ، ٤٦ .

إلى خراسان مع سعيد بن عثمان ، وقضى نحبه فيها بين سنتي ست وخمسين وسبع وخمسين للهجرة^(١) .

وقد جمع الدكتور نوري حمودي القيسي^(٢) من شعره خمساً وعشرين مقطوعة ألفت تسعة وسبعين بيتاً ومائة ، ما عدا المنسوب له وهي أربع قطع كانت اثني عشر بيتاً ، وشعره في ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي في خمس وعشرين قطعة كانت سبعة وثمانين بيتاً بعد المائة ، ما عدا ذيل الديوان المتألف من ثلاث قطع وقد تضمنت أحد عشر بيتاً^(٣) .

٢٣- المَرَّار بن سعيد الفقعسي :

المَرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضلة بن الأشيم بن جحوان ابن فقمس ابن طريف بن عمرو بن قيس بن الحارث بن ثعلبة بن ذودا ابن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار الفقعسي الأسدي ، يكنى أبا حسان^(٤) . عاش في عصر بني أمية ، وكان لصاً من لصوص العرب^(٥) ، سجن على يد والي المدينة عثمان بن حيان المري هو وأخوه بدر بسرقة ذود ، وطرده المَرَّار طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادي القرى فأفلت^(٦) .

(١) يُنظَر : الأغاني : ٢٢/٢١١ ، استبعد الدكتور نوري حمودي القيسي جامع الديوان أن يكون قد بلغ زمن الحجاج بن يوسف ، ويضع استفهامات عدة على صحة لقائه به ؛ لأن ولاية الحجاج على العراق كانت سنة خمس وسبعين للهجرة ؛ فالفرق الزمني بين موت مالك وولاية الحجاج يربو على ثمان عشرة سنة ، شعراء أمويون : ١٨/١٩ هامش رقم (٢) .

(٢) شعراء أمويون : ١١/٦٣ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٤٩/٢-١٩٢ .

(٤) يُنظَر : الشعر والشعراء : ٢/٦٩٩ ، الأغاني : ١٠/٢٤٦ ، والمؤتلف والمختلف : ٢٣٢ . وسمط اللآلئ : ١/٢٣١ .

(٥) يُنظَر : الوافي بالوفيات : ١٠/٥٧ ، خزنة الأدب : ٧/٣٢٩ ، وفيها : ٤/٢٨٩ أنه قد أدرك الدولة العباسية ، ولم يجزم صاحب الأغاني بذلك ، يُنظَر : الأغاني : ١٠/٢٤٦ .

(٦) يُنظَر : الوافي بالوفيات : ١٠/٥٧ .

جمع الدكتور نوري حمودي القيسي شعره^(١) في مائة وأربع عشرة قطعة ألفت ثلاثمائة وثلاثة وسبعين بيتاً وملحق فيه أربعة أبيات ، وفي ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي جمع شعره في سبع وثمانين مقطوعة شكلت واحداً وثمانين بيتاً بعد الثلاثمائة^(٢) ، وبعد التتبع وقفت على ثلاثة عشر بيتاً لم تذكر فيما جمع من شعره .

٢٤- أبو النشاش النهشلي :

ذكره أبو الفرج المعافى (ت ٣٩٠هـ) بقوله : « كان أبو النشاش النهشلي من ولد مخربة بن أبيير بن نهشل - وأم أبي جهل والحارث ابنسي هشام أسماء بنت مخربة - وكان أبو النشاش يصيب الطريق ، فطلب ... »^(٣)

كان خبر لصوصيته في العصر الأموي ، فهو « من ملاء بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريقي الحجاز والشام فيجتاحتها ، فظفر به عمال مروان ؛ فحبسه وقيدته مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب »^(٤) ، وقد بلغ زمن خلافة عبد الملك بن مروان ، عندما سمع شعرا لأبي النشاش « قال : لَصُّ وَرَبِّ الكعبة ، وأمر بطلبه ؛ فطُلب ، فأعجز »^(٥) . وهو يعدُّ نفسه من الصعاليك فيقول^(٦) : [الطويل]

(١) شعراء أمويون : ٤٢٧/٢ - ٥٠٣ .

(٢) ينظر : ديوان اللصوص : ١٨٩/٢ - ٢٧١ .

(٣) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري (ت ٣٩٠ هـ) ، دراسة وتحقيق الدكتور : محمد مرسى الخولي وإحسان عباس ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٣ م : ٢١١/٣ .

(٤) الأغاني : ١٢١/١٢ .

(٥) الجليس الصالح الكافي : ٢١٢/٣ .

(٦) ينظر : الأصمعيات ، اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت ٢١٦ هـ) تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف مصر ، ط/٦ ، ٢٠١٢ م : ١١٨ وفي هذا تأكيد لخروج معنى التصعلك عن مجرد الفقر .

وَسَائِلُهُ أَيْنَ ارْتِحَالِي وَسَائِلِي وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ

جمع له الأستاذ الملوحي قطعتين كانتا ثلاثة عشر بيتاً^(١) زاد بيتاً في القطعة الأولى^(٢)، وفي ديوان اللصوص ثلاثة قطع كانت واحدا وعشرين بيتاً^(٣)، وفي رواية أبي الفرج المعافى بيتان غير مذكورين في القصيدة عند غيره^(٤)؛ فكانت عنده أتم^(٥)، على خلاف ما هي عليه في المصادر الأخرى.

وقد وقفت على ثلاثة أبيات له من هذه القصيدة بيتان عند المعافى وواحد عند أبي هلال العسكري^(٦).

(١) يُنظَر: أشعار اللصوص وأخبارهم: ٥١/١-٤٩.

(٢) هو قوله:

مَذَاهِبُهُ أَنَّ الْفَجَّاجَ عَرِيطَةً إِذَا ضَنَّ غَنَّهُ بِالنَّوَالِ أَقَارِبُهُ

أشعار اللصوص وأخبارهم: ٥٠/١، وهو البيت السابع، وقد اختلف ترقيم الآيات في هذه القطعة بين الملوحي وطريفي.

(٣) يُنظَر: ديوان اللصوص: ٢٨٥/٢-٢٩٠.

(٤) قد ورد البيتان في مجموعة المعاني (مجهول) إعداد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢م: ٢٨١/١، منسوبين له ولأبي هلال الاسدي.

(٥) يقول الملوحي: في تخريج القصيدة «وآثرنا الرواية القريبة إلى روح الصعلكة وتسلسل المعاني قدر الإمكان» أخبار اللصوص وأشعارهم: ٤٩/١، فهو لم يلتزم رواية وإن بدأ بما بدأ به المجهول صاحب مجموعة المعاني: ٥٩٣/١، ووافق في البيتين الأولين، ابن قتيبة في عيون الأخبار، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٣٧٦ هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م: ٢٣٧/١ وأبا تمام في ديوان الحماسة: ٣٥-٣٦، وقد خالف ترتيب الأصمعي لها وهو أقدم من رواها، يُنظَر: الأصمعيات: ١١٨-١١٩ وهي عين ما جاء في الجليس الصالح الكافي، مع زيادة بيت ونقص بيتين فيه.

(٦) يُنظَر: جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه: الدكتور أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٨م: ١٦٩/٢، ٤٧/١.

٢٥- الهيردان السعدي :

الهيردان بن خطار بن حفص بن مجدع بن وأبش بن عمير بن عبد شمس ابن سعد ، كان لصاً فهرب إلى المهلب بخراسان^(١) ، فهو أحد لصوص بني سعد^(٢) وهو علم في اللصوصية ، فالمعجمات تكاد تجمع على ذكره بأنه اللص^(٣).

وذكره ابن حجر في ترجمة أبيه فقال : « الهيردان بفتح الهاء وسكون المشاة التحتانية وضم الراء المهملة وآخره نون ، كان في زمن عبد الملك بن مروان يتعاطى اللصوصية وله قصة مع المهلب »^(٤) ، جمع له عبد المعين الملوحي ثلاث نتف في أشعار اللصوص وأخبارهم ، كانت سبعة أبيات^(٥) ، واستدرك عليه مصطفى الحدرى^(٦) بيتاً من إنشاد أبي عبيدة^(٧).

٢٦- يعلى الأحول :

يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي ، الأحول ، شاعر أموي ، كان فاتكاً خليعاً من لصوص البادية ، يجمع صعاليك الأزدي ويغير بهم على أحياء العرب ، فشكاه الناس إلى نافع بن علقمة ؛ فقبض عليه وسجنه^(٨).

(١) معجم الشعراء للمرزياني : ٤٨٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب : (جرم) ٩٢/١٢ ، ناج العروس : (جرم) ٣٨٥/٣١ .

(٣) ينظر : لسان العرب : (هرد) ٤٣٦/٣ ، ناج العروس (هرد) ٣٤٤/٩ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ١٧٥/٢ ، وفي : موسوعة الصعاليك : ٢٤١/٢ ، ٦٩٦ الهيردان .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٨-٢٩ .

(٦) أشعار اللصوص وأخبارهم ، الدكتور مصطفى الحدرى ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩١م ، المجلد/٦٦ ، الجزء/٤ : ٧٦٣ .

(٧) ينظر : لسان العرب : (جرم) ٩٢/١٢ ، ناج العروس : (جرم) ٣٨٥/٣١ .

(٨) ينظر : الأغاني : ١٠٤/٢٢ ، خزنة الأدب : ٢٧٧/٥ .

واختلف الرواة في سبب قصيدة قالها يحن بها إلى دياره ، هل كان سجيناً؟^(١) عند نافع بن علقمة الكناني وهو على ولاية مكة ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، أو كان قدم عليه وطالت إقامته عنده ؛ فنظم القصيدة^(٢) ، وهي من سبعة عشر بيتاً ضمنها عبد المعين الملوحي كتابه^(٣) .

رابعاً : مكانة شعر الصعاليك في اللغة .

أولاً : مكانته لدى النحاة .

لنحاة العربية قيد زمني لقبول الشاهد الشعري ، فالشعر يقبل ويكون حجة في التععيد النحوي حسب طبقته التي جاء منها وهي أربع طبقات ، الطبقة الأولى الشعراء الجاهليون . الثانية المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، الثالثة المتقدمون ، ويقال لهم : الإسلاميون ؛ وهم الذين كانوا في صدر الإسلام منهم الأمويون . الرابعة المولدون ، ويقال لهم : المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا ، فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما بإجماع ، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بشعرهم ، وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ؛ وهو قول الزمخشري^(٤) ، وقد ختم الشعر بابن ميادة وابن هرمة ومن هو من طبقتهم ؛ فقد كانا من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية^(٥) .

(١) يُنظر : خزنة الأدب : ٢٧٦/٥ - ٢٧٨ .

(٢) يُنظر : الحماسة الشجرية ، تأليف ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق : عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة دمشق - سوريا ، د . ط ، ١٩٧٠م : ٥٨٩/٢ ، يؤيد الرأي الأخير الزركلي ، يُنظر : الأعلام : ٢٠٥/٨ ، تجلر الإشارة أن القصيدة نسبت أيضاً إلى : (عمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خنيس) أو (جواس ابن حيان من أزد عمان) ، يُنظر : الأغاني : ١٠٣/٢٢ .

(٣) يُنظر : أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٧/١ - ٢٠ ، وديوان اللصوص : ٣١١/٢ - ٣١٣ .

(٤) يُنظر : خزنة الأدب : ٦/١ - ٧ .

(٥) يُنظر : الأغاني : ٢٦١/٤ ، خزنة الأدب : ١٦٠/١ - ١٦١ ، ٤٢٤ - ٤٢٦ .

مما تقدم تظهر أهمية شعر الصعاليك في العصر الأموي ، إذ دخلت في جملتها بعصر الاحتجاج فصح الاحتجاج به لتقعيد النحو العربي ، ومن هنا لا يكاد يخلو كتاب في النحو من شواهد شعرهم ، ولعل أشعار القتال الكلابي والمرار الفقعسي وجحدر العكلي في مقدمة هذه الشواهد كثرة وتداولاً ، فالنحاة على هذا من لدن سيبويه والمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، ووصولاً إلى الرضي (ت ٦٨٨هـ) والبغدادى في خزانته الذي ينقل مع شواهدهم النحوية مناسبة الشاهد والقصيدة أو القطعة التي روي فيها .

استشهد إمام النحاة سيبويه بأبيات لأبي الرئيس الثعلبي وتوبة بن الحمير القتال الكلابي ومالك بن الريب والمرار الفقعسي ؛ منها بيت القتال الكلابي :
[الطويل]

قَبَائِلُنَا سَبْعٌ وَأَلْفٌ ثَلَاثَةٌ وَلَسْبُعٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَكْثَرُ
« الشاهد فيه : (ثلاثة) بالناء وهو يريد القبائل حملاً على البطون ، والبطن مذكر والقبيلة مؤنث ، فكأنه قال : قبائِلُنَا سَبْعٌ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ أَبْطُنٌ »^(١) ، وقد استشهد ببيت لم ينسبه ، ينسب إلى أبي الرئيس ولغيره^(٢) ، في نصب ما يكون مجروراً بـ (رب) المحذوفة وقد صرح بالسماع ممن يرويه من العرب بالنصب على الفعل ، كما استشهد ببيت لتوبة بن الحمير ، في نصب المنادى النكرة إذا

(١) الكتاب (كتاب سيبويه) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ٥٦٥/٣ .

(٢) ينظر : الكتاب : ١٦٤/٢ : وهو قوله [الطويل] :
فَمَثَلُكَ رَهْبِي قَدْ تَرَكْتُ رَذِيَّةً ثَقَلْتُ عَنْهَا إِذَا مَرَّ طَانِرُ
وفي خزانة الأدب : ٨١/٦ ، اختلاف في الرواية ، وفيها عن أبي عبيد أنه ينسب إلى لجون المحرزي .

طال بالصفة^(١) واستشهد بيت للقتال الكلابي في جمع أمة على إمون مثل
إخوان وذلك في موضعين من الكتاب^(٢) واستشهد بيت لمالك بن الريب
ولم يصرح باسمه ، وذلك في ترخيم الاسم في غير النداء ضرورة^(٣) ، واستشهد
بشعر المَرَارِ الفقعسي الأسدي في عشرة مواضع^(٤) منها استشاده بقوله
[الطويل] :

لَقَدْ عَلِمْتُ أَوَّلِي الْمَغِيرَةِ أَلْنِي لَحَقْتُ فَلَمْ أَكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا
الشاهد إعمال المصدر المرتبط بالأنف واللام ، ف (الضرب) على النصب
في (مِسْمَعًا)^(٥) .

-
- (١) يُنظَر : الكتاب : ٢٠٠/٢ ، والشاهد هو قوله [الطويل] :
- لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مَعَذَّبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا
ديوان توبة بن الحمير : ٣٩ ، وفيه : معاقب بدل معذب .
- (٢) يُنظَر : الكتاب : ٤٠٢/٣ ، ٦٠١ البيت هو [البسيط] :
- أَمَّا الْإِمَاءُ فَلَا يَدْعُونِي وَلَدًا إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمَوَانِ بِالْعَارِ
ديوانه : ٥٩ وفيه هذا البيت هو صدر البيت الخامس ، وعجزه هو عجز البيت التاسع .
- (٣) يُنظَر : الكتاب : ٢٥٥/٢ ، معجم البلدان : ١٦٢/٢ ، شعراء أمويون : ٢٧/١ .
والشاهد : [الطويل]
- عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ لَمْ تَفَارِقِي أَبَا حَرْدَبٍ يَوْمًا وَأَصْحَابَ حَرْدَبٍ
(٤) يُنظَر : الكتاب : ٣٠/١ ، ٧٨ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢-١٩٣ ، ٤٢٦ ،
١١٥/٣ ، ١٣٩/٢ .
- (٥) يُنظَر : الكتاب : ١٩٢/١-١٩٣ ، وفي شعراء أمويون : ٤٦٤/٢ ، أثبت رواية البيت
بلفظ : (كررت) بدل من (لحقت) يقول ابن يعيش : « والاحتجاج على رواية من روى
كررت فيكون مسمع منصوبا بالضرب ، وأما من روى لحقت فيجوز أن يكون مسمع
منصوبا به ، لا بالمصدر فلا يكون فيه حجة » شرح المفصل ، لابن يعيش النحوي
(ت ٦٤٣ هـ) طبعة بأمر وإشراف مشيخة الأزهر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر -
القاهرة د . ط ، د . ت : ٦٤/٦ .

أما المبرد (ت ٢٨٥هـ) فقد احتج بأربعة شواهد لكل من : توبة بن الحمير^(١) وفضالة بن شريك الأسدي^(٢) والقتال الكلابي^(٣) والمرار الفقعسي^(٤)، مع العرض أن شاهدي توبة والمرار هما من شواهد سيويه .

وقد استشهد الرضي (ت ٦٨٨ هـ) في شرحه للكافية بأبيات لصعاليك العصر الأموي ، وهي ستة مواضع منها للمرار الفقعسي^(٥) : جمع إحدى على إحدى مثل : سِدرة وسِدِر بقوله [الرجز] : حَتَّى اسْتَأْثَرُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدِ^(٦) .

واستشهد ببيت لأبي الرئيس الثعلبي^(٧) : [الطويل]
مَنْ التَّفَرَّ اللّائِي الْآذِينَ إِذَا هُمْ يَهَابُ اللَّئَامُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

(١) يُنظَر : المقتضب : تأليف : محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية : القاهرة ط/٣ ، ١٩٩٤م : ٢٠٣/٤ والشاهد (يا تيساً نزا...) ، نصب المنادى النكرة على الفعل المتروك إظهاره .

(٢) يُنظَر : المقتضب : ٣٦٢/٤-٣٦٣ ، والشاهد (ولا أمية بالبلاد) أراد لا أمثال أمية .
(٣) يُنظَر : المصدر نفسه : ٢٤٤/٣ الشاهد (وصلى على جاراتها الأخر) جعل ابنتها جارة لها ، ولولا ذلك لم يجز .

(٤) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٥٢/١-١٥٣ ، والشاهد (فلم أنكل عن الضرب مسمعا) أراد عن ضرب مسمع ، فلما أدخل الألف واللام امتنعت الإضافة فعمل عمل الفعل .

(٥) يُنظَر : شرح الرضي على الكافية ، لرضي الدين الأسترآبادي (ت ٦٨٨ هـ) تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي - ليبيا ، ط/٢ ، ١٩٩٦م : ٢٨٥/٣ ، ويُنظَر : ٢٣٤/٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ ، ٢٦٠/٣ ، ٣٢٩/٤ .

(٦) يُنظَر : شرح الرضي : ٢٨٥/٣ ، ديوان اللصوص : ٢١٩/٢ .
(٧) وفيه قعقعوا : ومعنى تَقَعَّقَ الشَّيْءُ : اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ . وَقَعَقَتْهُ وَقَعَقَتْ بِهِ : حَرَّكَهُ وَالْقَعَقَةُ : حكاية أصوات السلاح والثرسة والجلود اليابسة والحجارة والرعد والبكرة والحلي وتحررها ، لسان العرب : (قعع) ٢٨٦/٨ .

في رواية النحويين ^(١) ، وقال : « ويروونه : من النفر الشم الذين ، والأولى تجويز الرواية الأولى ؛ لأنها من باب التكرير اللفظي ؛ كأنه قال : من النفر اللاني اللاني ، فإن تغايرا نحو : الذي من فعل ، كان أسهل عندهم » ^(٢)

واستشهد بييتين لجعفر بن علبه الحارثي ، في عدم جواز دخول (لا) النافية على معرفة بدون تكرير ^(٣) ، وهما قوله ^(٤) : [الطويل]

فلا تحسبي أكي تخشعتُ بعدكم لشيء ولا أكي من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم ولا أكي بالمشي في القيد أخرق

واستشهد بييتين لجحدر العكلي الأول في الضرورة الشعرية ، هو الرجوع إلى أصل المثنى العطف بالواو ^(٥) ، والآخر في جواز بعض النحاة أن تقع (نعم) موقع (بلى) إذا جاءت بعد همزة داخلية على نفي لفائدة التقرير واستدل بقول جحدر ^(٦) [الوافر] :

أليس الليلُ يجمعُ أم عمرو وإيانا فذاك لنا تداني

(١) ينظر : معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاني ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط ٣/١٩٨٣ م : ٨٤/٣ ، خزنة الأدب : ٨٣/٦ .

(٢) شرح الرضي : ٣٢/٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٢/٤ - ٢٥٣ .

(٤) وفيه الشطر الأول : تحسبن ، بدل من تحسبي ، وفي الشطر الثاني : ولا أنا ممن يزدهيه وعيدكم بدل من ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم . وعليه ، يكون الشطر الأول من البيت الثاني مكسور ، وما أثبتته من ، خزنة الأدب : ٣٠٧/١٠ ، وديوان اللصوص : ١٨٨/١ ، ومن المعاني : يُقال : خرق الرجلُ يخرقُ ، فهو أخرق . والخرق ، بالتحرريك : الدهش من الفزع أو الحياء وخرق الظبي : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ، لسان العرب : (خرق) ٧٦/١٠ .

(٥) ينظر : شرح الرضي : ٣٥٠/٣ ، وهو قوله : [الرجز]

(ليث وليث في مجال ضنك كلاهما ذو أشير ومحك) شعراء أمويون : ١٧٨/١ .

(٦) ينظر : شرح الرضي : ٤٢٧/٤ ، شعراء أمويون : ١٨٥/١ ، وفيه : بلى بدل من نعم .

نعم وتُرى الهلالَ كما أراه ويعْلُوها النهارُ كما غلاني
واستشهد بيّتين ليعلى الأحوال الأزدي ، أحدهما : أن بني عقيل و كلاب
يجيزون حذف الوصل ، أي : الواو والياء بعد المتحرك اختياراً مع بقاء ضمة
الهاء وكسرتها ، نحو : به و غلامه ، ويجيزون تسكين الهاء أيضاً كقوله :
[الطويل]

فبتُ لدى البيتِ العتيقُ أريغهُ ومطوي مشاقان له أرقان
والشاهد فيه : له وقد سكّن الهاء في هذه الرواية^(١) ، والآخر هو قد تكون
(من) للبدل^(٢) .

ثانياً : مكانة شعر الصعاليك في اللغة :

إنّ تبعاً أولياً للمواضع التي استشهد لها بشعر الشعراء الصعاليك في العصر
الأموي في ثلاثة معجمات هي : تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ومجمل
اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، يظهر
بوضوح قيمة شعر الصعاليك في هذه الحقبة من حيث الاستدلال والاحتجاج
وفي أدناه ذكرٌ لمواردها وهي :

أ- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) :

أورد الأزهري في معجمه بعضاً من شعر سبعة صعاليك في خمسة وأربعين
موضعاً ، كان معظمها من شعر المرّار الفقعي فقد احتج له باثنين وثلاثين

(١) يُنظَر : شرح الرضي : ٤٢١/٢ ، وخزانة الأدب : ٢٧٥/٥ وفيه : فبتُ لدى البيت
الحرام أشيمه ومطوي من شوق له أرقان ، وليس ثمة شاهد في هذه الرواية . وأراعُ
ولرناغُ بِمَعْنَى طَلَبُ وأراد . تَقُولُ : أَرَعْتُ الصَّيْدَ ، وَمَاذَا تُرِيدُ أَيَّ مَا تُرِيدُ وَتَطْلُبُ .
لسان العرب : (روغ) ٤٣٠/٨ ، ومطأ إذا صاحبَ صديقاً . ومطو الرجلُ : صديقه
وصاحبه وتظيره . لسان العرب : (مطا) ٢٨٦/١٥ .

(٢) يُنظَر : شرح الرضي : ٢٦٧/٤ .

بيّنًا^(١) لم يصرح باسمه في ثمانية منها^(٢)، وخمسة مواضع من شعر القتال الكلابي منها موضع واحد لم يسمه^(٣)، وذكر من شعر مالك بن الريب أربعة مواضع لم يسمه في موضعين^(٤) ولشظاظ الضبي رجز ذكره في موضعين، ولم يسم قائله^(٥)، وذكر لتوبة بن الحمير موضعاً واحداً فقط^(٦)، وللأحول اليشكري موضعاً واحداً أيضاً^(٧)، ومثله لعطارد بن قرآن ولم يسمه^(٨).

ب - معجم مجمل اللغة : لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) :

استشهد ابن فارس بشعر سبعة شعراء من الشعراء الصعاليك في أحد عشر موضعاً من معجمه، ذكر لتوبة بن الحمير موضعاً واحداً^(٩)، ولجحد ابن مالك العكلي^(١٠) موضعاً واحداً، ولأبي الرئيس موضعاً واحداً^(١١)، وللقنات

-
- (١) يُنظَر : تهذيب اللغة : ١١٩/١ ، ٢٦٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٠/٢ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٤٢٦ ، ٢٥٨/٣ ، ٣٩٠ ، ٣٧٦/٤ ، ٣٧٧ ، ٧٥/٥ ، ١٢٥/٦ ، ٣٢٦/١٢ ، ٢٤٠/١٣ ، ٣٤١/١٥ ، ٣٤٢ ، ٤٦٦ ، ٥٠٩ ، ٥٦٣ .
(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ٢٠٨/١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩/٢ ، ٤١٠-٤٠٩/٢ ، ٦١/٣ ، ٣٦٧/١١ ، ٢٨٨/١٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣/١٥ وفي تهذيب اللغة : المستدرج على الأجزاء السابع الثامن التاسع : ١٧٢ .

- (٣) يُنظَر : تهذيب اللغة : ٥٣٤/١٠ ، ١٩٦/١٣ ، ٢٣٩ ، ١٩٧/١٤ ، ٢٠٧/١٥ .
(٤) يُنظَر : المصدر نفسه : ٥٢/٤ ، ٣١٩/٦ ، ٤٥٥ ، ٢١٨/١٥ .
(٥) يُنظَر : المصدر نفسه : ٥١٧/٦ ، ٢٨٤/٨ .
(٦) يُنظَر : المصدر نفسه : ٢٩٤/٣ .
(٧) يُنظَر : المصدر نفسه : ٣٧٧/٦ .
(٨) يُنظَر : المصدر نفسه : ٨١/٢٤ .
(٩) يُنظَر : مجمل اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وداسة : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٦م : ٧٣٧/٣ .
(١٠) يُنظَر : مجمل اللغة : ٢٣٠/١ .
(١١) يُنظَر : المصدر نفسه : ١١٥/١ .

الكلابي موضعاً واحداً^(١)، ولمالك بن الريب موضعاً واحداً^(٢)، والمرار الفقعي ستة مواضع منها^(٣).

ج - لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) :

جمع ابن منظور في كتابه ، صحاح الجوهري (ت ٣٩٣هـ) وحاشية ابن بري عليه ، والتهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والجمهرة لابن دريد ، والنهاية لابن الأثير^(٤)؛ فهو موسوعة لغوية للألفاظ العربية .

وقد وقفت^(٥) على مائة وتسعة وخمسين موضعاً يستشهد بها ابن منظور بأشعار سبعة عشر شاعراً من الصعاليك الأمويين ، كان ثمانية وثمانون منها للمرار الفقعي وأربعة وعشرون موضعاً للقتال الكلابي ، واثنا عشر موضعاً لمالك ابن الريب ، وعشرة مواضع لأبي الرئيس ، وستة مواضع ليعلى الأحول ، وخمسة مواضع لتوبة بن الحمير ، وخمسة لجحدر العكلي ، ومثلها لحريث ابن عناب الطائي ، ومثلها أيضاً لجعفر بن علبة الحارثي ، وأربعة لظهمان ابن عمرو الكلابي ، وثلاثة مواضع لشفاظ الضبي ، وكان منها موضعان لتوبة ابن مضرس ، ومثلهما لفضالة بن شريك الأسدي ، وموضع لكل من عطارد ابن قران لشبيب بن عمرو بن كريب والهيران .

(١) يُنظَر : مجمل اللغة : ٨٩٠/٣ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٢٤/١ .

(٣) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٧٣-١٧٤/١ ، ٣٥٥/٢ ، ٥٤٢ ، ٦٢٦/٣ ، ٦٨٣ ، ٨٣٢ .

(٤) يُنظَر : لسان العرب : ٨/١ .

(٥) هذا العدد هو ما صرح به من أسمائهم (ملحق رقم : ٢) فتيسر لي الوقوف عليه ، وقد لا ينسب الشواهد لأحد ، وتكون لشاعر من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي مثل : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنَّمَا تُفَارِقِي أَبَا حَرْذَبٍ لَيْلًا وَأَصْحَابَ حَرْذَبٍ

فهو لم ينسبه (حردب) ٣٠٨/١ وهو لمالك بن الريب ، شعراء أمويون : ٢٧/١ ، وفيه (يوما) بدل (ليلاً) .

إن قيمة المادة اللغوية قد لا تكون في مجرد كثرة الموارد التي يستشهد بها ، فقد يُستشهد بشاهد ما في موضع واحد لا يستغنى عنه بغيره ؛ فيكون هذا الشاهد بهذا الموضع ذا قيمة كبيرة . منها ما جاء في اللسان العرب : « قال عز وجل : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ » (محمد: ٣٠) ، أي : في فحواه ومعناه ، وقال القتال الكلابي ^(١) : [الكامل]
وَلَقَدْ لَحْنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَلَحْنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ
وكانَّ اللحن في العربية راجع إلى هذا ^(٢)

ثالثا : مكانة شعر الصعاليك الأدبية :

إنَّ المكانة الأدبية لشعر الصعاليك في العصر الأموي تتجلى في اهتمام الأدباء ، فشعرهم كانت مكانته ظاهرة على مستوى شرحه وتفسيره في الكتب الأدبية الأولى من دواوين العرب ؛ مثل الأصمعيات ^(٣) والحماسة لأبي تمام ^(٤) ،

(١) يُنظَر : ديوان القتال الكلابي : ٣٦ ، وفيه : (لكيما تفقهوا) و (وَوَحَيْتُ وَحْيًا)

(٢) لسان العرب : (لحن) ، ٣٨٠/١٣ ، ويُنظَر : الأمالي : ١/٤-٥ .

(٣) يُنظَر : الأصمعيات : ١١٨-١١٩ ، شعر أبي النشاش النهشلي اللص .

(٤) تضمن واحدا وثمانين بيتا - مع المنسوب - لعشرة شعراء صعاليك هم : توبة ابن الحمير ولم يسمه القطعتان (٥١٣ ، ٥١٤) ، والقطعة (٥٤٩) منسوبة له ، وشعر توبة بن المضرس بيتان في القطعة (٥٤٩) التي نسبت لتوبة بن الحمير ، وشعر جعفر ابن علبة الحارثي أربع قطع هي : (٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٢٠) ، وشعر حريث بن عتاب الطائي أربع قطع هي : (٦٩ ، ٢٠٧ ، ٦٢٣ ، ٦٢٦) وقطعة (٢٠٨) نسبة له ، وشعر الخطيم المحرزي القطعة (٨٢٠) ، وشعر أبي الرئيس قطعة (٤٧٥) ، ولشبيب بن عمرو قطعة (٢٠٦) ولم يسمه فقال لبعض لصوص طيء ، وشعر القتال الكلابي : القطعتان (٤٣ ، ٢١٧) ، وشعر المرار الفقعسي : القطعتان (٤٠١ ، ٧٦٤) ، وشعر أبي النشاش ابن النهشلي : في القطعة (١٠٣) علما بأنني أهملت قطعة برقم (٢٢٦) نسب إلى مالك بن الربب وهي للفردق تتكون من ثمانية أبيات .

والشعر والشعراء لابن قتيبة^(١)، وإن في منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون (ت ٥٩٧هـ) حضوراً ظاهراً لشعر الصعاليك^(٢)، وقد استشهد ياقوت الحموي لأسماء أماكن معجمه بجملة من أشعارهم^(٣)، وإن كان

(١) يُنظر: الشعر والشعراء: شعر مالك بن الرّيب: ٣٥٣/١، وشعر توبة بن الحمير، ٤٤٥/١، وشعر القتال الكلابي: ٧٠٥-٧٠٦، وشعر المّرّار الفقعي: ٣٤٨/١، ٧٠١-٦٩٩/٢.

(٢) يُنظر: منتهى الطلب: شعر توبة بن الحمير: ٢٢٢/١-٢٣٥، وشعر عبدالله ابن الحمير: ٢٥٥-٢٥٨، وشعر الخطيم المحرزي: ٢٤٥-٢٦٣، وشعر السميري العكلي: ٢٦٤-٢٦٧، وشعر جحدر العكلي: ٢٦٨-٢٧٥، وشعر طهمان: ٢٧٦-٢٨١، وشعر القتال الكلابي: ٢٨٢-٢٩٩.

(٣) يُنظر: معجم البلدان: شعر تليد الضبي: ١٢٧/٢، وشعر توبة بن الحمير: ٢٧٤/١، وشعر جحدر العكلي: ٤٨٠/١، ٥٣٠، ٤٦/٢، ٨٨، ١٩٠، ٢٢٢، ٤٤٥-٤٤٦، ٤٧٩، ٥٤٤، ١٠٧/٤، ١٢/٥، وجعفر بن علبة الحارثي: ١١٤/٢، ٣٤٨، ١٩٤/٣، وشعر الخطيم المحرزي: ٣٩٦/١، ٤٧٣، ٤٩٤، ٨٨/٣، ٩٣، ٣٤٩، ١٥١/٤، ٧٣/٥، ١٥٢-١٥٣، شعر شفاظ الضبي: ١٠٧/٤، وشعر طهمان ابن عمرو الكلابي: ١٢٠/١، ٢٢٤، ٣٧١، ٧٩/٢، ٣٧٦، ٣٧٩، ٤٦٢-٤٦٣، ٥٦/٣، ١٨٣، ٢٩١، ٤٠٦، ٩٩/٤، وشعر عرقل بن الخطيم: ٦٧/٣، ٢٧٣/٥، وشعر القتال الكلابي: ٦٠/١، ٨٢، ١٠٢، ١٢٧، ٣٣٥، ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٩٦، ١٠/٢، ٣٣، ٢٥٠، ٢٥٤-٢٥٥، ٣٢١، ٣٦٥، ٣٨٥، ٤٤٠، ٤٥٤، ١٠/٣، ٤١٥، ٣٨٥، ٣٠٤، ٢٩١، ٢٢٠، ٢٠٦، ١٨١، ٩٠، ٧٤، ٤٥-٤٤، ١٠/٣، ٤٥١، ٩٠/٤، ٩٩، ١١١، ١٢٦، ٢٦١/٥، وشعر مالك بن الرّيب: ٥١١/١، ١٦٢/٢، ٣٠٢، ٣١٩، ٣٥٣، ٤/٣، ٣٢، ٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٢٤، ٤/٤، ٢٠، ١٨٣، ٢٠٥، ٢١٥، ٥٤/٥، ١١٥، وشعر المّرّار الفقعي: ٢١٢/٢، ٢٥٣، ٤٢٨، ٥٠٢، ٤٤١/٥، وشعر أبي الشّشاش النهشلي: ١٥٩/٤، وشعر يعلى الأحول: ٣٢٩/٣، ٥٢/٤، وفي هذا الإحصاء استعنت بما توصل إليه الأستاذ جورج خليل مارون في كتابه (شعراء الأمانة وأشعارهم في معجم البلدان لياقوت الحموي، أشرف عليه وراجعته: الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ط ١/ ١٩٩٧م)، وقد جعل لكل شاعر رقم، ووضع تحته ما تضمنه معجم البلدان من شعره، وقد وقع في وهم عند ذكر يعلى الأحول باسمين فالمرة =

ما سبق يبدو اهتماماً عاماً وضميناً بهذا الشعر ، لكن قول الجاحظ : « وقد أدركت رواة المسجدين والمريدين ، ومن لم يرو أشعار المجانين وللصوص الأعراب ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعراية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفه فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة »^(١) ، خير دليل على مكانة هذا الشعر الأدبية ، كما أن الاهتمام الخاص بشعر اللصوص كان متقدماً ، فأبو عبيدة (ت ٢١٦هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) والسكري (ت ٢٧٥هـ) خصوهم بالتصنيف في أخبارهم وأشعارهم وقد سبق الكلام عنها .

ولعل الأمثلة لا تقتصر على عموم شعر الصعاليك ، فقد تصدر من النقاد والأدباء عبارات بحق معاني ترد في أبيات لبعض الصعاليك تنم عن مكانة أشعارهم الأدبية منها : يقول القتال الكلابي^(٢) : [الطويل]

أَتَتَكَ الْمَنَابِتُ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ بِمُنْخَرِقِ السَّرْبَالِ عِبِلِ الْمَنَاقِبِ
أَخِي الْعُرْفِ وَالْإِكْكَارِ يَغْلُوكَ وَقْعَةٌ بِأَبْيَضِ مَقَاطٍ وَرَاءَ الضَّرَائِبِ

== الأولى كان برقم (٥٧) الأحوال الكندي (يعلى بن مسلم ، ت ٩٠ هـ / ٧١٠ م) يُنظَرُ : ٩٢/١ ، والأخرى برقم (١٤٨٢) وباسم (يعلى الأحوال الأزدي الشكري شاعر أموي لص وماجن ت ٩٠ هـ / ٧١٠ م) يُنظَرُ : ٥٣٤/٢ ، كما تضمن أخطاء طباعية في بعض الإحالات إلى معجم البلدان في الأجزاء والصفحات .

(١) البيان والتبيين : ٢٣/٤ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٣٨ . ومعنى : منخرق السربال : المتمزق الثياب ، العيين : (خرق) ٤٠١/١ وعبل المناكب ضخم المناكب : العبل : الضخم من كل شيء ، لسان العرب : (عبل) ٤٢٠/١١ . والضريبة : الخليفة . يُقَالُ : خَلِقَ النَّاسُ عَلَى ضَرَائِبَ شَتَّى . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَكَرِيمُ الضَّرَائِبِ . والضريبة : واحدة الضرائب التي تُؤخذ في الأرصاد والجزية وتحوها ، ومن صفة السيف ذو الكريهة : السيف الذي يمضي على الضرائب الشداد لا ينبو عن شيء منها . لسان العرب : (ضرب) ٥٤٩/١ - ٥٥٠ ، (كره) ٥٣٦/١٣

فقال الخالديان عما تضمنه البيت الثاني في صفة لل سيف : « هذا البيت في صفة السيف نهاية في الجودة »^(١).

ومثله يقول البكري (ت ٤٨٧ هـ)^(٢) في قول للفنّد الزمّاني^(٣) : [الهزج]
وفي الشرّ نجاةٌ حيّةٌ — (م) — لا يُنجيك إحسانُ

فقد أحسن في معناه القتال الكلابي^(٤) : [الطويل]

نشدتُ زياداً والسفاهةَ كاسمِها وذكرتهُ أرخامَ سِعرٍ وهيمِ
فلما رأيتُ أنه غرُّ منته أملتُ له كَفِّي بِلدنٍ مُقومِ
فلما رأيتُ أَلِي قد قتلتهُ لِدمتُ غلِيه أي ساعةً مندمِ

يقول أبو هلال العسكري : « قول فضالة بن شريك الأسدي^(٥) : [الطويل]
أنصفُ امرئٍ من نصفٍ حيٍّ يسُبُّني لغمري لقد لاقيتُ خطباً من الخطبِ
نصفُ امرئٍ يعني أنه أعور ، وكان من بني الشطير ؛ وهم من كلب ، ومثل

(١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين : ٣٣/١ .

(٢) ينظر : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري ، وهو شرح لكتاب (الأمثال) لأبي عبيد القاسم بن سلام) تحقيق : الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط/٣ ، ١٩٨٣ م : ٤٩٠ .

(٣) شعر الفنّد الزمّاني : الدكتور حاتم صالح الضامن ، فرز من مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد السابع والثلاثون ربيع الأول ، ١٤٠٧ هـ ، كانون الأول ١٩٨٦ م . ط ، د . ت : ٢٦ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٨٩ . واللدن : اللين من كل شيء ، ولدنٌ لدونه ، ومنه رُمحٌ لدنٌ ، العين : (لدن) ٨٠/٤ .

(٥) الخطبُ : الشأنُ أو الأمرُ ، صغرُ أو عظمُ ؛ وقيل : هو سببُ الأمر . يقال : ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ لسان العرب : (خطب) ٣٦٠/١ .

هذا بديع من معاني القدماء»^(١) ، ومن شعرهم ما يكون مثلاً منه قول القتال الكلابي^(٢) : [الوافر]

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ

خامساً : مفهوم النص .

- مفهوم النصّ عند العرب :

يعدّ مفهوم النصّ في العربية من المفاهيم ذات الدلالات المتعددة ؛ فبالنظر إلى ما أوردته المعجمات اللغوية تحت مادة (نصص) نجدها اعتبت بالمعنى اللغوي للكلمة ، مع تلميح يسير إلى المعنى الاصطلاحي لها ، كالذي نراه عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) : « ومنه قول الفقهاء : نصّ القرآن : ونصّ السنة ؛ أي ما يدلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام »^(٣) .

ومع هذا لا يعدو كلام الفقهاء عند ابن منظور المعنى اللغوي للنص ، فمن أبرز معانيه الظهور ، وهي مذكورة تحت المادة (نصص) في المعجمات التي في عامتها ترجع إلى معناها الأصلي الظهور ، كما يأتي :

١- الكشف والظهور ، قال ثعلب (ت ٢٩١هـ) : « النصّ كشف وإظهار ، وكلّ مظهر فهو منصّوص ، وكلّ تبين وإظهار فهو نصّ »^(٤) .

٢- الرفع : فالنصّ في معجم العين هو الرفع ، يقول : « نصصت الحديث إلى

(١) جُمهرة الأمثال : ٦٥/١ .

(٢) ينظر : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٢٨ ، وهو في (ديوانه : ٥١) عجز بيت له . صدره :

أَنَا ابْنُ الْمُضَرِّحِيِّ أَبِي شَلِيلٍ

(٣) لسان العرب : (نصص) ٩٨/٧ .

(٤) مجالس ثعلب ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩٩هـ) : تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، د . ت : ١٠/١ .

فلان نصًّا ؛ أي رفعته» ^(١) يتبين من هذا أن معنى النصّ هو الرفع والارتفاع ؛ فرفع النصّ يُوجب إعادته إلى أصله عن طريق سلسلة رواته . والمنصّة مكان مرتفع تجلس عليها العروس لترى ، ومنه أيضًا « نصّت الظبية جيدها رفعته» ^(٢) .

٣- الارتفاع والتشرف : « المنصّة التي تقعد عليها العروس والماشطة تنصّ العروس ؛ أي تقعدا على المنصّة ، وهي تنصّ ؛ أي تقعد عليها أو تشرف لترى من بين النساء» ^(٣) ، وفيه زيادة عن مجرد الارتفاع .

٤- غاية الشيء وبلوغه : من معاني النصّ أيضًا منتهى الشيء وبلوغ أقصاه ، ومنه حتّ الناقة ؛ لاستخراج أقصى سيرها « ونصّصت ناقتي رفعتها في السير ونصّ كلّ شيء : منتهاه ، وفي الحديث (إذا بلغ النساء نصّ الحقائق فالعصبة أولى) ؛ أي إذا بلغت غاية الصّغر إلى أن تدخل في الكبر ، فالعصبة أولى بها من الأم ، يريد بذلك الإدراك والغاية» ^(٤) .

٥- الاستقصاء في المسألة : استقصاء مسألة الرجل حتى يستخرج ما عنده « يقال نصّ ما عنده أي استقصاه» ^(٥) ، فالاستقصاء هنا التّبع لبلوغ الغاية ، « يقول أبو عبيد : النصّ أصله منتهى الأشياء وبلوغ أقصاها» ^(٦) .

٦- الحركة : من معاني النصّ الحركة والتحريك ، يقول الخليل (ت ١٧٠هـ) : « والنصنصة : إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا همّ بالنهوض ونصنصت الشيء حركته» ^(٧) .

(١) العين : (نصص) ٢٢٨/٤ .

(٢) اللسان : (نصص) ٩٧/٧ .

(٣) العين : (نصص) ، ٢٢٨/٤ ، أساس البلاغة : (نصص) ٢٧٥/٢ .

(٤) العين : (نصص) ، ٢٢٨/٤ ، أساس البلاغة ، : (نصص) ٢٧٥/٢ .

(٥) العين : (نصص) ، ٢٢٨/٤ ، أساس البلاغة ، : (نصص) ٢٧٥/٢ .

(٦) تهذيب اللغة : (نصص) ١١٧/١٢ .

(٧) العين : (نصص) ، ٢٢٨/٤ .

٧- التنصيد : ومن معانيه أيضاً التراكم وجعل بعض الشيء على بعضه « ونصّ المتاع نصّاً ، جعل بعضه على بعض »^(١) .

٨- الانتصاب : ومنه : « انتص الشيء وانتصب ، إذا استوى واستقام »^(٢) .

٩- التوقيف : ومن معانيه التعيين والتوقيف ، فـ « النصّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر ، والنصّ التوقيف ، والنصّ التعيين على الشيء »^(٣) ، وجاء في أساس البلاغة « ونصّ فلانٌ سيّداً نصّب »^(٤) .

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ للنصّ دلالات متعدّدة متقلّبة بين الدلالة الحسيّة والدلالة المعنوية . ولعلّ الباعث من وراء تنقل المفردة هو مرورها عبر مراحل التطور الدلاليّ ، وتبقى الدلالة المشتركة لمفردة (نصّ) هي الظهور .

أمّا المعنى الاصطلاحيّ لكلمة (نصّ) ، فإنّ مجالات العلوم تمنحها دلالات أخرى قد توافق دلالتها اللغويّة أو تخالفها ، كما أنّ هذه الدلالات تخضع لسياق الكلام الذي وردت فيه ، والحقل المعرفيّ الذي تنتمي إليه .

- مصطلح النصّ (Text) :

الأصل اللغويّ لكلمة نصّ (Text ، Texte) من اللاتينيّة كلمة (textus) وتعني النسيج أو الأسياخ المضفّرة ، مأخوذاً من الفعل اللاتينيّ (texere) ويعني نسيج أو جدل^(٥) .

(١) اللسان : (نصص) ٩٧/٧ .

(٢) تهذيب اللغة : (نصص) ١١٧/١٢ .

(٣) المصدر نفسه : (نصص) ١١٦/١٢ .

(٤) أساس البلاغة ، : (نصص) ٢٧٥/٢ .

(٥) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، تأليف : فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفجير ، ترجمة : الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض - المملكة العربيّة السعوديّة ، د . ط ، ١٩٩٩ م : ٤ ، نسيج النصّ ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ، ١٩٩٣ م : ١٢ .

ولعل الظهور الفعلي لهذا المصطلح كان « بظهور عدد من المؤسسات في المجتمع البشري وتطورها ؛ أولها ظهور الكتابة من حيث هي وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة وفعل الزمن ، فيتخذ الملفوظ حيزا في الفضاء ويستقل بوجوده فيخترق العصور »^(١) .

وقد انتقل المعنى اللغوي لهذه اللفظة إلى النص « وإن العلاقة بينة في هذا النقل ، فإذا كان النسيج المادي يتكوّن من السدى واللحمة والمنوال فإن النص يتكوّن من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة »^(٢) بل إن للنص الدلالة المتكوّنة من ترابط أجزاء الكلام مثلما للنسيج اللون والقيمة بعدما تألفت خيوطه وامتزجت ألوانه .

ولعل هذا المصطلح (النص) المميز لعلم النص عن غيره ، لم ينجُ من الاضطراب كما يقول الدكتور سعيد بحيري « إذ إنه لا يتوقف عن تقديم حدٍ جديد له في كل مرحلة »^(٣) بل إن الأمر قد يصل « إلى حدّ التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى »^(٤) ولعل المميز لهذا الجديد الذي قد يوصف بالاضطراب والتناقض ، أن علم النص علم جديد لم يتسن لمعالمه أن تثبت ؛ فالمصطلح المراد له أولى بعدم الثبات منه^(٥) ، فهناك أكثر من تعريف للنص

(١) نسيج النص : ١٢ .

(٢) المفاهيم معالم ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط/١ ، ١٩٩٩م : ١٦ .

(٣) علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، الدكتور سعيد بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠م : ٢٩ .

(٤) المصدر نفسه : ١٢٥ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٩ ، والنص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠١م : ١٣ ، ١٤ ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي عربي ، الدكتور محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الجيزة - مصر ، ط/٣ ، ٢٠١٢م : (text and work) ١١٥ .

وهي متباينة من حيث شمولها وقصورها ، منها ما جاء في قاموس الألسنية الصادر عن مؤسسة لاروس من أن النص « عينة من السلوك الألسني وإن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو محكية »^(١) .

وقد استوقفتُ لفظةُ (عينة) الواردة في التعريف الدكتور عدنان ذريل فبيّن : « أن اعتبار (النص) عينة أنه يعكس بحد ذاته (ملاك) اللغة ، أي : كل ما يتعلق بها بصفتها نظام علامات لغوية تستخدم كوسيلة اتصال بين المتكلمين بها ، فأياً كانت اللغة التي تنتمي إليها (المادة اللغوية) التي ندرسها ، فالعينة منها عندما تكون محل الدراسة تسمى نصاً »^(٢) .

وقد ضيق من مدلول اللفظة ونقله إلى النص ليفهم من كلامه أن النص هو العينة الخاضعة للدراسة ، وهل كل المادة اللغوية في لغة ما يتعين إخضاعها للدراسة حتى تتاح لها التسمية بـ (نصوص) ؟^(٣) .

من تعريف النص أنه : « سلسلة من الجمل المتتابعة »^(٤) ، ومثله ما عرفه به (ز . س . هاريس) بقوله : « تتابع جمل كثيرة ذات نهاية »^(٥) ، وقد وجه النقد

(١) نقلاً عن : النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، الدكتور عدنان ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠٠ م : ١٥ .

(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق : ١٥ .

(٣) اللغة والمعنى ، والسياق ، جون لاينز ، ترجمة الدكتور عباس صادق الوهاب ، مراجعة : الدكتور يوتيل عزيز ، دار الشئون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، العراق ، ط ١/ ١٩٨٧ م : ٢١٨ .

(٤) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، تأليف : زتسيسلاف واو رزنيك ، ترجمه وعلق عليه الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر . ط ٣/ ٢٠١٠ م : ٦٢ ، وقريب من هذا التعريف ما حده به بتوفي ، فهو يقول عنه إنه : « وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة » نقلاً عن : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس (نحو النص) ، محمد الشاوش المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس - تونس ، ط ١/ ٢٠٠١ م : ٨٣/١ .

إلى هذا التعريف ؛ لأن هاريس : « لما لم يحلل إلا سطح النص صعب عليه أن يقول شيئاً حول العمليات المشكلة للنص »^(١) ، فهو تعريف يقصر النص على البنية السطحية ، ولم يجر التحليل إلى البنية العميقة فافتقد النص به (الحبك) أحد أهم أركان البناء النصي .

لذا يعترض (جون لاينز) على قصور التعريف ، ويرى أن هذا التعريف الشائع يعجز عن توضيح الوحدات التي يتكوّن منها النص ، سواء أ كانت « جملاً أم غير جمل ليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها في سلسلة ، إنّما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق ، وعلى النص في مجمله أن يتّسم بسمات التماسك والترابط »^(٢) .

فالنص بحسب هذا المفهوم لا يتصف بالنصية إلا بوجود علاقات داخلية ؛ هي التماسك (السبك) والترابط (الحبك) ، وعلاقات خارجية يمثلها السياق ، وقد أكد (جون لاينز) أن النص والسياق مكون أحدهما للآخر وهما في الوقت ذاته متمم أحدهما للآخر^(٣) .

فأصبح النص بهذا المعنى « علامة كبيرة ذات وجهين ، وجه الدال ووجه المدلول »^(٤)

ويعرفه (تدوروف) بأنه : « مجموعة من الفقرات التي يتحقق فيها الكمال ، فالتماسك النصي والكمال له لا يتحققان إلا في مجموعة الفقرات »^(٥)

(١) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٦٢ .

(٢) اللغة والمعنى والسياق : ٢١٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢١٥ .

(٤) نسيج النص : ١٢ .

(٥) مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية ، الدكتور : صبري إبراهيم السيد ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠١١ م : ٢٩٨ .

- علم النص^(١) :

لا خلاف في الكلام عن علم النص أنه علم جديد ، ما تزال نظرياته المطروحة تنقسمها الآراء وتوجه إليها الانتقادات ، فهو في الحقيقة « علم جديد متداخل الاختصاصات »^(٢) ، فهو يعد « بلا شك انطلاقة من وجهة النظر هذه اندماجيا ، وبخاصة فيما يتعلق بالموضوعات والمشكلات الممكنة مقارنتها ، وهي بنية النص واستعمال النص في سياقات وتأصيلية مختلفة »^(٣) هناك خلط بين مفهومي النص والخطاب^(٤) ، يقول فان دايك عن علم النص : « ففي المجال اللغوي الفرنسي سمي علم النص (Science du Texte) وفي الإنجليزية سمي تحليل الخطاب (discourse analysis) »^(٥) ، فهو يرى أن الاختلاف فيه لا يتعدى التسمية ، ولا سيما عند أصحاب الاتجاه اللغوي المعروف بـ (تحليل الخطاب) ؛ إذ إن تداخلا كبيرا وقع عندهم في تعريفات الخطاب مع ما يعرف بـ (النص) ، كذلك الآليات المستخدمة في تحليل الخطاب هي ذاتها مستعملة في تحليل النصوص ، وهناك من لا يرى فرقا بين النص والخطاب فهما متلاحمان كما في قول رولان بارت : « فالنص يظل في كل الأحوال متلاحما مع الخطاب ، وليس النص إلا خطابا ، ولا يستطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر »^(٦).

(١) ينظر : مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية : ٢٩٨ ، وفيه : « ينتشر في كتب الدراسات اللغوية الحديثة مصطلحات متعددة كلها يعد تسمية لعلم النص منها ، علم النص ، لسانيات النص ، علم اللغة النصي ، نحو النص » ص : ٢٩٣ .

(٢) علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تأليف : تون أ . فان دايك ، ترجمة وتعليق : الدكتور سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، القاهرة - مصر ، ط / ٢ ، ٢٠٠٥ م : ١٤ .

(٣) علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : ١٦ .

(٤) ينظر : المصطلحات الأدبية الحديثة : (text and work) : ١١٦ .

(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١٤ .

(٦) آفاق التساوية ، المفهوم والمنظور ، ترجمة : الدكتور محمد خير البقاعي ، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٨ م : ٤٤ .

وهناك من يجعل النص جزءاً من الخطاب ، وإن مجموعة النصوص هي التي تكون الخطاب ، كما في حديث (ابستهوب) الذي يقول فيه : « إن الخطاب إذن مصطلح يعين الطريقة التي تشكل بها الجمل نسقاً تنابعياً ، وتشارك في كل متجانس ومتنوع على السواء ، وكما أن الجمل تترابط في الخطاب لكي تصنع نصاً مفرداً ، فإن النصوص ذاتها تترابط كذلك مع نصوص أخرى لتصنع خطاباً أوسع نظاماً »^(١) .

يقول محمد عزام : « يتداخل مفهوم (النص) مع مفهوم (الخطاب) حتى أن محوري (المعجم الموسوعي للسيمائية) يضعانهما في فقرة مشتركة ، ويذهب بعض النقاد إلى قصر مفهوم (النص) على المظهر الكتابي بينما يقتصر مفهوم (الخطاب) على المظهر الشفوي »^(٢)

يقول الدكتور محمد عناني : « وينبغي الاستدراك هنا للإشارة إلى أن (لغويات النص) مبحث أعم وأشمل من تحليل الكلام . . . وقيم جفري ليش ومايكل شورت الحجة على إمكانية التمييز بين النص والكلام ، على النحو التالي :

الكلام (الخطاب) هو التواصل اللغوي باعتباره تعاملًا بين المتحدث والسامع ؛ أي باعتباره نشاطاً فيما بين الأشخاص ، وهدفه الاجتماعي هو الذي يحدد شكله ، أما النص : فهو التوصيل اللغوي (سواء كان منطوقاً أو مكتوباً) باعتباره رسالة فحسب ، تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية »^(٣)

(١) مقدمة في نظريات الخطاب ، مكدونيل (ديان)، ترجمة : الدكتور عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠١م : ٣١ .

(٢) النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي : ١٥ .

(٣) المصطلحات الأدبية الحديثة : (text and work) 116 .

ومع أن علم النص « لا يعترف باستقلال الجملة داخل النص إلا أنه لا يفنأ ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي ، بذلك يتضح أن نحو النص لا يتكسب الطريق التي مهدها وعندها المتقدمون»^(١) ، وتجدر الإشارة إلى أنه لا غنى لعلم النص عن نحو الجملة « وأن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما»^(٢) .

وعلى الرغم من هذه الصلة الوثيقة بين النحويين يبقى احتمال إيجاد فروق بينهما قائما وليس من قبيل المستحيل « وضع تصورات واضحة عن مهام نحو النص»^(٣)

ولعل محاولة (زتسيسلاف) في التفريق بين قواعد النحويين جديرة بالاهتمام على الرغم من اعترافه أن قواعد نحو النص لم تقم بعد^(٤) ، فيعبر عن محاولته أنه « باختصار يريد أن يطرح قائمة من المشكلات التساؤلات في نحو محتمل للنص لم ينشأ بعد»^(٥) ومن الأمثلة عنده « قاعدة إجبارية خاصة بنحو النص في اللغة الألمانية تتطلب أنه يستخدم اسم عام Appellativum مع الذكر الأول لموضوع الإحالة في نص ما من الأداة التكررة ، ولكن عند تكرير هذا الاسم العام في الجملة اللاحقة للنص تستخدم الأداة معرفة»^(٦) ويقول : « وأخيراً نطلق على مقولة مهمة خاصة بنحو النص تتابع الزمن Tempusfolge ، يمكن أن تتميز أنماط نصية مفردة باستعمال زمني خاص ؛ ففي النصوص السردية يعرض التوالي الزمني للأحداث في زمن الماضي ، وفي النصوص العلمية يقع

(١) في اللسانيات ونحو النص ، الدكتور إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان - الأردن ، ط/٢ ، ٢٠٠٩ م : ٢١٧ .

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٥٧ .

(٣) المصدر نفسه : ١٥٧ .

(٤) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٦٩ .

(٥) المصدر نفسه : ٧٩ .

(٦) المصدر نفسه : ٧٨ .

في الغالب المضارع العام^(١) والظاهر أن بحث (زتسيسلاف) وغيره من البحوث الكثيرة حسب علم (هرست ايزنبرج) لم تنجز «مقارنة جلية بين الوجدتين الجملة والنص»^(٢).

يبقى الكلام هنا أن النص الذي سبق التعريف به ، وتم إظهار مفهومه في اللغة والاصطلاح ، لا يكون نصاً إلا من خلال التماسك^(٣) النصي الذي هو : «الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص»^(٤) ويقع على مستوى البنى السطحية والبنى العميقة متمثلين بالسبك والحبك ، وهما أهم معيارين في نحو لنص ، وإن لهذا التماسك وسائله^(٥) التي من خلال توافرها فيه يعرف مدى تماسك النص ، وهو ما سيتناوله البحث بتفصيل في فصول الباب الأول .



-
- (١) يُنظَر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٧٩ .
(٢) إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة (النص في مقابل الجملة) ، نقله إلى العربية وعلق عليه : الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠م : ١٩٣ . وقد عقد (هرست ايزنبرج) مقارنة بين النص والجملة في ستة محاور وهو ما توصل إليه ، يُنظَر : ٢٠١-٢٠٥ .
(٣) جاء في لسان العرب : (مسك) ٤٨٨/١٠ . «تَقُولُ : أَمْسَكَ يُمْسِكُ إمْسَاكًا ، وفي حَدِيثِ ابنِ أَبِي هَالَةَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ، «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» : يَادُّ مُمْتَاكًا ؛ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَ بَدَائَتِهِ مُمْتَاكُ اللَّحْمِ ، أَيِ أَنَّهُ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمْسِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا» .
(٤) يُنظَر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، تأليف : الدكتورة عزة شبل محمد ، تقديم : الدكتور سليمان العطار ، مكتبة الآداب - القاهرة - مصر ، ط/٢ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ١٨٤ .
(٥) يطلق عليها بعض الباحثين اسم أدوات الاتساق . يُنظَر : لسانيات النص : ١٦ .

الباب الأول

التماسك النصي
في شعر الصعاليك الأمويين

الفصل الأول

وسائل الربط النحوي (السبك)

مدخل : وسائل الربط النحوي (السبك) تعريفها وأقسامها وجهود الباحثين فيها

إن هذه الوسائل تجمع بين الروابط اللغوية الشكلية والترابط الدلالي المضموني للنص ؛ فهي تُوحد على الحقيقة بين السبك والحبك ، اللذين يمثلان أهم معيارين من معايير النصية ومن هذه الجهة أصبح « التماسك النصي » أهم شيء بالنسبة للتحليل النصي حتى أن بعض الباحثين عدّه شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف على ما هو نص ، وعلى ما هو ليس بنص^(١) . ولتحقيق النصية لكلام ما يجب أن يكون معتمداً على وسائل تخلق هذه النصية « تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة »^(٢) .

ونظراً لحداثة علم النص ما تزال إضافات الباحثين مستمرة في نوع الوسائل وعددها التي تجعل من النص متماسكاً ، فعلى الرغم من أن هذه الوسائل أقيمت على اللغة الإنجليزية ، نجد جهوداً قيمة للدارسين العرب في تطبيق هذه النظريات على النص العربي بشتى فنونه .

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، الدكتور صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٠ م : ٩٩/١ .

(٢) لسانيات النص : ١٣ .

أما عدد هذه الوسائل ، فاختلفت قلة وكثرة من باحث لآخر (فهايلدي ورقية حسن) حصراها بخمس وسائل هي : «المرجعية (الإحالة) ، الاستبدال ، الحذف ، والعطف (الربط) ، التماسك المعجمي (التكرار ، التضام)»^(١) .
وقد زاد كريستال على الوسائل الخمس التكرار^(٢) ، وجعل له مصطلح (Repeated+ ed) وأضاف براون ويول ، العطف والسببية والزمنية ، وجعل أدواتها إلى ما هو داخل النص وما هو خارج النص^(٣) .
وقد قسم (دي بوجراند) الوسائل إلى ثمان وسائل ، هي^(٤) :
إعادة اللفظ (Recurrence) ، (التكرار) .
التعريف (Definiteness) .

اتحاد المرجع : (CO-Reference) ، (الإحالة الخارجية) .
الإضممار بعد الذكر ، (Anaphora) (إحالة ضميرية سابقة) .
الإضممار قبل الذكر ، (Cataphora) (إحالة ضميرية لاحقة) .
الإضممار المرجع متصيد ، (Exophora) (إحالة ضميرية خارجية) .
الحذف : (Ellipsis)
الربط : (Junction)

يلاحظ في هذا التقسيم أن للإحالة حفظها ؛ إذ الحقيقة في أربع وسائل منها أنها إحالية ؛ وهي : اتحاد المرجع والإضممار بعد الذكر والإضممار قبل الذكر ، والإضممار لمرجع متصيد^(٥) .

(١) (Cohesion in English : 40) نقلاً عن : لسانيات النص : مدخل إلى اتسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط/٢ ، ٢٠٠٦ م : ١٦-٢٤ ، وعلم اللغة النصي ١/١١٦ .

(٢) ينظر : علم اللغة النصي : ١/١١٨ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١/١١٨ .

(٤) ينظر : النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ، ٢٠٠٧ م : ٣٠١ .

(٥) ينظر : نحو النص بين الأصالة والحداثة : تأليف : الدكتور : أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية : مصر ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠٨ م : ١٠٧ ، ١٢٧ .

كما يمكن الجزم أن إعادة اللفظ عند (دي بوجراند) هي من الإحالة ، إذ يقول : « هي التكرار الفعلي للعبارات ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي نفسها ، أو مختلفة الإحالة أو مترتبة الإحالة ، ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع »^(١)

كما يلاحظ في تقسيم (دي بوجراند) أنه أولى الإحالة الضميرية اهتمامه ففي الداخلية منها الإضمار بعد الذكر ، وهي إحالة قبلية ، والإضمار قبل الذكر ، وهي إحالة بعدية ، أما الخارجية فالإضمار لمرجع متصيد .

أما الإحالات غير الضميرية فهي عنده ضمن (إعادة اللفظ واتحاد المرجعية ، فوسائل التماسك عنده أربعة إذا ما نظرنا إلى أصل تقسيمه للإحالة)

وهنا لا يسلم بالقول إن (دي بوجراند) « جعل هذه الوسائل خاصة ببنية النص اللغوي ؛ ولذا جاءت في مقابل الحبك أو الالتحام وهو الربط الدلالي أو المعنوي لأجزاء النص »^(٢) ؛ وذلك لسببين ظاهرين عند التأمل في وسائل التماسك عنده وما قدم لذكرها ، فعندما شرع في الكلام عن وسائل التماسك - السبك عنده - ذكر أنه « سيحاول أن يحيط بصفة عامة بأهم وسائل السبك (Cohesion) وستكون المعايير التي استعملها هي ما تسهم به هذه الوسائل في كفاءة الصياغة »^(٣)

فعبارة (كفاءة الصياغة) يبدو أن قصده منها الصياغة اللفظية السطحية ؛ لأن ما أورده من وسائل كانت منصبة كلها على اللفظ والبنى السطحية باستثناء ما يلزم منه ذكراً للمحتوى المفهومي أو العالم المفهومي ففي إعادة اللفظ قال : « ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع »^(٤)

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

(٢) نحو النص بين الإصالة والحداثة : ١٢٧ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٠١ .

وعند كلامه عن الربط ، قال : « هو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص »^(١)

فعلى هذا هو لم يرد من (cohesion) مصطلح الحبك ، الذي يختص بالاستمرار الدلالي للنص ؛ وإنما قصد به السبك الذي يختص بالاستمرار الظاهري للنص ، وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن (دي بوجراند) قد دافع عن السطحية واعتذر لها بعد نقله مبول (بولي ويير) إلى تناول وسائل الترابط على أنها إشارات سطحية وملاحظة (جيري مورجان) هذا الميل حتى عند (هاليداي ورقية حسن) ، فقال : « غير أن (جيري مورجان) قد يكون شديد القسوة ، فلربما قلنا إن الكلمات تشير إلى ما تشير إليه الكلمات الأخرى على شرط ألا تتجاوز ذلك إلى دعوى أننا لا نتناول إلا الكلمات »^(٢)

لذا يقول الدكتور (تمام حسان) : « والطرق المذكورة من قبل من وسائل السبك تؤدي إلى الالتحام في النص من الناحية المفهومية كذلك »^(٣) مما يعني أنه وقف على ما ذهب إليه (دي بوجراند) على الحقيقة .

جهود الباحثين العرب :

للباحثين العرب جهود ما تزال متواصلة في توظيف وسائل التماسك التي ذكرها الباحثون الغربيون لمعالجة النصوص العربية ، وقد كان السبق للدكتور سعد مصلوح في (نحو أجرومية للنص الشعري) الذي قدم ترجمة لمصطلحي السبك (Cohesion) والحبك (Coherence) ، فتكلم عن وسائل السبك وهي عنده « التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص »^(٤) .

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٠ .

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري - دراسة في قصيدة جاهلية ، الدكتور سعد مصلوح ، فصول مجلة النقد الأدبي قضايا الإبداع : ج/١ ، المجلد/١٠ ، العددان الأول والثاني : يوليو ١٩٩١م ، أغسطس ١٩٩١م : ١٥٤ .

فيقول : « يجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي »^(١) وذكر أن الحبكة « يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (Textual world) ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم (Concepts) والعلاقات (Relations) الرابطة بين هذه المفاهيم »^(٢).

وكان للدكتور (صلاح فضل) في كتابه « بلاغة الخطاب وعلم النص »^(٣) إسهاماً في هذه الوسائل فقد ذكر أن علماء النص ميزوا بين نوعين من أنواع الترابط ، هما الترابط الموضوعي الشرطي للنص ، والتماسك الوظيفي ويشيرون إليها بمجموعة من الأدوات الرابطة مثل (لأن ، وعليه ، ونتيجة لذلك ، ولهذا ... إلخ) أما التماسك الوظيفي فيرى أنه أصعب تحديداً بدرجة كبيرة ، وهو وظيفي ، لأنه يحدث عندما يعزى إلى أحد الأقوال في النص وظيفة محددة بالنسبة لقول آخر سابق عليه^(٤).

وذكر أن علماء النص : « يولون التماسك عناية قصوى ... ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص ؛ مما يتمثل في مؤشرات لغوية ، مثل : علاقات العطف والوصل والفصل والترقيم ، وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة ، وأبنية الحال والزمان وأسماء المكان ، وغير ذلك من العناصر الرابطة التي يعني علم اللغة بتحديددها »^(٥).

وقد أسهم الدكتور (محمد حماسة عبد اللطيف) بإقرار بعض الأدوات التي رأى فيها وسائل للتماسك ، مثل : الموقع الإعرابي والحالة الإعرابية ، والعلاقة

(١) حبكة النص : ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٤ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، تأليف : الدكتور صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة (١٦٤) ، الكويت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ٢٦٢ .

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٦٣ .

الإعرابية ، بل إنه عدَّ « كل ما يؤدي إلى الوضوح وعدم اللبس يؤدي بالضرورة إلى التماسك والترابط »^(١)

كما أن الدكتور (محمد العبد) جعل من أدوات التماسك الإسناد إلى متقدم ، والارتباط السببي ، والتخصيصي ، والارتباط الزمني ، والمقابلة ، والسؤال والإجابة ، والإضراب وغيرها من الأحداث^(٢) ، بالإضافة إلى إثباته الوسائل الخمس التي ذكرت سابقاً^(٣) .

وقد قسم الدكتور (صباحي إبراهيم الفقي) هذه الوسائل إلى قسمين^(٤) :

- الأدوات الخارجية ، ويقصدُ بها ما كان خارجاً عن النص من (سياق أو إحالة خارجية) بجامع دلالي ، بين الرابط والمربوط .
- الأدوات الداخلية : وهو كل ما يكون داخل النص وعدَّ منها ما كان شكلياً ودلالياً وما كان مشتركاً بين الشكلي والدلالي ، فذكر من الشكلية (العطف والتكرار والمعجم والترتبة) ، ومن الدلالية (المرجعية والإبدال والحذف والمقارنة والتكرار بالمعنى والترادف والانضواء والسببية والزمنية والتعميم والتوكيد والإضراب والعطف) ، وكان المشترك هو العطف بين الشكلي والدلالي .

(١) بناء الجملة العربية ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٣ م : ٩٢ .

(٢) يُنظَر : اللغة والإبداع الأدبي ، الدكتور محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة لكتاب الجامعي ، دار المعرفة ، بالقاهرة ، ط/٢ ، ٢٠٠٧ م : ٤٠-٤٣ .

(٣) يُنظَر : حُبك النص : منظورات من التراث العربي ، الدكتور محمد العبد ، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مج/٣ ، عدد/٣ ، شهر أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠١ م : ١٣٠ .

(٤) يُنظَر : علم اللغة النصي : ١٢٠/١

المبحث الأول

الإحالة

تعريف الإحالة :

جاء في اللسان : « أحلت فلاناً على فلان بدرهم أحيله إحالة وإحالة ، قال أبو منصور : يقال : أحلت فلاناً بما له عليّ - وهو كذا درهماً - على رجل آخر لي عليه كذا درهماً أحيله إحالة فاحتال بها عليه »^(١)؛ وقال: « وفي حديث آخر » فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض « أي : يقبل عليه ويميل إليه وأحلت الماء في الجدول صبيته »^(٢)، وقال « وحال بمعنى انصب وحال الماء على الأرض يحول عليها حولاً ، وأحلت أنا عليها أحيله إحالة أي صبيته »^(٣). وقد عرّف مصطلح الإحالة كثيرٌ من المحدثين ممن اشتغلوا في علم النص ، وعلى الرغم من هذا « لم يتفق على تعريف نهائي له »^(٤) ، يقول (ابروان يول) عنها « ليست شيئاً يقوم به تعبير ما ، ولكنها شيء يمكن أن يحيل إليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً »^(٥)

(١) لسان العرب : (حول) ١١/١٩٠ ، تهذيب اللغة : (حول) ٥/١٥٧ .

(٢) لسان العرب : (حول) ١١/١٩٣ .

(٣) لسان العرب : (حول) ١١/١٩٣ تهذيب اللغة : (حول) ٥/١٥٩ .

(٤) الإحالة في نحو النص ، دراسة في الدلالة والوظيفة الدكتور أحمد عفيفي ، ضمن كتاب : (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) كتاب المؤتمر الثالث للعربية ، الدراسات النحوية ٢٢-٢٣ فبراير ٢٠٠٥م : ٥٢٦ .

(٥) تحليل الخطاب تأليف : ج . ب . براون وج . يول ترجمة وتعليق : الدكتور محمد لطفي الزليطي ، والدكتور منير التريكي ، النشر العلمي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٩٩٧م : ٣٦ .

وقد عرفها (تانيار) بأنها «رابط دلالي إضافي لا يطابقه أي رابط بنيوي»^(١)، وقد عرفها الدكتور (أحمد عفيفي) بأنها : «علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو ما يدل عليها المقام»^(٢)

أما عناصر الإحالة فهي : كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره والمصطلح الجامع لهذه الوسائل ، كما قرره الدكتور (سعد مصلوح) هو مصطلح (الاعتماد النحوي)^(٣). وقد وزع الدكتور أحمد عفيفي العناصر إلى أربعة هي : المتكلم أو (صانع النص) واللفظ المحيل والمحال إليه والعلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه^(٤)

أقسام الإحالة :

قسم (هالدي ورقية حسن) الإحالة إلى إحالة خارجية (مقامية) ، وفيها يحال عنصر في النص إلى شيء خارج النص يدركه منتج النص ومتلقيه ، وإحالة داخلية (نصية) ، وتنقسم إلى إحالة داخلية قبلية ، يشير فيها العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه ، وإحالة بعدية وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متأخر عليه ، العنصر المتقدم إلى عنصر بعده^(٥).

١- **ضميرية (شخصية) :** وتشمل كل الضمائر سواء كانت للمتكلم أم الغائب أم المخاطب^(٦) ، كما يقول الدكتور (مصطفى حميدة) : «والذي

(١) نسيج النص : ١٣١

(٢) الإحالة في نحو النص : ٥٢٧ .

(٣) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٤

(٤) الإحالة في نحو النص : ٥٢٨-٥٢٩ .

(٥) ينظر : (Cohesion in English : p.p : 33) ، نقلا عن لسانيات النص : ١٧ ، وقد قسم زتسيلاف ولورزيناك الإحالة إلى سبعة أنواع ، ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ١٣٧ .

(٦) ينظر : لسانيات النص : ١٨ .

أرتضيه أن تقدير الضمير المستتر إنما هو قرينة معنوية على نشوء ارتباط ،
وإن وجود الضمير البارز إنما هو قرينة لفظية على نشوء ربط»^(١) .

فالضمير أهم عنصر للربط في النحو العربي^(٢) ، غير أن الكلام عنه ظل
مقتصرًا على ربطه للجمل ؛ كما في الجملة الواقعة خبراً لمبتدأ أو جملة النعت
أو جملة الصلة ، وغيرها من الجمل التي تحتاج إلى رابط يربطها بما قبلها^(٣) .
ومن أمثلة ما جاء في شعر الصعاليك من إحالات هي :

١- الإحالة الداخلية :

أ- القبلية : يمثلها قول السمهري العكلي^(٤) [الطويل] .

نَرَى الْبَابَ لَا نُسْطِيعُ شَيْئًا وَرَاءَهُ كَأَنَّا قَبِيٌّ أَسْلَمَتْهَا كُفُوبُهَا
فتحققت الإحالة بالضمائر : (الهاء) مرة للمفرد الغائب ومرتين للمفردة
الغائبة : ففي «وراءه» ربط الضمير بإحالاته إلى (الباب) الجملة آخرها بأولها

(١) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ، الدكتور مصطفى حميدة ، الشركة
المصرية العالمية للنشر ، لونغمان ، مصر ، ط/١ ، ١٩٩٧م : ١٥٥ .

(٢) يُنظَر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب
ابن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية ، وأعدّه للطبع
ووضع فهرسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت -
لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٨م : ١٢٤/١ .

(٣) يُنظَر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق
الدكتور : عبد اللطيف الخطيب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،
د . ط . د . ت : ٥٧٧/٥ - ٥٨٧ ، ٦٠١ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٦/١ . وفيه (نُسْطِيعُ) وهوما أثبتّه ، وفي شعراء
أمويون : ١٤١/١ : (نرى) و (تستطيع) ويُنظَر : مجموعة المعاني : ٦٤٢/٢ . وفي
ديوان اللصوص : ٢٧١/١ ، (نستطيع) والبيت على هذا مكسور لا يستقيم له وزن
الطويل في كلا الضبطين .

في الشطر الأول ، أما (أسلمتها كعوبها) ^(١) ، فالهاء في كليهما عائدة إلى (قني) جمع قنّة : الرمح ، وفيها إسهم ظاهر في اتساق البيت .

ب - البعدية : جاءت في قول الخطيم المحرزي : ^(٢) [الطويل]

فلا تسخرني مني أمانة أن بدا شحوي ولا أن القميص تقددا

وفيه الياء ضمير المخاطبة فاعل للفعل (تسخر) إحالة نصية بعدية إلى (أمانة) التي هي منادى حذف منه أداة النداء ، وتقديره « يا أمانة » ، وفيه ربط بين متقدم صدر الجملة ومتأخرها .

٢ - الإحالة الخارجية :

يمكنني التمثيل لهذا النوع بقول جحدر العكلي ^(٣) : [البسيط]

إنسي أرققت لبرقي ضافني سار كآن في العين منه فس غوار

جاء ضمير المتكلم المتصل في ثلاثة مواضع ؛ موضعين منها (ياء المتكلم) (إني ، ضافني) وواحد (تاء الفاعل) في (أرققت) . وكلها إحالات خارجية إلى عنصر خارج النص هو الشاعر نفسه ، جعلت من الشطر الأول مشحوناً بالذات المبدعة المتكلمة ، وأتاحت للمتلقي في الشطر الثاني التنفس عنه بأسلوب التشبيه .

ومثل هذه الإحالة كثيرة الورود في الكلام ، ولا سيما الشعر منه إذ إنها تحصل بكل ضمير متكلم ؛ لأنه لا يكون إلا عنصراً غير لغوي خارج النص ، وكذا ضمير الغائب في بعض أحواله ومثله ضمير المخاطب .

(١) للكعب ثلاثة معانٍ متقاربة ؛ فالأول العقدة بين الأنبوين ، والثاني هو الأنبوب بين العقدين ، والثالث هو طرف الأنبوب الناشئ ؛ ولعله قصد بالطرف الذي لا يليه شيء

يُنظَر : الصجاح : (كعب) ٢١٣/١ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٦٢/١ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٥/١ .

إن من الضروري قبل الدخول إلى عناصر الإحالة الأخرى أن تناقش قضيتين في الضمير هما :

أولاً : عودة الضمير في العربية :

يحسن التنويه بقضية عود الضمير في النحو العربي لما له من دور في عمليتي الربط والارتباط في نحو النص ، فقد عمد من الشذوذ أن يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، ومثالهم : زان نوره الشجر ، فالضمير (الهاء) في نوره عائدة على متأخر وهو (الشجر) في الرتبة ؛ لأنَّ المفعول به رتبته متأخرة عن رتبة الفعل وفاعله ، وقد جاء متأخراً باللفظ في المثال المذكور ، أما إن جاء الضمير عائداً على متأخر لفظاً لا رتبة جاء كما هو الشائع في النحو العربي من تقديم المفعول به على فاعله في حال اشتماله على ضمير يعود عليه^(١)؛ فإن الأصل في الضمير أن يعود على متقدم لفظاً ورتبة^(٢).

وقد حدد (ابن هشام) المواضع التي جاء فيها الضمير عائداً على متأخر لفظاً ورتبة وعدّها سبعة^(٣) :

أحدها : أن يكون الضمير مرفوعاً بفعل مدح ، ويفسرهُ التمييز بعده « نعم

(١) يُنظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي ، (ت ٥٧٦ هـ) المصري الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر - سوريا ، ١٩٨٥م : ١٠٥/٢ ، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق وشرح : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ١٢٣/٣ .

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى ، تصنيف : أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، ويليهِ : سبيل الهدى بتحقيق قطر الندى ، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ط ١/١ ، ١٩٩٤م : ٣٠٩ .

(٣) يُنظر : مغني اللبيب : ٥٣٣/٥ - ٥٦٦ .

وينس ، وما يجري مجراهما من الأفعال^(١) . مثل : نعم رجلاً زيد . وينس رجلاً عمرو .

ثانيها : أن يكون مرفوعاً بأول الفعلين المتنازعين وقد أُعمل ثانيهما^(٢) .

وقد أظهرت قضية التنازع تدعيم القواعد العربية لهذا الرأي ؛ ففي إعمال الفعل « الثاني فإن احتاج الأول (أي الفعل الأول) إلى مرفوع أضمرته ، فقلت : قاما وقعد أخواك ، وإن احتاج إلى منصوب أو مخفوض حذفته ، فقلت : ضربت وضربني أخواك ومررت ومرر بي أخواك ، ولا تقل : ضربتهما ولا مررت بهما ؛ لأنَّ عود الضمير على ما تأخر لفظاً ورتبة إنما اغتُفِرَ في المرفوع ؛ لأنَّه غير صالح للسقوط وليس كذلك في المنصوب والمجرور^(٣) ، وهذه تأكيد على أن الإسناد وقاعدته هما الأصل المرعى دون سائر القواعد .

وقد ذكر (المرادي) أن المشهور عن القراء في هذه المسألة وجوب إعمال الأول ومنع إعمال الثاني ، وابن مالك يجيز إعمال الأول بشرط تأخير الضمير ، كقولك : ضربني وضربت قومك هم ، فراراً من الإضمار قبل الذكر^(٤) .

ثالثها : أن يأتي الضمير مخبراً عنه ، قال تعالى : ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الْدُّنْيَا ۖ (الأنعام: ٢٩) ، قال الزمخشري : « هنا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا

(١) مثل : حَسَنَ رجلاً زيد ، عَلِمَ رجلاً زيد ، وفضل رجلاً زيد ؛ لثبوت أحكام نعم وينس لها ، ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : الدكتور رجب عثمان محمد ، مراجعة : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٨ م : ٢٠٦٥ ، مع الهوامع ٤٣/٥١ .

(٢) شرح قطر الندى : ٣٣٠ .

(٣) شرح قطر الندى : ٣٣٠ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل ، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبائي الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر/مصر ، ط/١ ، ١٩٩٠ م : ١٦٩/٢ ، مع الهوامع : ١٤١/٥ .

بما يتلوه وأصله : إن الحياة إلا حياتنا الدنيا ثم وضع (هي) موضع الحياة ؛ لأن الخبر يدل عليها وبينها»^(١)

رابعها : ضمير الشأن والقصة : وهما اسمان لمسمى واحد ، إلا أن الفرق بينهما أنه إذا كان مفسره مذكراً سمي ضميراً للشأن ، وإن كان مؤنثاً سمي ضمير القصة ، وهو لا يأتي إلا مفرداً مفسراً بجملة تكون خبراً له ، وتدخل عليه النواسخ ولا ينعت أو يؤكد أو يعطف عليه ولا يبدل منه^(٢) .

خامسها : أن يُجرَّ الضمير بـ (رب) ، فيجب عندها أن يفسر بتمييز كما في نعم وبئس ، وأن يكون مفرداً مذكراً^(٣) ، قال ابن يعيش : « وإتما دخلت رب على هذا المضمر ، ورب مختصة بالنكرات من حيث كان ضميراً لم يتقدمه ذكر ، فكان مبهمًا مجهولاً يحتاج الى ما يفسره ويبينه ، فأشبهه النكرات فساغ دخولها عليه »^(٤)

سادسها : أن يأتي الضمير ويأتي بعده اسم ظاهر مفسر له ، ويكون بدلاً منه كقولهم : ضربته زيداً ، ونقل ابن مالك الإجماع على جواز هذه المسألة ، كما نُقل أن الأخفش أجازها وسيبويه منعه^(٥) .

(١) الكشف ، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، العلامة جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨ هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معروض ، وشارك في تحقيقه : الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرياض - السعودية ، ط١/ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م : ٢/٢٦٣ في تفسير سورة المؤمنين الآية : ٣٦ ، وقد ضعف ابن مالك كلام الزمخشري ورد ابن هشام على ابن مالك وضعف وكلامه ، ينظر : مغني اللبيب : ٥٣٧/٥ .

(٢) ينظر : ارتشاف الضرب : ٩٤٧ ، مع الهوامع : ٢٣٢/١ .

(٣) فقد أجاز أهل الكوفة مطابقة الضمير للتمييز في التثنية والجمع والتأنيث ، وقال ابن هشام عن رأيهم ليس بمسموع ينظر : مغني اللبيب : ٥٤٥/٥ ارتشاف الضرب : ١٢٤٨ ، مع الهوامع : ١٨٠/٤ .

(٤) شرح المفصل : ١١٨/٣ .

(٥) ينظر : شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور الأثيلي (ت ٦٦٩ هـ) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب -

سابعها : أن يكون الضمير متصلاً بفاعل مقدم مفسره مفعول به مؤخر ، كقولهم : « ضرب غلامه زيداً »^(١) .

يظهر مما تقدم من حالات عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة أن النحو العربي حدد حالات يمكن الجزم فيها بوجود إحالات ضميرية لاحقة ، فالنظر إليها من جهة نحو النص على أنها روابط تسهم في خلق تماسك بين أجزاء النص بعيداً عن القول بشذوذها عن القاعدة والأصول .

القضية الثانية : تعدد المحال إليه

نبه (محمد خطابي) على تميز تناول المفسرين لاحتمال تعدد ما يحيل إليه الضمير وما يشير إليه اسم الإشارة ، وقد عرض نماذج جادة من أقوالهم في إظهار هذا التميز^(٢) ، وقد توصل إلى نتائج نلمسها في كلامه أهمها :

- ١- إحالة الضمير نوعان : إحالة إلى عنصر متقدم وإحالة إلى خطاب سابق .
- ٢- احتمال تعدد الإحالات في الضمير الواحد يتوجه من خلال القرائن النحوية ، البلاغية (حقيقة ومجاز) .

== العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨ م : ٩٩/٢ ، شرح التسهيل : ١٦١/١ ، المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل لابن عقيل) شرح للإمام الجليل بهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك ، تحقيق وتعليق : د . محمد كامل بركات ، دار الفكر بدمشق د . ط ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م : ١١٤/١ ، ارتشاف الضرب : ٩٤٦ ، ولم أقف على من صرح بمنع سبويه غير ابن عصفور .

(١) أجاز هذا الاخفش والطوال وابن جني ، وقد ارتضى هذا ابن مالك لوروده في النظم كثيراً . يُنظر : الخصائص : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، د . ط ، ١٩٥٢ م : ١١٣/١ ، ٢٩٤ ، ارتشاف الضرب : ٩٤٣ ، المساعد : ١١١/١-١١٢ ، همع الهوامع : ٢٣٠/١ ، الأشموني : ٣١٨/١ .

(٢) يُنظر : لسانيات النص : ١٧٣ ، ١٨٧ .

٣- إن سبب تعدد الإحالة هو الأفعال الحرة « يريد بها غير المسندة إلى موضوع ظاهر ».

٤- إن الضمائر خاصة منها أو ضمائر الغيبة تقوم بوظيفتين : استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق أو استحضار مجموع خطاب سابق في عنصر لاحق .

٥- عدم مراعاة السياق في إحالة الضمير إلى معين قد يفكك نظام النص .

٦- يمكن أن تكون الإحالة الإشارية إلى خطابين وليست إلى عنصر وخطاب .

٧- أهمية تصريح ابن عاشور وإشارته إلى أن وظيفة اسم الإشارة من حيث تماسك الخطاب .

٨- قد يكون ابن عاشور هو المفسر الوحيد الذي التفت إلى نوع من الإشارة الخارجية التي سميت عند (هاليداي ورقية حسن) بالإحالة المقامية .

مثال ما يمكن أن يعود فيه الضمير على أكثر من عائد في شعر الصعاليك الأمويين هو قول حريث بن عتاب الطائي^(١) : [الطويل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نُبْهَانَ تَارِكِي بِلَمَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تُخْطِرُ
لَصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَبِإِنْتَى مُعْرِضٍ وَسَعْدٍ وَجَرَّارٍ بَلَّ اللَّهُ نَصْرُ
إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ لَهُمْ قَائِدٌ أَعْمَى وَآخِرُ مُبْصِرُ

يقول المرزوقي : « الضمير من قوله : لهم قائد ، يجوز أن يكون لناصريه ، وهم الذين سماهم ، ويكون الكلام مدحاً وما بعد هذا البيت يتلوه في ذلك ويتبع . ويجوز أن يكون لخاذليه بني نبهان ، ويكون الكلام ذماً ، وما بعده يطرد معه ويذهب »^(٢) .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٤٤/١ - ١٤٥ .

(٢) شرح ديوان الحماسة : ٦٣٢/١ .

والذي يظهر في هذا أن الإحالة في الضمير المذكور على الرغم من احتمال تعدد المحال إليه هي (إحالة سابقة) ، ويضاف هنا أن هناك نوعاً من تعدد الإحالة الضميرية يمكن وقوعه بين الخارجية والداخلية منها ، كما في قول الهيردان^(١) : [الوافر]

وَمَا لِلْهَيْرْدَانِ وَلَا عَلِيٍّ لَفِيفِ السَّيْفِ إِذْ رُهِقَا نَصِيرُ
صرح الشاعر باسمه في البيت ، وقد استبدله بالضمير (الياء) في قوله : (ولا علي) ، فبالنظر إلى أن الاسم قد ذكر أول مرة فيولد إحالة داخلية على متقدم ، وبالنظر إلى أن الضمير يعود إلى شخص الشاعر وهو عنصر خارج النص ، تنتج عندئذ إحالة خارجية .

الإحالة غير الضميرية

١ - اسم الإشارة :

أسماء الإشارة : هي الأسماء التي يشار بها إلى المسمى ، ومن أجل ذلك فيها معنى الفعل (أشير) لا حروفه^(٢) ، « ويقال لهذه الأسماء مبهمات ؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك ، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب فلم يدر إلى أيها تشير فكانت مبهمة لذلك »^(٣).

وهذا الابهام يستجلب ما يوضحه ويبينه ، فيقوم من هذه الجهة بدوره الإحالي ؛ لذلك تقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي^(٤) ، كما أنها تحيل

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٨/١ ، وفيه لفيف السيف ، والصواب لفتق السيف ، ديوان اللصوص : ٢٩٧/٢ هامش رقم (٢) . ونُصِّلَ فَتِيقَ : حديد الشفرتين جعل له شُعْبَتَانِ كَأَن إِحْدَاهُمَا قُتِقتَ مِنَ الْآخَرَى ، وَالرَّهَقُ : جهل في الإنسان وخِيفَةٌ فِي عَقْلِهِ ، تقول : به رَهَقَ . وَرَجُلٌ مَرَّهَقٌ : موصوفٌ بِذَلِكَ فِيهِ رَهَقٌ أَيْ جِدَّةٌ وَخِيفَةٌ . لسان العرب : (فتق) ٢٩٧/١٠ (رهق) ١٢٨/١٠ .

(٢) يُنظَرُ : شرح المفصل : ١٢٦/٣ .

(٣) شرح المفصل : ١٢٦/٣ .

(٤) يُنظَرُ : لسانيات النص : ١٩ .

إحالة خارجية ، بحسب ورود هذا المبين سواء أكان قبلها أو بعدها في النص أو يكون خارج النص ، ومنه ما جاء في قول جحدر العكلي يصف حاله ، وهو مقيد : [الكامل]^(١)

أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مُكْبَلًا لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَسَاجِي
هنا إحالة خارجية إلى الحدث ، وهي إحالة إلى مقام خارج عن النص ، فاسم الإشارة (ذلك) يحيل إلى موقفه ، وهو مقبل بقيد على الأسد ، ومثله قول القتال الكلابي^(٢) : [البسيط]

لَمَطَلَعِ الشَّمْسِ مَا هَذَا بِمُنْحَدِرٍ نَحْوِ الرُّبْعِ وَلَا هَذَا بِأَصْعَادٍ
جاءت لفظة (هذا) مكررة في البيت مرتين ، وفيهما إحالة خارجية إلى شيء واحد وهو زواج بنت المخلوق بن حنتم من عبد الرحمن بن صاغر البكائي^(٣) .
أما الإحالة الداخلية بأسماء الإشارة في شعر الصعاليك فهي :

الإحالة القبلية : يمثلها ما جاء في قول القتال الكلابي^(٤) : [الطويل] .
نَظَرْتُ وَقَدْ جَلَى الدُّجَى طَاسِمُ الصَّوَى يَسْلَعُ وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَتَرَجَّلِ
إِلَى ظُغْنٍ بَيْنَ الرُّسُوسِ فَعَاقِلِ عَوَامِدٍ لِلشَّقِيقِينَ أَوْ بَطْنٍ خَنْثَلِ

(١) شعراء أمويون : ١٧١/١ . الرَّسْفُ وَالرَّسِيفُ وَالرَّسْفَانُ : مِثْيَةُ الْمُقَيَّدِ ، وَقَدْ رَسَفَ فِي الْقَيْدِ يَرَسِفُ رَسِيفًا فَهُوَ رَاسِفٌ ، الْعَيْنُ : (رَسَفَ) ١١٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٦ . صَعِدَ الْمَكَانَ وَفِيهِ صُعُودًا وَأَصْعَدَ وَصَعَدَ : ارْتَقَى مُشْرِفًا وَأَصْعَدَ فِي الْوَادِي : انْحَدَرَ فِيهِ ، وَأَمَّا صَعِدَ فَهُوَ ارْتَقَى . لسان العرب : (صعد) ٢٥١/٣ - ٢٥٣ .

(٣) يُنْظَرُ : الْأَغَانِي : ١٠٤/٢٤ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٧٣ ، طَسَمَ الشَّيْءَ وَالطَّرِيقَ وَطَمَسَ يَطْمِسُ طُسُومًا دَرَسَ وَطَسَمَ الطَّرِيقَ مِثْلَ طَمَسَ ، يُنْظَرُ : لسان العرب : (طسم) ، ٣٦٢/١٢ . وَالصَّوَى أَغْلَامٌ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْصُوبَةٍ فِي الْفِيَّافِي وَالْمَفَازَةِ الْمَجْهُولَةِ يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يُنْظَرُ : لسان العرب : (صوى) ، ٤٧١/١٤ .

أَلَا حَيْدًا تُلْكُ الدِّبَارُ وَأَهْلُهَا لَوَانٌ^(١) عَذَابِي بِالْمَدِينَةِ يَنْجَلِي

جاءت الإحالة باسم الإشارة (تلك) إلى خمسة مواضع (سُلع ، الرئيس ، الشقيقين ، عاقل ، بطن خنثل)^(٢) ، وهو إشارة إلى مؤنث بعيد .

ومن الإحالة القبلية أيضا قول المَرَّار الفقعي [الطويل]^(٣) :

وَكَاثَتْ رِيَّاحُ الشَّامِ تُكْرِهُ مَرْءَةً فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الرِّيَّاحُ تُطْبِئُ

فاسم الإشارة (تلك) نظَّم إحالة قبلية إلى (رياح الشام) جعل ما بين الشطرين متماسك الألفاظ .

ب - الإحالة البعدية : قد جاءت في شعر القتال الكلابي يقول^(٤) : [البسيط].

يَا أُخْتُ بَهْمٍ وَذَلِكَ الْعَبْدُ ضَاحِيَةٌ وَأُخْتُ دَهْمَاءَ هَلْ خُبِرْتَ أَخْبَارِي

ف (ذاك) إشارة وفيها إحالة بعدية إلى (العبد) وهو بعدها في الجملة ، فزال به الابهام الذي في اسم الإشارة .

٢ - ألفاظ المقارنة :

تقسم الإحالة بالمقارنة في نظر (هاليداي ورقية حسن) إلى قسمين^(٥) :

(١) سهلت همزة (أَنَّ) لإقامة الوزن .

(٢) سُلع موضع بقرب المدينة معجم البلدان : ٢٣٦/٣ ، الرئيس : تصغير الرّس : واد بنجد ، لبني كاهل من بني أسد ، وقول القتال الكلابي يدل على أنه قرب المدينة ، معجم البلدان : ٤٤/٣ ، الشيقان موضع قرب المدينة معجم البلدان : ٣٨٥/٣ ، عاقل جبل كان يسكنه الحارث بن آكل المَرَّار جدّ امرئ القيس بن حجر بن الحارث الشاعر ، معجم البلدان : ٦٨/٤ ، خَنْثَل : بفتح أوله ، وتسكين ثانيه ، وثناء مثلثة مفتوحة : برث من الأرض في ديار بني كلاب أبيض مستر معجم البلدان : ٣٩١/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٣٩/٢ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٥٤ ، ومعنى ضاحية : يُقَالُ : فَعَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ ضَاحِيَةً أَيِ عَلَانِيَةً ، لسان العرب : (ضحى) ٤٧٩/١٤ .

(٥) (Cohesion in English : 78-82) نقلاً عن : لسانيات النص : ١٩ ، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٢٤ .

- المقارنة العامة : وهي التي « تقع بين محوري التشابه والاختلاف دون الأخذ في الاعتبار صفة معينة ، فالمقارنة قد تأخذ شكل التطابق أو التشابه أو الاختلاف »^(١) .

- المقارنة الخاصة : تتمثل في قابلية المقارنة بين شيئين في صفة معينة سواء من حيث الكم أم الكيف ، مثالها عندهما : إن الكلب الصغير ينبج بطريقة مزعجة مثل ذلك الكلب الكبير^(٢) .

إن السبك في النص يحصل من خلال هذه الإحالة حصوله بالوسيلتين الآخرين (الضميرية والإشارية) ، فتأتي الإحالة فيه نصية بفرعيها القبلي والبعدي وتأتي خارجية أيضاً ، وما جاء في شعر الصعاليك الأمويين من مقارنة عامة متشابهة جاءت بلفظ (مثل) كنا في قول المَرَّار الفقعسي [المتقارب]^(٣) .

فَقُلْتُ انْزِمْ عَنْكَ ظَهَرَ الْبَعِيرِ جَزَى اللَّهُ مِنْكَ شَرَّ الْجَزَاءِ
وقد جاءت مقارنة خاصة بالكيف بلفظ (أحسن) عند المَرَّار الفقعسي أيضاً^(٤) [الطويل] .

وَمَا ظَبِيَّةٌ بِالْأَلْعَمِينَ خَلَا لَهَا مِنْ الطَّلَحِ ظِلٌّ بَارِدٌ وَمَسَارِحُ

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٢٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٢٤-١٢٥ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٣٥/٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٤٢/٢ ، الطَّلَحُ شَجَرَةٌ لَهَا ظِلٌّ يَسْتَقِيلُ بِهَا النَّاسُ وَالْإِبِلُ ، وَوَرَقُهَا قَلِيلٌ وَلَهَا أَغْصَانٌ طَوَالٌ ، وَلَهَا شَوْكٌ كَثِيرٌ ، وَلَهَا سَاقٌ عَظِيمَةٌ ، تَأْكُلُ الْإِبِلُ مِنْهَا كَثِيرًا ، وَهِيَ أُمُّ غِيلَانَ تَنْبُتُ فِي الْجَبَلِ ، الْوَاحِدَةُ طَلْحَةٌ ، طَلَعَ الْبَعِيرُ يَطْلَعُ طَلْحًا إِذَا أَعْيَا ، وَيَقَالُ نَاقَةٌ طَلِيحٌ أَصْفَارٌ إِذَا جَهَدَهَا السَّيْرُ وَهَزَلَهَا وَإِبِلٌ طَلْحٌ وَطَلَانُحٌ ، يُنْظَرُ : لسان العرب : (طلع) ، ٥٣٠/٢ ، ٥٣٢ . والمسارح جمع مَسْرَحٍ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُسْرَحُ إِلَيْهِ الْمَاشِيَةُ بِالْغَدَاةِ لِلرَّغْيِ ، لسان العرب : (مسر) : ٧٨/٢ .

بَأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ تَبَدَّتْ غَشِيَّةٌ وَقَدْ رُدَّ لِلْبَيْنِ الْقِلَاصُ الطَّلَاحُ

المقارنة كانت مع حبيبته (أمامة) المذكورة في ثاني بيت من مطلع القصيدة:
أُبْخَلَا إِذَا تَدَلُّوْا وَشَوْقًا إِذَا نَأَتْ عَنَاءٌ وَبَرْحٌ مِنْ أَمَامَةٍ بَارِحُ

والمقارنة الخاصة بالكم ، مثالها من قول مالك بن الرب^(١) [الطويل]:
وَلَكُنِّي مُسَوِّحُ الْعِزِّ مُقَدِّمٌ عَلَى غَمَرَاتِ الْحَادِثِ الْمُتَفَاقِمِ
قَلِيلُ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ بِأَسْلٍ جَمِيعِ الْفُؤَادِ عِنْدَ حُلِّ الْعِظَائِمِ
أحدثت كلمة (قليل) مقارنة بالكم بينه وبين غيره في اختلاف الرأي والتردد
في الحرب ، فهو قليل وغيره كثير ، فمن هنا جاءت الإحالة إلى خارج النص .

٣- الاسم الموصول :

قال ابن يعيش : «معنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده
تصله به ليتم اسماً ، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة
يجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه ومبتدأ وخبراً»^(٢) .

إن هذا العنصر لم يتطرق إليه كل من (هالدي وورقية حسن) ضمن عناصر
الإحالة على الرغم من وجوده في اللغة الإنجليزية ، ومع هذا أصبح ما قدمناه
من تصور لأنواع الإحالة في الإنجليزية أكثر الأطروحات شمولاً إلى حدٍّ أنها
صارت مرجعاً في هذا المجال^(٣) تكلم عنها في (الترخيص في قرينة الربط) ،
وقد ذكر أحد الباحثين أن الدكتور تمام حسان عدّها من عناصر الإحالة

(١) شعراء أمويون : ٤٠/١ . ومعنى المتفاقم : وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ أَيْ عَظُمَ . وَفَقِمَ الْأَمْرُ فَقُومًا :
عَظُمَ ، وَفَقِمَ أَيْضًا فَقَمًا ، لسان العرب : (فقم) ٤٥٧/١٢ . ومعنى جميع الفؤاد ، تام
العزيمة شديد على الأمر ، وَرَجُلٌ جَمِيعٌ : مُجْتَمِعُ الْخَلْقِ . لسان العرب : (جمع)
٥٥/٨ .

(٢) شرح المفصل : ١٣٨/٣

(٣) تحليل الخطاب : براون : ٢٢٨ وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٢٢

«مستشهداً» عليها بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فالاسم الموصول (الذي) قد قوى المعنى وذلك بإحالاته السابقة الى الرسول النبي لكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة^(١) « فقد أقحم الباحث عبارة (ذلك بإحالاته السابقة) وهي غير واردة في كلام الدكتور^(٢)، ولعل سبق كان لعبد القاهر الجرجاني في الوقوف على أن (الذي) يأتي للإحالة إلى قصة وأمر جرى ، فيقول في تعليل مجيء (الذي) ليكون وصلة الى وصف المعارف بالجميل « والقول البين في ذلك أن يقال : إنه إنما اجتلب حتى إذا كان قد عُرف رجل بقصة وأمر جرى له ، فتخصص بتلك القصة ، وبذلك الأمر عند السامع ثم أريد القصد إليه ذكر « الذي » تفسير هذا أنك لا تصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرفه له^(٣).

أما المحدثون فقد وردت عندهم إشارات إلى هذا العنصر مثل (الأزهر الزناد) دونما تفصيل ؛ فيقول في تعريف النص « فالنص جملة من الروابط التركيبية والروابط الزمانية ، وكذلك الروابط الإحالية فلا يكاد نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوضات^(٤) . ومن الإحالة الموصولية في شعر الصعاليك :

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً الدكتوراة نادية رمضان النجار ، مجلة علوم اللغة ، مج ٩ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٦م : ١٦ .

(٢) يُنظَر : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/٣ ، ٢٠٠٩م : ٤٣ .

(٣) دلائل الإعجاز ، تأليف : عبد القاهر الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ هـ) ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٥ ، ٢٠٠٤م : ٢٠٠ .

(٤) نسج النص : ١٢١ ويُنظَر كذلك الصفحات : ١٢٣ ، ١٢٧ وفي ١٣٢ عدّ الأسماء الموصولة من جملة عناصر الإحالة المعجمية .

- الإحالة الداخلية البعدية : يمثلها ما ورد في قول مالك بن الربيب [الطويل]^(١).

وَلَا الْمَتَانِي فِي الْعَوَاقِبِ لِلَّذِي أَهْمُ بِهِ مِنْ فَاتِكَاتِ الْعِزَائِمِ

فالاسم الموصول (الذي) فيه إحالة بعدية إلى (فاتكات العزائم)

- الإحالة الخارجية : جاء في الاسم الموصول (مَنْ) من قول المَرَارِ الفقعسي^(٢) : [الطويل] .

أَغَاشِرُ فِي دَارَاءَ مَنْ لَا أَحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَيَّ حَيْثُ

فالموصول (من) الذي هو إحال الى عنصر خارج النص هم أهل داراء ، وهم خارج نطاق النص اللغوي فتكون الإحالة إليهم خارجية يمثلها سياق مقامي للنص .

(١) شعراء أمويون : ٤٠/١ . العزائم جمع عزيمة ، العَزْمُ : الجدُّ . عَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ يَعَزِمُ عَزْمًا وَعَزِيمَةً وَعَزْمَةً . وَقَالَ اللَّيْثُ : الْعَزْمُ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ مِنْ أَمْرٍ أَنْكَ فَاعِلُهُ . يُنْظَرُ : لسان العرب : (عزم) ٣٩٩/١٢ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٣٨/٢ . داراء : بعد الألف راء وألف ممدودة ، موضع مشهور من منازل للعرب ، وهو من نواحي البحرين يقال له جوف داراء ، معجم البلدان : ٢١٨/٢ . والرمل اسم لأكثر من موضع ، معجم البلدان : ٦٩/٣ .

المبحث الثاني

التحديد

تعريف التحديد : (Definiteness)^(١)

عرف (دي بوجراند) التحديد - جاعلا إياه وسيلة من وسائل التماسك النصي - بقوله « هو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها أول مرة عند هذه النقطة »^(٢).

ويتناول النصيون وسيلة التحديد من خلال أداتي التعريف والتأكيد ، فلأداة التعريف - مثلا - وظيفة اتصالية « إذ تؤدي الأشكال المختلفة للتعريف ومورفيمات الصيغة بشكل خاص وظيفة الإشارات إلى توجيه استقبال كليات النص لدى السامع »^(٣).

وليس من الطبيعي وحسب أن يكون « لاستعمال الأدوات دلالة في هذا المجال كما يفهم من مصطلحي (أداة تعريف) و(أداة تأكيد) »^(٤). بل تكاد تنصب دراسة التحديد على المعرف والمنكر بالأداة باستثناء ما قدمه (دي بوجراند) في بعض مباحثه عن التحديد كما سيأتي .

(١) ترجم الدكتور تمام حسان هذا المصطلح مرة بالتعريف ومرة أخرى بالتحديد يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ ، ٣٠٧ . والذي يبدو للباحث هو الاستقرار على مصطلح التحديد ؛ لأن مصطلح التعريف وإن كان مصطلحا نحويا قديما إلا أنه لا يدل على المضمون المراد دلالة كاملة فهو جزء من التحديد وليس العكس .

(٢) المصدر نفسه : ٣٠١ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٢٨ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٧ .

وتم ملاحظة أداة التعريف ؛ لأنها « تشير حسب هذا الإسهام إلى ما يسمى المعلومات السابقة ، بينما تعد أداة التنكير إشارة إلى معلومات لاحقة أي الوحدات التي لم يوضحها المتكلم بعد »^(١).

ومن هنا كان الدور الذي يعمل به التعريف والتنكير هو الإحالة إما إلى سابق وإما إلى لاحق ؛ مما يترك أثره في تماسك النص الذي احتوت مساحاته مفردات منشطة ومنشطة .

- علامة التعريف وعلامة التنكير في العربية :

قد تكلم (دي بوجراند) عن محل الأداتين من الكلمة المعرفة أو المنكرة كما هو في لغته ، فقال : « فما ينسب إلى أداة التعريف أنها تتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره كما ينسب إلى أداة التنكير أنها تسبق ما لم يذكر من قبل »^(٢).

وهذا الكلام بالنسبة إلى اللغة الإنجليزية وإن اتفقت العربية معها في تقدم أداة التعريف في الاسم المعروف بآل إذا ما غرضنا الطرف عن الاستثناءات ، أما أداة التنكير في العربية فليس هناك أداة تنكير كأداة التعريف ، وهذا هو السبب وراء القول « حد النكرة عسر »^(٣) ، أما قبول النكرة أو وقوعها موقع ما يقبل (ال) أو دخول (رب) أو التنوين أو النداء ، وهي علامات تصلح لمعرفة بعض النكرات دون بعض منها^(٤) .

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٢٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٧ .

(٣) همج الهوامع : ١٨٧/١ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل : ١١٥-١١٦ ، شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد ابن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) على ألفية بن مالك في النحو وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي ، حققه وشرح حواشيه ، أحمد السيد سيد أحمد ، راجعه : إسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، د/ط ، د . ت : ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، همج الهوامع : ١٨٨/١-١٨٩ .

أما خصوصية التتوين من بين هذه العلامات ؛ فهو « أن يكون التتوين ذليلاً على التكثير ولا يوجد هذا القسم في معرفة البتة فصار التتوين علم التكثير وتركه علم التعريف »^(١)

معيارا التحديد وقضية التعريف بالعهد

هناك معياران أحدهما منطقي والآخر نفسي تتوقف عليهما أبعاد التحديد المختلفة بحسب النظر إلى كل منهما^(٢) .

وهذان المعياران ظاهران في تناول العربية لقضية التعريف بـ (ال) العهدية وتقسما إلى^(٣) :

١- العهد الذهني : وهو إذا كان مصحوب (ال) معهوداً ذهنياً ؛ فينصرف الذهن إليه بمجرد التلفظ به قال تعالى : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (التوبة: ٤٠) .

٢- العهد الذكري : وهو إذا كان مصحوب (ال) سبق ذكره في الكلام ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾

(النور: ٣٥).

٣- العهد الحضوري : وهو إذا كان مصحوب (ال) حاضراً عند التكلم ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (المائدة: ٣).

ففي المعيار الأول : « ينصب التحديد على الموضوعات المقررة في عالم منطقي^(٤) ، وهذا ما تمثل بال العهدية في حالتي العهد الحضوري والعهد الذكري .

(١) سر صناعة الإعراب ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور حسن هندواي ، دار الفلم ، دمشق ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م : ٤٩٤ .

(٢) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٧

(٣) يُنظَر : مغني اللبيب : ٣١٥-٣١٩ ، مع الهوامع : ٢٧٤/١ ، جامع الدروس العربية ، موسوعة في ثلاثة أجزاء تأليف : مصطفى الغلاييني ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠٩ م : ١١٣ .

(٤) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

أما المعيار الثاني : فهو إجراءات ذهنية ؛ لأن « الأمور ذات التحديد هي التي تصلح بذاتها للتعرف عليها من قبل المشاركين في الاتصال »^(١) ، وهو ما ذكر في اللغة العربية في (ال) العهدية .

فالتعريف بالعهدية يطابق إلى حد كبير ما شرح به (دي بوجراند) التعريف بقوله : « إنه وضع للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة كل منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف »^(٢) .

فوظيفة كل من (الغار ، المصباح ، اليوم) فيما مرّ من أمثلة قرآنية على (ال) العهدية بأقسامها الثلاثة ذهنية وذكورية وحضورية لا نزاع فيها أنها تحدد مكاناً بعينه أو شيئاً بعينه أو زماناً محدداً معلوماً .

وبما أن دي بوجراند أقرّ بما وجده لدى (ج . ليفين) من « أن أدوات التعريف الداخلة على عناصر لم يتم تحديدها في بدايات النصوص هي القاعدة وليس الاستثناء »^(٣) ، يمكن أن يلاحظ أن الدرس العربي أكثر إدراكاً لعملية التحديد وهذا واضح في مجالات التحديد في ال العهدية على سبيل المثال مقابل ما قيد دي بوجراند به التعريف بقوله : « ومعنى تحديد الوضع باسم علم مثلاً أو بصفة هي معرفة أنك تقول للسامع أو القارئ أن المحتوى المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحة المعلوماتية المنشطة بالفعل »^(٤) .

فقوله : « سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلوماتية المنشطة بالفعل » يفهم منه ما يفهم من العهد الذكري في العربية فالمصحوب بال فيه ذكر سابق في الكلام فهو سهل الاستحضار أي أنه المحدد والمقصود ، وعلى

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١٠ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣١٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١٨ .

أساس المساحات المعلوماتية سابقة الذكر ، وهذا ما قدمه (دي بوجراند) في تعريفه إذ يقول « مما ينسب إلى أداة التعريف أنها تتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره »^(١) . وقد تناول دي بوجراند قضيتين مهمتين في التعريف :

القضية الأولى : التفرد والتعويض :

إن المتلقي لا يواجه أية صعوبة في تحديد بعض المعرفات ؛ وذلك لتفردا بغض النظر عن مخالفة هذا التفرد للحقائق العلمية ، فالشمس والقمر والمشرق والمغرب ، وأمثالها تعطي في الحال مدلولاتها المألوفة المعهودة المحددة لدى المتلقين^(٢) ، فالشمس والقمر هما الكوكبان المعروفان عند الناس ، وإن توصل علماء الفلك إلى وجود غيرهما في المجرة الواحدة ، ويمكن الانتقال من هذا التفرد عندما « تعاد صياغة سياق موقف ليصبح غير متفرد ما دام عالم النص لا يرتبط بتطابق مع العالم الخارجي المتعارف عليه »^(٣) يمثل هذا في القصص الخرافية^(٤) .

يقول (دي بوجراند) : « يمكن النظر إلى هذا التعريف بوصفه صوراً من التعويض لا تعطي فكرة واضحة عن المكان والهوية في حدود المدينة المعنية »^(٥) . ويفهم مما تقدم أنه لا يمكن مع التعويض تحديد ، وهذا

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٧ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ٣١٠ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣١٠ .

(٤) يُنظَر : المصدر نفسه : ٣١٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٣١١ . أشار بهذا الكلام إلى الكلمات المعرفة الآتية : (المكتبات bookstores ، شرطة الأدب vice squad ، الوكلاء agents) التي وردت معرفة في الجملة الانجليزية :

“Now that the adult bookstores, formerly the vice squad's primary target, have been closed down, the agents are able to devote more time to busting hookers” □

ما يمكن للبحث استعمال التعريف اللفظي بالجنسية ، ففيها بحث مقابل لمحتوى هذا المفهوم ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام^(١) :

١- الاستغرافية للأفراد :

هي التي تخلفها (كل) حقيقة ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾
(النساء: ٢٨)

فالإنسان يشمل كل فرد من أفراد من غير تحديد أي : كل إنسان ضعيف .

يقول بدر بن سعيد الفقعسي [البسيط]^(٢)

يا حَتِّدًا حِينَ تُشْسِي الرِّيحُ نَارِدَةً وَاِدِي أَشْيٍ وَفِتْنَانٍ بِهِ هُضُمُ

فالريح استغرق لكل ريح ، ولم يحدد الشاعر ريحاً بعينها .

٢- الاستغرافية للخصائص في الأفراد :

هي التي تخلفها (كل) مجازاً ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾
(البقرة: ٢) ؛ أي : الكتاب كل كتاب أي الكامل في هذه الصفة ، ومنها قول تليد الضبي^(٣) : [الطويل] .

(١) يُنظَر : مغني اللبيب : ٣١٩/١ - ٣٢١ ، شرح الرضي : ٢٧٣/٣ ، شرح ابن النازم على ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن النازم (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠٠ م ، ٧٠/١ ، شرح التصريح : ٥٠٨/١ ، صبح الهوامع : ٢٧٥/١ ، معاني النحو ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط/١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : ١٠٩-١٠٨/١ .

(٢) ديوان اللصوص : ٧٥/١ ، وأُشْيَ : بالضم ثم الفتح ، والياء مشددة موضع بالوشم ، والوشم : واد باليمامة فيه نخل ، وهو تصغير الأشياء وهو صغار النخل الواحدة أشاء ، يُنظَر : معجم البلدان : ٢٠٣/١ . وَيُقَال : هُضُمُ الشَّيْءِ ، أي : يَكْبِرُ مَالُهُ وَيُنْفِقُهُ ، وَالْجَمْعُ : هُضْمٌ ، ومعناه في البيت ، أَنَّهُمْ يَجُودُونَ فِي وَقْتِ الْجَدْبِ وَضَيْقِ الْعَيْشِ ، وَأَضْيَقَ مَا كَانَ عَيْشُهُمْ فِي زَمَنِ الشَّيْءِ ، يُنظَر : تاج العروس : (هضم) ١٠٥/٣٤ .

(٣) خزنة الأدب : ٣٤٩ ، ويُنظَر : ديوان اللصوص : ١٤١/١ . وفي لسان العرب : (جله) ٤٨٥/١٣ : «جَلَّهَتَانِ جَانِبَا الْوَادِي ، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الشَّطِئَيْنِ» . وفيه (رود) ١٨٨/٣ «رَادَتِ الْإِبِلُ تَرَوْدَ رِيَادًا اخْتَلَفَتْ فِي الْمَرْعَى مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً وَذَلِكَ رِيَادُهَا» .

لَهْنِي لِأَشْقَى النَّاسِ إِنْ كُنْتُ غَارِمًا فَلَا تَصْ بَيْنَ الْجَلْهَيْنِ تَرَوُدُ
فالناس في البيت ، يمكن أن تخلف (كل) الألف واللام فيها مجازاً ؛ أي :
لأشقى كل ناس ، فهو ليس أشقى كل الناس على الحقيقة .

٣- لتعريف الماهية والحقيقة :

وهي التي لا تخلفها كل لا حقيقة ولا مجازاً ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ
الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء: ٣٠) ، يقول القتال الكلابي^(١) : [البسيط]
مِنْ آلِ سُفْيَانَ أَوْ وَرَقَاءَ يَمْنَعُهَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْرُ عَوَارٍ
فتعريف العجاجة هو تعريف لحقيقتها .

بالرجوع إلى التعويض عند (دي بوجراند) الذي كان للتعريف فيه صور
لا تعطي فكرة واضحة عن المكان والهوية في حدود المدينة ، فظهرت أهمية
الفرق الذي ذكر النحاة بين المعرف بآل الجنسية وبين اسم الجنس النكرة إذ
المعرف بآل الجنسية يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن . أما اسم
الجنس النكرة فيدل على مطلق الحقيقة بلا قيد^(٢) .

فالمعرف بآل الجنسية مقيد بقيد الحضور ، فهو لا يدل على فرد معين من
الحقيقة الحاضرة في الذهن مع أنها محددة ، كما أن الأماكن المعرفة لا تعطي
فكرة واضحة عنها لكنها تبقى في حدود المدينة .

القضية الأخرى : التشييط الموسع :

يقول عنه (دي بوجراند) أنه : « يمكن للتعريف أن يكون وسيلة من وسائل
توجيه هذا الضبط ويمكن لمظهر الشيء المعروف الذي لم يسبق ذكره أن يكون
له حينئذ أثر بإبراز نقطة من مساحة المعلومات يظهر أن التنفيذ قد شملها »^(٣) .

(١) ديوان القتال الكلابي : ٥٥ ، ومعنى العراء : غَمَصَةٌ تُمْضُ الْعَيْنَ كَأَنَّمَا فِيهَا قَذَى وَهُوَ
العَوَارُ العائر ، العين : (عور) ٢٤٥/٣ .

(٢) يُنظَرُ : مغني اللبيب : ٣٢٣-٣٢٤ ، شرح التصريح : ٥٠٩/١ .

(٣) النص والخطاب والاجراء : ٣١١ .

وهو يرى أن التعريف بمختلف وصلاته تحديدية كانت أم نموذجية تمنح أفضل أساس لهذا الرأي ، ويقصد بالصلات التحديدية هنا العناصر المتفردة كالشمس والقمر والصلات النموذجية المحددة كالصفة^(١) .

وهذا التنشيط يكون من خلال المعرف الذي لم يسبق ذكره في الكلام غير أنه يمكن له تنشيط مفردات لها علاقة ما به ، ويمكن للباحث إيضاح هذا بما جاء في شعر الصعاليك في الأمويين ، وهو قول عطارِ بن قُرَّان^(٢) : [الطويل] .
كَتَمْتُ الْهَوَى مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَلُومَنِي رَفِيقَايَ وَالْهَلْتُ ذُمُوعَ سَوَاكِبُ
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ أَرْوَى هَوَى كُلَّمَا نَأَتْ وَقَدْ جَعَلْتُ دَارًا لِأَرْوَى تُجَانِبُ

فالقلب في البيت الثاني : ذو وصلة تعريفية محددة وهو قلب الشاعر ، ويمكن وصفه أنه قد أدخل مساحة معلومات محددة قبله في تنشيط موسع فلو دقق النظر في « كتمت الهوى » و « رهبة » فالكتم هو ستر السر ومحل القلب ، كما أن الهوى هو مستوطن القلب والرهبة عادة ما تكون قلبية^(٣) فذكره معرفة تنشط كل هذه المساحة من الكلام ، ولو أنه نكر القلب لاحتتمل أن لا يكون قلب الشاعر فيكون منه تفكيك أوصال الكلام وانهدم التماسك^(٤) .

التكثير ، وصوره بين النحويين :

تناول (دي بوجراند) أداة التكثير فذكر « أنها تسبق ما لم يذكر من قبل »^(٥) ؛ لذا أصبحت النكرة « تتطلب من ناحية ثانية تنشيطاً لمساحات معلومية

(١) يُنظَر : النص والخطاب والاجراء : ٣١ .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٣/١ . وفي ديوان اللصوص : ١٧/٢ . داراً بأروى .

(٣) أسامس البلاغة : (كتم) ١٢٢/٢ (رهبة) : ٣٩٩/١ ، واللسان : (كتم) ٣٠٦/١٢ ، (رهبة) ٤٣٦/١ .

(٤) يُنظَر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د . أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠١م : ١١٥ ، ١١٦ .

(٥) النص والخطاب والاجراء : ٣٠٧ .

أخرى^(١) ، وقد توصلت تجربة النصيين إلى أن « الصورة النصية التي اشتملت على علامات التنكير ، إنما هي تعليمات لتنشيط مساحات جديدة بدلاً من استعمال ما سبق تنشيطه »^(٢) .

والحقيقة أن النحو العربي قد سبق إلى أن النكرة إذا تكررت في سياق يراد بها غير الأولى ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ (الشرح: ٥-٦) ؛ فالعسر الثاني هو الأول واليسر الثاني هو غير الأول^(٣) .

ومن ذلك لفظ (حُلَّة) التي جاءت في ما أنشده (جحدر العكلي)^(٤) :

[الطويل]

إِذَا حُلَّةٌ أَتَلَتْهَا ابْتَعَتْ حُلَّةٌ كَسَانِيهَا طَوَّعُ الْقِيَادِ عَلِيٌّ
ذكر الشاعر في البيت لفظ (حُلَّة) مرتين الثانية منهما ليست الأولى .
ومنه قول أبي النشناس النهسلي :^(٥) [الطويل]

(١) النص والخطاب والاجراء : ٣١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١٠ .

(٣) يُنظَرُ : البحر المحيط - تفسير - لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ ، علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م : ٤٨٤/٨ .

(٤) شعراء أمويون : ١/١٧٨ ، « نَاقَةُ طَوَّعَةِ الْقِيَادِ ، وَطَوَّعُ الْقِيَادِ وَطَبِيعَةُ الْقِيَادِ : لَيْتَهُ لَا تَنَازَعُ قَائِدَهَا » تاج العروس : (طوع) ٤٦٨/٢١ ، والعليق : القُضِيمُ يعلُقُ على الدَّابَّةِ ، وعلَّقها : علَّقَ عليها . والعليق : الشَّرَابُ على المَثَلِ . يُنظَرُ : لسان العرب : (علق) ٢٦٧/١٠ .

(٥) البيت بعده قوله :

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قَعُودِهِ فَقِيمَا وَمَنْ مَوْلَى تَدْبِ عَقَارِيهِ
يُنظَرُ : أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٩/١ ، شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد المرزوقي ، (ت ٤٢١ هـ) نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، =

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يَرْحَ سَوَامًا وَلَمْ تَغْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ

يقول المرزوقي (ت ٤٢١هـ) : « إن قال قائل : لم قال : ولم يرح سواماً والنكرة إذا أعيد ذكرها يجب تعريفها ، قلت : يجوز أن يكون نكرة ؛ لأنه تصور المراح بما دخله من التناقص والتزايد ، بالأخذ منه والرد إليه غير المسروح ، وإذا كان كذلك فالثاني غير الأول . ويجوز أن يكون السوام الثاني غير الأول ، وذلك أن المكثرين منهم كانوا يأمرؤن رعاءهم بأن يقتضبوا قطعة من المال كيف اتفقت ، ليحبسوها على الحقوق العارضة ، سوى المؤن اللازمة ، فكانت الغادية لما يقيمونها من النوب في ذلك غير الرائحة ، والرائحة غير الغادية . وإذا كان كذلك فالسؤال ساقط »^(١)

كما أن النحو العربي أضاف إلى هذا السبق تحفظات على إطلاق مثل هذه القاعدة ؛ لذا يتحرز السيوطي فيها فيقول : « وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالباً »^(٢) .

وتعقب السيوطي ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴾ (الزخرف: ٨٤) ، من أن (إله) الثاني فيها هو الأول ، وهما نكرتان ، فقال : « إنها من باب التكرير بالإفادة أمر زائد بدليل تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله : ﴿ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

== بيروت ، لبنان ، ط ١/ ، ١٩٩١ م : ٣١٧/١ ، فيه « قال مسرحت الماشية ، إذا أخرجتها بالغلاة إلى المرعى وأرجتها ، إذا رددتها بالعشي » . وفي لسان العرب : (سوم) ٣١١/١٢ يقول : « وَالسَّوَامُ : كُلُّ مَا رَعَى مِنَ الْمَالِ فِي الْقُلُوبِ إِذَا خَلَّى وَسَوْفَهُ يَرَعَى حَيْثُ شَاءَ . وَالسَّائِمُ : الذَّاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ حَيْثُ شَاءَ . يُقَالُ : سَامَتْ السَّائِمَةُ وَأَنَا أَسَمْتُهَا أُمَيْمَهَا إِذَا رَعَيْتَهَا »

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣١٧/١-٣١٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، (ت ٩١١ هـ) اعتنى به وعلّق عليه : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : ٤٠٨ .

يَصِفُونَ ﴿ (الزخرف: ٨٢) ، ووجه الإطناب في تنزيهه تعالى عن نسبة الولد إليه وشرط القاعدة ألا يقصد التكرير^(١).

والذي يظهر أن مجيء النكرة (إله) هنا للتكرار لا دليل عليه من الآية التي سبقتها ؛ لأن كلمة (رب) جاءت معرفة بالإضافة إلى السموات مرة وإلى العرش مرة أخرى ، وإله هنا نكرة ، أما شرط القاعدة ألا يقصد به التكرير . فمجرد الإعادة للفظ هو تكرير وقضية القصد بإرادة التكرير ، فهذا ظاهر الآية ولا سيما بالنظر إلى سياقها ، السابق ففي قوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ رَبِّ أَلْسَمُونَ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٢) ، أضاف السموات إلى رب وعطف الأرض على السموات أما في الآية فقد فصل بين السماء والأرض وجعلها من متعلقات المسند إلى الاسم النكرة (إله) ، ومع هذا استمر الاسم في الدلالة على واحد وإن تكرر .

ومما ورد في شعر الصعاليك على هذا النحو قول توبة بن الحمير^(٢) [الطويل] .

رَبِّي مِنْ هَوَى لَيْلَى هَوَى لَوْ أَبْهَهُ وَلَوْ كَانَ أَغْدَى النَّاسِ لِي كَانَ يَنْصَحُ
هَوَى لَمْ تُغَيِّرْهُ الْحُرُوبُ وَلَمْ يَزَلْ عَلَى عَهْدِ لَيْلَى أَوْ يَزِيدُ فَيَرْبَحُ
فـ (هوى) النكرة المكررة في البيتين باستثناء الأولى المضاف (هوى ليلى) دلت على نفس الهوى ، وليس هوى غير الأول ، فالنكرة هنا مع تكرارها دلالتها واحدة .

طريقة التكرير غير العرفية :

نبه (دي بوجراند) على أنه « يمكن للتكرير أيضاً أن يتم تطبيقه بطريقة غير عرفية^(٣) » ، وفسر هذه الطريقة غير العرفية باستعمال كلمة (a head) الواردة في الجملة الإنجليزية :

(١) الإتيان : ٤٠٩ .

(٢) ديوان توبة بن الحمير : ٥٥ .

(٣) النص والخطاب والاجراء : ٣١٩ .

A man who never loses his head doesn't have a head to lose

فإن استعمال (a head) يقدم في صورة التنكير أمراً محدداً^(١).

وقد عرف النحو العربي نماذج من مثل هذا كما في (ضحوة وعشية) من قول سيبويه: «فأما ضحوة وعشية فلا يكونان إلا نكرة على كل حال، وهما كقولك: آتيك غداً صباحاً ومساءً، وتقول: آتيك ضحوة وعشية، فيعلم أنك تريد عشية يومك وضحوته، كما تقول: عاماً أول فيعلم أنك تريد العام الذي يليه عامك»^(٢).

وقد علمت هذه الحالة عند متأخري النحاة حتى صارت عند ابن مالك أحد أسباب العجز عن الوصول إلى حد المعرفة دون استدراك عليه، فقال: «من تعرض لحد المعرفة عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه؛ لأن من الأسماء ما هو معرفة معنى نكرة لفظاً وعكسه، وما هو في استعمالهم على وجهين؛ فالأول: نحو قولهم كان ذلك عاماً أول وأول من أمس؛ فإن مدلول كل واحد معين لا شياخ فيه، ولكنهما لم يستعملا إلا نكرتين»^(٣).

فالمعنى المراد من عام غير شائع بل هو مقصود ومحدد بالعام الذي يلي العام الذي أشار إليه بالتعريف، وهذا يذكّر بما مر من أن للسياق دوراً في معرفة النكرة التي تأتي بعد المعرفة.

كما قد يكون لفظاً الشمس والقمر نكرتين والمراد منهما المعرفة، يقول عبد القاهر الجرجاني: «وكثيراً ما يتفق في كلام الناس ما يوهم ضرباً من التنكير في الشمس كقولهم: شمس صيفية، ويجيء التنكير في القمر والهِلال على هذا الحد»^(٤).

(١) النص والخطاب والاجراء: ٣١٩.

(٢) الكتاب: ٢٩٤/٣.

(٣) شرح التسهيل: ١١٥/١، وجمع الهوامع: ١٨٨/١.

(٤) أسرار البلاغة، تأليف: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط ١، ١٩٩١م: ٣١١-٣١٢.

يقول السمهري العكلي^(١) : [الطويل]

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى أَبْصَرْتُني غُدْوَةً وَصَحْبِي وَالصُّفَّ الَّذِينَ أُمَارِسُ

فغدوة نكرة ، وهي مثل ضحوة وعشية لا تكون إلا نكرة سواء أريد بها التنكير أم التعريف ، وهنا أراد غدوة اليوم المحدد الذي عناه الشاعر .

التحديد من خلال تاء التأنيث الساكنة :

تاء التأنيث الساكنة أداة من أدوات التحديد النوعي لعنصر لاحق أو عنصر سابق ، فذكرها يحدد نوع الفاعل بالتأنيث ، فعند النحاة « دخولها للإيذان من أول الأمر بأن الفاعل مؤنث »^(٢) . وهذه الأداة هي خاصة بتحديد نوع الفاعل لقسم واحد من أفعال العربية هو الفعل الماضي^(٣) ، وقد وقف النحاة على علة لحوقها بالفعل ، وإنما هي لتأنيث الفاعل يقول الرضي : « اعلم أنه إنما جاز إلحاق علامة التأنيث بالمسند ، مع أن المؤنث هو المسند إليه دون المسند ، للاتصال الذي بين الفعل ، وهو الأصل في الإسناد وبين الفاعل ، وذلك الاتصال من جهة احتياجه إلى الفاعل وكون الفاعل كجزء من أجزاء الفعل »^(٤) .

وقد نبه الدكتور طه الجندى على « أن التأنيث يتسق مع قانون المطابق التي يزداد بها التركيب تماسكاً »^(٥) وإن هذا التماسك يسهم بدوره في تماسك النص كاملاً ؛ لأن هذه التراكيب هي مفردات وأجزاء النصوص .

(١) شعراء أمويون : ١٤٤/١ . مرس : المراس والممارسة وشدة العلاج . مرس : مرساً ، فهو مرس ، ومارس ممارسة ومراساً ، ينظر : لسان العرب : (مرس) ٢١٥/٦ .

(٢) شرح المفصل : ٢٧/٩ .

(٣) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، صنعة : الحسين بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) تحقيق : فخر الدين قباوة والأستاذ : محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١/ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ٥٧ .

(٤) شرح الرضي على الكافية : ٤٧٩/٤ .

(٥) ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني ، رسالة دكتوراه إعداد : طه محمد عوض الله الجندى ، إشراف الدكتور أمين على السيد والدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ١٥٩ .

ولتاء التانيث خصوصيتها في العريية ، فهي : « التي لم يقلبها أحد من العرب هاء في الوقف »^(١) وبهذه الخصوصية يمتاز التانيث بها عن التانيث بغيرها .

ولعل إسهام هذا النوع من التحديد لا يقل أهمية من تحديد المعرفة والنكرة من حيث إسهامه في تماسك النص ، فمن النصوص ما يكون مشحوناً بهذا النوع من التحديد ، وهو يقوم بدوره في التماسك من خلال التحديد السابق ، وهو الأكثر لطبيعة أدواته ، والتحديد اللاحق وهو أقل درجة من الأول ، وهذه العلامة تلزم الفعل المسند إلى الفاعل المؤنث الحقيقي ، والفعل لفاعل مؤنث مجازاً على الأرجح حتى لو فصل بينهما بفواصل^(٢) .

التحديد السابق :

وصورته أن تأتي أداة تحديد نوع المسند إليه سابقة للمحدد كما في قول أبي الرئيس الثعلبي^(٣) : [الكامل]

لا صَلَحَ بَيْتِي فَاغْلَمُوهُ وَلَا يَبْنِيكُمْ مَا حَمَلْتُ عَائِي
سَيْفِي وَمَا كُنَّا بِنَجْدٍ وَمَا قَرَقَرُ قَمَرُ الْوَادِ بِالشَّاهِي

جاء في عجز البيت الأول بأداة التانيث الساكنة مع الفعل (حملت) لتحديد

(١) أسرار العريية ، تأليف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق : محمد بهجت البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د . د . ط . د . ت : ٩٦ .

(٢) يُنظَر : ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني : ١٥٩ .

(٣) يُنظَر : لسان العرب : (ودي) ٣٨٤/١٥ . والبيتان ينسبان لأبي عامر جد العباس ابن مرداس . وَقَرَقَرَ بَطْنُهُ : صَوَّتَ مِنْ جُوعٍ أَوْ غَيْرِهِ ، تَاجُ الْعُرُوسِ : (قرر) ٤٠٩/١٣ ، وَقَمَرٌ إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَمْعُ أَقْمَرٍ مِثْلَ أَحْمَرٍ وَحُمْرٍ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَمْعُ قَمَرَى مِثْلَ رُومَى وَرُومٍ وَزِنْجَى وَزِنْجٍ ، أَوْ الْآتْنَى مِنَ الْقَمَارَى قَمَرِيَّةٌ ، تَاجُ الْعُرُوسِ : (قمر) ٤٦٧/١٣ .

المسند إليه بالتأنيث ، وهو (عائق) ، وهو مما يذكر ويؤنث^(١) ، «عائقا الإنسان ، وهما ما بين المنكبين والعنق ، والجمع العوائق . ويقال العائق يذكّر ويؤنث»^(٢).

ويقول توبة بن الحمير^(٣) : [الطويل]

نَأْتِيكَ بَلَيْلَى دَارَهَا لَا تَرُورُهَا وَشَطَّتْ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا

حدد الشاعر المسند إليه (دار) للفعل (نأتى) بالتأنيث باستعمال أداة التحديد لنوع المؤنث وهي مؤنث غير حقيقي ، ومثله في العجز الفعل (شطّ) فحدد (نواها) ، والعرب تَوْنَتْ النوى^(٤) بالتأنيث من خلال أداة التحديد السابقة للمحدد .

التحديد اللاحق :

صورته أن تأتي أداة تحديد نوع المسند إليه لاحقة للمُحدّد ، وغالباً ما تأتي بعد أن يكون في النص ذكر لتحديد سابق صريح ، ويكون المحدد ضميراً

(١) يقول ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) : «العائق مذكّر وقد يؤنث» ، ونقل البيهقي من غير تسمية الشاعر ، إصلاح المنطق لابن السكيت ، شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر - القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٨٧ م : ٣٦٢ ، يُنظَر : المذكر والمؤنث ، لنفطويه (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق ودراسة : الدكتور عبد الجليل مغناظ عودة التميمي ، منشورات جامعة سبها ، الجماهيرية العربية الليبية ، ط/١ ، ١٩٩٥ م : ٦٦ .

(٢) مقاييس اللغة : (عتق) ٢٢٢/٤ .

(٣) ديوان توبة بن الحمير : ٣١ . وَشَطَّتْ دَارَهُ تَشْطُّ وَتَشْطُّ شَطًّا وَشَطُوطًا : بَعُدَتْ . وكل بَعِيد شَاطً ، لسان العرب : (شطط) ٣٣٣/٧ . وَيُقَال : اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ أَيِ اسْتَحْكَمَ عَزَمُهُ وَالْمِرَّةُ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ ، وهو الْمَرِيرُ وَالْمَرِيرَةُ ، لسان العرب : (مرر) ١٦٥/٥ ، ١٦٨ .

(٤) يُنظَر : لسان العرب : (نوى) ٣٩٣/٨ ، والنوى : التحوّل من دارٍ إلى دارٍ أُخْرَى .

مستترًا عائداً على المحدد الصريح المذكور أولاً . ومنه قد جاء في قول الهيردان^(١) : [الوافر]

جَزَى الْعَذْرَاءَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَغْنَتْ عَنِ الْحَبْلِ الْحَزِيمِ
إِذَا نَشَرْتَ ذَوَائِبَهَا بُكُورًا رَمَتْ بِالْوَفْرِ فِي نَحْرِ الْعَدِيمِ

تكررت في البيتين أداة تحديد نوع المفاعل (تاء التانيث الساكنة) بذكر لاحق للمحدد وهي في الأفعال : (أَغْنَتْ ، نَشَرَتْ ، رَمَتْ) تحدد نوع المسند إليه وهو في ثلاثتهن ضمير مستتر يقدر به (هي) يعود إلى (العذراء) المؤنث الذي صرح بذكره في صدر البيت الأول .

ويلاحظ أن هذا التحديد يسهم في تماسك النص أيضاً من جهة تحديد المحال إليه بالضمائر المستترة ؛ فلولا وجود هذه الأداة في الفعل الأول مثلاً لورد احتمال أن الضمير يعود إلى لفظ الجلالة (الله) .

ويقول عطار بن قرآن^(٢) [البسيط]

طَيْرٌ رَأَتْ بَازِيًا تُضْحُ الدَّمَاءَ بِهِ أَوْ أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْوَاً إِلَى عَيْدٍ

في هذا البيت الفعل (رأت) حددت أداة التانيث الساكنة المسند إليه بنوع التانيث ، فيقدر به (هي) يعود إلى (طير) المؤنث غير الحقيقي ، ومثله (خرجت) أي : هي يعود إلى (أمة) .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٩/١ ، ديوان اللصوص : ٢٩٨/٢ . والخذم : مسرعة القطع والسير العين : (خذم) ٣٩٤/١ ، والوفر : المال الكثير الذي لم ينقص منه شيء ، وهو موقوف ، العين : (وفر) ٣٨٧/٤ . العديم : الذي لا شيء ، عنده ، فعيل بمعنى فاعل . لسان العرب : (عدم) ٣٩٣/١٢ .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٤/١ ، ديوان اللصوص : ١٨/٢ . «البازي : واحد البزاة التي تصيد ، ضرب من الصقور» لسان العرب : (بزا) ٧٢/١٤ . التضح : الرش . تضح عليه الماء ينضحه نضحاً إذا ضربته شيء فأصابه منه رشاش . لسان العرب : (نضح) ٦١٨/٢ . والرهو : مشي في سكون . العين : (رهو) ١٥٩/٢ .

المبحث الثالث

الاستبدال

أولاً : الاستبدال :

عرف (هاليداي ورقية حسن) الاستبدال بأنه «إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص»^(١).

ويقول (محمد خطابي) عن الاستبدال : إنه «وسيلة أساسية تُعتمد في اتساق النص ، يستخلص من كونه (عملية داخل النص) أنه نصي على أن معظم حالات الاستبدال النصي هي قبلية»^(٢).

إسهام الاستبدال في تماسك النص :

يُعَدُّ الاستبدال من العلاقات التي تنشأ على المستوى النحوي والمعجمي^(٣)؛ فوجوده في نص ما يسهم في تماسك ذلكم النص من خلال العلاقات الدلالية أو المعجمية أو كليهما التي يحررها في النص لإحداث التماسك .

(١) (Cohesion in English : 88) نقلاً عن : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً : ١٩ ، هناك بعض الترجمات للاستبدال بأنه (تعويض) ، يُنظَر : لسانيات النص : محمد خطابي : ١٩ ، ونحو النص : ١٢٣ . وقد عرفته الدكتورة عزة شبل أنه «إحلال كلمة مكان كلمة أخرى» علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ ، وفيه قصور عن مراد هاليداي ورقية حسن : إذ قد قسما الاستبدال إلى الاسمي والفعلية والجملي .

(٢) لسانيات النص : ١٩ .

(٣) يُنظَر : (Cohesion in English : 88 - 89) نقلاً عن : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ .

لا تقوم العلاقة الاستبدالية على التطابق وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه استبعاد الألفاظ المبدلة دون أن يلغى ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها عناصر الاستبدال ، ومن تلك العلاقة بين المبدل والمستبدل تستمد النصوص قيمتها الاتساقية^(١) .

علاقة الاستبدال بالإحالة والحذف والبديل النحوي

إن علاقة الاستبدال بالإحالة تتكيف في أن كلا منهما يحدث عندما يقع في النص تعويض ما ، فالاستبدال الذي هو عملية تتم بكاملها داخل النص يتفق مع الإحالة في إحداث الربط النحوي (السبك) التي قد تحدث خارج حدود النص (الإحالة الخارجية)^(٢) .

كما أن هناك علاقة بين الاستبدال وعنصر الحذف ؛ فالاستبدال متضمن للحذف ، والحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال حيث يكون الاستبدال بالصفير^(٣) .

أما علاقة الاستبدال في الدراسات النصية بالبديل في النحو العربي فيمكن تمييزها من جهتين : الأولى : أنه لا علاقة للاستبدال من الناحية النحوية والتركيبية به ؛ فالاستبدال إحلال عنصر لغوي مكان عنصر لغوي آخر غير تابع له أما البديل فإنه من التوابع في النحو العربي والجهة الأخرى أنه يقوم كل منهما بتأدية السبك^(٤) .

وفي البديل قرينة معنوية هي التبعية وقرينة أخرى لفظية هي المطابقة ، ويكون تحتها مطابقة في العدد والنوع والعلامة الإعرابية ، ولعلها الأهم من بين

(١) يُنظَر : لسانيات النص : ٢١ .

(٢) يُنظَر : لسانيات النص : ١٩ .

(٣) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ .

(٤) يُنظَر : علم اللغة النصي : ١١٧/١ ، نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٢٥ .
وسيكون تناول البديل بصورة أشمل في التكرار الجزئي فيما يأتي من مباحث .

هذه القرائن إذ « لا يمكن التسامح فيها مع بقاء التبعية على الإطلاق »^(١) وكل هذه القرائن تسهم في تماسك النص .

أقسام الاستبدال ونماذج من شعر الصعاليك

قسم (هاليداي ورقية حسن) الاستبدال^(٢) إلى الاستبدال الاسمي والاستبدال الفعلي والاستبدال القولبي ، وهو ما تم اعتماده في تطبيقاتها على نماذج من شعر الصعاليك :

١ - الاستبدال الاسمي :

يستخدم فيه عناصر لغوية اسمية مثل لفظة : آخر^(٣) . ومثاله من أشعار الصعاليك ما استعمله جحدر العكلي بقوله^(٤) : [الطويل]

إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى فَأَنْعَضُ مِنْ طُلَابِهِ بِعَقْلِكَ وَأَطْلُبُ سَيِّبَ آخِرِ مُقْبِلِ
أي سيب أمر مقبل ، وقد أحدثت كلمة آخر استبدالاً مع كلمة الأمر ، وهو استبدال اسمي مع اسم متقدم ويتضح الربط في إحلال كلمة بدل كلمة تخلصاً من تكرار الكلمة نفسها .

(١) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : ٤٠٧ .

(٢) قسم هارتج الاستبدال الى ثلاثة أنماط هي : الاستبدال الأحادي البعد ، والاستبدال الثنائي البعد ، والاستبدال الممتزج ، يُنظَرُ : مدخل الى علم النص مشكلات بناء النص : ٧١ .

(٣) يُنظَرُ : نحو النص : ١٢٣ ، بينته الدكتورة عزة شبل « بأنه الكلمات (واحد ، نفس ، ذات) ، تحل محل الاسم أو العبارة الاسمية » ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٤ ، وعبارة (العبارة الاسمية) قد يكون تفسيرها الجملة الاسمية ، فيكون التعريف قد اشترك به (الاستبدال الجملي) .

(٤) شعراء أمويون : ١٨٠/١ ، السَّيْبُ الْعَطَاءُ وَالْعُرْفُ وَالنَّافِلَةُ ، يُنظَرُ : لسان العرب : (سبب) ٤٧٧/١ ، تاج العروس : (سبب) ٨٢/٣ .

وجاء هذا النوع أيضاً في قول أبي النشاش النهلبي^(١) : [الطويل]
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يُرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يَسْطِ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبُهُ
 فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ فَقِيرًا وَمِنْ مَوْتِي تَدِبُ عَقَارِبُهُ
 قال ابن جني في مشكل هذين البيتين : « كان يجب أن يقول : فللموت خير
 له : فإن أعاد المظهر وأوقعه موقع مضمرة أن يقول : خير للمرء فعدل عن
 المظهر والمضمرة جميعاً بلفظ آخر فقال خير للفتى ، وسبب ذلك أن هذا
 المظهر المخالف للفظ المظهر قبله قد أشبه عندهم المضمرة من حيث كان
 مخالفاً للفظ المظهر قبله بخلاف المضمرة له »^(٢) .

وحقيقة هذا أن الشاعر استبدل كلمة (الفتى) بكلمة (المرء) استبدالاً اسمياً ،
 ومثله أيضاً يقول جحدر العكلي^(٣) [البيسيط]

يَا صَاحِبِي وَيَا بَابَ السَّجْنِ دُونَكَمَا هَلْ لَوْسَانٍ بِصَحْرَاءِ اللَّوَى نَارًا
 لَوَى الدُّخُولِ إِلَى الْجُرْعَاءِ مَوْقِدُهَا وَالتَّارُ تُبْدِي لِذِي الْحَاجَاتِ أَذْكَارًا
 لَوْ يُتْبَعُ الْحَقُّ فِيمَا قَدْ مَيِّتَ بِهِ أَوْ يُتْبَعُ الْعَدْلُ مَا عَثَرْتُ دَوَارًا

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٩/١ ، والمعنى : إذا الرجل لم يكن ذا مال يسرح
 بعضه ويراح عليه بعضه ، على حسب ما يتفق ، ولم يكن له أقارب يتعطفون عليه ،
 ويرون من الفروض الواجبة الإحسان إليه ، فالموت خير له ، (شرح ديوان الحماسة
 للمرزوقي : ٣١٨/١) ، قال اللحياني : وقد يكون في معنى ما له قوم . يُنْظَرُ : تاج
 العروس : (سرح) ٤٦٨/٦ .

(٢) التثنية على شرح مشكل أبيات الحماسة : ١١٥ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٤/١ . الكسر ، وفتح الواو ، والقصر ، وهو في الأصل منقطع
 الرمل ، يقال : وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره ، يُنْظَرُ : معجم
 البلدان : ٢٣/٥ . وَمُنِيَّتُ بِكَذَا وَكُنَّا : ابتليت به . لسان العرب : (منى) ٢٩٣/١٥ .
 دَوَارٌ : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وآخره راء : سجن باليمامة ، يُنْظَرُ : معجم البلدان :
 ٤٧٨/٢ .

إِذَا تَحَرَّكَ بَابُ السَّجْنِ قَامَ لَهُ قَوْمٌ يَمْدُونُ أَغْنَاؤًا وَأَبْصَارًا

استبدل الشاعر كلمة (دوار) في البيت الثالث بكلمة (السجن) في البيت الأول ، ثم عاد يستبدل بكلمة (دوار) الكلمة المبدلة مرة أخرى في البيت الرابع.

ومثله عند جحدر العكلي^(١) : [البسيط]

مَا رَبُّ أَبْغَضُ نَبَتٍ عِنْدَ خَالِقِهِ بَتَّ بِكَوْفَانٍ مِنْهُ أَشْعَلَتْ سَقَرُ
مَثْوَى تَجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ شَتَّى الْأُمُورِ فَلَا وَرْدَ وَلَا صَدْرُ
دَارٌ عَلَيْهَا عَفَاءُ الدَّهْرِ مَوْحِشَةٌ مِنْ كُلِّ إِلْسٍ وَفِيهَا الْبَذْوُ وَالْحَضَرُ

في هذه القطعة استبدل الشاعر استبدالا اسميًا عن المكان الذي سجن فيه ، ولم يصرح بواحد منها بلفظ (السجن) الاسم الأول (بيت) ، ووَسَمَهُ بأنه أبغض بيت ، والاسم الثاني (مَثْوَى) وهو المنزل^(٢) ، والاسم الثالث (دار) ، وقد استبدل البيت بمَثْوَى ثم استبدل المَثْوَى بالدار .

٢- الاستبدال الفعلي :

يعبر عنه الفعل البديل أو الكنائي : حيث يأتي بمعنى الفعل السابق له ، فيحافظ على استمرار محتوى الفعل السابق^(٣) .

هذا ما قرره كل من (هاليداي ورقية حسن) فيما جاء في اللغة الإنجليزية أما اللغة العربية فيأتي مثل هذا الاستبدال عندما يكون الفعل الثاني مرادفًا للأول مثل قول السمهري العكلي^(٤) : [التطويل]

(١) شعراء أمويون : ١٧٣/١ ، كوفان هي الكوفة ، يُنظَر : معجم البلدان : ٤٩٠/٤ .
والعَفَاءُ : الدُّرُوسُ ، قال : على آثار مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ تَقُولُ : عَقَبَ الدَّيَارُ تَعَفُّو عَفْوًا ،
وَالرَّيْحُ تَعَفُّو الدَّارَ عَفَاءً وَعَفُوءًا وَتَعَفَّتِ الدَّارُ وَالْأَثَرُ تَعَفَّى ، العين : (عفو) ١٩٢/٣ .

(٢) لسان العرب : (ثَوَى) ١٢٥/١٤ «ثَوَى بِالْمَكَانِ نَزَلَ فِيهِ وَبِهِ سَمِيَ الْمَنْزَلُ مَثْوًى
وَالْمَثْوَى الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقَامُ بِهِ»

(٣) يُنظَر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٤ .

(٤) شعراء أمويون : ١٤٣/١ .

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَابِي يُنْشِنُ أَغْلَى رِنْبِهِ وَيُطَايِرُهُ
يطايره وينشئ : « قال ابن الأعرابي : النَّشُّ النِّصْفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَنْشِنُ
الشَّجَرُ أَخَذَ مِنْ لِحَائِهِ ، وَنَشَنَ السَّلْبُ أَخَذَهُ وَالْمِنْشَةُ بِالْكَسْرِ مَا يُنْشُ بِهِ
الذِّبَابُ وَيُطْرَدُ »^(١) . ومنه قول جعفر بن عتبة الحارثي^(٢) : [الطويل]

أَشَارَتْ لَنَا بِالْكَفِّ وَهِيَ حَزْبَةٌ ثَوْدَعُهَا إِذْ لَمْ يُودَّغْ سَلَامُهَا
والإشارة باليد توديع ، وقد استبدل الشاعر الفعل (تودعنا) بالفعل (أشارت
لنا بالكف) ، وقد يأتي الاستبدال في الفعل المفسر للفعل كما في إبداله (لم
أنكل) بالفعل (كررت) ، كما قال المَرَارُ الفقعسي^(٣) : [الطويل]

لَقَدْ عَلِمْتُ أُولَى الْمَغِيرَةِ أَنِّي كَرَرْتُ فَلَمْ أَكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا
فكررت يفسرها لم أنكل ، ومن هذا الاستبدال أيضًا قول السمهري
العكلي^(٤) : [الطويل]

إِذْنٌ لَبَكْتُ لَيْلَى عَلَيَّ وَأَعُولْتُ وَمَا نَأَلْتُ التَّوْبَ الَّذِي أَنَا لَا بَسُ
فأعولت استبدلت بكلمة (بكت) ، ومعنى أعولت بكت وكررت البكاء في
اللغة أعول الرجل يعول إعوالا إذا ردد البكاء^(٥) .

(١) تاج العروس : (نشئ) ٤١٥/١٧-٤١٦ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٩٥/١ .

(٣) ينظر : شعراء أمويون : ٤٦٤/٢ . وَكَرَّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ ؛ وَرَجُلٌ كَرَّارٌ وَمِكْرٌ ، وَكَذَلِكَ
الْفَرَسُ . وَكَرَّرَ الشَّيْءُ وَكَرَّرَهُ : أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . لسان العرب : (كرر)
١٣٥/٥ . نَكَلَ الرَّجُلُ عَنِ الْأَمْرِ يَنْكُلُ نَكُولًا إِذَا جَبَنَ عَنْهُ ، لسان العرب : (نكل)
٦٧٧/١١ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٠/١ ، شعراء أمويون : ١٤٤/١ .

(٥) ينظر : لسان العرب : (عول) ٢٨٣/١١ ، تاج العروس : (عول) ٧٣/٣٠ .

٣- الاستبدال القولي^(١) :

يستبدل فيه بالقول السابق كلمة واحدة تعوض عنه ، ويكون بالألفاظ منها (هنا ، ذلك) . يظهر هنا جلياً في قول مالك بن الربيع^(٢) : [المتقارب]
 تُسَالِلُ شَهْلَةَ فُقَالَهَا وَكُسَالُ عَنْ مَالِكٍ مَا فَعَلُ
 نَوَى مَالِكُ بِبِلَادِ الْعَدُوِّ تَسْفِي عَلَيْهِ رِيَاخُ الشَّمْلِ
 لِذَلِكَ شَهْلَةُ جَهْرَتِي وَقَدْ حَالَ دُونَ الْإِيَابِ الْأَجَلُ

استبدل الشاعر بالقول الذي تضمن سرد القصة لفظ (ذلك) ، وهنا يظهر تعاقب الاستبدال بالإحالة فالأداة فيهما واحدة ، فالناظر إلى عنصر الإشارة فيها ينظر إلى الإحالة والناظر إلى عنصر التعويض ينظر إلى الاستبدال ويكثر الاستبدال القولي في غير هذه الألفاظ فيتقدم الكلام بالفعل (قال) ومشتقاته ، ويأتي بعده مقول القول ليحل محلها استبدالاً ، مثاله يظهر في قول تليد الضبي^(٣) : [الطويل]

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا ثَلِيدُ بِتَوْبَةٍ وَفِي النَّفْسِ مَنِي عَوْدَةٌ مَأْغُودُهَا
 فقد استبدل القول بـ (يقولون) عبارة (جاهد يا تليد بتوبة) .

كما قد يكون من غير ألفاظ القول كما في قول القتال الكلابي^(٤) : [الكامل]
 مِنْ وَسْطِ جَمْعِ بَنِي قُرَيْطٍ بَعْدَمَا هَتَفْتُ رُبْعَةً يَا بَنِي جَوَابٍ
 فالفعل بـ (هتف) استبدل جملة النداء (يا بني جواب) .

(١) عبر عنه أيضاً بالاستبدال الجملي ، أو الاستبدال العباري ، يُنظَر : لسانيات النص : ٢١ ، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٥ ، وكان اختيار البحث للعنوان المذكور تجنباً للخلط بين مصطلح الجملة والفعل في القسم الثاني .

(٢) شعراء أمويون : ٣٨/١ . وفي لسان العرب : (شمل) ٣٦٦/١١ «فإذا أن يكونَ عَلَى التَّخْفِيفِ الْقِيَاسِيُّ فِي الشَّمَالِ ، وَهُوَ حَذْفُ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءُ الْحَرَكَةِ عَلَى مَا قَبْلَهَا ، وَإِذَا أَنْ يَكُونَ الْمَوْضُوعُ هَكَذَا» .

(٣) ديوان اللصوص : ١٤١/١ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٣٦ .

المبحث الرابع

الحذف

تعريف الحذف :

الحذفُ في اللغة الإسقاط ، وهو من « حَذَفَهُ ، يَحْذِفُهُ ، حَذْفًا : أَسْقَطَهُ »^(١) ، وقد فرق الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بينه وبين الإضمار لأنَّ شَرْطَ الْمُضْمَرِ بَقَاءُ أَثَرِ الْمُقَدَّرِ فِي اللَّفْظِ فَيَأْتِي مِنْ بَابِ اسْتِثْقَاةٍ ، وهذا من دلالة أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ : أَخْفَيْتَهُ ، وهذا لا يشترط في الحذف^(٢) ، يقول الدكتور طاهر حمودة « الواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداء من سيبويه »^(٣)

يقول (هاليداي ورقية حسن) : إن « الحذف علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية »^(٤) . هذا التعريف يتناسب مع تفريق الزركشي بين الحذف والإضمار ؛ ليكون الحذف النصي هو الإضمار عند الزركشي .

ويمكن تعريفه بأنه : « الاستغناء عن عنصر لغوي في التركيب بالمذكور لوجود قرائن لفظية أو معنوية أو سياقية تدل على هذا المحذوف »^(٥) .

(١) تاج العروس : (حذف) ١٢١/٢٣ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . د . ط ، ٢٠١٢م : ٦٧/٣ .

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدكتور طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، د . د . ط ، ١٩٩٨م : ٢٠ .

(٤) ينظر : (Cohesion In English P.P: 144) ، نقلا عن : لسانيات النص : ٢١ .

(٥) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٣٠ .

وقد تنبّه الدكتور صبحي إبراهيم الفقي على أن المرجعية للمحذوف لا تنحصر في المرجعية القبلية أو السابقة ، وإنما « إذا كانت بين المحذوف والمذكور فهي داخلية لاحقة ، أما إذا كانت بين المذكور والمحذوف على الترتيب فإنها تكون داخلية سابقة ، أو لنقول إنها مرجعية داخلية متبادلة »^(١).

وهذا النوع من الحذف هو ما يحدث عملية التماسك النصي عند (هاليداي ورقية حسن) ؛ لأنّ بعض مرجعيات الحذف تكون أحياناً « خارجية تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال ، لكن الحذف المرجعي للخارج - خارج النص - ليس له مكان في التماسك »^(٢).

وقد استوقف رأي (هاليداي ورقية حسن) في عدم أهمية الحذف ذي المرجعية الخارجية في عملية التماسك الدكتور محمد عبد الباسط عيد ليقول : « هذا ما لا تؤيده النصوص حتى لو اقتصر مفهوم النص على الوجود المادي المكتوب وعزلناه عن محيطه وسياقه الخارجي فإنّ هذا السياق فاعل في تلقي النص فاعل في بنيته التي تأثرت حذفاً وذكراً بالسياق الخارجي »^(٣) ، وما ذهب إليه توظيف لقضية لا حذف إلا بقرينة وقد تكون هذه القرينة خارجية - التي سيتم مناقشة دورها في عملية التماسك - وبالتالي يحدث بين المحذوف وهذه القرينة وإن كانت خارجية نوع تكرر يسهم في تماسك النص .

وعلاقة الحذف بالاستبدال من جهة الاتساق أنّه استبدال بالصفّر^(٤) « إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء ، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغاً

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢٠٣/٦ .

(٢) (Cohesion In English P.P : 144)، نقلاً عن : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢٠١/٢ .

(٣) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تأليف الدكتور محمد عبد الباسط عيد ، تقديم الدكتور صلاح رزق ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠٠٩م : ١٨٣ .

(٤) ينظر : لسانيات النص : ٢١ .

بنويًا يهتدي القارئ إلى ملئه بالاعتماد على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق»^(١).

وقد ميز (محمد خطابي) بين الحذف في الجملة الواحدة والحذف بين الجمل ، وقرر أن الحذف في الجملة « غير مهم من حيث الاتساق ؛ وذلك لأنَّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساق ، وبناء عليه فإن أهمية دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة »^(٢).

وهذا التقسيم محل نظر فلا يُسلم له أن الحذف في الجملة لا يقوم بأي دور في تماسك النص ولا أن العلاقة بين طرفي الجملة مجرد علاقة بنوية ؛ وذلك أن لا حذف إلا بقرينة تدل على المحذوف ، ثم إن كان الحذف بين الجمل أظهر لدوره في التماسك ، فلا ينبغي قصره دون الحذف داخل الجملة .

أقسام الحذف :

قسّم (هاليداي ورقية حسن) الحذف إلى^(٣) :

- ١- الحذف الاسمي : وهو حذف اسم داخل المركب الاسمي ، ومثاله عندهما : « أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن » . يعلق محمد خطابي على المثال في الحذف الاسمي بقوله : « واضح أن (القبعة) قد حذفت في الجواب »^(٤).
- ٢- الحذف الفعلي : وقصد به الحذف داخل المركب الفعلي^(٥) ؛ أي : « الحذف داخل المجموعة الفعلية »^(٦).

(١) يُنظَر : لسانيات النص : ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١ .

(٣) يُنظَر : (Cohesion In English P.P : 145) ، نقلا عن : لسانيات النص : ٢١ وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٨ .

(٤) يُنظَر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢٠٢/٢ ، علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٨ .

(٥) يُنظَر لسانيات النص : ٢٢ .

(٦) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٨ .

٣- الحذف الجملي : وأكثر ما يكون هذا الحذف عندهما في الجملة الاستفهامية^(١).

الذي يظهر من هذا المثال أن الحذف عندهما ليس كالحذف في اللغة العربية على مستوى التراكيب بل هو عين ما أطلقا عليه الإحالة الضميرية ، وليس ما ذكرا من مثال منطبق على الاستبدال الصفري بل أبداً الضمير (هي) بـ (القبة) ، فيمكن أن يصدق عليه عنوان الحذف الاستبدالي .

وقد عرض الدكتور صبحي إبراهيم الفقي لخمس أقسام من الحذف رأى فيها أنها أكثر الأنماط قياماً بمهمة التماسك النصي ، وهي : حذف الاسم ، حذف الفعل ، حذف العبارة ، حذف الجملة ، حذف أكثر من جملة^(٢) .

الحذف في العربية :

الحذف في اللغة العربية غير مقتصر على أنماط محددة من الكلام ؛ فهو يشمل الأصوات والحركات والحروف والمفردات والجمل بل يتعدى الحذف إلى أكثر من جملة^(٣) .

١- حذف الاسم :

يكثر الحذف في الأسماء حتى يصدق بحقه القول إنه لا يستثنى باب من أبواب النحو ، فيقع في المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والمضاف والمضاف إليه والنعت والمعطوف والمستثنى والحال والتمييز وغيرها^(٤) . ومن هذا الحذف ما جاء في قول فضالة بن شريك الأسدي^(٥) : [الوافر]

(١) يُنظَر لسانيات النص : ٢٢ .

(٢) يُنظَر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١٩٦/٢ .

(٣) يُنظَر : الخصائص : ٣٦٠/٢ ، أصول التفكير النحوي ، الدكتور علي أبو المكارم ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، ط١/١ ، ٢٠٠٧م : ٢٥٩ .

(٤) يُنظَر : مغني اللبيب : ٤٠٧/٦ - ٤٦٥ ، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٩٠ - ٢٤٤ .

(٥) يُنظَر : معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٨ . الصُّكُّ : الضَّرْبُ الشَّدِيدُ بِالشَّيْءِ الْعَرِيسِ ، وقيل : هو الضَّرْبُ عامة بأيِّ شَيْءٍ كان ، لسان العرب : (صكك) ٤٥٦/١٠ .

وَأَنَّكَ لَوِ شَهِدْتَ بِكَاءِ هِنْدٍ وَرَمَلَةٍ إِذْ تَصُكَّانِ الْحُدُودَا

فالحذف في الاسم المعطوف وإقامة المضاف إليه مقامه أي : وبكاء رملة

٢- حذف الفعل وحده :

قد يحذف الفعل وحده من الكلام ويبقى مرفوعه دليلاً عليه ، مع التنبيه على أن حذف الفعل قد يطلق ويراد به غالباً حذفه مع مرفوعه ، ويسمى حذف الجملة^(١).

يقول ابن جني : « وذلك بأن يكون الفاعل مفصلاً عنه مرفوعاً به وذلك نحو قولك : أزيد قام ، فزيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل ؛ لأنك تريد : أقام زيد؟ ، فلما أضمرته فسرته بقولك : قام ... »^(٢).

والعلة التي اعتمدها (ابن جني) لتحديد كون الفعل حذف وحده أو حذف مع مرفوعه هي أن لا يرفع فاعلان بالفعل الواحد ، في حالة كون الفعل المحذوف بعده اسم مرفوع^(٣).

وأما ابن هشام فجعل من التفسير علة في اطراد الحذف ، فقال : « ويترد حذفه مفسراً نحو : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ (النوبة: ٦) ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق: ١) ، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الإسراء: ١٠٠) ، والأصل : لو تملكون تملكون ، فلما حذف الفعل انفصل الضمير^(٤).

(١) يُنظَرُ : المقتضب : ٢١٦/٣ ، أسرار العربية : ٢٣٨/١ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، ومعه : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ببيروت ، د . ط ، د . ت : ٨٦/٤ .

(٢) الخصائص : ٣٨٠/٢ .

(٣) يُنظَرُ : المصدر نفسه : ٣٨٠/٢ .

(٤) مغني اللبيب : ٤٥٣/٦ .

ومنه قول القتال الكلابي ^(١) : [الكامل]

وَإِذَا الْقُرُومُ سَمَتْ لَنَا أَعْنَاقُهَا نَحْثُو إِلَيْهَا بِالْهَجَانِ الْمَزِيدِ
وفيه فعل محذوف يفسره الفعل بعده فتقديره : وَإِذَا سَمَتْ الْقُرُومُ سَمَتْ لَنَا
أَعْنَاقُهَا .

٣- حذف الجملة من الكلام :

إن تجنب الإطالة أهم الدوافع وراء حذف الجملة من طبقات الكلام ؛ لذلك
نلاحظ أن حذفها يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة ، وهي أساليب :
الشرط والقسم والعطف والاستفهام ، وبعد (إذا) التي تضاف إلى الجملة ^(٢) ،
فهي أساليب تتسم بالطول قياساً بالتراكيب الأخرى في العربية .

والحذف هنا - وإن كان لجملة كاملة من الكلام - غير أنه يلزم بقاء دليل
عليه قال ابن جني : « فأما الجملة فنحو قولهم في القسم : والله لا فعلت وتالله
لقد فعلت . وأصله : أقسم بالله فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال - من الجار
والجواب - دليلاً على الجملة المحذوفة . وكذلك الأفعال في الأمر والنهي
والتحضيض ^(٣) »

وقد أحصى الدكتور طاهر سليمان حمودة موارد حذف الجملة في اللغة
العربية ، وقسمها إلى قسمين : الحذف في الأساليب والحذف في التراكيب

(١) ديوان القتال الكلابي : ٤٣ القرم : الْفَحْلُ الَّذِي يُتْرَكُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالْعَمَلِ وَيُودَعُ
لِلْفَحْلَةِ ، وَالْجَمْعُ قُرُومٌ ، الْقَرْمُ مِنَ الرِّجَالِ : السَّيِّدُ الْمَعْلُومُ ، لسان العرب : (قرم)
٤٧٣/١٢ ، وأصل الهجان البيض ، وكلُّ هجان أبيض . والهجان من كلِّ شيء :
الخالص ، لسان العرب : (هجن) ٤٣٣/١٣ ، وَزَيْدٌ شَيْدُقٌ فَلَانَ وَتَزَيْدٌ بِمَعْنَى . والزَّيْدُ :
زَيْدُ الْجَمَلِ الْهَانِجِ وَهُوَ لُغَامُهُ الْأَبْيَضُ الَّذِي تَنْلَطِقُ بِهِ مَشَافِرُهُ إِذَا هَاجَ ، لسان العرب :
(زيد) ١٩٣/٣ ، ومثله قوله : إذا الرفاق مع الرفاق أهمها ؛ أي : إذا أهم الرفاق ،
ديوان القتال الكلابي : ٦٩ .

(٢) ظاهرة الحذف : ٢٨٤ .

(٣) الخصائص : ٣٦٠/٢ .

الأخرى ، فمن الأساليب الحذف في النداء والاختصاص والإغراء والتحذير والمدح والذم والقسم ، ومن الحذف في التراكييب الأخرى الحذف في الاشتغال وبعد الأدوات التي تختص بالأفعال ، والحذف في الأمثال وفي كان وجملة الصلة ، وعمل المفعول المطلق ، وكذا الحذف في الاستفهام ، وحذف كان واسمها وبقاء الخبر ، وحذف فعل القول وحذف الفعل (اذكر) ^(١) . قال شبيب ابن عمرو الطائي ^(٢) : [الرجز]

هل لك أن تدخل في جهنم
قلت لها لا والجليل الأعظم

هنا جملة محذوفة في جواب الاستفهام بـ (هل) : تقدر بـ (لا أستطيع أن أدخل جهنم)

وبما أن الكلام عن الحذف في هذا البحث لا يستهدف سرد قضيته ولا الخلاف فيها ، أكتفي بذكر جلّ مظان ورودها ؛ إظهاراً لمكانة هذه الظاهرة في الدرس اللغوي عند العرب ، ولعل شيوع هذه الظاهرة في العربية يظهر مدى تماسك النص العربي من خلال دلالة اللزوم ، لما يقتضيه الحذف من تماسك في النص ، فالنص العربي تتوافر فيه خاصية التماسك من خلال الحذف بدرجة عالية .

كيفية حدوث التماسك من خلال الحذف .

ينتج التماسك من خلال الحذف فيما يأتي :

١ - الدليل على المحذوف .

إن شرط النحاة في الحذف في جميع مستوياته هو الدليل على المحذوف وهذا الدليل لازم ^(٣) لعملية الحذف ويتمثل في قرينة ؛ مصاحبة حالية أو مقالية ،

(١) ينظر : فاهرة الحذف : ٢٥٤-٢٦٤ .

(٢) ينظر : لسان العرب : (هلل) ٧٠٩/١١ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٢٥٣/١ ، ٢٥٨ ، الخصائص : ٣٦٤/٢ ، مغني اللبيب : ٣١٧/٦ ، والبرهان في علوم القرآن : ١٠٢/٣ ، ردّ على النحاة بقوله : وأما قول النحويين : الحذف لغير دليل ويسمى «اقتصاراً» ، فلا تحرير فيه ؛ لأنه لا حذف فيه بالكلية .

وهذه القرائن لازمة للحذف سواء كان الحذف واجباً أم جائزاً^(١) «وأن الحذف في ظل وجود الدليل والقرينة الدالة عليه يتلاءم مع أهم خصائص العربية وهي الإيجاز»^(٢).

قال جعفر بن عتبة الحارثي^(٣) : [الطويل]

وَقَالُوا لَنَا ثَنَانٌ لَا بُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ أَوْ سَلَامِلُ
ففي الشطر الأول حذف للمضاف المجرور (إحدى) تقديره : لا بُدَّ من إحداهما ؛ فالقرينة اللفظية التي دلت على الحذف هي المضاف إليه الضمير (هما) لعلم السامع ، وأما قرينة السياق فقد ذكرها (ابن جني) في أحد قوليهِ في توجيه هذا البيت ، وهي أن «أو» في الشطر الثاني توجب أحد الشئين لا كليهما^(٤) .

ولا يخفى ما في هذا الدليل من مرجعية تضيي على طرفي عملية الحذف تماسكاً ملحوظاً . يقول فضالة بن هند بن شريك الأسدي^(٥) : [الطويل]

(١) يُنظَر : المقتضب : ٨١/٢ ، الإيضاح في علوم البلاغة : ٩٨ ، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٦ .

(٢) السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ، تأليف الدكتور محمد سالم أبو غفرة ، تقديم الدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠١٠م : ١٢٠ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٣/١ .

(٤) يُنظَر : التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٥ .

(٥) يُنظَر : أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ) ، تحقيق : أحمد زكي ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ط/٤ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ٣٩ . والحِفاظ : الذَّبُّ عن المحارم والمنع لها عند الحروب ، والاسم الحفيظة ، يُنظَر : لسان العرب : (حفظ) ٤٤٢/٧ وحالبت الرجل إذا نصرتَه وعاونته . وحلائب الرجل : أنصاره من بني عمه خاصة . لسان العرب : (حلب) ٣٣٢/١ .

أَنَاصِحُ شَمْرٌ لِلرَّهَانِ فَإِنَّهَا عَدَاةُ حِفَاطٍ جَمَعَتْهَا الْخَلَابُ
المنادى بالهمزة هو فرسه (ناصح) وقد دلت الهمزة على ما حذف وهو
الفعل (أنادي) .

٢- التكرار التقديري :

يأتي هذا التكرار من الناحية الدلالية « ، لأنَّ المحذوف يعامل - من ناحية
الدلالة على الأقل - معاملة المذكور »^(١) مع العرض أن هذا التكرار قد يكون
باللفظ وحده أو بالمعنى وحده أو يكون لفظاً ومعنى ، وذلك بحسب القرينة
والدليل^(٢) .

وبما أن التكرار غير واقع في ألفاظ الكلام بل يكون تقديراً ، يمكن أن يطلق
البحث التكرار التقديري على هذا النوع من التكرار .

لأنَّه تكرر لا يقع إلا بالتقدير أي تقدير المحذوف ، وهذا التكرار هو الذي
يسهم فعلياً في عملية التماسك بين جملتين وقع في أحدهما حذف وجاء في
الأخرى الدليل .

ففي المثال السابق من قول جعفر بن علبة الحارثي : إذ التقدير : لا بد
من إحداهما فلفظ (إحدى) عند التقدير يكون ذكراً فيكون : صدور رماح
أو سلاسل ، تكراراً لها ، وتكون (إحدى) مرجعية لصدور رماح ولسلاسل ،
يفهمان بها .

٣- المتلقي :

إن الفقرتين السابقتين (الدليل ، والتكرار) ، لا شك أنَّهما أهم عنصرين
يحدثان التماسك في الكلام من خلال الحذف ، غير أنَّهما متوقفتان على

(١) علم اللغة النصي : ٢٤٦ ، وقد بين أنَّه : « تكرار اللفظ نفسه بعد إعادة المحذوف » :
٢٠٠ .

(٢) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٠٨-٢٠٩ .

(المتلقي) - في حقيقة الأمر - ؛ لأنَّ الحذف « غياب يستكملة المتلقي »^(١) فهو الذي يقوم بعملية التقدير ، وهو المقصود من وراء ذلكم المرشد الدال على المحذوف (الدليل) .

لذا جعل النحاة العرب علم المخاطب بالمحذوف قرينة لإجازة الحذف يقول (ابن السراج) عند كلامه عن حذف المبتدأ والخبر « وقد يعرض الحذف في المبتدأ وفي الخبر لعلم المخاطب ، بما حذف »^(٢) .

وعلم المخاطب هو قرينة حالية خارجية تكشف عن دور (المتلقي) ومهمته في عملية التماسك ، « فللمخاطب دور مركزي في عملية الحذف ، فهو الذي يوجهها ويتحكم بها »^(٣) ، ثم « إنَّ حضور ثنائية المذكور والمحذوف مما يعظم دور القارئ في إنجاز نصية النص »^(٤) .

ولعل قول النحاة (الأصل عدم التقدير) دليل يمكن توظيفه لدور المتلقي في إحداث عملية التماسك ، ولا سيما عند تقييد هذا الأصل ببعض المقيدات كقول ابن هشام : « الأصل عدم التقدير لاسيما فيما كثر استعماله »^(٥) ، فجعل من كثر الاستعمال تقوية لهذا الأصل ، وما الغرض الذي أراده (ابن هشام) من (كثرة الاستعمال) إن لم يكن سعة التداول حتى صار المعنى لدى كل متلقي لا يحتاج إلى كثير نظر أو كثير تفكير .

(١) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن : ١٨٦ .

(٢) الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ) تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط/٣ ، ١٩٩٦م : ٦٧/١ .

(٣) أصول تحليل الخطاب : ١١٧٥/٢ .

(٤) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن : ١٨٣ .

(٥) ينظر : مغني اللبيب : ٥٣٧/٢ ، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) حققه وقدم له بدراسة : الدكتور البدرائي زهران ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٨م : ١٢٤ ، ١٧٨ .

المبحث الخامس

الربط

تعريف الربط

عرف (دي بوجراند) الربط بأنه « يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات »^(١).

وقد ذكر قبل التعريف أن إعادة اللفظ والإحالة المشتركة والحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات ، فكأنه أراد التنبيه على دور الربط في التماسك إذ إنه ينبه على العلاقات ويظهرها ، فلقد ألمح بأن وجود الربط يوحي بوجود العناصر والصور المتعلقة ببعضها في عالم النص ، فقال : « ويشير الربط أيضاً إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص »^(٢).

وسائل الربط عند (دي بوجراند) وتطبيقاتها العربية :

ذكر (دي بوجراند) أربعة أنواع من وسائل الربط^(٣) يحدث الربط من خلالها ويكون هنا مقاربتها بالقواعد العربية وإدراج تحتها ما يمكن أن يعد مقابلاً لها :

أولاً : مطلق الجمع :

يربط مطلق الجمع صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين ، وأداته : « تشير إلى مجرد

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٤٦-٣٤٧ .

جميع الأحداث في نسق زمني وسببي ؛ ولأن هذه العلاقات يمكن استخراجها من المحتوى نجد أداة الربط (and) صالحة لأن يستغنى عنها»^(١).

وقد ورد هذا المصطلح في اللغة العربية في الكلام عن حروف العطف ، يقول الرضي (ت٦٨٨هـ) : « معنى المطلق أنه يحتمل أن يكون حصل من كليهما في زمن واحد ، وأن يكون حصل من زيدٍ أولاً ، وأن يكون حصل من عمرو أولاً ، فهذه ثلاثة احتمالات عقلية لا دليل في الواو على شيء منها»^(٢).

وقد فسر الأشموني معنى العطف مطلقاً بقوله : « فالعطف مطلقاً بالواو وثم وفا وحتى وأم وأو فهذه الستة تشرك بين التابع والمتبوع لفظاً ومعنى ، وهذا معنى قوله : مطلقاً»^(٣) ، فعلى حكم الزمن يكون الواو وحده لمطلق الجمع عند (دي بوجراند) وعلى قياس المعنى واللفظ تكون الحروف الستة هي لمطلق الجمع ، وهو ما أظهره النحاة لهذه الحروف وفيه امتياز للعربية في سعة ألفاظها وشمول قواعدها .

حرف العطف الواو :

يقول ابن هشام : « ومعناها مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه»^(٤) ، كما يلاحظ تقارب المراد من (متحدثين من حيث البيئة أو متشابهتين) عند دي بوجراند وعبرة (مصاحبة) عند ابن هشام ، ومدى توفيق ابن هشام (رحمه الله) للدلالة على صفة المعطوف في مطلق الجمع .

(١) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٨ .

(٢) شرح الرضي : ٣٨٢/٤ ، مع الهوامع : ٢٢٣/٥ .

(٣) شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى ، (منهج المسالك إلى ألفية بن مالك) حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٥٥م : ٤١٥ .

(٤) مغني اللبيب : ٣٥١/٤ .

ومن أمثلة مطلق الجمع في قول : طهمان بن عمرو الكلابي^(١) [البسيط]
 إِيَّيْ تَرَكْتُ بَنِي بَذَرٍ وَحَامِيَهُمْ أَذَلُّ لِلنَّاسِ مِنْ جَبَانَةِ السُّوقِ
 فحامي معطوفة بالواو على (بني) المنصوب بالياء على أنه مفعول به أول
 للفعل (ترك) ، وهو لمطلق الجمع والتشريك بالترك ، ويمكن حمله على
 عطف الخاص على العام ، إذ (الحامي) هنا هو (موزون بن عمير) وهو من
 بني بدر ، بدلالة عود الضمير إليهم في (حاميهـم).

ثانياً : التخيير : « ويربط التخيير صورتين أو أكثر من صور المعلومات
 على سبيل الاختيار إذ تكونان متحدتين في البيئة أو متشابهتين »^(٢).

التخيير في اللغة : « هو ترديد الأمر بين شيئين ولا يجوز الجمع بينهما »^(٣).
 وللتخيير في العربية أدوات منها :

أو : وهو حرف عطف ، يكون للتخيير بشرطين أحدهما : أن يقع بعد
 طلب والآخر : أن يمتنع الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه^(٤) . وفيه يقول
 السهمري العكلي^(٥) : [الطويل]

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٣٨ ، وفي لسان العرب : (حمى) ٣/٣١٣
 « والحامية : الرجل يحمي أصحابه في الحرب . وتقول : هو على حامية القوم ، أي :
 آخر من يحميهم في مضيهم وأنهزامهم » والجبانة ما استوى من الأرض وملس
 ولا شجر فيه ، لسان العرب : (جين) ١٣/٨٥ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .

(٣) الكليات : ١/٣٢ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ١/٤٠٠ .

(٥) شعراء أمويون : ١/١٤٦ ، وفيه ملامها وما أثبتته من : منتهى الطلب : ٣/٢٦٥ وديوان
 اللصوص : ١/٢٨٢ . والأثر والأثر والأثر ، على فعل ، وهو واحد ليس بجمع : فرئد
 السيف وروثقه ، والجمع أثور ، لسان العرب : (أثر) ٤/٨ . فقم الأمر يقيم فقمأ
 وفقومأ وفقسام : لم يجر على استواء ، مشتق من ذلك . لسان العرب : (فقم)
 ١٢/٤٧٥ .

وَكَيْفَ أَحْيَاهَا وَقَدْ لَذَرُوا دَمِي وَأَقْسَمَ أَفْرَامٌ مَخُوفٌ قَسَامُهَا
لَأَجْتَنِبَنَّهَا أَوْ لَيَتَّـدِرُنِّي بِيَضٍ عَلَيْهَا الْأَثَرُ فَقَمَّ كَلَامُهَا

هذا تهديد وقع في نفس الشاعر على التخيير ، مسبوق بطلب وهو من صيغة القسم وجوابه ، وتحقق فيه شرطه إذ لا يمكن أن يجمع بين اجتنابها وابتدارهم له بالسوف .

ولعل التماسك الذي يحدثه التخيير يتأتى من أن « التخيير بين شيئين يدل على المساواة بينهما وبين الإقدام على أحدهما »^(١) ، إذ إن علاقة المساواة هي من علاقات التماسك داخل النص فالتساوي بين شيئين واتاحة الانتقاء بينهما يظهر قوة في البناء النصي .

٢- إما : اختلف النحاة في كونها عاطفة^(٢) ، وشرطها أن تكون مكررة ومن معانيها التخيير^(٣) ، وشرط هذا المعنى أن تكون بعد طلب . وقد جاءت في قول القتال الكلابي^(٤) : [البسيط]

يَا بِنْتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لَوْ وَهَبْتَ لَنَا ثَنِينَ مِنْ مُحَكَّمٍ بِالْقَدِّ أَوْ تَارِي
إِمَّا جَدِيدًا وَإِمَّا بَالِيَا خَلَقَا عَاذَ الْعَذَارَى لِقَطْعِهِ بِأَسْجَارٍ

وقد يكون التخيير من غير أداة لدلالة الكلام عليه .

(١) نقل ابن مالك : أن أكثر النحويين على أنها عاطفة ، ونقل ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) اتفاق النحويين على أنها ليست بعاطفة ، ينظر : الجني الداني : ٥٢٨-٥٣٠ ، ومغني اللبيب : ٣٨٣/١-٣٨٣ ، وشرح الكافية الشافية ، تأليف العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي ، تحقيق : الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث ، المملكة العربية السعودية ، ط/١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م : ١/١٢٢٦ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ٣٨٧/١ ، شرح التصريح : ٤٧٧/١ .

(٣) الكلبيات : ١٠١٥/١ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٥٩ . القَدِّ : سير يقَدُّ من جلد غير ملبوغ ، العين : (قدد) ٣٦٤/٣ .

وهو ما نبه عليه (دي بوجراند) في كلامه عن عدم التصريح بوسائل الربط فقال : « هذه العلاقات المختلفة بين صور المعلومات يمكن في الغالب أن تقع دون التصريح بوسيلة الربط ؛ ذلك بأنَّ للناس طرقاً تنبؤية لتنظيم المعلومات »^(١)، غير أنَّه يخص مصطلح الربط بالعناصر الملفوظة دون غيرها ، فيقول : « ويبدو من المقبول أن تستعمل مصطلح الربط حيث يكون هناك روابط ملفوظة فقط »^(٢).

وقد فطن ابن هشام من قبل إلى بعض منها عند كلامه عن (إن لا) التي قد تقع مكان (إما) فقال : « وقد يستغنى عن إما الثانية بذكر ما يغني عنها نحو : إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت »^(٣) ، فـ (إن لا) والواو ليسا من أدوات التخيير غير أن السياق الذي قد ينتظم به يجعل منهما يفيدانه ، وما وردت به الواو في شواهد ظاهرها التخيير يؤولها ابن هشام بحذف المجرور ، ونقل عن النحاة أن التخيير فيها من جهة المعنى أي معنى الكلام ، وهو ما فسرت به بالسياق أو أنَّها تأتي لتخيير في المجاز^(٤).

ثالثاً : الاستدراك : Contrajnnction :

يقول عنه (دي بوجراند) : « يربط الاستدراك على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض »^(٥) .
أما الاستدراك في العربية : فهو « دفع توهم يتولد من الكلام المتقدّم دفعاً شبيهاً بالاستثناء »^(٦) . والأدوات التي تكون للاستدراك هي :^(٧)

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٤٧ .

(٣) مغني اللبيب : ٣٩٤/١ ، وينظر : شرح الكافية الشافية : ١/١٢٢٧ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ٣٧١/٤ - ٣٧٢ .

(٥) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٦ .

(٦) الكلّيات : ١١٥ ، وينظر : همع الهوامع : ١٤٨/٢ ، ١٤٩ .

(٧) ذكرت تحت هذه الأدوات ، أشهرها وهي أربعة ، وقد يرد معنى الاستدراك من خلال بعض الأدوات ، مثل ما ذكر ابن هشام من معاني (على) الاستدراك ، فقال : « أن =

١- لكن: «المشددة»: حرف من الحروف الناسخة للجملة الاسمية ، فهي « الناصبة للاسم الرافعة للخبر ومعناها الاستدراك »^(١) ؛ أي يثبت الكلام بها بعد نفيه ويستدرك بها مشددة كانت أو مخففة^(٢) .

ويراد من المخففة أنها خففت من الثقلة أو المشددة « وهي التي تكون بعدها الجملة الاسمية لا غير ؛ لأن أصلها أن تكون مشددة عاملة عمل (إن) في المبتدأ والخبر رفعاً ونصباً فإذا خففت بطل عملها »^(٣) . يمثل هذا قول جعفر بن عتبة الحارثي^(٤) : [الطويل]

فَلَوْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِ صَبَابَةٍ لَاذْرَيْتُ عَيْبِي ذَمْعًا لَا أَلْمُهَا
وَلَكِنْ لِي عَيْنًا كَثُومًا بِمَانِهَا جَمُودًا بِمَاءِ التَّاطِرِينَ السَّجَامِهَا

إن جعفر بن عتبة قدم استدراكه ، بكلام يمكن أن تتوهم معانيها ، فلو كنت أبكي لاذريتُ يمكن حملها على أنه يبكي فعلا من صبابته ، لولا استدراكه (لكن لي عينا جمودا) فهو لم يبك ، فدفع بهذا الاستدراك ما يمكن توهمه ، كما أنه بهذا الأسلوب يربط بين صورتين (البكاء) و (عدم البكاء) متضادتين .

وجاء الاستدراك عند الخطيم المحرزي^(٥) في قوله : [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَحْبَبْتُ عَزْرَةَ عَنْ صِي صَبْتُهُ وَلَا تَسْبِي فُوَادِي نَعْمُودَا
وَلَكِنِّي أَبْصَرْتُ مِنْهَا مَلَاحَةً وَوَجْهًا ثَقِيًّا لَوْلَدُ غَيْرِ أَلْكَدَا

== تكون للاستدراك والإضراب ، كقولك « فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على

أن لا يبأس من رحمة الله » ، مغني اللبيب : ٣٨٢/٢ .

(١) وصف المباني في شرح حروف المعاني ، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي ، (ت ٧٠٢هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج ١ ، ط ١ ، د . ت : ٢٧٨ .

(٢) ينظر : الأصول في النحو : ٢٢٩/١ ، شرح المفصل : ٧٩/٨ - ٨٠ ، معاني النحو : ٣٠٨/١ .

(٣) وصف المباني : ٢٧٧ ، ينظر : همع الهوامع : ١٨٨/٢ .

(٤) ديوان اللصوص : ١٩٥/١ . عَيْنُ جَمُودٍ : لَا ذَمْعَ لَهَا ، لسان العرب : (جمد) ١٢٩/٣ .

(٥) شعراء أمويون : ٢٦٢/١ .

يستثني الخطيم من نفيه ما أحب من عزة ، إبطاره ملاحظتها ووجهها الصافي
السمح ، مستدركا من خلال (لكن) بعض أسباب الحب ، فربط بين متناقضين
الحب وعدمه . وفيه أيضاً يقول مالك بن الريب^(١) : [الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمَحِ الرَّذِيئِ بَاكِياً
وَأَشْقَرُ مَخْبُوكَا يَجُرُّ عَنَائَهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرَكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وَلَكِنْ بِأَكْنَافِ السُّمْنَةِ نِسْوَةٌ عَزِيْزَةٌ عَلَيَّهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِيَا

لم يجد مالك بن الريب من يبكي عليه سوى جمادات (السيف والرمح)
وبهيمة (فرسه) ، ثم يستدرك به (لكن) ليذكر النسوة ، فهن استثناء من عدم
وجود باكية عليه .

٢- لكن : «الخفيفة» : وهي حرف عطف ، وما بعدها يأتي مخالفاً
لما قبلها لمعنى الاستدراك فيها^(٢) ، ولا بد من ثلاثة شروط حتى تكون
عاطفة^(٣) ، الأول : إفراد معطوفها ، والثاني : أن تكون مسبقة بنفي أو نهي ،
والثالث : أن لا تقترن بالواو .

« وإذا كانت معها الواو فالعطف بها لا بلكن ، فالاستدراك لازم والعطف
عارض فيها »^(٤) . وقد جاءت في قول السمهري العكلي^(٥) : [الطويل]

(١) شعراء أمويون : ٤٣/١ - ٤٤ . السُّمْنَةُ : بلفظ تصغير سمنة كأنه قطعة من السمن ،
وهو أول منزل من النجاج للقاصد إلى البصرة ، معجم البلدان : ٢٥٨/٣ .

(٢) يُنظَرُ : الأصول في النحو : ٥٧/٢ ، خلافاً ليونس بن حبيب وابن مالك ، يُنظَرُ :
المساعد على تسهيل الفوائد : ٤٤١/٢ ، شرح التصريح : ٤٧٨/٣ ، وابن مالك في
شرح التسهيل : ٣٨/٢ ، يضعف قول يونس والاختش في أعمالها مخففة .

(٣) يُنظَرُ : شرح التصريح : ٤٧٨/٣ - ٤٨٢ .

(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)
تحقيق غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٥ م :
٤٢٧/١ .

(٥) شعراء أمويون : ١٤٥/١ . فَرَزَعٌ فَرَزَعًا ، أي فَرَق . وهو لنا مَفَزَعٌ ، العين (فزع)
٣٢٠/٣ . السُّرَى : سير الليل ، وكل شيءٍ طرُق ليلاً فهو سَارٍ . العين : (سرى) ٢٤٢/٢ .

وَمَا كُنْتُ مَخِيَارًا وَلَا فَرْعَ السُّرَى وَلَكِنْ حِذَا حَجَرٍ بِغَيْرِ دَلِيلٍ
جاءت لكن هنا مقترنة بالواو . ويمكن تسمية شرطاً رابعاً لها ؛ وهو
ألا تكون مثقلة النون ؛ لأنَّ (لكنَّ) وإن كانت تفيد الاستدراك لكنها ليست
عاطفة^(١).

٤ - بل : حرف إضراب واستدراك قال ابن هشام : « حرف استدراك وإضراب ،
فإنها بعد النفي والنهي بمنزلة لكن سواء »^(٢) . وفيها يقول الخطيم
المحرزي^(٣) : [الطويل]

وَمَا لَمْتَنِي فِي حُبِّهَا بَلْ عَذَرْتَنِي فَأَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدٍ بِعِزَّةٍ مُقْصِدًا
أي : ما لمتني لكن عذرتني .

٤ - (إلا) في الاستثناء المنقطع :

نص النحاة على أن (إلا) في الاستثناء المنقطع معناها (لكن)^(٤) ، وهذا
مذهب البصريين أما مذهب الكوفيين فهي على معنى (سوى) ، وقد رجح
الرضي (ت ٦٨٨ هـ) قول البصريين ، فقال : « وتأويل البصريين أولى ؛ لأنَّ
المستثنى المنقطع يلزم مخالفته لما قبله نفيًا وإثباتًا ، كما في (لكن) وفي
(سوى)^(٥) لا يلزم ذلك ، وأيضًا معنى (لكن) الاستدراك ، والمراد بالاستدراك

(١) يُنظَر : اللباب في علل البناء والإعراب : ١/٢٧٤

(٢) مغني اللبيب : ٦/٥٤٩

(٣) شعراء أمويون : ١/٢٦٤ . لم ترد (لكن) عاطفة في شعر الصعاليك الأمويين ، وقد
جاءت مقترنة بالواو كما في المثال أعلاه ومثله : ولكنَّ حاجاتي ، ديوان القتال الكلابي :
٦٨ ، وقول مالك بن الربيع : ولكنَّ لجاجا ، شعراء أمويون ١/٣١ ، وقول الممرار
الفقعسي : ولكنَّ جوبهنَّ ، شعراء أمويون : ٢/٤٧٦ وللممرار أيضا ، ولكنَّ ضرب
مجتمع ، شعراء أمويون : ٢/٤٨٥ .

(٤) يُنظَر : الكتاب : ٢/٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، والأصول في النحو : ١/٢٩١ ، واللباب في
علل البناء والإعراب : ١/٢٧٤ .

(٥) يُنظَر : ارتشاف الضرب : ١٥٠٠ ، وشرح الرضي : ٢/٨٢-٨٣ .

فيها رفع توهم المخاطب دخول ما بعدها في حكم ما قبلها ، مع أنه ليس بداخل فيه ، وهذا هو معنى الاستثناء المنقطع بعينه^(١) . وقد ورد هذا الاستثناء في قول مالك بن الربيع^(٢) : [البسيط]

أَمَا تَرَى الدَّارَ فَقْرًا لَا أُنَيْسَ بِهَا إِلَّا الْوَحُوشَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتِمَالًا
يقول الشيخ مصطفى الغلاييني : «واعلم أنه لا يكون الاستثناء المنقطع إلا إذا كان للمستثنى علاقة بالمستثنى منه ، فيتوهم بذكر المستثنى منه دخول المستثنى معه في الحكم ، فتقول : «جاء السادة إلا خدمهم» ، إذ كان من العادة أنهم يجيئون معهم»^(٣) .

أما ما جاء من قول مالك : (لا أنيس بها إلا الوحوش) فعلى الرغم من عدم العلاقة بين الوحوش والأنيس ، إذ لا يكونان معاً ، يصح الاستثناء «لمناسبة التضاد بين الأنس والذئاب ، ولتمثيل هول الموقف»^(٤) ، كما أن هذه العلاقة هي التي تتيح التماسك في النص الذي تتوافر فيه^(٥) .

رابعاً : التفريع : (Subordination)

يقول (دي بوجراند) : «يشير التفريع إلى أن العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج ؛ أي أن تحقق إحداها يتوقف على حدوث الأخرى»^(٦) .

وقد ورد مصطلح التفريع في البلاغة العربية ويراد به «أن يُثبت لمتعلّق أمرٍ

(١) شرح الرضي : ٨٣/٢ .

(٢) شعراء أمويون : ٣٦/١ .

(٣) جامع الدروس العربية : ٥٢٥ . جاء النص بلفظة (الذئاب) التي يمكن تفسيرها بما جاء بنص البيت الشعري وهي لفظة (الوحوش) .

(٤) المصدر نفسه : ٢٢٥ .

(٥) ينظر علم اللغة النصي : ١٤٧ .

(٦) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٧ .

حكم بعد إثباته لمُتعلّق آخر^(١). أمّا التفريع الذي عناه (دي بوجراند) ،
فيمكن أن يمثل له في اللغة العربية ، بتركيب وأساليب منها :

١- **الشرط والجزاء** : يقول المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : « ومعنى الشرط وقوع
شيء لوقوع غيره »^(٢) ، ويقول الفراء (ت ٢٠٧ هـ) : « تعليق شيء بشيء
آخر بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني وقد يراد به العلة والسبب »^(٣) ، وقد
خصه الكفوي بمضامين الجمل ، فقال : « تعليق حصول مضمون جملة
بحصول مضمون جملة أخرى »^(٤) .

وهو ما أراده (دي بوجراند) من قوله السابق « أن تحقق أحدهما يتوقف
على حدوث الأخرى » . وقد جاء فيما بقول (الخطيم المحرزي)^(٥) : [الطويل]
وَإِنْ أَذْعُ فِي الْقَيْسِيَّةِ الشُّمُّ تَأْتِي قُرُومٌ تَسَامِي كُلُّهُمْ بِأَذْعِ الْقَدْرِ
فتأتي القروم (السادة المعظم شأنهم)^(٦) عندما ينادي في القيسية . على
حصول مضمون (تأتي قروم) بدعوتهم ، فمتى دعاهم لبوا الدعوة .

أما كلام الفراء بأن الشرط قد يراد به العلة والسببية ، فيجدر التنبيه عليه
إذ لا يكون حصول مضمون الجواب بحصول مضمون الشرط بل يكون أمراً
تبيينياً بعلة وسبب ، وقد التمس الباحث هذا إذا كان الجواب جملة مقترنة بالفاء

(١) التلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدين محمد القزويني الخطيب
(ت ٧٣٩ هـ) ، ضبطه وشرحه الأستاذ : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ،
لبنان . د . ط ، د . ت : ٣٧٩ .

(٢) المقتضب : ٤٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ١٩٩/١ .

(٤) الكليات : ٢٥٥ .

(٥) شعراء أمويون : ٢٥٦/١ . والقُرُومُ من الرجال : السَيِّدُ الْمُعْظَمُ ، لسان العرب : (قرم)
٤٧٣/١٢ . وَالْبَذْخُ : تَطَاوُلُ الرَّجُلِ بِكَلَامِهِ وَافْتِخَارُهُ ، وَشَرَفٌ بِأَذْعِ أَيِ عَالٍ ، يُنْظَرُ :

لسان العرب : (بذخ) ٧/٣ .

(٦) يُنْظَرُ : لسان العرب : (قرم) ٤٧٣/١٢ .

أو كان الشرط بلو ووقع الجواب باللام . ويمكن إيضاح ما تقدم بقول (جحدرد العكلي)^(١) : [البسيط]

لله أنت فإن يعصمك فاعصمي وإن كذبت فحسبي الله من جار
دخل الفاء في جواب الشرط في الجملتين الشرطيتين (فإن يعصمك فاعصمي) و (إن كذبت فحسبي الله) الفاء رابطة للجواب في الجملتين ، وداعي هذا الربط عند النحاة كون جملة الجواب في الأولى جملة فعلية فعلها أمر ، وفي الثانية جملة فعلية فعلها جامد^(٢) . ومثله ما يظهر في قول (عبد الله ابن الحمير)^(٣) : [الوافر]

ولو كنت القتل وكان حيا لقاتل لا ألف ولا مئوم
فاللام في (لقاتل) جواب لـ (لو)^(٤) .

٢- عطف الخاص على العام وعكسه .

نقل (دي بوجراند) ما لاحظته (ردلانديوزنر) : « أن الصورة الفرعية لها وضع أدنى في التدرج من حيث التعلق بالموضوع »^(٥) .

ولعل هذا التدرج أكثر ما يلتبس في العربية بعطف الخاص على العام وعكسه « وليس المراد من العام والخاص ما هو مصطلح عليه في الأصول بل المراد ما كان فيه الأول شاملاً للثاني »^(٦) . ويقع هذا العطف بحرف الواو وحتى عند ابن هشام تشارك الواو في عطف الخاص على العام^(٧) .

(١) شعراء أمويون : ١٧٥/١ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ٤٨٩/٢ - ٤٩٠ .

(٣) منتهى الطلب : ٢٥٧/١ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ٢٧٠/٣ - ٢٧٢ .

(٥) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٧ .

(٦) الكليات : ١٠١٨ ، المراد من لفظة الأصول علم أصول الفقه .

(٧) ينظر : مغني اللبيب : ٣٦٣/٤ ، مع الهوامع : ٢٢٥/٥ .

مثال ما جاء من عطف الخاص على العام بالواو من شعر الصعاليك قول
(جعفر بن عتبة الحارثي)^(١) : [الطويل]
فَإِنْ بَقِرَى سَحْبِلٍ لَأَمَارَةٌ وَنَضَحَ دِمَاءٌ مِنْهُمْ وَمَحَابِيَا
إن الأمانة بمعناها العلامة شاملة لنضح الدماء والمحابي ، كما أن (محابي)
من عطف الخاص على العام يقول (الأصفهاني) (ت ٣٥٦ هـ) : « المحابي
آثارهم حبوا من الضعف للجراح التي بهم »^(٢) ، فهي إذا من نضح دماء .
أما عطف العام على الخاص فقد جاء بقول (الخطيم المحرزى)^(٣) :
[الطويل]

فَقَدْ حَلَيْتُ عَيْنِي بِهَا وَهَوَيْتُهَا هَوَى عَرْضِي مَا زَالَ مُدُّ كُنْتُ أَفْرَدَا
إن الهوى يشمل استحلاء العين للمحبوب ، فهو أعم من إعجاب العين .
٣- السببية :

استعمل النحاة هذه العلاقة في كثير من مباحثهم النحوية ؛ فالسببية
أو التعليل^(٤) شائعة الاستعمال في النحو العربي ، وتتكون هذه العلاقة من ثلاثة
عناصر أساسية ، هي : المُسَبِّب والأداة والمُسَبَّب ، وهذه العناصر هي ما نص
عليه التعريف اللغوي للسبب : فهو كل شيء يتوصل به إلى غيره^(٥) .

(١) ديوان اللصوص : ١٩٨/١ . النَّضْحُ : الرُّشُّ . نَضَحَ عَلَيْهِ الْمَاءُ يَنْضَحُهُ نَضْحًا إِذَا ضَرَبَهُ
بشيء فأصابه منه رَشَاشٌ . لسان العرب : (نضح) ٦١٨/٢ . قُرَى : بضم أوله ،
وتشديد ثانيه وفتح ، والقصر ، وهو مريض في بلاد بني الحارث بن كعب ، معجم
البلدان : ٣٤٠/٤ .

(٢) الأغاني : ٣٢/١٣ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٦٣/١ .

(٤) يلاحظ : أن هناك خلاف بين النحاة في هل للمصطلحين (السببية والتعليل) مدلول
واحد أو لهما مدلولان مختلفان ، وقد ساوى بين المصطلحين أبو حيان وتبعه
السيوطي والكفوي ، وفرق بينهما ابن مالك وعبد القادر البغدادي ، ينظر : الكليات ،
٥٠٤-٥٠٥ ، خزنة الأدب : ٣٠٨/١ .

(٥) اللسان (سبب) : ٤٥٨/١ ، خزنة الأدب : ٣٠٨/١ .

ولعل الدرس النحوي العربي كان له الاهتمام البالغ بالأداة التي تستعمل للسببية ، فهي تُعَيِّن من قبل النحاة أينما وردت في مقانها^(١) . وذكر النحاة السببية والتعليل في مواضع كثيرة من مباحث النحو مما جعل (الكفوي) يقول : « والنحويون لا يفرقون بين السبب والشرط وكذا بين السبب والعلة ، فإنهم ذكروا أنَّ اللام للتعليل ، ولم يقولوا للسببية وقال أكثرهم الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل »^(٢) .

ويقول : « لكن أهل المعاني يطلقون العلة على ما يوجد شيئاً والسبب على ما يبعث الفاعل على الفعل »^(٣) في حين رأى (البغدادي) بعد نقله للخلاف فيهما ، وهل هما شيء واحد عند النحاة أو لا ؟ ، إن تفريق النحاة بين استعمالهما السببية للباء عند أكثرهم والتعليل لللام ، هو تصريح بأنهما غيران^(٤) .

فالسبب : كل شيء يتوصل به إلى غيره^(٥) ، والعلة : أمر يكون عنه أمر آخر^(٦) .

فالباء مثلاً : تأتي لمعنيين عند (ابن مالك)^(٧) ؛ السببية : وضابطها : أن يصلح مجرورها أن يكون فاعلاً مجازاً للفعل المسبب ، والتعليلية : وضابطها صحة وقوع اللام مكانها^(٨) .

(١) يُنظَر : الكتاب : ٥٠٨/٣ ، ١٦-١٧ ، شرح الرضي : ٤٨/٤ ، ٦١

(٢) الكلبيات : ٥٠٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٠٤-٥٠٥ .

(٤) يُنظَر : خزنة الأدب : ٣٠٨/١-٣٠٩ .

(٥) يُنظَر : المصدر نفسه : ٣٠٨/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٠٨/١ .

(٧) شرح التسهيل : ١٤٩/٣-١٥٠ .

(٨) يُنظَر : الأزهية في علم الحروف ، تأليف علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥ هـ) تحقيق : عبد المعين الملوحي ، دمشق - سوريا ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م . : ٢٧٨ .

وقد شاع التعليل في العربية وتنوعت أدواته بين حرف واسم وجملة فمن الحروف الفاء : وتكون سبباً في عطف الجمل^(١)، والكاف : يفيد التعليل عند (الأخفش) خلافاً للنحاة^(٢)، واللام : من معناها التعليل^(٣) وإذ : الجمهور^(٤) على أنها اسم وقيل بحرفيتها^(٥)، ومن قال بحرفيتها محضها للتعليل وجردها من الظرفية^(٦)، ومن قال بظرفيتها جعل التعليل مستغاداً من قوة الكلام لا من لفظه^(٧)، وأو : ذكر ابن عصفور أن من معانيها التعليل، وهي التي ينصب المضارع بعدها بـ (أن) مضمرة وجوباً فتكون عنده بمعنى (كي) في إفادة التعليل، ويكون ما بعدها علة لما قبلها، كما في قولنا : لألزمك أو تعطيني حقّي^(٨)، وعن : ذكر النحاة أن من معانيها التعليل^(٩)، وفي : ذكر ابن مالك أن من معانيها التعليل^(١٠)، كما أورد المرادي هذا المعنى لها^(١١)، وكسي : تكون للتعليل سواء أكانت حرف جر بمعنى اللام

(١) شرح المفصل : ٩٥/٨ .

(٢) ينظر : التسهيل : ١٧٤/٣ ، شرح التصريح : ١٦/٢ ، مع الهوامع : ١٦٢/٢ ،

(٣) مغني اللبيب : ١٥٥/٣ وما بعدها

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ١١/٢ ، ٢٣ .

(٥) ينظر : شرح التسهيل : ٢٠٩/٢ ، الجنى الداني : ١٨٩ .

(٦) ينظر : الجنى الداني : ١٨٩ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب : ١٩/٢ .

(٨) المقرب ، تأليف : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق :

أحمد عبد الستار الجوراي ، وعبد الله الجبوري ، ط/١ ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م :

٢٦٢/١ .

(٩) ينظر : شرح التسهيل : ١٦٠/٣ ، الجنى الداني : ٢٤٧ ، مغني اللبيب : ٣٩٧/٢ .

(١٠) ينظر : شرح التسهيل : ١٥٥/٣ - ١٥٦ ، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات

الجامع الصحيح ، تأليف : جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق :

الدكتور طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ط/٢ ، ١٤١٣ هـ . : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٦٥ .

(١١) ينظر : الجنى الداني : ٢٥٠ .

أم جاءت مصدرية ناصبة جاءت قبلها اللام حرف جر أم لم تأتِ^(١)، ومن :
حرف جر يفيد التعليل بمعنى اللام^(٢).

وعلى : ترد بمعنى لام التعليل^(٣)، وحتى : تأتي بمعنى (كي) لإفادة
التعليل^(٤)، ولعل : وهي تأتي للتعليل^(٥)، ولما : حرف يفيد التعليل^(٦)، وهو
حرف وجود لوجود يقول سيبويه : « في الأمر الذي قد وقع لوقوع غيره »^(٧).

من الأسماء : المفعول لأجله : جاء في تعريفه أنه : « المصدر المعلل به
حدث شاركه في الوقت والفاعل تحقيقاً وتقديراً »^(٨)، كما يسمى المفعول من
أجله ، والمفعول له^(٩)، والتعليل ظاهر من تسميته ؛ لأنه علة الإقدام على
الفعل وسبب ولحدوثه^(١٠).

ومنه في شعر الصعاليك يقول (طهمان بن عمرو الكلابي)^(١١) : [الطويل]

-
- (١) يُنظَر : الكتاب : ٧-٦/٣ ، شرح المفصل : ٤٩/٨ ، رصف المباني : ٢١٥-٢١٦ .
(٢) يُنظَر : شرح المفصل : ٥٣/٢ ، شرح التسهيل : ١٣٤/٣ ، الجنى الداني : ٣١٠ .
(٣) يُنظَر : شرح التسهيل : ١٦٤/٣ ، الجنى الداني : ٤٧٧ ، مغني اللبيب : ٣٧٦/٢ .
(٤) يُنظَر : رصف المباني : ١٨٣ ، مغني اللبيب : ٢٦٠/٢ ، ٢٧٠ ، خزنة الادب :
٤١١/١١ .
(٥) يُنظَر : شرح الرضي : ٣٣٣/٤ ، شرح التسهيل : ٨-٧/٢ ، الجنى الداني : ٥٨٠ .
(٦) يُنظَر : رصف المباني : ٢٨٣-٢٨٥ ، لجنى الداني : ٥٩٤-٤٩٥ ، مغني اللبيب :
٤٨٥/٣ .
(٧) الكتاب : ٢٣٤/٤ .
(٨) شرح التسهيل : ١٩٦/٢ .
(٩) يُنظَر : الكتاب : ٣٦٩/١ ، شرح الرضي : ٥٠٧/١ ، شرح التصريح : ٢٢٥/٢ .
(١٠) يُنظَر : الكتاب : ٣٦٩/١ ، شرح المفصل : ٥٢/٢ .
(١١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٨ . وَرَجُلٌ ذُو نَزَلٍ : كثيرُ الفضلِ والعطاءِ
والبَرَكةِ ، لسان العرب : (نزل) ٦٩٥/١١ . وَأَغْلَقَ فُلَانٌ فَعَلَقَ غَلَقًا إِذَا أَغْضَبَ
فَغَضِبَ وَاحْتَدَّ . والغَلَقُ الكثيرُ الغَضَبِ ، لسان العرب : (غلق) ٢٩٢/١٠ .

تَرُوكَ لِطَيْرَاتِ السَّفِينَةِ تَكْرُماً وَذُو نَزَلٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ غُلُوقٌ

تكرماً مفعول لأجله ، جاء مبيّناً علة أنه تروك لطيرات السفينة . ومثله يقول (عبدالله بن الحمير)^(١) : [الوافر]

فَقُلْتُ لَهَا رُؤُودًا كَي تُجَلِّيَ غَوَاشِي الثُّومِ وَاللَّيْلُ الْبَهِيمُ

كي في البيت لإفادة التعليل . ومنه أيضاً يقول (فضالة بن شريك الأسدي)^(٢) : [الطويل]

فَأَخْرَجَ لِي خَشَنَاءَ حَيْثُ لَمَسْتُهَا مِنْ الْحُشَنِ لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ

يأتي حرف جر (من) للسبب وهو هنا بهذا المعنى أي : لسبب الخشونة هي كف ليست من أكف الخلفاء . ومنه قول المرار الفقعسي^(٣) : [الطويل]

هَيْبًا لِحُوطٍ مِنْ بَشَامٍ تَرْفُؤُ إِلَى بَرْدٍ شَهْدٌ بِهِنْ مَشُوبُ

بما قد تسقى من سلافٍ وضمه بنان كهذاب الدمقس خضيبُ

أي : لما قد تسقى ، فد(الباء) جاءت تعليل .

الربط عند (محمد خطابي والأزهر الزناد)

اهتم من الباحثين العرب (محمد خطابي) بالربط وأقسامه فقد أطلق : عليه مصطلح الوصل في ترجمته لكلام (هاليداي ورقية حسن)، وقد فصل في ذكره وقسمه إلى أربعة أقسام^(٤) .

(١) منتهى الطلب : ٢٥٥/١ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣٨٣/٦ . والخليفة : الَّذِي يُسْتَخْلَفُ مِنْ قَبْلِهِ ، والجمع خَلَائِفُ ، جاءوا به على الأصل مثل كريمة وكرائم ، وهو الخليفة والجمع خلفاء ، لسان العرب : (خلف) ٨٣/٩ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٣٩/٢ . الخُوطُ : الغصن الناعم لسنته . العين : (خوط) ٤٥٢/١ . وَتَسْقَى الشَّيْءُ : قَبْلَ السَّقْيِ ، وقيل : ثَرِيٍّ ، لسان العرب : (سقى) ٣٩٣/١٤ . والسلاف : مَا سَالَ مِنْ عَصِيرِ الْعَنْبِ قَبْلَ أَنْ يُعَصَّرَ ، وسلافة كل شيء أوله ، وقيل : السلاف والسلافة من كل شيء خالصة ، لسان العرب : (سلف) ١٦٠/٩ .

(٤) ينظر : لسانيات النص : ٢٢ .

- ١- الوصل الإضافي : ويكون بواسطة الأداتين (و ، أو) .
ويكون تحت مفهوم الوصل الإضافي علاقات أخرى .
أ- التماثل الدلالي : المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع (بالمثل) .
ب - علاقة الشرح : وتتم بتعابير مثل : (أعني ، وغيرها) .
ج - علاقة التمثيل : وتكون من خلال تعابير : (مثلا ، نحو) .
٢- الوصل العكسي : والذي يتم بتعابير (but ، yet) وغيرهما مثل (however ، nevertheless) ، كما أن أداته هي (yet) عند (هاليداي ورقية حسن)^(١) .
٣- الربط السببي : ويفسر بما يمكن من إدراك العلاقات المنطقية بين جملتين أو أكثر ويعبر عنه بعناصر (therefore ، hence ، thus ، so) ، وتندرج ضمن علاقات خاصة مثل (الشرط ، والنتيجة ، والسبب) .
٤- الوصل الزمني : ويعبر عنه بأنه «علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو (then)»^(٢) .
أما (الأزهر الزناد) فذكر بدل الربط مصطلح (الربط الخطي) ، وهو عنده يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها ، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر مثل (الواو) في العربية^(٣) ، وقد نبه على أن هذا الربط قد يدخله معنى الأداة الرابطة فيتعين به نوع العلاقة بين الجملة والجملة الأخرى^(٤) ، كما أنه قسّم الربط الخطي إلى قسمين هما ربط خطي متصل وربط خطي منفصل ،

(١) ينظر : لسانيات النص : ٢٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣-٢٤ .

(٣) ينظر : نسج النص : ٣٧ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٧ .

وهذا التمييز بين النوعين له دلالة فالتصل ذكرياً كان أم منطقياً يعني التابع الزمني بين الأحداث والحركات حسب تعاقبها على محور الزمن^(١) ، والمتقطع ربط عنصرين أو أكثر متباعدين في فضاء النص^(٢) .

* * *

(١) يُنظَر : نسج النص : ٤٦-٤٨ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ٤٩ .

الفصل الثاني

السبك المعجمي

تعريف السبك المعجمي وأقسامه :

يعرفه (دي بوجراند) بأنه « يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات »^(١) ، وهذه العلاقات « وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية »^(٢) .

ومما يمتاز به السبك المعجمي « أن الوحدات المعجمية تتصف في ذاتها بالربط حيث إنَّ بعضهما يفسر البعض الآخر وليس في حاجة ضرورية لأداة ربط تربط بينها »^(٣) .

أقسام السبك المعجمي :

قسم (هالدي ورقية حسن) السبك المعجمي إلى قسمين هما : التكرار (reiteration) والتضام (collocation)^(٤) ، وأما (دي بوجراند) فيرى أن « الربط يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .

(٢) البيان في روائع القرآن : ١٢٨/١ .

(٣) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٥ هو مضمون كلام : (Stephen & lester)

(٤) ينظر : (Cohesion In English) ، نقلا عن لسانيات النص : ٢٤ .

بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص ؛
كالجمع بينهما واستبدال البعض البعض والتقابل والسببية ، أما الأنواع الفرعية
للربط فهي مطلق الجمع والتخيير والاستدراك والتبعية^(١) ، فهو لم يحدده
بالتكرار والتضام .

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١-٣٠٢ .

المبحث الأول

التكرار

تعريف التكرار :

يعرّف عند النصيين أنّه « شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف ، أو عنصراً مطلقاً ، أو اسماً عاماً »^(١).

وقد عرّفه النحاة : بأنّه « ضم الشيء إلى مثله في اللفظ كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير »^(٢) ، وقد تقرر لدى الدكتور (تمام حسان) أن « الأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ ؛ لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضماناً للوصول إليه »^(٣).

أنواع التكرار :

قبل الوقوف على أهمية التكرار في التماسك النصي المعجمي ينبغي الكلام على أنواع التكرار في تعريف النصيين ؛ وهي خمسة أنواع : إعادة اللفظ ، الترادف ، شبه الترادف ، العنصر المطلق ، العنصر العام^(٤).

(١) لسانيات النص : ٢٤

(٢) شرح الرضي : ٤٩/١ .

(٣) البيان في روائع القرآن : ١٢٨/١ .

(٤) جعل بعض الدارسين (الترادف وشبه الترادف) نوعاً واحداً خلافاً لنص التعريف؛ يُنظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٧-١٠٨ ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الدكتور جميل عبد المجيد ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، د . ط ، ١٩٩٨م : ٧٩-٨٠ .

١ - إعادة اللفظ :

ينقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام ، التكرار المحض والتكرار الجزئي وشبه التكرار .

الأول : التكرار المحض : وهو « إعادة أعيان الألفاظ »^(١) ، ويسمى أيضاً بالتكرار الخالص^(٢) أو التكرار المباشر^(٣) .

ويقع هذا النوع في العربية بالتوكيد اللفظي الذي يكون بتكرار اللفظ^(٤) ويقع بالحرف، والفعل، والاسم ، والجملة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التكرار المحض « يكون وسيلة للسبك والحبك في أن معاً أي : أن يكون فاعلاً في ظاهر النص وفي عالم النص »^(٥) .

مثل ما جاء في قول أبي النشاش النهشلي :^(٦) [الطويل]

فَمَتَّ مُعْدِمًا أَوْ عَشَّ كَرِيمًا فَلَبِثْتُ أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ

كرر الشاعر (الموت) وقد عدل عن الإعادة بالضمير إلى التكرار اللفظي فلم يقل (لا ينجو منه هاربه) ؛ والعلة فيما جاء به الشاعر هو من ناحية السبك إقامة الوزن « فأتى بالموت ثانياً بالإظهار في الموضع الذي بابه الإضمار لتقدم اسمه ظاهراً لإقامة وزن الشعر »^(٧) ولا شك في أن الوزن الشعري وجعل البيت بنغمة متوافقة ومساثر القصيدة يسهم بالسبك الصوتي ، أما الحبك فيظهر في أن

(١) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٥٧ .

(٣) يُنظَر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٦ .

(٤) يُنظَر : شرح المفصل : ٣/٣٩ .

(٥) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٨ .

(٦) الجليس الصالح الكافي : ٢١١/٣ . وفي أشعار اللصوص وأخبارهم : ٥٠/١ ، فعش معزراً .

(٧) المصدر نفسه : ٢١٢/٣ .

هذا التكرار «حملة قوم على أنه جاء على هذا ؛ لأن الإظهار فيه والإضمار واحد»^(١) ، وليس الأمر على ما ذهبوا إليه ، وإنما أتى الإظهار هاهنا لتعظيم القصة ، ولما في إعادة ذكر الموت بالاسم الظاهر من التخويف والحض على الاعتبار والمراعاة والإذكار»^(٢)

وقد ورد في شعر الصعاليك كما في قول القتال الكلابي^(٣) : [الطويل]
 قُتِلْتُمْ فَلَمَّا أَنْ طَلَبْتُمْ عَقْلَكُمْ كَذَلِكَ يُؤْتَى بِالذَّلِيلِ كَذَلِكَ
 فكرر (كذلك) ليعظم من حادث الطلب ، وأن يؤتى بهذه الصورة ذليلاً صاغراً ،
 وقد يوظف الشاعر التكرار توظيفاً خاصاً فيجمع به بين القافية وما يميز
 الغرض الشعر الذي قد تمثله كلمة واحدة ، ثم يسخر الألفاظ لإظهار الشخصية
 المحورية ، وهو ما جاء به (فضالة بن شريك الأسدي) بمدح (يزيد بن
 معاوية)^(٤) [الطويل]

إِذَا مَا قُرَيْشٌ فَاخَرَتْ بِقَدِيمِهَا فَخَرْتُ بِمَجْدِ يَازِيدَ ثَلِيدِ
 بِمَجْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَزَلْ أَبْوُكَ أَمِينُ اللَّهِ غَيْرَ بَلِيدِ
 بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الْأَكَامَ مِنَ الرَّدَى وَأَذْرَكَ ثَبَلًا مِنْ مَعَاشِرِ صِيدِ
 وَمَجْدِ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْبَاعِ وَالثَّدَى وَحَوْبِ وَمَا حَرْبُ الْغُلَى بِزَهْدِ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي إِنَّ عَدَدَ النَّاسِ مَجْدُهُ يَجِيءُ بِمَجْدِ مِثْلِ مَجْدِ يَزِيدِ

(١) يُنظَرُ : شرح حماسة أبي تمام ، للأعلام الشنتمري ، تحقيق : علي المفضل حمودان ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث هدي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ودار الفكر ، دمشق - سورية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م : ٦٣٣/٢ .

(٢) الجليس الصالح الكافي : ٢١٢-٢١٣ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٧١ .

(٤) الوافي بالوفيات : ١٤/٢٤ . الثَّبَلُ : العداوة ، والجمعُ ثُبُول ، وقد تَبَلَّنِي يَتَبَلَّنِي . وَالثَّبَلُ : الحقد . وَالثَّبَلُ : عداوةٌ يُطْلَبُ بِهَا . يُقَالُ : قَدْ تَبَلَّنِي فَلَانٌ وَلِيَّ عِنْدَهُ ثَبَلٌ ، وَالْجَمْعُ الثَّبُولُ . لسان العرب : (تبَل) ٧٦/١١ .

فقد كرر الشاعر لفظة (مجد) ست مرات ، وهي تظهر حضور مجد الممدوح في ذهن الشاعر وتركيزه عليه ، كما أن هذا التكرار مناسب قافية هذه القطعة فهي دالية مكسورة ، ولفظة (مجد) جاءت مكسورة في خمسة مواضع ، ثم هذا التكرار للدال جاء موافقا لما انتهى به اسم الممدوح (يزيد) فالقطعة مشحونة بالتكرار وصوت الدال المكرر يترنم بهذا المجد .

أما تكرار الجملة ، فقد ورد في قول القتال الكلابي ^(١) [الكامل]
 فَإِذَا خَفَضْتُ خَفَضْتُ تَحْتَ ضَبَارِمٍ أَحْمَتُ وَقَائِعُهُ سُلُوكَ الْفَدْفَدِ
 وَإِذَا رَفَعْتُ رَفَعْتُ لَسْتُ بِأَمِنٍ مِنْ خَيْطَةِ بَالِثَابِ يُفْسِدُ وَالِيَدِ
 فقوله (خفضت ، خفضت) تكرار للجملة و(رفعت رفعت) مثلها ، وهما تكرار للفظ أفاد تأكيد الشاعر على نوع الخفض ؛ فهو خفض تحت ضبارم ^(٢) (رجل شجاع جريء على الأعداء) ويرفع رفعا ليس بأمن .

الثاني : التكرار الجزئي :

هو « تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفتات مختلفة » ^(٣) ، وأثر هذا النوع من التكرار يكون في تماسك ظاهر النص أصالة وفي عالمه بالتبعية ^(٤) .

ويتحقق هذا النوع من التكرار في الدرس البلاغي العربي بأوضح صورة في الجناس بين اللفظين الذي هو التشابه بينهما في اللفظ ^(٥) ، الذي هو « في أصله وجوهره نوع من التكرار » ^(٦) وله أقسام منها :

- (١) ديوان القتال الكلابي : ٤٤ . الْفَدْفَدُ : الْفَلَاةُ التي لا شيء بها ، وقيل : هي الأرض الْغَلِيظَةُ ذات الْحَصَى ، وقيل : الْمَكَانُ الصَّلْبُ ، لسان العرب : (فدغد) ٣٣٠/٣ .
- (٢) ينظر : لسان العرب : (ضبرم) ، ٣٥٢/١٢ .
- (٣) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٨ .
- (٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٨ .
- (٥) ينظر : التلخيص في علوم البلاغة : ٣٨٨ .
- (٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ، ١٩٧٠م : ٥٧٢/٢ .

- ١- التام « أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها »^(١) وأن يختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً بل يكونان حقيقتين^(٢)، فاختلاف المعنى بين المتجانسين من الألفاظ هو الذي جعل من الجنس التام تكراراً جزئياً، وما التوهم في معنى اللفظ المجانس عند المتلقي إلا من تمام الجنس الذي لا يزول إلا بعد ادراك أنه تكرار جزئي.
- ٢- الناقص : « أن يختلفا في أعدادهما »^(٣).
- ٣- المذيل : وهو « أن يختلفا بزيادة حرف كقولك : مالي كمالي »^(٤).
- ٤- المضارع : أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب في المخرج ؛ كقولك (داس وطماس)^(٥).
- ٥- اللاحق : أن يختلفا بحرف أو حرفين دون تقارب في المخرج ؛ كقولك : سعيد بعيد^(٦).
- ومن أمثلة الجنس في شعر الصعاليك قول جحدر العكلي^(٧) : [الطويل]

(١) التلخيص في وجوه البلاغة : ٣٨٨ .

(٢) الإتقان : ٥٩٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٩-٣٩٠ يلاحظ أن الناقص عند السكاكي هو « أن يختلفان في الهيئة دون الصورة » وهو ما أطلق عليه القزويني (المحرف) وأمثلهما مشتركة

(٤) مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، حققه : الدكتور عبد الحميد هندawi ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٠م : ٥٣٩ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٥٣٩ .

(٦) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٤٠ .

(٧) شعراء أمويون : ١٧٩/١ والطلبي : الأعناق ، وقيل : هي أصول الأعناق ، وأحدثها طلبة . وقيل هي صفحة العنق . ينظر : لسان العرب : (طلبي) ١٣/١٥ ، ومثله : الصبا والصبا من شعر جحدر العكلي ، ينظر : شعراء أمويون : ١٧٠/١ ، وديوان اللصوص : ١٦٧/١ ، ١٥١/١ ، والكلكل : الصدر العين : (كلل) ٤٥/٤ . ومهرة بن حيدان : أبو قبيلة ، وهم حنظل عظيم ، وإبل مهريّة منسوبة إليهم ، والجمع مهاريّ ومهاري ومهاري ، لسان العرب : (مهر) ١٨٦/٥ . شمل : الشمال : نقيض اليمين ، والجمع أشمل وشمايل وشمل . لسان العرب : (شمل) ٣٦٤/١١ .

وَقَالُوا وَقَدْ مَالَتْ طُلَاهُمُ مِنَ الْكَرَى أَنْخِ إِلَهَا نَعْمَى عَلَيْنَا وَأَفْضَلِ
فَطَاوَعْتُهُمْ حَتَّى أَنْاخُوا كَلَاكِلَا مَهَارَى لَهَوًا مِنْهَا وَلَمَّا نَعْقَلِ
وَقَالُوا عَلَى أَعْطَافِهَا وَتَوَسَّدُوا إِلَى الرُّكْبِ الْيُسْرَى سَوَاعِدَ أَشْمَلِ

فلقظة (قالوا) في البيت الأول من القول بمعنى الكلام الملفوظ و(قالوا) في البيت الثالث من القيل ومنه القيلولة بمعنى النوم منتصف النهار^(١)، وهو جناس تام لتشابهه في اللفظ واختلافه في المعنى . ومنه أيضاً قول القتال الكلابي^(٢) :
[الطويل]

وَمُرْدٌ عَلَى جُرْدٍ يَسَارٍ جَلَسِ كِرَامٍ بِأَيْدِيهِمْ مَوَارِدُ ذُبُلِ
ف(مرد) جناس لاحق مع (جرد) لاختلافهما بحرف واحد من دون تقارب في المخرج فمخرج الميم بعيد عن مخرج الجيم .

ومنه كذلك قول المَرَارِ الفقعسي^(٣) : [الكامل]
فَتَنَاولُوا شَعَبَ الرِّحَالِ فَقَلَصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

(١) يُنظَرُ : تاج العروس : (قيل) ٣٠٤/٣٠ .
(٢) ديوان القتال الكلابي : ٧٤ ، مرد : المارد : العاتي . مَرْدٌ عَلَى الْأَمْرِ ، بِالضَّمِّ ، يَمْرُدُ مُرَوِّدًا وَمَرَادَةً ، فَهُوَ مَارِدٌ وَمَرِيدٌ لِسَانِ الْعَرَبِ : (مرد) ٤٠٠/٣ والأجردُ من الخيل والدواب كَلْهَا : القصيرُ الشعرُ حتى يُقَالَ إِنَّهُ لِأَجْرَدِ الْقَوَائِمِ . وَفَرَسٌ أَجْرَدٌ : قصير الشعر ، لِسَانِ الْعَرَبِ : (جرد) ١١٦/٣ . المارِدُ من الرِّمَاحِ : ما لَانَ . وَالْمَرَانُ : الرِّمَاحُ الصُّلْبَةُ . الْعَيْنُ : (مرن) ١٣٦/٤ . ذُبُلٌ ، بِالضَّمِّ . وَقِنًا ذَابِلٌ : دَقِيقٌ لَاصِقٌ اللَّيْطِ ، وَالْجَمْعُ ذُبُلٌ وَذَبِلٌ . لِسَانِ الْعَرَبِ : (ذبل) ٢٥٥/١١ . وَيُنظَرُ : مثله جنوب وجنيب من شعر المَرَارِ ، شعراء أمويون : ٤٣٨/٢ ، وسريعا وصريعا ، المصدر نفسه : ٤٦٦/٢ ، ٤٤٧ ، وديوان اللصوص : ٢٤٢/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٥٩/٢ ، ٤٦١ . الناموسُ : مَكَمَّنَ الصَّيَّادُ وَاتَّمَسَ فِي الشَّيْءِ : دخل فِيهِ . وَاتَّمَسَ فَلَانَ اتَّمَّاسًا : اتَّغَلَّ فِي سِتْرِهِ . لِسَانِ الْعَرَبِ : (نمس) ٢٤٤/٦ . عَرَسٌ : لَزِمَ الْقِتَالَ فَلَمْ يَبْرَحْهُ . وَعَرَسَ الصَّبِيُّ بِأُمِّهِ عَرَسًا : أَلْفَهَا وَلَزَمَهَا . لِسَانِ الْعَرَبِ : (عرس) ١٣٤/٦ . وَتَنَمَّةٌ مِنَ النَّتِيمِ : صوت فِيهِ ضَعْفٌ . وَكُلُّ شَيْءٍ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ فَهُوَ مِتَّةٌ لَهُ . لِسَانِ الْعَرَبِ : (أنن) ٢٩/١٣ .

فتناوموا شئنا وقالوا عرسوا في غير تنثنية بغير معرّس
 فد(تناولوا) جناس لاحق أيضاً مع (تناوموا) لاختلافهما بحرف واحد ، مع
 بعد مخرج اللام من مخرج الميم .
 كما أنه يمكن أن يضاف إلى أقسام هذا النوع من التكرار نماذج من
 أساليب العربية منها :

١ - التوكيد المعنوي :

يعرف بأنه « يكون بتكرار المعنى دون لفظه »^(١) والألفاظ المستعملة في هذا
 النوع من التوكيد هي : « تسعة وهي نفسه وعينه وكله وأجمع وأجمعون
 وجمعاء وجمع وكلا وكلتا ، تقول قام زيد نفسه ورأيت زيدا نفسه ومررت
 بزيد نفسه ، وكذلك قام أخوك عينه ورأيت عينه ومررت به عينه ، وتقول جاء
 الجيش كله أجمع ورأيت كله أجمع ومررت به كله أجمع ، وجاء القوم كلهم
 أجمعون ورأيتهم كلهم أجمعين ومررت بهم كلهم أجمعين ، وجاءت القبيلة
 كلها جمعاء ورأيتها كلها جمعاء ومررت بها كلها »^(٢) وشرط هذه الألفاظ أن
 تضاف إلى ضمير يناسب المؤكد يستثنى منها (أجمع) وما يتصرف منه^(٣) .
 فهذا التكرار خصّ المعنى دون اللفظ ، فهو تكرار جزئي من هذه الجهة .
 وفائدة هذا التوكيد « إزالة الشك عن المحدث عنه »^(٤) ، كما أنه « يجوز
 تأكيد الأسماء كلها إذا احتيج إلى ذلك إلا النكرات فإنها لا تؤكد »^(٥) .

(١) شرح المفصل : ٤٠/٣ .

(٢) اللمع في العربية ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق :
 دكتور سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي ، عمان - الأردن ، د . ط / ١٩٨٨ م : ٦٦ .

(٣) يُنظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف ابن هشام الأنصاري
 (ت ٧٦١ هـ) ومعه كتاب منتهى الأرب في تحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف :
 محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٤ م :
 ٤٣٧-٤٣٨ .

(٤) المقرب : ٢٣٨/١ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٤٠/١ .

ومثاله ما جاء في شعر الصعاليك قول جحدر العكلي^(١) : [البسيط]
 مَثَوَى تَجَمَّعَ فِيهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ شَيْءُ الْأُمُورِ فَلَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ
 فد(كلُّ) توكيد معنوي للناس لتضمنه ضميراً يعود عليه وهو الهاء ، والميم
 علامة للجمع فيه . وفيه يقول جحدر العكلي^(٢) أيضاً : [الطويل]
 سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ كُلُّهُ وَلَا حَتَّ هَوَادِي الصُّبْحِ لِلْمُتَأَمِّلِ
 فد(كلُّ) توكيد معنوي لليل ؛ لتضمنه ضميراً يعود عليه وهو الهاء . ومنه
 قول حريث بن عتاب الطائي^(٣) : [الطويل]
 غَلَامٌ أَضْلَعَهُ النَّبُوحُ فَلَمْ يَجِدْ بِمَا بَيْنَ خَبْتِ فَالْهَبَاءِ أَجْمَعَا
 أَنَامَا مَوَانَا فَاسْتَمَانَا فَلَمْ نَرِ أَحَا دِلْجٍ أَهْدَى بَلِيلٍ وَأَسْمَعَا
 فد(أجمعا) توكيد معنوي لـ(ما بَيْنَ خَبْتِ فَالْهَبَاءِ) .

٢- المصدر المؤكد لفعله :

هو «المصدر الذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه ، من وصف أو عدد»^(٤) ، ويجب أن يكون مفرداً فـ «لا يجوز تثنيه المصدر المؤكد لعامله ولا جمعه بل يجب إفراده لأنه بمثابة تكرار الفعل ، والفعل لا يشنى

(١) شعراء أمويون : ١٧٣/١ .

(٢) شعراء أمويون : ١٧٩/١ . الهادية من كل شيء أوله وما تقدم منه ؛ ولهذا قيل : أَقْبَلْتُ هَوَادِي الْخَيْلِ إِذَا بَدَتْ أَعْنَاقُهَا . لسان العرب : (هدى) ٣٥٧/١٥ .

(٣) أشعار الصوص وأخبارهم : ١٤٦/١ . وَخَبْتُ : بفتح أوله ، وتسكين ثانيه ، وآخره ناء مثناة ، وهو في الأصل المظمتن من الأرض فيه رمل ، معجم البلدان : ٣٤٣/٢ . الهباء التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم ، وتأتيه للأرض ؛ وهي الأرض التي يبلاد غطفان ، معجم البلدان : ٣٨٩/٥ . اسْتَمَانَا أَصَادَنَا . اسْتَمَى : تَصَيَّدَ ، لسان العرب : (استمى) ٤٠٠/١٤ .

(٤) شرح الرضي : ٢٩٨/١ .

ولا يجمع»^(١) وفائدته أنه «يراد به إزالة الشك عن الحديث فإذا قلت : مات زيد موتاً ، ارتفع المجاز»^(٢) .

فهذا التكرار جزئي باعتبار اللفظ إذ إن الاسم أكد الفعل وقد ظهر للدكتور (مصطفى حميدة) أن العربية أرادت بهذه العلاقة تأكيد الحدث الكامن في الفعل دون الزمن فلجأت إلى المصدر ؛ لأنه دال على الحدث فحسب»^(٣) ، وهو بهذا الاعتبار تكرار جزئي أيضاً .

وقد جاء منه قول طهمان بن عمرو الكلابي^(٤) : [الطويل]
ظَنَنْتُ بِهِ ظَنًّا فَقَصَّرْتُ دُورَهُ فَلَا زَالَ رُئَا غَمْدُهُ وَحَمَانِلُهُ
في البيت (ظَنًّا) مصدر مؤكد لفعله (ظَنَّ) فقد جاء بمضمون الفعل بلا زيادة عليه في نوع الظن أو عدده . ومنه أيضاً قول جعفر بن علبة الحارثي^(٥) :
[الطويل]

إِلَى الْعَدْلِ حَتَّى يَصْدُرَ الْأَمْرُ مُصْذَرًا وَثَبْرًا مِنْكُمْ قَالَةً وَعَذُولًا
فـ(مصدرًا) مصدر مؤكد لفعله (يصدر)^(٦) .

٣- الحال المؤكدة : هي : «التي يستفاد معناها بدونها»^(٧) ، وهي ثلاثة أقسام:
أ- مؤكدة لعاملها^(٨) ، وهي نوعان :

(١) شرح ابن عقيل : ١٧٤/٢ .

(٢) المقرب : ٢٣٨/١ .

(٣) نظام الارتباط والربط : ١٨٩ .

(٤) شرح ديون طهمان بن عمرو الكلابي : ١٤٨ .

(٥) ديوان اللصوص : ١٩١/١ . عَدْلٌ يَعْلِلُ عَدْلًا وَعَدْلًا ، وهو اللوم ، العين : (عدل)
١٢٢/٣ .

(٦) يُنْظَرُ : تاج العروس : (صدر) ٢٩٣/١٢ .

(٧) مغني اللبيب : ٤٢٩/٥ .

(٨) يُنْظَرُ : أوضح المسالك : ٣٤٣/٢-٣٤٤ .

١- مؤكدة له لفظاً ومعنى : قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾

(النساء: ٧٩).

٢- مؤكدة لها معنى فقط : قال تعالى : ﴿ فَتَبَسَّسَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا ﴾

(النمل: ١٩) .

ب - مؤكدة لصاحبها^(١) : قال تعالى : ﴿ لَا مَنَ مِّنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾

(يونس: ٩٩)

ج - مؤكدة لمضمون جملة ، وهي قسمان :

١- مؤكدة لجملة اسمية من اسمين معرفتين جامدين^(٢) .

٢- مؤكدة لجملة فعلية^(٣) : قال تعالى : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْبِرِينَ ﴾

(التوبة: ٢٥)

ومما ورد في شعر الصعاليك منها ، قول حريث بن عئاب الطائي^(٤) :

[الطويل]

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ طُرًّا إِهَانَةً عَوْدَ يَارِيهِ فَرِيدٌ وَثَعْلَبٌ

فد(طُرًّا) حال مؤكدة لصاحبها وهي بمعنى جميعاً^(٥) . ومنها أيضاً قول

جحدر العكلي^(٦) : [الكامل]

(١) يُنْظَرُ : أوضح المسالك : ٣٤٤/٢ .

(٢) يُنْظَرُ : المصدر نفسه : ٣٤٤/٢ .

(٣) شرح الرضي : ٤٩/٢ .

(٤) ديوان اللصوص : ٢١٥/١ . العَتُودُ من أولاد المَعَزِ : ما رَعَى وَقَوِيَ وَأَتَى عليه حول .

لسان العرب : (عتد) ٢٨٠/٣ . الْمُفْرَدُ : ثَوْرُ الْوَحْشِ شَبَّهُ بِهِ النَّاقَةُ . وَثَوْرٌ فَرْدٌ وَفَارِدٌ

وَفَرْدٌ وَفَرْدٌ وَفَرِيدٌ ، كله بمعنى . لسان العرب : (فرد) ٣٣١/٣ .

(٥) يُنْظَرُ : الأصول في النحو : ١٦٣/١ ، شرح شذور الذهب : ٢٧٢ .

(٦) شعراء أمويون : ١٧٠/١ . الْأَحْرَاجُ غِيَاظٌ مِنْ شَجَرِ السَّلَمِ مُلْتَفَةً ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ

يَنْفُذَ فِيهَا ، لسان العرب : (حرج) ٢٣٥/٢ .

وتَقْدُمِي لِلرَّسْفِ أَرْسَفُ مَوْثَقًا كَيْمَا أَكْبِرُهُ عَلَى الْأَخْرَاجِ
مَوْثَقًا حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ (أَرْسَفُ) ؛ لِأَنَّ الرَّسْفَ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ^(١).

ومثله عند (جحدِر العكلي)^(٢) أيضًا [الكامل]

أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلًا لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنْاجِي
فـ(مكَبَّلًا) حَالٌ أَكَّدَتْ مَضْمُونُ الْجُمْلَةِ (أَرْسَفُ) وَهُوَ تَكَرُّارٌ لِلْمَعْنَى لَا لِلْفِعْلِ.

٤- البَدَلُ : هُوَ « التَّابِعُ الْمَقْصُودُ بِحُكْمِ بَلَا وَاسْطَةِ »^(٣) ، وَيُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ
الْكُوفَةِ ، التَّكْرِيرِ^(٤).

وَقَدْ ذَهَبَ (ابْنُ جَنِي) إِلَى « أَنَّ الْبَدَلَ يَجْرِي مَجْرَى التَّأْكِيدِ فِي التَّحْقِيقِ
وَالْتَشْدِيدِ »^(٥).

وَقَسَّمَ (ابْنُ عَصْفُورٍ) الْبَدَلَ بَيْنَ التَّبْيِينِ وَالتَّأْكِيدِ ، فَقَالَ : « وَمِثَالُ مَجِيئِهِ
لِلتَّأْكِيدِ (جَدَعْتُ زَيْدًا أَنْفَهُ) فَمَعْلُومٌ مِنْ قَوْلِكَ : (جَدَعْتُ زَيْدًا) أَنَّ الْمَجْدُوعَ
أَنْفَهُ »^(٦).

فَالْبَدَلُ مِنْ خِلَالِ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ مِنْ مِصْطَلَحِ التَّكْرِيرِ وَمِمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ غَرَضِ
التَّأْكِيدِ ، أَصْبَحَ لَا مَفْرَءً مِنْ عَرْضِهِ فِي الاتِّسَاقِ الْمَعْجَمِيِّ عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ
التَّكْرَارِ .

ومما يدعم هذا أن في بناء تركيبه تكراراً ، فالنحاة ذكروا أن المبدل منه

(١) يُنْظَرُ : الْعَيْنُ : (رَسَفَ) ١١٧/٢ . وَفِيهِ « رَسَفَ فِي الْقَيْدِ يَرُسِفُ وَيَرُسِفُ رَسْفًا
وَرُسْفًا وَرَسْفَانًا : مَشَى مَشْيَ الْمُقَيَّدِ » .

(٢) شُعْرَاءُ أُمَوِيُونَ : ١٧١/١ .

(٣) هَمْعُ الْهَوَامِعِ : ٢١٢/٥ .

(٤) يُنْظَرُ : هَمْعُ الْهَوَامِعِ : ٢١٢/٥ ، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ : ٤٣٥/٢ .

(٥) اللَّعْمُ : ٦٨ .

(٦) الْمُقَرَّبُ : ٢٤٢/١ .

ينوى طرحه معنى لا لفظاً^(١)، وليس المراد من طرحه أنه لا فائدة منه^(٢) « وإنما يذكر الأول لنحو من التوطئة وليفاد من مجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد »^(٣)، كما أن ابن مالك نبه على أنه كل قسم من أقسام البديل فيه مباينة بوجه للمبديل منه^(٤).

أما تكرار العامل فهو عند النحاة سبب للتوكيد، يقول (ابن الناطم): « إن الغرض من الإبدال أن يذكر الاسم مقصوداً بالنسبة كالفاعلية والمفعولية والإضافة بعد التوطئة لذكره بالتصريح بتلك النسبة لإفادة توكيد الحكم وتقديره؛ لأن الإبدال في قوة إعادة الجملة »^(٥).

ويقول السيوطي: « أما التأكيد فلأن على نية تكرار العامل فكأنه من جملتين، ولأنه دل على ما دل عليه الأول »^(٦).

وقد ذهب الدكتور (فاضل السامرائي) « أن ليس ثمة توكيد في الحكم وأن العامل غير مكرر، وإنما قد يحصل التوكيد من اجتماع البديل والمبديل منه كأن يكون البديل دالاً على الإحاطة والشمول، فيفيد معنى الجميع أو أن يكون الاسمان يطلقان على ذات واحدة فيفيد اجتماعهما فضل التوكيد »^(٧).

إن ما ذهب إليه الدكتور (السامرائي) هو ظاهر قول سيبويه من أن عامل البديل هو عامل المبديل منه^(٨)، وابن عقيل يقول عن العامل في البديل « فالأكثر أن العامل مقدر معه، وهو من جملة ثانية، وقال قوم: منهم المبرد ليس على

(١) ينظر: المقرب: ٢٤٢/١.

(٢) ينظر: معاني النحو: ٢٠٣/٣.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٦٦/٣.

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٣٣٦/٣ وما بعدها.

(٥) ينظر: شرح ابن ناظم: ٣٩٣.

(٦) الإتقان: ١٦٦٤.

(٧) معاني النحو: ٢٠٨/٣.

(٨) ينظر الكتاب: ١٥٠/١.

التكرار بل العامل هو الأول وهو ظاهر قول سيبويه واختاره (ابن عصفور) والمصنف في الشرح ، وأيد بإبدالهم المجرور من المجرور بلا إعادة خفض والفعل المنصوب من مثله والمجزوم من مثله بلا إعادة والجميع فصيح^(١).

والذي أذهب إليه أن العامل مكرر ، وهو مذهب الأكثرين من النحاة^(٢).

يقول ابن يعيش : « وإذا قلت رأيت أخاك زيداً ، فتقديره : رأيت أخاك رأيت زيداً فذلك المقدر هو العامل في البديل إلا أنه حذف لدلالة الأول عليه ، فالبديل من غير جملة المبدل منه ، وهذا مذهب أبي الحسن الأخفش وجماعة من محققي المتأخرين كأبي علي والرماني وغيرهم والحجة لهم في ذلك أنه قد ظهر في بعض المواضع^(٣) ، وأما قول الدكتور (السامرائي) : (أنه ليس ثمة تأكيد في الحكم) فهذا خلاف ما قرره النحاة من أن البديل يفيد التأكيد أو التبيين^(٤) ، يقول (سيبويه) : « وذلك قولك : رأيت قومك أكثرهم ، ورأيت بني زيد ثلثيهم ورأيت بني عمك ناساً منهم ، ورأيت عبد الله شخصه وصرفت وجوهها أولها ، فهذا يجيء على وجهين : على أنه أراد : رأيت أكثر قومك ، ورأيت ثلثي قومك ، وصرفت وجوه أولها ، ولكنه ثنى الاسم تأكيداً^(٥) ، و(ابن الناذم) صرح بأن البديل « لإفادة تأكيد الحكم وتقريره ؛ لأن الإبدال في قوة إعادة الجملة^(٦) ».

(١) المساعد : ٤٢٧/٢-٤٢٨ وما نسب إلى ابن عصفور على خلاف ما في المقرب إذ يقول : « إن البديل على نية استئناف عامل . . . والدليل على أنه في نية تكرار العامل إظهاره في بعض المواضع » ، المقرب : ٢٤٢/١ .

(٢) ينظر أسرار العربية : ٣٠١ ، المساعد : ٤٢٧/٢ ، شرح ابن الناذم : ٣٩٣ .

(٣) شرح المفصل : ٦٧/٣ .

(٤) ينظر : اللمع : ٦٨ ، المقرب : ٢٤٢/١ .

(٥) الكتاب : ١٥٠/١ ، وينظر : شرح المفصل : ٦٦/٣ .

(٦) شرح ابن الناذم : ٣٩٣ .

كما أن (لابن القيم) توظيفاً للبدل في الاستدلال على تأكيد وجوب الحج وهي عشرة أوجه ثانيها كان البدل ، يقول : « وتأمل سر البدل في الآية ^(١) المقتضي لذكر الإسناد مرتين ، مرة بإسناده إلى عموم الناس ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين ، وهذا من فوائد البدل تقوية المعنى وتأكيده بتكرار الإسناد ولهذا كان في نيته تكرار العامل وإعادته » ^(٢) .

وبهذا يمكن إجمال طرق التكرار في البدل بما يأتي :

- ١- حكم التوكيد الذي يفيد البدل إذ إن التوكيد هو تكرار على الحقيقة .
- ٢- تكرار العامل في البدل مما يعني أنه تكرار لصيغة الجملة الأولى (العامل المبدل منه) وإن لم يكرر لفظ المبدل منه غالباً .
- ٣- التطابق بن لفظي المبدل والمبدل منه ، في بدل كل من كل إذا دل البدل على معنى زائد كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ (الحج: ٢٨) ، على قراءة النصب في (كل) الثانية .
- ٤- شرط تطابق اللفظين في إبدال النكرة من المعرفة فيما نسب إلى الكوفيين .
- ٥- التوكيد من إفادة الإحاطة والشمول في إبدال الاسم الظاهر من الضمير للمتكلم أو المخاطب .

أقسام البدل

- ١- بدل كل من كل ^(٣) : هو أن يتحد البدل والمبدل منه بالمعنى ^(٤) فهذا

(١) قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧) .
(٢) بدائع الفوائد تأليف : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق : علي بن محمد العمران ، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدّة ، د . ط ، د . ت : ٤٦٠ .

(٣) استجاد ابن مالك تسمية هذا النوع بدل موافق من موافق ، تحرزاً مما يطلق عليه لفظ « كل » من أسماء الله وصفاته ينظر : شرح التسهيل ٣/ ٣٣٣ .
(٤) ينظر : المقتضب : ٦٤/١ ، شرح التسهيل ٣/ ٣٣٣ ، شرح الأشموني : ٤٣٦/٢ .

الاتحاد المعنوي هو تكرار أشبه التوكيد المعنوي ، وإن لم يرد به تأكيد ، وإنما ذُكر في التكرار الجزئي مراعاة لجانب اتحاد المعنى بين المبدل والمبدل منه .

يلاحظ أن البدل والمبدل منه في هذا النوع قد يتحدان في اللفظ وشرطه أن يكون في البدل زيادة بيان على المبدل منه قال تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ (الجمعة: ٢٨) ، على قراءة يعقوب فقد جاء إبدال (كل أمة) الثانية من (كل أمة) الأولى لما في الثانية من زيادة معنى في ذكر سبب الجئ^(١).

وقد نسب إلى الكوفيين اشتراطهم في إبدال النكرة من المعرفة إلا في اتحاد اللفظين^(٢) ، فيكون التكرار فيه أظهر وأن الشمول والإحاطة في البدل وجه من وجوه التأكيد في البدل عند النحاة ، وإذا كان المبدل منه ضمير مخاطب أو متكلم والبدل على الشمول والإحاطة ، كقولك : جئتم كبيركم وصغيركم^(٣) ومن هذا القسم ما جاء في قول حريث بن عئاب الطائي^(٤) : [البسيط]
هَلَا يَهْتَمُّ عُوَيْجًا عَنْ مُقَادَّعَتِي عَبْدَ الْمُقَدَّ ذَعِيًّا غَيْرَ صَائِبٍ
جاء الشاعر بـ(عبد المقد) بدلا من عُويج ، وهو بدل كل من كل .

(١) يُنظَر : شرح التسهيل : ٣/٣٣٤ ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إحياء كتب السنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة - مصر ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م : ٢٦٢/٢ .

(٢) يُنظَر : المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٢٨ ، بدائع الفوائد : ١٦٥٢ .

(٣) يُنظَر : الكتاب : ١/٧٩-٨٠ ، شرح ابن الناطم : ٣٩٧ ، معاني النحو : ٢٠٦/٣ - ٢٠٧ .

(٤) ديوان اللصوص : ١/٢١٥ ، وَقَدَّعَهُ يَقْدَعُهُ قَدْعًا وَأَقْدَعَهُ وَأَقْدَعُ لَهُ إِقْدَاعًا رَمَاهُ بِالْفَحْشِ وَأَسَاءَ الْقَوْلِ فِيهِ ، يُنظَر : لسان العرب : (قذع) ٨/٢٦٢ ، وَالْمَقْدُ مُنْتَهَى مَنَبَتِ الشَّعْرِ مِنْ مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ ، يُنظَر : لسان العرب : (قذذ) ٣/٥٠٤ .

٢- بدل بعض من كل : وحده « أن نبدل لفظاً من لفظ ، بشرط أن يكون الثاني واقعاً على بعض ما يقع عليه الأول »^(١) . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

قال السيوطي : « فالبعض والاشتغال يكونان توكيداً أو بياناً »^(٢) ، ولا بُدُّ لهذا النوع من البديل من رابط ضميري يعود على المبدل منه »^(٣) .

وقد يخلون منه^(٤) . ولعل هذا الإلزام ما يميز مثل هذه التراكيب في اللغة العربية عند الكلام عن الإحالة ، فهي هنا لازمة وهذا من مميزات التماسك في النص العربي . يقول القتال الكلابي^(٥) : [الطويل]

لَهُمْ جَزْرٌ مِنْكُمْ عَبِطٌ كَأَنَّهُ وَقَاعُ الْمُلُوكِ فَتَكُهَا وَاعِصَابُهَا

(١) المقرب : ٢٤٣/١ وَيُنْظَرُ : شرح التسهيل : ٣٣٥/٣ .

(٢) الأشباه والنظائر في النحو ، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ١/١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م : ٢٢١/٣ .

(٣) أسرار العربية : ٢٩٨ وشرح ابن الناطم : ٣٩٤ ، ويقول الدكتور مصطفى حميدة إن الضمير الرابط من المناسب أن يطلق عليه واسطة ، نقداً منه لتعريف ابن مالك للبديل بقوله : « التابع المقصود بالحكم بلا واسطة » وعرف الواسطة « هي كل قرينة لفظية تستخدمها العربية لاصطناع علاقة ربط بين طرفين » ، نظام الارتباط والربط : ١٨٦ ولا أراه قد وفق فيما ذهب إليه ؛ لأن الضمير وإن كان هو الأصل في الروابط إلا أنه لا يقصد به إثبات حكم البديل والذي عناه النحاة بلا واسطة إخراج العطف من حد البديل ، مع أن البديل لا يحتاج كل قسم من أقسامه إلى الرابط الضميري ؛ فقد يوجد الرابط الضميري العائد على المعطوف عليه في جملة العطف ، ولا يمكن الاستغناء عن أداة العطف لأنها الواسطة فيه .

(٤) يُنْظَرُ : المقرب : ٤٤/١ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٣٣ . الجزر : نحر الجزار الجزور والفعل جزر يَجْزُرُ ، والجزر . كل شيء مباح للذبح والواحدة جَزْرَةٌ . العين : (جزر) ٢٣٨/١ . يقال لحم عبيط أي طري . يُنْظَرُ : العين : (عبط) ٨٦/٣ .

فـ(فتكها) بـدل بعض من كل (وقاع الملوكة) ، وقد تضمن ضميراً يعود على المبدل .

وقول طهمان بن عمرو الكلابي^(١) : [الطويل]
ظننتُ به ظناً فَقَصَّرَ دُوْنَهُ فلا زال رثاً غَمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ
فلا زال رثاً يعني سيفه ، وأبدله ببعضه فقال : (غَمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ) وقد ضمنه ضميراً يعود على المبدل ، فقوَّى به الربط بالإضافة إلى نوع التكرار الحاصل من البديل نفسه .

٣- بـدل الاشتمال : يُعرفه النحاة بأنه « بدل شيء من شيء ليشمل عامله على معناه بطريقة الإجمال كأعجبني زيد علمه »^(٢) .

والاشتمال يجيء للتأكيد وقد مرَّ في بدل البعض كلام السيوطي ، كما أنَّه يتفق وبـدل البعض على لزوم اقتران البـدل بضمير رابط متعلق بالمبدل منه^(٣) .

يقول القتال الكلابي^(٤) : [الطويل]
جَلِيدٌ كَرْنِمٌ خِيْمُهُ وَطَبَاغُهُ عَلَيَّ خَيْرٌ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ

خيم بدل اشتمال من الضمير المقدر (هو) أي : هو كريم خيمه .
فالتكرار هنا يصدق عليه الجزئية إذ إن البـدل هو جزء من المبدل منه والمبدل منه مشتمله ، وحقيقة هذا الاشتمال هو للمعنى دون اللفظ .

٤- البـدل المبـاين للمبدل منه ، وهو قسـمان :

١- بـدل الإضراب : ويسمى بـدل بـداء وهو « أن تبدل لفظاً تريده من لفظ أردته أولاً ثم أضربت عنه »^(٥) ، يقول ابن مالك « ولو جعلت بينهما (بل) لكان حسناً »^(٦) .

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٤٨ .

(٢) شرح الأشموني : ٤٣٦/٢ .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو : ٢٢١/٣ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٢٩ . الخيم سعة الخلق . العين : (خيم) ٤٥٨/١ .

(٥) المقرب : ٢٤٣/١ ، شرح التسهيل ، ٣٣٦/٣ .

(٦) شرح التسهيل : ٣٣٦/٣ .

٢- بدل الغلط والنسيان : وهو « ما يريد المتكلم ذكر متبوعه بل يجري لسانه عليه من غير ما قصد كقولك : لقيت رجلاً حماراً »^(١).

يقول ابن يعيش : « الأولى أن تأتي بيل للإضراب عن الأول »^(٢) ، وإن مثله لا يأتي في قرآن ولا في شعر^(٣) ، فإن كان من سبق اللسان سمي غلطاً وإن كان من التوهم في المراد سمي نسياناً^(٤).

الثالث : شبه التكرار .

يمكن تعريفه بأنه : تكرار بتغيير في التشكيل الصوتي لعنصر سبق استخدامه^(٥) . وهذا النوع من التكرار يكون في :

١- الجنس^(٦) :

أ- الجنس المضارع : هو وإن اختلفا في حرف أو حرفين بمعنى أن شبه التكرار يحصل في تقارب مخارج الحرفين المختلفين .

(١) شرح ابن الناطم : ٣٩٥ .

(٢) شرح المفصل : ٦٥/٣-٦٦ .

(٣) يُنظَر : الأصول في النحو : ٤٨/٢ .

(٤) يُنظَر : المقرب : ٢٤٣/١ .

(٥) هذا التعريف من صياغة المؤلف يُنظَر معناه في : نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٨ .

(٦) يرى الدكتور سعد مصلوح أن كل أنواع الجنس المحرف تدخل في شبه التكرار ولم يحددها ، والذي أراه أن شبه التكرار يقتصر على مستوى التشكيل الصوتي ، فيختص بالأنواع الثلاثة التي ذكرتها ، وهو ما اجتهدت فيه مسترشداً بكلام الدكتور نفسه : إذ يقول : « وهو يقوم في جوهره على التوهم ، إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض ، كما تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية ، القائمة على الاشتقاق أو تباين صرفيات الإعراب ، ويتحقق شبه التكرار غالباً في مستوى التشكيل الصوتي » نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٨ .

ب - الجنس المحرف : هو « بأن يقع اختلاف في الحركات ، كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾^(١)

(الصفات: ٧٢-٧٣) .

ج - الجنس اللفظي : هو « أن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله تعالى: ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾^(٢)

(القيامة: ٢٢-٢٣) .

٢ - الترادف^(٣) : هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد^(٤) .

ويعرف الترادف أيضاً بأنه « الاتحاد في المفهوم لا الاتحاد في الذات كالإنسان والبشر ، وحق المترادفين صحة حلول كل منهما محل الآخر »^(٥) ، وقد يستعمل مصطلح (الترادف السياقي) مقابل الترادف في اللغة بصفة عامة كما ذكر الدكتور محمد العبد^(٦) وقد عرّف بالمترادفات السياقية ، ف « هي عبارة عن ألفاظ ذات دلالة منطقية متفاوتة لا يشترط ارتباط اللفظ بالآخر

(١) يُنْظَرُ : الإِتْقَانُ : ٥٩٩ ، والتلخيص : ٣٨٩ .

(٢) يُنْظَرُ : الإِتْقَانُ : ٥٩٩ ، والتلخيص : ٣٨٩ .

(٣) أنكر الترادف بعض أهل اللغة كتعالب وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، يُنْظَرُ : الخصائص :

٣١٠/٢ والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت

٣٨٤ هـ) تحقيق : الدكتور فتح الله صالح علي المصري ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،

المنصورة - مصر ، ط/١ ، ١٩٨٧ م . : ٢٥ ، وقد عرض المحقق لآراء الفريقين قديماً

وحديثاً ونقل آراء لبعض المستشرقين . والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة

جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، شرحه وصححه وعنون موضوعاته وعلق

حواشيه : محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد

البجاوي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط/٣ ، د . ت : ٤٠٣/١ .

(٤) المزهر : ٤٠٢/١ .

(٥) الكليات : ٣١٥

(٦) يُنْظَرُ : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، مدخل لغوي أسلوب ، تأليف : الدكتور

محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط/٢ ، ٢٠٠٧ م : ٦٦ .

ارتباطاً موضوعياً ، ولكن يستنتج هذا الارتباط في الجملة المفردة أو السياق الكبير من خلال طبيعة الكلام^(١) .

كما تجدر الإشارة إلى أن من الدارسين من حدد الترادف بالمطلق ؛ ومعناه أن الاتفاق بين اللفظتين اتفاقاً تاماً ، وهو نادر الوقوع في أية لغة^(٢) ، والأمثلة التي تصلح للترادف المطلق هي المزوجة في الاستخدام بين الكلمات الأجنبية ومرادفاتهما باللغة العربية مثل (هاتف/تليفون) بحسب وجهة نظر الدكتور (عزة شبل)^(٣) .

ويمكن إظهاره في قول مالك ابن ربيع الأسدي^(٤) : [الوافر]
فَأَمِنْ خَائِفٍ بِهِمْ طَرِيدٌ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْبَعِيدُ
فد(النائي) البعيد (نأي) النَّائِي الْبَعِيدُ نَأَى يَنْأَى بَعْدُ^(٥) .
ومثله في قول المرّار الفقعسي^(٦) : [الطويل]

(١) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي : ٦٦
(٢) ينظر : دور الكلمة في اللغة ، تأليف : ستيفن أولمن ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : الدكتور محمد كمال بشر ، مكتبة الشباب - مصر ، د . ط ، ١٩٨٨ م : ١٠٩ .
(٣) ينظر علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٨ ، وهذا تمثيل غير دقيق فيما يبدو لي ، فالترجمة ليست من باب الترادف في شيء ، وإلا لاتسع حقل المترادفات إلى غير ضابط ، وهذا التمثيل قد يوهم بتأييد الدعوة إلى استعمال اللفظ الأجنبي مقابل اللفظ العربي ، مع العرض أن الدكتور (أحمد مختار عمر) جعل (الترجمة) من أقسام الترادف لدى لغويي الغرب . ينظر : علم الدلالة ، تأليف : الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٩٨ م : ٢٢٢ ، الألفاظ المترادفة : ٢٥ .
(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧ .

(٥) لسان العرب : (نأي) ٣٠٠/١٥ ، تاج العروس (نأي) : ٥/٤٠ .
(٦) شعراء أمويون : ٤٥٢/٢ . ومعنى أشيعاً أظهرها أَنَا نَقَسُمُ ما عندنا من اللَّحْمِ حتى يَقْصِدُنَا الْمُسْتَطْعِمُونَ وَيَأْتِينَا الْمُسْتَرْفِدُونَ ، ثم قَالَ : وَأَيُّ زَمَانٍ قَدَرْنَا لَمْ تَمْشُرْ أَيُّ هَذَا الَّذِي أَمَرْتَكُمَا بِهِ هُوَ خَلَقَ لَنَا وَعَادَةً فِي الْأَزْمَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . لسان العرب : (مشر) ١٧٤/٥ .

وَقُلْتُ أَشِيْعَا مَشَرَا الْقِدْرَ حَوْلَنَا وَأَيُّ زَمَانٍ قَدَرْنَا لَمْ تُمْشِرْ
قال الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) : « قال الليث : شاع الشيء يشيعُ مَشَاعًا
وشيعُوعَةً ، فهو شائع ، إذا ظهر وتفرق ، وقال غيره : أَشَعَّتْ الْمَالُ بَيْنَ الْقَوْمِ
وَالْقِدْرُ فِي الْحَيِّ إِذَا فَرَّقَتْهُ فِيهِمْ »^(١).

والتمشير التقسيم لكل شيء وقيل في اللحم خاصة^(٢) ، يقول (ابن فارس)
(ت ٣٩٥ هـ) : « الميم والشين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على تشعُّبٍ في شيء
وتفرُّق »^(٣).

ومن أمثله أيضاً ما جاء في قول أبي النشاش النهشلي^(٤) : [البسيط]
حَتَّى إِذَا اسْتَمَكَّتْ رِجْلَايَ مِنْ هَرَبٍ لَمْ آلْ شِدًّا بِتَعْدَاءٍ وَتَحْضَارٍ
يقول (ابن فارس) : « الْحُضْرُ الَّذِي هُوَ الْعَدُوُّ مِنَ الْبَابِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ الْفَرَسَ
وغيره يُحْضِرَانِ مَا عِنْدَهُمَا مِنْ ذَلِكَ ، يُقَالُ : أَحْضَرَ الْفَرَسَ وَهُوَ مُحْضِرٌ
سريع الحضر ومحضار ، ويقال حاضرت الرجل اذا عدوت معه »^(٥).

فالتحضر مرادف للتعداء ، ويلمح هنا ميول الشاعر إلى إبراز المضمون
الانفعالي للكلمة الأولى وإعلائها بذكر ما يرادفها في المضمون العقلي^(٦) وهو
التعداء ، وفي الترادف من التأكيد على طريقة الهروب (التعداء) ومرادفه
(التحضر) فلا تصور من هارب أن يجد ما يركب عليه من فرس ونحوه حتى

(١) تهذيب باللغة : (شاع) ٦٠/٣-٦١ .

(٢) ينظر : العين : (مشر) ١٤٢/٤ ، لسان العرب : (مشر) ٢٠/٤ ، تاج العروس (مشر) :
١٢١/١٤ .

(٣) مقاييس اللغة : (مشر) ٣٢٦/٥ .

(٤) ديوان اللصوص : ٢٨٩/٢ . وفي لسان العرب : (ألا) ٣٩/١٤ يقول : « أَلَا يَأْلُو أَلْوًا
وَأَلْوًا وَأَلِيًّا وَإِلِيًّا وَأَلِيَّ يُولِّي تَأْلِيَةً وَأَتَلَى : قَصَرَ وَأَبْطَأَ » .

(٥) مقاييس اللغة : ٧٦/٢ ، ينظر : لسان العرب : (حضر) ٢٠١/٤ .

(٦) ينظر : إبداع الدلالة : ٦٧ .

يكون التحضار هنا في الركوب ، ومما يعضد هذا تقدم ذكر الرجل في الشطر الأول ، وهي وسيلة العدو وزيادة التأكيد أنه لم يقصر في جهد بالتعداء .

ومنه قول جعفر بن علبة الحارثي : ^(١) [الطويل]

إذا بابُ دُورَانِ تَرَكَّمْ في الدُّجَى وَشَدَّ بِأَغْلَاقٍ عَلَيْنَا وَأَقْفَالِ
الأغْلَاقِ والأَقْفَالِ بالمعنى نفسه ، أراد الشاعر من ذكر الترادف هنا هو التأكيد على أن هذا السجن محكم لا يرجى الهرب منه أو الخروج من خلال بابه .

فالترادف وسيلة من وسائل تماسك النص يرجع استعمالها بدل التكرار المباشر لنفي الملل عن المتلقي ؛ لأنَّ اللفظ المترادف يضيف على محتوى النص تنوعاً لا يقاربه الضجر غالباً ^(٢) .

٣- شبه الترادف : يكون « حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً لدرجة يصعب معها - بالنسبة لغير المتخصص - التفريق بينهما » ^(٣) .

يقول (استيفن أولمن) : « اللغة الإنجليزية غنية بصفة خاصة بالمترادفات أو أشباه المترادفات بتعبير دقيق » ^(٤) .

فهو يرى أن مصطلح (أشباه المترادفات) أدق في التعبير ، وهو ما يميل إليه البحث بالنظر إلى ما نقله الدارسون عن اللغات الأجنبية ^(٥) ، أما في العربية فهو الترادف بغض النظر عن الخلاف في إثباته .

(١) ديوان اللصوص : ١٩٤/١ « والغَلَقُ : المِغْلَاقُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ مَا يُغْلَقُ بِهِ الْبَابُ وَيُفْتَحُ ، وَالْجَمْعُ أَغْلَاقٌ » لسان العرب : (غلق) ٢٩١/١٠ . والقفل والقُفْلُ : ما يُغْلَقُ بِهِ الْبَابُ مِمَّا لَيْسَ بِكَثِيفٍ وَنَحْوِهِ ، وَالْجَمْعُ أَقْفَالٌ وَأَقْفُلٌ ، أَقْفَلْتُ الْبَابَ وَقَفْلُ الْأَبْوَابِ مِثْلُ أَغْلَقْتُ وَغَلَقْتُ ، لسان العرب : (قفل) ٥٦٢/١١ .

(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٧ .

(٣) علم الدلالة : ٢٢٠-٢٢١ وعلم لغة النص : ١٠٦ .

(٤) دور الكلمة في اللغة : ١١١ .

(٥) ينظر : لسانيات النص : ٢٤-٢٥

فلا داعي فيما يظهر لي بالتشبيث بكل ما يرد من ترجمات عن اللغات الأخرى ، مما يربك المثال والمصطلح العربي ويظهر نماذج من التعسف في صوغ الأمثلة^(١).

٤ - **الإعادة بالمطلق** : وهو « أن إحدى الكلمات تشير إلى فئة والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة »^(٢).

وحدّ هذا النوع من التكرار هو أشبه ما يكون في اجتماع للمطلق ومقيد له في نص واحد والمطلوب هو المقيد ، كالذي استعمله (جندر العكلي) في قوله^(٣) : [الطويل]

تَرَبُّعٌ غَوْلًا فَالرَّجَامُ فَمَنْعِبًا فَعَرَفْتُهُ فَالْمِثُّ مِثُّ نَضَادٍ
فالميث : لفظ مطلق دال على مدلول شائع في جنسه^(٤) ، جاء بعده (ميث نضاد) مقيد بالإضافة الى نضاد وفيه التكرار ظاهر بين ما أطلق من اللفظ

(١) مثل الدكتور أحمد مختار عمر لهذا النوع بكلمات (عام ، سنة ، حول) ، فهي واردة في مستوى واحد في اللغة وهو القرآن الكريم على حد قوله ، ولا يعرف الورد في المستويات اللغوية لأخرى (شعراً ونثراً) ، ولا أرى أن الدكتور قصد أنها وردت من غير فروق كما فهم منه هذا بعض الدارسين لأنها تكون حينئذ مترادفات ، يُنظَر : علم الدلالة : ٢٢١ ، الألفاظ المترادفة : ٢٥ .

(٢) علم لغة النص : ١٠٨ .

(٣) معجم البلدان : ١٠٧/٤ ، وفيه (٢٢٠/٤) « غول والرجام : جبلان ، وقيل : الغول ماء معروف للضباب بجوف طخفة به نخل يذكر مع قادم وهما واديان » وفيه (٢١٢/٥) « بالفتح ثم السكون ، وكسر العين ، والحيم ، وهو من نعج ينعج إذا سمن ، وهو واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فلج » وفيه (٢٤١/٥) « مِثٌّ : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، والميثاء : الرملة اللينة » وفيه (٢٩٠/٥) « نَضَادٌ : بالفتح ، وآخره دال مهملة جبل بالعالية ، ولغنيّ أيضا يقال له نضاد في جوف النير » وينظر الشاهد : ديوان اللصوص : ١٥٥/١ ، وفي شعراء أمويون : ١٧٢/١ فالमित ميت تضاد .
(٤) يُنظَر : الوجيز في أصول الفقه ، الدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م : ٢٢٥

وما قيد به فأصلهما واحد . ومثله ورد في شعر يعلى الأحول : ^(١) [الطويل] .
فَمَرَّانُ فَالْأَقْبَاصُ أَقْبَاصُ أَمْلَجٍ فَمَاوَانُ مِنْ وَادِيهِمَا شَطْنَانُ
فـ(الأقباصُ) ^(٢) مطلقٌ قِيدٌ بالإضافة في (أقباصُ أَمْلَجٍ) .

٥- الاسم العام :

ذكر (هاليداي ورقية حسن) أن العقود من الأسماء العامة «مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل : اسم الإنسان ، اسم المكان ، واسم المواقع وما شابهها ، الناس ، الشخص ، الرجل ، المرأة ، الطفل ، الولد ، البنت ..» ^(٣) .
كما قسم (هاليداي ورقية حسن) الأسماء العامة إلى ثلاث مجموعات ^(٤) ،
والذي يبدو لي أن من الضروري إضافة مجموعة رابعة لأسماء عامة تخص
الزمن فهناك أسماء زمان تدل على العموم ، وسيأتي ذكرها بعد ذكر
مجموعات (هاليداي ورقية حسن) التي هي :

١- الاسم العام الدال على الإنسان ، مثل : (الناس - الشخص - المرأة - الطفل)

من أمثلته ما يقول الخطيم المحرزي ^(٥) : [الطويل]

وما لامني في حُبِّ عِزَّةٍ لائِمٍ من الناسِ إلا كان عندي من العدا

لفظ (الناس) من الألفاظ العامة الدال على الإنسان .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٩/١ . وفي معجم البلدان : ٩٥/٥ «مرآن : قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على طريق البصرة» ، وفيه (٤٥/٥) «ماوان هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي بذلك الماء ماوان» ، وفيه (٣٤٤/٣) شَطْنَانُ : واد بنجد عليه قبائل من طيء .

(٢) والأقباص جمع من القَبِصُ في الرأس : ارتفاعٌ فيه وعِظَمٌ ، ينظر : لسان العرب : (قبص) ٦٩/٢ ، وأملج لم أقف على تحديده في معجم البلدان .

(٣) (٢٧٥-٢٧٦ p. cohesion in english) نقلًا عن : لسانيات النص : ٢٥ ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٨-١٠٩ .

(٤) نقلًا عن علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٨ .

(٥) شعراء أمويون : ٢٦٣/١ .

٢- الاسم العام : الدال على مكان ، مثل : (مكان - موضع - ناحية - اتجاه)

وشاهده في قول حريث بن عئاب الطائي ^(١) [الطويل]

إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ لَمْ يَكُنْ قَائِدًا أَعْمَى وَآخِرُ مُبْصِرٍ

فـ (الطريق) اسم عام دلّ على مكان وهو لم يحدد طريقاً بعينه .

ومنه أيضاً يقول (القتال الكلابي) ^(٢) : [الطويل]

سَقَى اللَّهُ حَيًّا مِنْ فِزَارَةٍ دَارُهُمْ بِسَيِّ كِرَامًا حَيْثُ أَمْسَوْا وَأَصْبَحُوا

جاء بـ (حيث) اسم عام دلّ في البيت على المكان .

الاسم العام : الدال على حقيقة ، مثل : (سؤال - فكرة - شيء - أمر -

موضوع) وقد ورد في قول طهمان بن عمرو الكلابي ^(٣) [الكامل]

مَا زِلْتُ أَسْأَلُ أَئِنَّ أَلْتِ وَأَلْتَحِي غُرُضَ الْفَلَاةِ بِصُحَّتِي وَأَبَاعِرِي

في البيت سؤال بأداة الاستفهام (أين) وهي من الألفاظ العامة الدالة على

السؤال .

الاسم العام الدال على الزمان ، مثل : (زمن ، وقت ، مدة ، أمد ، حين ،

ونحوها) وفيه يقول (فضالة بن شريك الأسدي) ^(٤) : [الوافر]

فَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَقَادٍ

من الألفاظ الدالة على الزمن بدلالة عامة لفظ (حين) ، فالشاعر لم يحدد

زمنًا بعينه لقطع ذات عرق .

(١) ديوان اللصوص : ٢١٧/١

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٣٩ . سبى بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، من السبّ والألف

للتأنيث كلفوى ورضوى : وهي ماء في أرض فزارة وقيل ماء لبني سليم ، ينظر :

معجم البلدان : ١٨٢-١٨١/٣ .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١١٨ .

(٤) معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٩ .

ومنه أيضاً قول المَرَارِ الفَقْعَسِيَّ^(١) : [الرجز]

دَارُ لِسُغْدَى وَابْتَسَى مُعَاذِ

أَزْمَانٍ حُلُو الْعَيْشِ ذُو لِيَذَاذِ

أزمان جمع (زمن) وهو لفظ عام في دلالة على الزمن ، فأزمان حلو العيش لم تحدد ، بزمن^(٢) .

تكرار الجمل والقصص والمواقف

يلاحظ أن ما تقدم من تفصيل في هذا المبحث ، قد تناول تكرار الألفاظ المفردة ، وكان السعي لاتساع أكبر عدد ممكن من أنواع التكرار في المفردات ، غير أن من تمام الفائدة في هذا المبحث الكلام عن أنواع أخرى من التكرار ؛ إذ إنه ليس « مقصوراً على عدد من الألفاظ في الجملة بل قد تتكرر جملة كاملة وقد تتكرر فقرات وقصص ومواقف ونصوص ... إلخ »^(٣) .

(١) تاج العروس : (قيد) ٤٦١/٩ .

(٢) الذي أذهب إليه أن هذا التقسيم قصر عن شمول كل ألفاظ العموم ، وقد استوعبها بآظهر ما يكون التراث العربي الإسلامي في مباحث علم أصول الفقه فقد تناولت مصادره موضوعات العام بكل جوانبه والذي يعني الباحث هنا ما وضعه الأصوليون تحت عنوان ألفاظ العموم التي هي في الحقيقة مباحث لغوية صرفة ولعل أشهرها سبعة ، ما أفاد العموم بلفظه مثل (كل ، جميع) ، المعروف بأل الاستغراقية : مفرداً كان أم جمعاً ، المعروف بالإضافة مفرداً كان أم مجموعاً ، أسماء الشرط : مثل « من ، ما ، أين ... إلخ ، أسماء الاستفهام : مثل « من ، وما ... إلخ ، الأسماء الموصولة : الذي ، التي ، من ، ما ... إلخ النكرة في سياق النفي أو النهي . يُنظَر : الوجيز في أصول الفقه : ٢٤٢ ، وما بعدها باختصار وتصرف . إن ما قسمه (هاليداي) ورقية حسن) في الاسم العام صوابه أنه لا يخرج بحال من أحد أقسام الأسماء الدالة على العموم عند الأصوليين بل إن الأصوليين في تقسيمهم قد استوعبوا أكثر ما يمكن أن يرد في إفادة العموم .

(٣) علم اللغة النصي : ٢٠/٢

والذي يهم هنا إبراز هذه الأنواع من التكرار في شعر الصعاليك ؛ لأن التكرار في بعض هذه الأنواع (الجمل والفقرات) تظهر فاعليته وأهميته على مستوى القصيدة الواحدة ، أما تكرار القصة فلا يكون على مستوى قصيدة واحدة ، فقد تتكرر القصة بين قصيدتين فأكثر .

تكرار جملة النداء :

وقد اكتفى بمثال واحد عن تكرار الجمل في قصيدة واحدة ، وهو تكرار جملة النداء في قصيدة القتال الكلابي^(١) [الطويل]

أَعَالِي أَعْلَى اللَّهِ جَدِّكَ عَلِيَا	وَأَسْقَى بِرِيَاكِ الْعِضَاءَ الْبَوَالِيَا
أَعَالِي مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ	بَأَحْسَنَ مِمَّا تَحْتَ بُرْذِيكَ عَلِيَا
أَعَالِي لَوْ أَنَّ النَّسَاءَ بَيْلُدَةً	وَأَلَتْ بِأُخْرَى لَا تَبْعَكَ مَا ضِيَا
أَعَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي	إِلَى عُصْنِ رُطْبٍ لِأَصْبَحَ ذَاوِيَا
أَعَالِي أَخْتِ الْمَالِكِينَ نَوَلِي	بِمَا لَيْسَ مَفْقُودًا وَفِيهِ شِفَايَا
أَصَارِمِي أُمَّ الْعَلَاءِ وَقَدْ رَمَى	بِي النَّاسُ فِي أُمِّ الْعَلَاءِ الْمَرَامِيَا
أَيَا إِخْوَتِي لَا أَصْبَحَنَّ بِمُضِلَّةٍ	تَشِيبُ إِذَا غَدَتْ عَلَيَّ التَّوَاصِيَا
فَرَادٍ لَدَيْكَ الْقَوْمَ وَاشْعَبْ بِحَقِّهِمْ	كَمَا كُنْتُ لَوْ كُنْتُ الطَّرِيقَ مَرَادِيَا
وَشَمَّرْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْكَ غَضَاظَةً	وَلَا تُنْسَ يَا ابْنَ الْمَضْرُوحِي بَلَالِيَا

تكرر أسلوب النداء في سبعة مواضع من قصيدة عدد أبياتها تسعة ، وقد

(١) ديوان القتال الكلابي : ٩٤ وفيه : لأصبح باليا وما أثبتته من الأغاني : ٨٩/٢٤ ، وديوان اللصوص : ١١٠/٢ . العِضَاءُ اسم يقع على شجر من شجر الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العِضَاءُ ، وإنما العِضَاءُ الْخَالِصُ منه ما عَظُمَ واشتَدَّ شَوْكُهُ . لسان العرب : (عضض) ١٩٠/٧ . ذوي : ذُوِي يَلْدُوِي ذُبَاً ، وهو أن لا يصيب النبات والحشيش رِيَهُ ، أو يضربه الحر فينبُل ويضعف * العين : (ذوي) ٧٩/٢ . وأَرْضٌ مُضِلَّةٌ وَمَضِلَّةٌ : يُضِلُّ فِيهَا وَلَا يَهْتَدِي فِيهَا لِلطَّرِيقِ . لسان العرب : (ضل) ٣٩٤/١١ .

استفتح الأبيات الخمسة الأولى منها بتكرار نمط واحد من النداء هو (أعالي) وقد رخم الاسم (العالية) وهي العالية بنت عبيد الله بنت عم القَتال^(١) في البيت الثاني مرتين بحذف الهمزة في الأخيرة منهما ، والموضع السابع هو في البيت السابع وكان بالأداة (أيا).

ولعل لهذا التكرار من الشاعر مبررا يُلتمس في سبب إنشاده القصيدة ففي الأغاني : « القصيدة . . . يقولها القتال يحضُّ أخاه وعشيرته على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ، ويلومهم في قعودهم عن المطالبة بنار لهم قبل بني جعفر بن كلاب^(٢) فهو في مقام الاستجداء والحض وأسلوب النداء هذا بابه ، ولكن النداء هنا لم يوجه إلى أخيه وعشيرته مباشرة باستثناء الموضع الأخير (أيا إخوتي) بل وجهه إلى العالية وهي سبب ما وقع له ، فكأنه يصرفهم إلى ما كان سبباً وأنه لا يلام على قتل زياد بن عبيد الله ، فيحض أخاه بالتشهير لنجدته ، فيقول :

وَشَمَّرْ وَلَا تُجْعَلْ عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ وَلَا تُنْسَ يَا ابْنَ الْمُضَرِّحِيِّ بِلَانِيَا

وهذا التكرار الذي ضمنه الشاعر قصيدته تكرر له أثره في تماسك النص ، فسياق النص والموقف الذي فيه الشاعر استجلبا هذا النوع من التكرار ولا سيما النداء في مطالع الأبيات الخمس الأولى (أعالي) فالشاعر يترك بصمته في مدى تعلقه بالعالية ، وكيف لا يمكنه الابتداء إلا بها ، ثم هو حتى بعد أن انفصل عن هذا الاسم في الأبيات في باقي القصيدة ، لكنه لم ينفصل مباشرة بل مهد له بالبيت السادس بالاستفهام وكان بالهمزة وهو نفس الحرف الذي استعمله للنداء ، ثم هو يكتني العالية بأَم العلاء لينتقل إلى الاستجداء والحض لتخليصه والأخذ بالنار ، فالتكرار هنا يظهر أنه غير نادم على القتل في هذا الوقت وما زال حب العالية في قلبه .

(١) يُنظَر : الأغاني : ٩١/٢٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٤/٢٤ .

موقف ابنة مالك بن الريب :

أما تكرار ذكر الموقف فكما مرَّ يكون بين قصيدتين فأكثر ، ويمكن هنا توظيف قصة خروج مالك بن الريب مع جيش سعيد بن عثمان بن عفان ، وبكاء ابنته عليه لظهار قيمة تكرار المواقف في عملية التماسك ، فقد تكررت هذه القصة مرات في شعره . يقول مالك ابن الريب^(١) : [الخفيف]

وَلَقَدْ قُلْتُ لَا بُتِّي وَهِيَ تَبْكِي بِدَخِيلِ الْهُمُومِ قَلْبًا كَنِيَا
وَهِيَ تُذْزِرِي مِنَ الدُّمُوعِ عَلَى الْخَدِّ ذِينَ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غُرُوبَا
حَذَرَ الْحُتَفِ أَنْ يُصِيبَ أَبَاهَا وَيُلَاقِي فِي غَيْرِ أَهْلِ شُعُوبَا
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنِّي رَبِّمَا مَا تَحْذَرِينَ حَتَّى أُوْرَبَا
ويقول^(٢) : [المتقارب]

تُسَالِلُ شَهْلَةَ فُقَالَهَا وَتَسْأَلُ عَنْ مَالِكٍ مَا فَعَلَ
تُؤْوِي مَالِكَ بِبِلَادِ الْعَذْوِ تَسْفِي عَلَيْهِ رِيَاخَ الشَّمْلِ
لِذَلِكَ شَهْلَةُ جَهَزْتَنِي وَقَدْ حَالَ دُونَ الْإِيَابِ الْأَجَلُ

ويقول من قصيدته المشهورة في رثاء نفسه^(٣) : [الطويل]

تَقُولُ ابْتَنِي لِمَا رَأَتْ طُؤْلَ رِخْلِي سِفَاؤُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا

(١) القصيدة اثنا عشر بيتاً اخترت منها الأول والثاني والرابع والسادس لوضوح معالم القصة فيهن ، ينظر : شعراء أمويون : ٢٤/١ - ٢٥ ، والغرب أعظم من الدلو ، وهو دلو تام ، وعدده أغرب ، وجمعه غُرُوبٌ ، العين : (غرب) ٢٧٠/٣ . تقول : شَعَبْتَهُمُ النَّمِيَّةُ أي فرقتهم ، ومنه سُمِّيَتِ النَّمِيَّةُ شُعُوبٌ ، لسان العرب : (شعب) ٥٠١/١ .

(٢) شعراء أمويون : ٣٨/١ . والشمل « على التَّخْفِيفِ الْقِيَامِيُّ فِي الشَّمَالِ ، وَهُوَ حَذْفُ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءُ الْحَرَكَةِ عَلَى مَا قَبْلَهَا » . لسان العرب : (شمل) ٣٦٦/١١ .

(٣) القصيدة أثنان وستون بيتاً ، اخترت منها البيت العاشر والبيت الثالث عشر ، والبيت السادس والخمسين والبيت الثامن والخمسين ، وفيهن ما يظهر القصة بمضمونها العام ينظر : شعراء أمويون : ٤٣/١ - ٤٨ . ينظر : ملحق رقم (٣) .

فَلَلَّهِ ذَرْيَ يَوْمٍ أَثْرُكَ طَانَعَا بَنِي بِأَعْلَى الرَّفْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
وَبِالرُّمْلِ مِثْلَ نِسْوَةٍ لَوَّ شَهْدَتِي بَكَيْنَ وَقَدَيْنِ الطَّيِّبِ الْمَذَاوِيَا
فَمِنْهُمْ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي وَبَاكِئَةً أُخْرَى تَهَيَّجُ الْبَوَاكِيا

قصة جحدر العكلي مع الأسد

لجحدر العكلي قصة مع الليث كررها في شعره ، وذلك عندما أراد الحجاج بن يوسف امتحانه فقفذه في بستان فيه أسد جائع ، فمشى إليه وهو يحمل سيفه وينشد (ليث وليث . . .) فما لبث أن قتله ، فنال إعجاب الحجاج وعفوه عنه^(١) ، وهي القصة التي «تعد المصدر الوحيد الذي يكشف عن بعض ملامح الشاعر»^(٢) وما كان عليه من شجاعة وإقدام ، يقول جحدر^(٣) : [الرجز]

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالِ ضَنْكَ
كَلَاهُمَا ذُو حَنْقٍ وَمَحْكٍ
وَبَطْشَةٍ فِي صَوْلَةٍ وَقَتِكَ
إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الثَّنْكَ
بِظَفَرٍ مِنْ حَاجَتِي وَذَرَكِ
فَهَرَّ أَحَقُّ نَزْلٍ بِتَرَكِ
الذَّبُّ يَعْوِي وَالْغَرَابُ يَيْكِي

وقد أثرت تقديم هذه القصيدة على سواها من شعره ؛ لأنها تبدو لي أنها أول قصيدة قالها في منازلة الأسد ؛ وذلك لأسباب منها : هي من بحر الرجز

(١) يُنظَرُ : خزنة الأدب/٧/٤٦٣-٤٦٧ ، وفي التمهيد تفصيل للقصة .

(٢) شعراء أمويون : ١٦٧/١ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٨-١٧٩ . حنق : الحنق : شدة الاغتياب ، حنق حنقا فهو حنق .

العين (حنق) ٣٦٦/١ . المحك : التماذي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحوه .

العين : (محك) ١٢٣/٤ .

وهو المناسب لموقف الشاعر فهو في حالة قتال ونزال ، ثم إن أسلوبها يدل على أنه كان يمارس الحدث ، فبدأ فنقل الأحداث مباشرة (ليث وليث) فهو لم يقص خبر منازلته الأسد ، كما سيأتي في غير هذه القصيدة مثل : (يا جمل إنك لو شهدت ...) ونحوها من أساليب الأخبار التي تدل على مرور زمن على الحادثة .

ويقول في هذه الحادثة أيضاً ^(١) : [الكامل]

يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ كَرِيهَتِي فِي يَوْمِ هَوْلِ مُسْدِفٍ وَعِجَاجٍ
وَتَقَدَّمِي لِلَّيْثِ أَرْسَفُ مُوثِقَا كَيْمَا أَكْبِرُهُ عَلَى الْأَحْرَاجِ
أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مُكْبَلَا لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَا جِي
نَازِلْتُهُ إِنَّ النَّزَالَ سَجِيَّتِي إِنِّي لِمِنْ سَلَفِي عَلَى مِنْهَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أُيِّنْتُ نَزَالَهُ إِنِّي مِنَ الْحِجَاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَقَلَقْتُ هَامَتُهُ فَخَرُّ كَانَهُ أَطُمَّ هَوَى مُتَقَوِّضِ الْأَبْرَاجِ
ثُمَّ التَّيَّيْتُ وَلِي قَمِيصِي شَاهِدًا مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ

ينقل الشاعر في هذه القصيدة خبر قتاله الأسد ، وقد أتاح له الوقت إضافة شخصية أساسية في الحادث (الحجاج) لم يتمكن من تضمينها في قصيدته

(١) القصيدة ثمانية عشر بيتاً فيها وصف الليث والأبيات المختارة أظهرت القصيدة بما يكفي الشاهد منها ، وهي : البيت الأول ، والبيت الثاني ، والبيت الثامن ، والباقي بتسلسلها في القصيدة من البيت الثاني عشر إلى البيت الخامس عشر ، شعراء أمويون : ١٧١/١-١٧٢ ، وجمل اسم امرأة كما في خزنة الأدب : ٤٦٧/٧ . ومُسْدِفٌ يَكُونُ الْمُضْيِ والمُظْلِمُ ، وهو من الأضداد . لسان العرب : (سدف) ١٤٧/٩ . يراد به في القصيدة الظلام ؛ لأنه يناسب المعطوف عليه (العجاج) . والأطُم : حصن مبني بحجارة ، وقيل : كل بيت مربع مسطح . لسان العرب : (أطم) ١٩/١٢ . الشَّخْبُ : الدَّم ، وكل ما سأل ، فقد شَخَبَ . وشَخَبَ أوداجه دَمًا ، فانشَخَبَتْ : قطعها فسالَتْ . لسان العرب : (شخب) ٤٨٥/١ .

الأولى ثم هنا تفاصيل للأحداث لم تكن أن ترد في بال الشاعر أثناء النزال مثل : طريقة مشيه وهو مقيد ، والفخر بشجاعته ، وأنه ورثها من أسلافه ثم التفكير بالعاقبة على يد الحجاج ، ووصف الأسد المقتول ووصفه لنفسه .

ويقول في ذكر هذه الحادثة أيضاً^(١) : [البسيط]

إِنَّ اللَّيَالِي نَجَتْ بِي فَهِيَ مُحْسِنَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا مِنَ الدِّيمَاسِ وَالْأَسَدِ

طروق خيال المحبوبة :

طرق القوم يطرقهم طرقاً وطروقاً جاءهم ليلاً فهو طارق^(٢) ، والخيال : « الظن والتوهم . . . والخيال مرتع الأفكار . . . والخيال قد يقال للصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته في المنام وفي اليقظة »^(٣) .

يقول السمهري العكلي^(٤) : [الطويل]

أَلَا طَرَقْتُ لَيْلَى وَمَا فِي رَهْنَةٍ بِأَشْهَبَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ مَسَامِرُهُ

ويقول أيضاً^(٥) : [الطويل]

أَلَا طَرَقْتُ لَيْلَى وَمَا فِي رَهْنَةٍ بِأَسْمَرَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ ثَقْلُ

ويقول^(٦) : [الطويل]

لَقَدْ طَرَقْتُ لَيْلَى وَرَجُلِي رَهْنَةً فَمَا رَاعَنِي فِي السَّجْنِ إِلَّا سَلَامُهَا

(١) شعراء أمويون : ١٧٢/١ ، وفيه (نحت بي) .

(٢) لسان العرب : ٢١٧/١٠

(٣) الكلبيات : ٤٣١

(٤) شعراء أمويون : ١٤٣/١ .

(٥) المصدر نفسه : ١٤٥/١ .

(٦) الأبيات من قصيدة له ، عدد أبياتها عشرون بيتاً ، وتسلسل الأبيات فيها هي السادس والسابع والثامن والبيت الحادي عشر ، شعراء أمويون : ١٤٦/١-١٤٧ . وتمامها : سَوَادٌ لَيْسَ بِشَدِيدٍ ، قَتَمٌ يَقْتَمُ قَتَامَةً فَهُوَ قَاتِمٌ وَقَتَمٌ قَتَمًا وَهُوَ أَقْتَمٌ ، لسان العرب : (قتم) ٤٦٠/١٢ .

فَلَمَّا ارْتَفَقْتُ لِلْخَيَالِ الَّذِي سَرَى إِذَا الْأَرْضُ قَفَرَتْ قَدْ غَلَاها قَتَامُهَا
فَقُلْتُ نِسَاءُ الْجِنِّ هَوْنُهَا لَنَا لِيَحْزُنَ عَيْنَا مَا يَجِفُّ سِجَامُهَا
فَإِنَّا نَكُنْ لَيْلَى طَوْتُكَ فَإِنَّهُ شَيْبَةُ بَلَيْلَى ذُلُّهَا وَقَوَامُهَا

الملاحظ في تركيب هذه الصورة هو أن الشاعر سجين مقيد بالحديد ، وهذا القيد تركز ذكره على الساق ، وهو أدعى إلى السكون وقلة الحركة ، وهذه الحالة غالباً ما تجلب الخيال ، وهناك صورة منسقة في ترتيب هذا الحدث في شعر الشاعر ، فعند تأمل البيتين الأولين يظهر أن الشاعر في طور التمني (ألا طرقت) ، وهذا هو في العادة بداية خواطر النفس ، ثم إن البيت الثاني زاد عنده تمني طروق محبوبته لتسليه وترفع عنه همه ، فقام بإبدال (أسمر) بـ(أشهب) وفيه لون الظلمة التي تخيم على نفسه قبل المكان المسجون فيه ، ثم صرح في الثاني أن هذا القيد ثقیل عليه (عليّ ثقیل) وكأنه تفسير منه عن سبب إعادة ما تمناه في (ألا طرقت ليلي) .

وفي الصورة الثالثة المكررة عنه ، كان وقوع الخيال والتوهم قد لا بسه فعلاً ، وكان هذا الخيال شديد الأثر في انفعاله حتى أنه استهل ذكره بـ (لقد) ، كما أنه قد غيّر ألفاظاً تقدمت معانيها من سيطرة الوهم على نفسه ، فقال (رجلي رهينة) ولم يقل (ساقِي رهينة) واستعماله أدعى في مثل من في موقفه ، فكأن رجله كلها مقيدة فلا يستطيع حركة ، وليس القيد على ساقه فقط ، كما أن الشاعر حصل على أكثر مما كان يرجو ويتأمل فارتاع من هذه الزيادة فقال : (فما راعني في السجن إلا سلامها) ، فكأنه لا يتوقع إلا طيفها يسليه فلما وقع منها سلام ارتاع وفرغ ، هذا السلام أوهمه أنها حقيقة لا خيال حتى ارتفعه ، فراه خيالاً ، فليس ثمة إلا (الأرض قفر قد علاها قتامها) ، فأدرك حينئذ أن الجن قد تصورت بصورتها .

وما تقدم هو تكرار هذه الصورة في شعر شاعر واحد ، وقد تكررت هذه الصورة مع شاعر آخر هو طهمان بن عمرو الكلابي^(١) : [الطويل]

أَلَا طَرَقْتُ لَيْلِي عَلَى نَأْيِ دَارِهَا وَلَيْلِي عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ طَرُوقِ
أَسِيرًا يَعْصُ الْقَيْدُ سَاقِيهِ فِيهِمَا مِنْ الْخَلْقِ السُّمْرِ اللَّطَافِ وَثِقُ
وَكَمْ دُونَ لَيْلِي مِنْ تَنَافٍ يَنْضُهَا صَاحِحٌ بِمَدْحِي أُمِّهِ وَقَلْبُ
ويقول : ^(٢) [الكامل]

طَرَقْتُ أُمَيْمَةً أَتَقْنَا وَرَحَالًا وَمُصَرَّعِينَ مِنَ الْكَرَى أَزْوَالًا
حملت هذه الصورة تفاصيل كثيرة من الصورة الأولى ، من التمني في (ألا طرقت) وأسيراً والقيد في ساقيه . وقد تكررت هذه الصورة لدى الخطيم المحرزي في قوله : ^(٣) [الطويل]

سَمَتْ لِي بِالْبَيْنِ الْيَمَانِيَّ صَبَابَةً وَأَلَتْ بَعِيدَ قَدْ نَأَيْتِ عَنِ الْمَصْرِ
أَتَيْحٌ لِيذِي بَتَّ طَرِيدٌ تُعَوِّدُهُ هُمُومٌ إِذَا مَا بَاتَ طَارِقُهَا يَسْرِي
ويقول المرار الفقعسي ^(٤) : [الكامل]

طَرُوقَ الْخَيَالِ فَهَاجَ لِي مِنْ مُضْجَعِي رَجَعُ التَّحِيَّةِ فِي الظَّلَامِ الْمُهِلْسِ

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٤ . وفي العيين : (شحط) ٣١٢/٢ : « الشَّحْطُ : الْبُعْدُ فِي الْحَالَاتِ كُلِّهَا » . وانتوفاة : الْفَقْرُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ ، وَالْجَمْعُ تَنَافٌ . لسان العرب : (تنف) ١٨/٩ . وَالْفَلَيْقُ : بَاطِنُ عُنُقِ الْبَعِيرِ فِي مَوْضِعِ الْحُلُقُومِ ، لسان العرب : (فلق) ٣١٢/١٠ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١١٠ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٥٧/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٦٠/٢ . أراد بِالْمُهِلْسِ الضَّعِيفَ مِنَ الظَّلَامِ ، لسان العرب : (هلَس) ٢٤٩/٦ .

التوازي :

التوازي عند (هاليناي) هو « ربط بين عناصر متساوية الحال »^(١) وهذه العناصر هي عناصر سابقة وأخرى لاحقة أو عناصر متصلة ، ولكل منهما كيانه الوظيفي الحر^(٢) ، وقد يكون التوازي بصيغة « مركب ثنائي التكوين أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر وهذا الآخر - بدوره - يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه نعني أنها ليست علاقة تطابق كامل »^(٣).

وقد عدّ الدكتور (أحمد عفيفي) تكرار نظم الجملة نوعاً من التوازي ، وأطلق على تكرار نظم الجملة (التكرار الجراماتيكي) وعرفه فقال : « هو عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة أي : تكرار الطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل »^(٤) من خلال حد التوازي . ويمكنني التمثيل له بقول جحدر العكلي :^(٥) [البسيط]

يَا أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ حَمْدٍ وَمَكْرُمَةٍ وَأَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ ذَمٍّ وَمِنْ عَارٍ
هذا تركيب عطفى بحرف العطف الواو يصدق عليه (ثنائي التكوين) بالنظر إلى المعطوف والمعطوف عليه ، كما أنه لا يعرف أحد طرفيه دلاليًا إلا من خلال الطرف الآخر ، والعلاقة الجامعة هي شبه التكرار ، وفي البيت هي (التضاد): فالأول : (أقرب الناس × أبعد الناس) والثاني : (من حمد × من ذم) والثالث : (مكرمة × عار) .

(١) النص والخطاب والاتصال ، الدكتور محمد العيد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط/١ ، ٢٠٠٥م : ٢٥٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٤ .

(٣) دراسة لغوية لصور التماسك النصي - في لغتي الجاحظ والزيات ، مصطفى صلاح قطب ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم/جامعة القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م : ١٨٦ .

(٤) نحو النص : ١١١ ، ينظر : السبك في معلقة زهير بن أبي سلمى ، دراسة على ضوء علم اللغة النصي ، الدكتور عصام الدين عبد السلام أبو زلال ، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، مجلد/١٣ ، عدد/٤ ، سبتمبر ، نوفمبر ، ٢٠١١م : ٢٠٥ .

(٥) شعراء أمويون : ١٧٦/١ .

أما التكرار الجراماتيكي : فلم يشترط أن يكون مركباً واحداً ، ليوصف بأنه ثنائي التكوين ؛ لأنه تكرر لنظام الجملة مما لم يشترط فيه أن تربط مكونات الجملتين علاقة تشابه أو تضاد ، بل إنه يقع مع اختلاف الوحدات المعجمية لكل جملة أو شبه جملة مع الجملة أو شبه الجملة المكررة . ومنه أيضاً ما جاء في قول القتال الكلابي : ^(١) [الطويل]

سَقَى اللهُ مَا بَيْنَ الرَّجَامِ وَغَمْرَةٍ وَبَنَرَ ذُرِّيَّاتِ بَهْنٍ جَنِينُ
وقد تكرر هذا النظم بتغيير في الألفاظ في قوله : ^(٢) [الطويل]

سَقَى اللهُ مَا بَيْنَ الشُّطُونِ وَغَمْرَةٍ وَبَنَرَ ذُرِّيَّاتِ وَهْضَبٍ ذَلِينِ
ومنه أيضاً يقول الخطيم المحرزي : ^(٣) [الطويل]

وَهْلُ أَسْمَعَنْ يَوْمًا بُكَاءَ حَمَامَةٍ ثَنَادِي حَمَامًا فِي ذُرَى تَنْضَبِ خُضْرِ
وَهْلُ أَرَيْنَ يَوْمًا جِيَادِي أَفْوُدَهَا بِذَاتِ الشَّقُوقِ أَوْ بِأَلْقَانِهَا الْغُفْرِ

انعقد التوازي التركيبي في البيتين على مستوى البناء النحوي فهما يبدأان بالواو ، وتأتي أداة الاستفهام (هل) وجملة فعلية مؤكدة بنون التوكيد الخفيفة ، ثم الظرف (يوماً) ويأتي التركيب الإضافي (بكاء حمامة) و(جيادي) وبه انتهى

(١) ديوان القتال الكلابي : ٩١ . الرجام جبل ، معجم البلدان : ٢٧/٣ ، وغمرة موضع قرب المدينة على طريق نجد ، معجم البلدان : ٢١٢/٤ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٩٢ . شَطُونٌ : بفتح أوله ، وآخره نون ، والشطون البعيد من كل شيء : ماء لأبي بكر بن كلاب في غربي الحمى . معجم البلدان : ٣٤٥/٣ . وَذُرِّيَّاتِ : موضع في شعر القتال . يَنْظُرُ : معجم البلدان : ٤٥٤/٢ . وَذَيْنِ : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وياء مشاة من تحت ، وآخره نون : اسم جبل معجم البلدان : ٤٣٩/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٥٩/١ . تَنْضَبُ : بالفتح ثم السكون ، وضم الضاد المعجمة ، والباء موحدة : قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة ، فيها عين جارية ونخل ، معجم البلدان : ٤٩/٢ . والشقوق : موضع على طريق مكة ، معجم البلدان : ٧٨/٢ . وَالْغُفْرَةُ : غُبْرَةٌ فِي حُمْرَةٍ ، غُفْرٌ غُفْرًا ، وَهُوَ أَغْفَرٌ ، وَالْغُفْرُ مِنَ الظُّبَاءِ : الَّتِي تَعْلُو بِبَاضِهَا حُمْرَةً ، يَنْظُرُ : لسان العرب : (غفر) ٥٨٤/٤ .

الشطر الأول من البيت الأول ، لكن التوازي فيهما مستمر في الجملة الفعلية بمفعول واحد (تنادي حماماً) و(أفودها) ، ثم يأتي شبه الجملة من الجار والمجرور (في ذرى تنضب) و(بذات الشقوق) ، وكل منهما متعلق بالفعل قبله وفيهما تركيبان مضافان . هنا انتهى التوازي التركيبي في البيتين ، ليظهر من خلالهما التباين التركيبي ، وقد ظهر في التوابع في هذين البيتين ؛ ففي الأول كان النعت بد(خضر) ل(ذرى تنضب) ، وفي البيت الثاني العطف بد(أو) مع تكرار حرف الجر الباء في المعطوف عليه (بأنقائها) ، وهنا الرابط الضميري (الهاء) أخذ بدورين في الربط الأول ربط للمعطوف عليه بالمعطوف ، والآخر ربط للنعت بالمعطوف ف(العفر) نعت لأنقائها ، وفي الوقت ذاته نعت للكل أي : (ذات الشقوق) فالضمير (الهاء) جعل الأنقاء جزءاً من ذات الشقوق .

التكرار الضمني :

قد يكون التكرار في العربية ضمناً ، فيضاف إلى أقسام التكرار ، فتكون : تكرار كامل خالص وجزئي وشبه تكرار وتكرار ضمني ؛ وهو تكرار تؤديه الحروف المؤكدة والزيادة^(١) بأنواعها ، ويمكن تعريفه بأنه : هو تكرار الدلالة ؛ لتوكيد مضمونها يكون بالحروف المؤكدة أو بالزيادة .

أولاً : حروف التأكيد :

في اللغة العربية حروف تقوم مقام تكرير الاسم أو الفعل مرتين أو ثلاث مرات ، وهذا التأكيد يأتي ليس لمجرد الإطناب ؛ لأنه « إنما يستحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكراً أو متردداً »^(٢).

وهذه الحروف هي « إن وأن ولام الابتداء والقسم ، وألا الاستفاحية وأما وها التبيه ، وكأن تأكيد التشبيه ولكن تأكيد الاستدراك وليت في تأكيد التمني

(١) الخصائص : ٩٣/٢ .

(٢) ينظر : الإنقان : ٥٥١ .

ولعل في تأكيد الترجي ، وضمير الفصل وأما في تأكيد الشرط وقد والسين وسوف والنونان في تأكيد الفعلية ولا التبرئة ولن ولما في تأكيد النفي^(١).

« إذا اجتمعت إن واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات ؛ لأنَّ (إنَّ) أفادت التكرير مرتين ، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثا ، وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً والخفيفة بمنزلة تأكيده مرتين^(٢) » .

وقد جاء في قول عطارِ بْنِ قُرَّان :^(٣) [الطويل]

فَأَمَّا بَنُو عُبَيْدِ الْمَدَانِ فَبِإِلَهُمْ وَإِلَيَّ مِنْ خَيْرِ الْحَصَنِ لِيَأْسُ
في البيت تأكيد بـ(إنَّ) واللام ، فكأنَّه كرر جملة (أنا من خير الحصين يائس) ثلاث مرات بتكرار لفظها .

ومثله (أنني تسميتُ) في قول القتال الكلابي^(٤) : [الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى فَيَا نَ قُومِي أَلَنِي تَسَمَّيْتُ لَمَّا اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ زَيْبَا

ثانيا : الزيادة :

تقسم الزيادة إلى ثلاثة أنواع ، الحرف وزيادته كثيرة ، والفعل وزيادته قليلة ، والاسم وهو أقلها زيادة^(٥) ، والكلام عن زيادة الحروف ؛ لأنَّ « زيادة الحرف في الكلام تفيد ما يفيد التوكيد اللفظي في الاعتناء به^(٦) » .

يقول النحاة : « كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى^(٧) » وقال ابن جني في كلامه عن الباء : « معنى قولي زيدت أنها

(١) الإتيان : ٥٤٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٥٠ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩/٢ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٣٥ .

(٥) ينظر : الإتيان : ٥٥١ .

(٦) الجنى الثاني : ٨٧ .

(٧) المصدر نفسه : ٨٧ ، مغني اللبيب : ١٩/٣ ، الإتيان : ٥٥١ .

إنما جيء بها تأكيداً للكلام ولم تحدث معنى^(١) والزيادة لا سيما الحرفية منها على ما تقرر من معنى الزائد تشكل حلقة تواصل بين المبدع والمتلقي إذ الزيادة المستهدف منها هو المتلقي ، وهذه الحقيقة استوقفت النحاة منهم السيوطي حتى أنه استعرضها بصيغة السؤال لدقتها وأهميتها في فهم المراد ، فقال « وسئل بعضهم عن : التأكيد بالحرف وما معناه ، إذ إسقاطه الحرف لا يخل بالمعنى فقال : هذا يعرفه أهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه »^(٢).

ومن شواهد الزيادة في شعر الصعالبك الأمويين زيادة الباء فيما يقوله توبة بن الحمير^(٣) : [الطويل]

كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَيَالِئَاسِ الْمُرْجِ شَافِيَا
فكأن الشاعر كرر لفظ (طلاب المرء) لما في الباء الزائدة من معنى التكرار. ويقول القتال الكلابي^(٤) : [البسيط]

هُنَّ الْخَوَاصِرُ لَا رُبَاتُ أَحْمِرَةٍ سُوْدُ الْخَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّورِ
أي : لا يقرآن السور ، فالزيادة دلت على أن النفي كان عن تكرار قراءة السور .

وينقاس زيادة الباء في الخبر إن كان منفيًا^(٥) ، وقد جاء في خبر ليس ، من قول جحدر العكلي^(٦) : [الكامل]

وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أُبَيْتُ نَزَالُهُ إِنْ لِي مِنَ الْحَبَّاجِ لَسْتُ بِبَاجٍ

(١) سر صناعة الإعراب : ١٣٣ .

(٢) الإتقان : ٥٥١ .

(٣) ديوان توبة بن الحمير : ٨٦ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٥٣ .

(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب : ١٣٣ ، الجنى الداني : ٤٨ ، النحو الوافي : ٤٩٥/٢ .

(٦) الحماسة البصرية : ١٥٠٩/٢ ، شعراء أمويون : ١٧١/١ ، وفيه : (ليس بناج) .

أي : لست ناجياً .

والحروف التي قد تأتي زائدة بشروطها هي : « إن ، أن ، إذ ، إذا ، ما ، من ، الواو »^(١) ، ومما جاء في شعر الصعاليك الأمويين في زيادة هذه الحروف مواضع عديدة يمكن الاستشهاد ببعضها لزيادة حرفين هما : (ما ، من) .
أولاً : **زيادة (ما)** إذا كانت حرفاً زائداً فهي قسمان : كافة وغير كافة^(٢)

ما الكافة : وتقسم إلى ثلاثة أقسام :

الكافة عن عمل الرفع ، وهي خاصة بثلاثة أفعال (طال وقل وكثر) ومنه قول المَرَّار الفقعسي^(٣) : [الطويل]

صَدَدْتُ فَأَطَوَّلْتُ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُودُ

الكافة عن عمل النصب والرفع ، وهي الداخلة على إن وأخواتها^(٤)

منها ما جاء في قول جحدر العكلي^(٥) : [الطويل]

رَأَى أَمَّا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَأَنَّمَا ثَوَابُ الْفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ

ويقول : القتال الكلابي^(٦) : [الطويل] في (ما) الكافة للكن

فَلَسْتُ بِأَخْوَالِي فَلَا تُصَلِّبْنِي وَلَكِنَّمَا أُمِّي لِأَخْدَى الْعَوَاتِكِ

(١) شرح الرضي : ٤٣٢/٤ وما بعدها ، الإتيان : ٥٥١ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ٦٧/٤

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٧٥/٢ ، وديوان اللصوص : ٢٦١/٢ ، وفي شعراء أمويون : ٤٨٠/٢ . ضبط (صددت فأطولت) بكسر التاء على أنها مخاطبة ، وفي خزانة الأدب : ٢٢٦/١٠ ، ٢٣١ . ضبطت بالفتح لأنها يخاطب نفسه .

(٤) وصف المباني : ٣٢٧ الجنى الداني : ٣٣٣

(٥) شعراء أمويون : ١٨١/١ .

(٦) ديوان القتال الكلابي : ٧١ . يقول الزمخشري : «عربي صليب : خالص النسب» أساس البلاغة : (صلب) ٥٥٣/١ . أي لا تجعلوني خالص النسب إليكم . والعواتك : جمع عاتكة ، وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب . لسان العرب : (عتك) ٤٦٤/١٠ .

٣- الكافة عن الجار : كما في (الكاف ورُب) يمثله قول مالك بن الريب :^(١)
[الوافر]

تَرْيُفٌ إِذَا تَوَاهَقَتِ الْمَطَايَا كَمَا زَافَ الْمَشْرِفُ لِلْخِطَارِ

ومنه (ما) في كف (رُب) من قول جعفر بن علبة الحارثي^(٢) [الطويل]
لَقَدْ رَعَمُوا أَلْسِي سَكِرْتُ وَرَيْمًا يَكُونُ الْفَتَى سَكْرَانٌ وَهُوَ حَلِيمٌ

ثانياً : زيادة (من) :

حرف جر يزداد للتأكيد وشروط زيادته ثلاثة هي أن يتقدمه نفي أو نهي أو استفهام ، وأن يكون مجروره نكرة ، والثالث : أن يكون مجروره في محل الفاعل أو المفعول به أو المبتدأ^(٣) ، وتكون الزيادة لمعنيين هما التنصيص على العموم ، وذلك إذا كان مجرورها يحتمل الجنس أو الوحدة مثل : (ما جاء من رجل) فقبل الزيادة تعمل المراد برجل جنس الرجل أو رجل واحد والآخر تأكيد العموم ؛ وذلك إذا كان مجرورها من صيغ العموم كأحد وديار^(٤).

ومثال ما جاءت به (من) زائدة بعد الاستفهام بـ(هل) قول السمهري العكلي :^(٥) [الطويل]

(١) شعراء أمويون : ٣١/١ ، وزاقت المرأة في مشيها تزيّف إذا رأيتها كأنها تستدير والمواهقة في السير المواظبة ومدّ الأعناق وهذه الناقة تواهق هذه كأنها تباريها في السير والخيطار وقع ذنب الجمل بين وركيه إذا خطر ، والخاطر : المتبختر ؛ يقال : خطر يخطر إذا تبختر . والخطير والخطران عند الصولة والنشاط ، وهو التصاول والوعيد . لسان العرب : (زيف) ١٤٣/٩ ، (وهق) ٣٨٥/١٠ و(خطر) ٢٤٩/٤ - ٢٥٠ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٩٥/١ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل : ١٣٧/٣ - ١٣٨ ومغني اللبيب : ١٦٣/٤ - ١٦٦ ، وأهل الكوفة يجيزون زيادتها في المثبت ينظر : رصف المباني : ٣٢٥ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ١٦٣/٤ - ١٦٤ .

(٥) شعراء أمويون : ١٤٣/١ ، والهوادة : اللين وما يرجى به الصلاح بين القوم ، لسان العرب : (هود) ٤٤٠/٣ .

بَنِي أَسَدٍ هَلْ فِيكُمْ مِنْ هَوَادَةٍ فَتَغْفِرَ إِنْ كَانَتْ بِيِ الثَّغْلِ زَلَّتْ

فالمجرور (هواده) نكرة دلت على العموم وهي في محل رفع مبتدأ مؤخر ،
وجاءت زيادة (من) لتأكيد هذا العموم في (هواده) .

وقال المَرَّارُ الفقعسي : ^(١) [الطويل]

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلًّا وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَيْلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ

أي : وما نرى به ثواباً ، فجاءت (من) زائدة لتأكيد أن لا ثواب لهذا الحب
وقول عَطَّارِدُ بْنُ قُرَّانٍ : ^(٢) [الطويل]

تَذَكَّرْتُ هَلْ لِي مِنْ حَمِيمٍ يَهْمُهُ بِنَجْرَانَ كِبَلَايَ اللَّذَانِ أَمَارِسُ

جاءت (من) زائدة بعد الاستفهام : هل لي حميم .

(١) شعراء أمويون : ٤٥٦/٢ . الدُّلُّ دلالُ المرأة إذا تَدَلَّلَتْ على زوجها تُريه جَرَاءَةً عليه
في تَفَنُّجٍ وَتَشَكُّلٍ كَأَنَّهَا تُخَالِفُهُ وليس بها خِلَاف . العين : (دلل) ٤٢/٢ .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٥/١ ، وديوان اللصوص : ١٩/٢ . وفيه : (تَهْمُهُ) .
الكَبِيلُ والكِبِيلُ القَيْدُ من أي شيء كان ، وقيل : هو أعظم ما يكون من الأقياد ،
وجمعهما كِبُول . لسان العرب : (كبل) ٥٨٠/١١ . وأمَارِسُ : من مارس قرنه :
عالجه . ومارس الأمور والأعمال ، وما زال يزاولها ويمارسها ، أساس البلاغة :
(مرس) ٢٠٥/٢ .

المبحث الثاني

التضام

تعريف التضام : Collocation

عرفه (هاليدي ورقية حسن) أنه «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»^(١). فالتضام أو المصاحبة «ظاهرة لغوية لا تخفى على المتحدث بلغة معينة ، وهي بشكل عام مجيء كلمة في صيغة كلمة أخرى»^(٢).

ويقول عنها (كلاوس برينكر) «وفي البحث اللغوي النصي تجمل تلك العلاقات الدلالية بين المفردات تحت مصطلح التجاور الدلالي (semantische kontiguität) الذي يعني قريباً مفهوماً وتماسكاً مضمونياً»^(٣) ، ويقول الدكتور محمد العبد : «هي عبارة عن ميل بعض ألفاظ اللغة إلى اصطحاب ألفاظ بعينها دون أخرى للتعبير عن فكرة ما»^(٤).

ويحسن التشبيه على أن الاصطحاب يكون لألفاظ بعينها دون أخرى ، قد تشترك معها في تقارب الدلالة غير أن الإلف والعادة جعلت من ألفاظ محددة تصلح للفظ مصاحبها دون أخرى من ذات الحقل الدلالي كما في كلمة (توفي)

(١) يُنظَر : لسانيات النص : ٢٥ .

(٢) المصاحبة في التعبير اللغوي : ١١ .

(٣) يُنظَر : التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، تأليف كلاوس برينكر ، ترجمه ومهد له : الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠م : ٦٠ .

(٤) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي : ١٠٣ .

فهي وإن دلت على انقطاع الحياة غير أنها لا تصاحب غير الأدمي ؛ فنقول :
توفي الرجل ولا نقول توفي الحمار أو توفي الزرع ^(١) .

أهمية التضام في عملية التماسك :

وأهمية التضام في عملية التماسك أنه « شكل من أشكال العلاقات الأفقية
على المستوى المعجمي » ^(٢) ؛ لذا تعتمد علاقته من خلال الألفاظ بالدرجة
الأولى

وتزداد أهميته بمعرفة « أن الوحدات المعجمية في حاجة إلى النص ليتحدد
معناها السياقي النصي فيه » ^(٣) . فوجوده يكون بوجود النص فيكون النص
مشمئلاً على وسائل تماسك ليأتي التضام بدوره ويجعله أكثر تماسكاً ؛ لذا
لا يمنع من وجود نص لا يتضمن التضام .

إشارة ابن سنان الخفاجي إلى التضام :

يقول في سر الفصاحة في تفريقه بين المعاضلة وبين ما مدحه البلغاء
والفصحاء في قولهم : « هذا كلام يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب
بعض » ، فقال : « إنما أرادوا المعاني إذا وقعت ألفاظها في مواقعها ، وجاءت
الكلمة مع أختها المشاكلة لها التي تقضي أن تجاورها لمعناها إما على
الاتفاق أو التضاد حسبما توجه قسمة الكلام وأكثر الشعر هذا سبيله » ^(٤) .

العلاقات التضامية :

على الرغم من أن « إرجاع هذا الازدواج إلى علاقات واضحة تحكمها ليس
دائماً أمراً هيناً » ^(٥) ، والسبب في صعوبة إرجاع هذه المصاحبات إلى علاقات

(١) يُنظَر : المصاحبة في التعبير اللغوي : ١١-١٢ .

(٢) المصاحبة في التعبير اللغوي : ١٥ .

(٣) أصول تحليل الخطاب : ١/١٤٣ ، ويُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٥٣ .

(٤) سر الفصاحة ، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي

(ت ٤٦٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ١٩٨٢ م : ١٥٩ .

(٥) لسانيات النص : ٢٥ .

واضحة هو أن تفسير هذه العلاقات بـقبول أو الرفض ليس له علاقة وثيقة بعالم المعرفة^(١).

ونظراً لهذه الصعوبة يلحظ اختلاف الدارسين في عدد هذه العلاقات وتوصيفها بل وقع الاختلاف في تسمياتها ، وقد يجري الأمر إلى ما يمثل به من مفردات لا توافق ما اصطلح عليه^(٢) ، ولعل تنوع الأزواج وكثرته كان أهم أسباب كثرة هذه العلاقات ؛ مما أدى إلى عدم ضبط جميع العلاقات التي تحكم كل نوع من أنواع الأزواج ، والذي يبدو أن لكل نص ازدواجات تخصه ، فيمكن تسمية علاقات هذه الأزواج على هذا الأساس ، مع بقاء العلاقات المتداولة بكثرة التي تمثل في كثير من النصوص فلا تعد من قبيل العلاقات الخاصة .

ومن هذه العلاقات ما يمكن تمييزه ؛ لإيضاح ما يجمع النصين المتضامين منها :

١ - علاقة التضاد :

يعرف التضاد عند أهل البلاغة أنه «الجمع بين متضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة»^(٣) ، وعند اللغويين المحدثين بهذا المعنى فهو «وجود

(١) يُنظر : المصاحبة في التعبير اللغوي ، الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٩٠ م ؛ ١٢ مثالهم كلمة (white) اللون الأبيض ، فقد تأتي مصاحبة لكلمة دون الرجوع إلى معنى لكلمة المصاحبة لها كما في (white coffee) فلا علاقة وثيقة تربط (coffee) بكلمة (white) من ناحية المعرفة والتجربة ، فالقهوة لا تنفك عن السواد بحال ، فلا يفسر هذه العلاقة إلا العادة لدى مستخدمي اللغة .

(٢) يُنظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٩-١١٠ وعناصر السبك بين القدماء والمحدثين ، الدكتور نادية رمضان محمد النجار ، كلية الآداب جامعة حلوان ، بحث منشور في (العربية بين نحو الجملة ونحو النص ، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوي ، من ٢٢-٢٣ فبراير ٢٠٠٥ م ، دار الهاني ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م : ٦٠١-٦٠٠ .

(٣) التلخيص : ٣٤٨

لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى كالقصير مقابل الطويل والجميل مقابل القبيح^(١)، وقد يطلق على التضاد مصطلح (المطابقة والطباق)، يقول القزويني: «المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضاً»^(٢).

والذي لا بُدَّ من التنبيه إليه هو علاقة المنافرة التي يحدثها التضام، فهي «يمكن أن تساهم كآلة في نسج الخطاب»^(٣)، وقد جعل (زتسيسلاف) التضاد أحد أنواع الإحالة التي بمجموعها يكون التضافر الاسمي^(٤) مما يوحي بقوة أثره في عملية التماسك. ويكون بين اسمين أو بين فعلين أو بين اسم وفعل أو بين حرفين^(٥).

مثاله في شعر الصعاليك قول المرَّار الفقعسي^(٦): [البسيط]
وَقَدْ لَعِبْتُ مَعَ الْفَيَّانِ مَا لَعِبُوا وَقَدْ أَجِدُ وَقَدْ أَغْنَى وَأَفْتَقِرُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جِدِّي وَمِنْ لَعِي كُلُّ امْرِئٍ بَامِرٍ لَا بُدَّ مُؤْتَرَرُ

يلاحظ كثافة التضاد في هذين البيتين من غير ما شعور بالثقل والاستكراه، فالبيت الأول لا يحتوي إلا التضاد وفيه: (قد لعبت × قد أجد) و(أغنى × أفقر) وهذه المقابلات فعلية، وفي البيت الثاني: (جدي × لعي) وهما اسمان مضافان إلى الياء ضمير متكلم وهذا العدول من تضاد الأفعال إلى تضاد الأسماء أحد أسباب جعل النص متماسكاً مدفوعاً عنه الملل، كما أن توظيف التقديم والتأخير بين المتقابلات سلك بهذين البيتين سبل العذوبة وحسن الإيقاع مع مراعاة موقف التائب في ذكر الذنوب أولاً (وقد لعبت) وأخر الجدد، وتقديم

(١) علم الدلالة: ١٩١.

(٢) التلخيص: ٣٤٨.

(٣) لسانيات النص: ١٣٢.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ١٤٧.

(٥) ينظر: التلخيص: ٣٤٨-٣٤٩.

(٦) الشعر والشعراء: ٦٩٩/٢، ديوان اللصوص: ٢٢٣/٢، وفي شعراء أمويون: ٤٦٦/٢ (وقد أجد) وعجز البيت الثاني: (وزري فكل امرئ لا بدَّ مُتَرَر). يُقَالُ: أَزَرَهُ وَأَزَرَهُ أَعَانَهُ وَأَسْعَدَهُ، مِنَ الْأَزَرِ: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ. لسان العرب: (لسان العرب) ١٧/٤.

(وقد أغنى) مع أنه في الظاهر لا يناسب تقديم (لعبت) في التضاد الأول ؛ لأن ذكر النعمة وتقدمها أصلح للاستعطاف ، كما أنه قدم في البيت الثاني (جدي) على (لعي) مع أنه مستحق للتأخير إزاء (استغفر الله) فاللعب أولى من الجد بالاستغفار منه في العادة لكنه أعلم بجدّه من غيره ، فقدم ليكون استغفاره من لعبه من باب أولى إذا لو أنه قدم اللعب لما لزم دخول الجد معه في الاستغفار .

٢- علاقة التلازم الذكري^(١) :

هو « الربط بين العناصر المعجمية نتيجة الظهور في سياقات متشابهة »^(٢) ، والجامع لها هو موضوع لا يمكن ضبط علاقته الرابطة بين اللفظين المتلازمين ذكراً ، فقد تكون السببية كما في (المحاولة ، النجاح) و(الدعابة ، الضحك)^(٣) ، وقد تكون علاقة استدعاء واقتضاء (المرض ، الطبيب) و(السفر ، المتاع)^(٤) ، ويمكن توجيه مثل هذه العلاقة الجزئية بأنها تمثل « علاقة تجاور معللة منطقياً (مفهومياً) »^(٥) .

(١) نسب بعض الدارسين هذه التسمية إلى محمد خطابي (لسانيات النص : ٢٥) ، ولم يصرح بها بل ضرب أمثلة تصلح لهذا العنوان ، على سبيل أن إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائماً أمراً هيناً ، هذا إذا كان ممكناً ، مثال ذلك : المحاولة ، النجاح ، المرض الطيب ، النكتة ، الضحك ، يُنظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٩ ، وعناصر السبك بين القدماء والمحدثين : ٦٠١ .

(٢) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٩ .

(٣) ذكر محمد خطابي : النكتة ، الضحك ، وأبدلت النكتة بالدعابة لأنها المزاح ، أما النكتة فليست لهذا المعنى ؛ لأن النكتة النقطة في اللغة ، ولو حملت على المجاز لحمل النكات ، والمنكث على الطاعن في الأعراض : يُنظر : أساس البلاغة : ٣٠٢-٣٠٣ . مقاييس اللغة : ٤٧٥/٥ .

(٤) جمعت الدكتوراة نادية محمد بين (السفر ، الطائرة) عناصر السبك بين القدماء والمحدثين : ٦٠١ ، ويبدو لي أن السفر لا يقتضي طائرة بل قد تكون سفينة مثلاً فأبدلتها بالمتاع فهو أكثر اقتضاء .

(٥) التحليل اللغوي للنص : ٦١ .

وشاهده فيما يقول جحدر العكلي : ^(١) [الطويل]
 سَعَى الْعَبْدُ أَتْرِي سَاعَةً ثُمَّ رَدُّهُ تَذَكُّرُ تُرُورٍ لَهُ وَرَغِيفُ
 فالتنور يستدعي الرغيف ، ولعل أقرب مباحث علوم البلاغة إلى هذه
 العلاقة هو مراعاة النظير يقول القزويني : « ويسمى التناسب والتوفيق وهو
 جمع أمر وما يناسبه ، لا بالتضاد . نحو : ﴿ أَلَشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾
 (الرحمن: ٥)» ^(٢) فعلاقة التناظر بين الشمس والقمر تدعو بذكر أحدهما ذكر
 الآخر .

ومنه كذلك ما جاء في قول مالك بن الربيع ^(٣) : [الطويل]
 وَأَلْكَ مِثْلُ الْغَيْثِ أَمَا نَبَأُهُ فَظِلٌّ وَأَمَا مَآؤُهُ فَطَهْرُورُ
 هنا تلازم ذكرى لعلاقة السببية بين (الغيث ونباته) وبين (الغيث ومآؤه) من
 جهة ، وبين (النبات والظل) وبين (الماء والطهارة) من جهة أخرى .

٣- علاقة الجزء بالكل

يمثل لهذه العلاقة بـ (السقف والجدران والحجرة) بالنظر إلى المنزل ^(٤) .
 وفيها يقول القتال الكلابي ^(٥) : [الطويل]
 دَعَوْتُ فَكَمْ أَسْمَعْتُ مِنْ كُلِّ مُؤَدِّنٍ قَبِيحِ الْمُحَيَّا شَأْنَهُ الْوَجْهُ وَالْقَمُ

(١) شعراء أمويون : ١٧٨/١ .

(٢) التلخيص في وجوه البلاغة : ٣٥٤ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٨/١ .

(٤) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ٥٨ ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٩ .
 عناصر السبك بين القدماء والمحدثين : ٦٠٠

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٨٥ . وَيُقَالُ : وَدَّتِ الْمَرْأَةُ وَأَوْدَتَتْ وَلَكَدَتْ وَلَكَا قَصِيرُ الْعُنُقِ
 وَالْيَدَيْنِ ضَبَقَ الْمَنْكِبَيْنِ . لسان العرب : (ودن) ٤٤٦/١٣ . الشَّيْنُ : معروفٌ خِلَافُ
 الزُّيْنِ ، وَقَدْ شَأْنُهُ يَشِينُهُ شَيْئًا . لسان العرب : (شين) ٢٤٤/١٣ .

فعللاقة الفم بالوجه هي علاقة الجزء بالكل ، ومثله قول طهمان بن عمرو الكلابي : ^(١) [الطويل] :

أَسِيرًا يَعْصُ الْقَيْدُ سَاقَيْهِ فِينَهُمَا مِنْ الْحَلَقِ السُّمْرِ اللَّطَافِ وَثِيقُ
فـ(الساقان) جزء من كل بالنسبة للأسير .

٤ - علاقة الجزء بالجزء :

يتكرر التمثيل بـ(الأنف والذقن والعين) ^(٢) لهذه العلاقة من غير التنبيه إلى أن الأجزاء يجب أن يكون بينها رابط يجمعها ، مثل أعضاء جسم الإنسان التي هي أجزاء له ، فالأجزاء من غير رابط يجمعها يبدو لي ضعف العلاقة بينها ، كما تبدو العلاقة أقوى في حال ترابط الأجزاء بأكثر من رابط ، فالأنف والذقن والعين علاقتها الجزئية هي وجودها في مكان واحد هو الرأس من جسم الإنسان ، فلو أبدلنا الأذن بـ(الذقن) لتولدت علاقة أخرى تجمع هذه الأجزاء هي أن (الأنف والأذن والعين) من الحواس وهي في الرأس أيضاً .

وفي هذه العلاقة يقول الخطيم المحرزي : ^(٣) [الطويل]
لَهَا عُجْرٌ ثَمَّتْ وَرَجُلٌ قَبِيضَةٌ تَشْلُ يَدَا مَا الْخَطْوُ فِيهَا بِأَحْرَدًا
الأجزاء (عُجْرٌ ، رجل ، يد) كلها أعضاء من جسم الناقة .

ومنها أيضاً قول طهمان الكلابي ^(٤) : [الطويل]

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٤ .

(٢) ينظر : عناصر السبك بين القدماء المحدثين : ٦٠١ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٦٥/١ ، ديوان اللصوص : ٢٣٩/١ . والقَبِيضُ : السريع نقل القوائم من الدواب . واتَقَبَضَ القوم أي أسرعوا في السير . العين : (قبض) ٣٥٣/٣ . والشَّلْلُ : يُسُّ الْيَدِ وَذَهَابُهَا ، وقيل هو فساد في اليَدِ ، لسان العرب : (شلل) ٣٦٠/١١ . والحرَدُ مصدر الأخرَد الذي إذا مَشَى رَفَعَ قوائمه رفعا شديداً وَيَضَعُهَا مَكَانَهَا مِنْ شِدَّةِ قَطَافَتِهِ فِي الدُّوَابِّ وَغَيْرِهَا . العين : (حرد) ٣٠٢/١ .

(٤) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠١ . الحَنَوطُ والحِنَاطُ هو ما يَخْلَطُ مِنَ الطَّيِّبِ لَأَكْفَانِ الْمَوْتَى وَأَجْسَامِهِمْ خَاصَّةً . ينظر : لسان العرب : (حنط) ٢٧٩/٧ .

خُطُوطِي وَأَكْفَانِي لَدَيِّ مُعَدَّةٌ وَلِلنَّفْسِ مِنْ قُرْبِ الْوَقَاةِ شَهْنَقُ

الحنوط والأكفان من أدوات تجهيز الميت .

٥- علاقة التدرج :

وهي الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منظمة فيدخل في هذه العلاقة ؛ أي مجموعة كلمات لها ترتيب معين مستمر ؛ مثل (شمال ، جنوب ، شرق ، غرب) وكذا أسماء أيام الأسبوع وأسماء الشهور كما أُطلق عليها (علاقة التدرج التسلسلي)^(١).

ومما جاء في شعر الصعاليك التدرج قول حريث بن عتاب الطائي^(٢) :

[الطويل]

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ تَحْرُكُ يَقْظَانُ الشَّرَابِ وَنَائِمُهُ
تضمن البيت سلسلتين من التدرج الأولى بين (شرق ومغرب) ، والأخرى بين (يقظان التراب ونائمه) .

٦- علاقة عناصر القسم العام :

يمكن تحديده بأنه ذكر العناصر يجمعها تصنيف واحد مثل : (كرسي ، منضدة) القسم العام لها (الأثاث)^(٣). ويمكن إظهار هذا النوع فيما يقول السمهري العكلي^(٤) : [الطويل] .

إِذَا حَرَسِي قَعَقَعَ الْبَابَ أَرْعَدَتْ فَرَائِصُ أَقْوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوبُهَا

(١) يُنظَرُ : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٠ ، وعناصر السبك بين القدماء والمحدثين : ٦٠٠ .

(٢) ديوان اللصوص : ٢٢٤/١ .

(٣) يُنظَرُ : لسانيات النص : ٢٥ ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٠٨ .

(٤) شعراء أمويون : ١٤١/١ . والفريضة : لَحْمَةٌ عِنْدَ نَعْضِ الْكَتِفِ فِي وَسْطِ الْجَنْبِ عِنْدَ مَبْضِ الْقَلْبِ ، وَهِيَ فَرِيصَتَانِ تَرْتَعِدَانِ عِنْدَ الْفَرْعِ . لسان العرب : (فرص) ٦٤/٧ .

(الفرائص ، القلوب) يجمعها الجسم . ومنه يقول الخطيم المحرزي^(١)
[الطويل] :

كَأَنَّ مِنَ الْبُرْدِيِّ رَيَّانًا نَاعِمًا بِحَيْثُ تُرَى مِنْهَا سِوَارًا وَمِعْضَدًا
فيجمع بين (السوار) وهو ما لبس من الحلبي بالمعصم^(٢) والمعصم من
الذهب وغيره يكون على العضد^(٣) ، وهو جمع لعلاقة الشمول بالحلي والزينة
فكلاهما يمكن إدراجه تحت علاقة الصنف العام .

أضافت الدكتورة (عزة شبل) علاقة سابعة إلى ما تقدم ذكره ؛ وهي علاقة
(الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة) ، ومثلت لها بالكلمات الدالة
على الألوان (أحمر - أخضر . . . إلخ)^(٤) .

والذي أذهب إليه أن هذه العلاقة غير منضبطة ، وأن وجود مجموعة
منتظمة لا يقتضي لزماً وجود مجموعة غير منتظمة ، فالمراد بالمنتظمة
عندها ما كان فيه نوع تسلسل مثل أيام الأسبوع ، أما مجموعة كلمات تنتمي
إلى مجموعة واحدة غير منتظمة ، فالأولى أن تدرج تحت (الاشتغال المشترك)
فأحمر وأخضر تشملها كلمة لون ، و(كرسي ومنضدة) تشملها كلمة أثاث ،
فكما أنه لا وجود لتسلسل بين الأحمر والأخضر (غير منتظمة) لا وجود
لتسلسل بين (كرسي ومنضدة) بالنسبة للأثاث .

المصاحبات المستمرة والمصاحبات المنقطعة :

تجدر الإشارة إلى أن الدكتور (محمد العبد) أقام للمصاحبة قسمة تداولية
فجعل منها (مصاحبات مستمرة) ؛ أي ما تزال على حالها مستمرة التداول من
زمن الشعر الجاهلي و(مصاحبات منقطعة) ؛ أي : انحصر استعمالها على مدة
زمنية معينة .

(١) شعراء أمويون : ٢٣٦/١ .

(٢) ينظر : لسان العرب : ٣٨٨/٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦/٢ .

(٤) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٠ .

ومثل للمستمر منها بالفعل (أفشي) المستدعي لمصاحبة (السر)^(١) في المصاحبة الواقعة من قول امرئ القيس^(٢) : [المتقارب]
وَلَمْ يَرْنَا كَالِي كَاشِحٍ وَلَمْ يَفْشُ مِثْلًا لَدَى الْبَيْتِ سِرٌّ
وما قدمه الدكتور (محمد العبد) من الكلام عن المصاحبات المستمرة والمنقطعة في نوع أدبي واحد محدد بزمن هو الشعر في العصر الجاهلي ، وهو في الحقيقة قد أضاف جديدا إلى جانب من جوانب المجالات التي يمكن دراسة المصاحبة من خلالها ، التي وجه (فيرث) أنظار اللغويين إليها كما يقول الدكتور (محمد حسن عبد العزيز)^(٣) وهي :

دراسة المصاحبة في لغة الحياة العامة .

دراسة المصاحبة في لغة جماعة معينة .

دراسة المصاحبة في نوع أدبي خاص .

دراسة المصاحبة في لغة مؤلف بعينه .

دراسة المصاحبة في عصر معين .

أما المصاحبة المستمرة (السجن للحرس) في شعر الصعاليك الأمويين ، فهي أبرز مصاحبة عندهم .

(١) يُنظَر : إبداع الدلالة : ١٠٤ . وقد أغفل الدكتور ذكر نماذج للمصاحبات المنقطعة . ولعل السبب أن كثيرا من المصاحبات تنقطع ويندر استعمالها بمرور الزمن وانقطاع المجتمع المستعمل لها ، وهذا يتطلب دراسة عميقة لكل مصاحبة للوقوف على مراحل انتقالها حتى الانقطاع .

(٢) ديوان امرئ القيس ، ضبطه وصححه : الأستاذ مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م : ٧٠ . والكالي الحارس : يقول الزمخشري : « الله يكلوك ، وتداركه الله بكلايته . واكتلأت منه : احترست » ، أساس البلاغة : (كلا) ١٤٣/٢ ، والكاشح : العدو الذي يُضْمِرُ عَدَاوَتَهُ وَيَطْوِي عَلَيْهَا كَشْحَهُ أَي بَاطِنُهُ . والكشح : الخصر . لسان العرب : (كشح) ٥٧٢/٢ .

(٣) المصاحبة في التعبير اللغوي : ١٥ .

يقول فيها (جحدر العكلي)^(١) : [البسيط]

فَصِرْتُ فِي السَّجْنِ وَالْحُرَّاسُ تَحْرُسُنِي بَعْدَ التَّلَصُّصِ فِي بَرٍّ وَأَمْصَارِ

وفيه : (السجن) (الحراس) ، ويقول أيضاً^(٢) : [البسيط]

وَأَطْلَقْتَنِي مِنَ الْأَصْفَادِ مُخْرِجَةً مِنْ هَوْلِ سِجْنٍ شَدِيدِ الْبَاسِ ذِي رَصَدِ

(سجن) (ذي رصد) .

وجاءت في قول جعفر بن عتبة الحارثي^(٣) : [الطويل]

إِذَا نَابَ دُورَانِ تَرْتَمُ فِي الدُّجَى وَشَدُّ بَأْغْلَاقِ عَلَيْنَا وَأَقْفَالِ

وَحُرَّاسُ سُوءٍ مَا يَتَأَمُّونَ حَوْلَهُ فَكَيْفَ لِمَظْلُومٍ بِحِيلَةٍ مُحْتَالِ

(دوران) (شد) (حراس سوء) .

ومنها كذلك ما جاء في قول السمهري العكلي^(٤) : [الطويل]

مُقَرَّبَةُ الْأَقْدَامِ فِي السَّجْنِ تَشْتَكِي ظَنَائِبَ قَدْ أَمْسَتْ مُبِينًا غُلُوبُهَا

إِذَا حَرَسِي قَعَقَعَ الْبَابَ أُرْعِدَتْ فَرَانِصُ أَقْوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوبُهَا

يقول (عطارد بن قران)^(٥) : [البسيط]

(١) شعراء أمويون : ١٧٥/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٢/١ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٤/١ . سبق بيان معنى الأغلاق والأقفال في الكلام عن الترادف .

(٤) ديوان اللصوص : ٢٧١/١ ، وشعراء أمويون : ١٤١/١ ، وفيه : (ظنايب) ، والظنوب :

مِسْمَارٌ يَكُونُ فِي جَبَةِ السَّنَانِ ، حَيْثُ يُرَكَّبُ فِي عَالِيَةِ الرَّمْحِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : (ظنب) .

٥٧٢/١ . وَعَلَبَ الشَّيْءَ يَعْلِبُهُ ، بِالضَّمِّ ، عَلَبًا وَعُلُوبًا : أَثَّرَ فِيهِ وَوَسَمَهُ ، أَوْ خَدَشَهُ .

وَالْعَلَبُ : أَثَرُ الضَّرْبِ وَغَيْرِهِ ، وَالْجَمْعُ عُلُوبٌ . لِسَانُ الْعَرَبِ : (علب) ٦٢٨/١ .

وَتَقَعَّقَ الشَّيْءُ : اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ . وَالْقَعْقَعَةُ : حِكَايَةُ أَصْوَاتِ السَّلَاحِ وَالتَّرْسَةِ

وَالْجُلُودِ الْيَاسَةِ وَالْحِجَارَةِ وَالرَّعْدِ وَالْبَكْرَةِ وَالْحُلِيِّ وَنَحْوِهَا . يُنْظَرُ : لِسَانُ الْعَرَبِ :

(قعق) ٢٨٦/٨ .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٤/١ .

إِنِّي وَأَخْشَنَ فِي حِجْرِ لَمْخْتَلِفَا حَالٍ وَمَا نَاعِمَ حَالاً كَمْخَهُودٍ

سجن (حجر) (أخشن) السجن .

ويقول أيضاً : ^(١) [الطويل]

إِذَا مَا ابْنُ صَبَّاحٍ أَرَأَيْتَ كُبُولَهُ تَطْنُ عَلَى سَاقِي وَهْثَا وَسَارِسُ

تَذَكَّرْتُ هَلْ لِي مِنْ حَمِيمٍ يَهْمُهُ بَنَجْرَانِ كِبَلَايِ اللَّذَانِ أَمَارِسُ

وقد وردت عند القتال الكلابي في قوله ^(٢) : [الطويل]

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي الْقُبُودُ وَسَاقِي إِلَى السَّجْنِ أَغْلَاجُ الْأَمِيرِ الطَّمَاطِمِ

السجن (أغلاج الأمير) ويقول أيضاً ^(٣) : [الطويل]

وَكَالِي بَابِ السَّجْنِ لَيْسَ بِمُتَّهِ وَكَانَ فِرَارِي مِنْهُ لَيْسَ بِمُؤْتَلِي

إِذَا قُلْتُ رَفَهْنِي مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً تَذَارِكُ بِهَا نُعْمَى عَلَيَّ وَأَفْضَلِ

فـ (كالي) الحارس و(باب السجن) . ووردت كذلك في قول مالك بن

الريب ^(٤) : [الطويل]

أَلْخَقُّ بِالرَّيْبِ الرَّفَاقُ وَمَالِكُ بِمَكَّةَ فِي سَجْنٍ يُعْنِيهِ رَاقِبُهُ

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٥/١ . الوهن : ساعة تمضي من الليل . يقال : لقيته ؛

موهناً ، أي بعد وهن . وأوهن الرجل : دخل في تلك الساعة . ينظر : العين : (وهن)

٤٠٤/٤ - ٤٠٥ . الوُسُوسَةُ والوسواس : الصوت الخفي من ريح . والوسواس : صوت

الحلي . لسان العرب : (وسس) ٢٥٤/٦

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٦٣ . والطَّمِيمُ والطَّمِيمِي والطَّمَاطِمِ والطَّمْطِمَانِي : هو الأعجم

الذي لا يفصح . لسان العرب : (طمم) ٣٧١/١٢ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٧٥ . يُقَالُ : فلانٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ فِي الْأَمْرِ وَغَيْرُ مُعْتَلٍ أَي غَيْرُ

مُقَصَّر . لسان العرب : (علا) ٩٥/١٥ . رَفِهْتُ عَنْ فلان شِدَّتَهُ وَخَنَاقَهُ إِذَا تَفَسَّتَ عَنْهُ

تَرْفِهَا . العين : (رفه) ١٤٠/٢ .

(٤) شعراء أمويون : ٢٤/١ .

(سجن) (راقبه) . ومنها أيضاً ما جاء في قول المَرَّار الفقعسي ^(١) : [الطويل]
 فَيَا وَالِي سِجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا أَسِيرُكُمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِي
 وفيه (واليان) مثني والٍ ؛ أي : حرس السجن و(سجن اليمامة) .

* * *

(١) فوات الوفيات ٥٧/١٠ ، وَيَنْظُرُ : شعراء أمويون : ٤٥٣/٢ ، وديوان اللصوص :
 ٢٢٩/٢ ، وفيهما (ياويلتا) ، وهو تصحيف للكلمة نبه عليه الدكتور محمد نبيل
 طريفني ، ونقل ما ذكره محقق كتاب الأغاني (٣٢٢/١٠) (من النسخة التي اعتمدها)
 من إمكانية تحريف هذه الكلمة ؛ لإشكالية عود الضمير للمثنى في (أطلقا
 وأسيركما) ، وكان الشك في محله إذ الصواب هو (يا والي) وهو ما مثبت في فوات
 الوفيات الذي أحلت إليه .

الفصل الثالث

معيّارا التأسيس النصي النحوي (السبك) والدلالي (الحبك)

مدخل : معايير النص :

تعريف معايير النص :

تُعرف معايير النص بأنها « هي المكونات التي تجعل النص كلاً موحداً متماسكاً دالاً ، لا محض لسلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة »^(١).

ومعايير جمع معيار والمعيار من عايرته ؛ أي : سويته عليه فهو المعيار والعيار ، والمعيار الذي يقاس به غيره ، لا يقال إلا في الكيل والوزن ، فالرطل معيار يوزن به^(٢).

وجاء في المعجم الوسيط : « المعيار العيار ، وفي الفلسفة : نموذج متحقق أو متصور لما ينبغي أن يكون عليه الشيء ومنه العلوم المعيارية ، وهي المنطق والأخلاق والجمال ونحوها »^(٣).

يفهم في تعريف اللغة للمعيار بأنه يجب أن يكون معلوما منضبطا بصفة ليتمكن قياس غيره به .

(١) حبك النص - منظورات من التراث العربي : ١٢٧ .

(٢) العين : (عور) ، ٢٥٣/٣ الصحاح : (عير) ٧٦٤/٢ ، تاج العروس : (عور) ، ١٦٥/١٣ .

(٣) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، جمهورية مصر العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط/٤ ، ٢٠٠٤م : ٦٣٩ .

أما تعريفه من جهة الفلسفة فهو أقرب ما يكون من أهداف علم النص حين وضعت معاييرها ، فبمجموعها يتشكل نص متحقق . وعند إرادة تعيين ما يكون عليه النص يتشكل النموذج المتصور من خلال معايير المحدودة المضبوطة ، التي عينت مسبقا .

- أقسام معايير النص :

قسم (دي بوجراند) المعايير النصية إلى قسمين هما :

معايير تأسيسية : وهي سبعة معايير السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والموقف والتناص ، والكلام لا يكون نصا إلا بها ^(١) ، والكلام هنا عن معياري السبك والحبك وسيأتي الكلام عن البقية منها تباعاً في الباب الثاني .

ومعايير تنظيمية : وهي ثلاثة معايير ، جودة النص ، وفعالية النص ، وملاءمة النص المقام .

وهذه المعايير كان الاهتمام البالغ بالتأسيسية منها ، وقد أخذها عن (دي بوجراند ودريسلر) ^(٢) كل من جاء بعدهما من النصيين الغربيين

(١) يُنظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٦ ، ومدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات نظرية روبرت دي بوجراند ، ولفجانج دريسلر ، الدكتوراة إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ٢٠٠٧ م : ١٢ .

(٢) نبه الدكتور أحمد عفيفي إلى أن نسبة هذه المعايير تكون إلى دي بوجراند وحده ، فقال : « وقد درج الباحثون على نسبة هذه المعايير السبعة إلى دي بوجراند ودريسلر معا تقلا عن كتابهما الذي طبع في لونغمان ١٩٨١ م ، كما فعل سعد مصلوح في بحثه : نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٤ ، والدكتور سعيد بحيري في : علم لغة النص : ١٤٦ . حيث إن كتابه النص والخطاب والإجراء سابق لكتابه مع دريسلر » نحو النص : ٧٥ الهامش : ١٣٥ ، وهذا خلاف ما صرح به دي بوجراند بأن « كل هذه المعايير السبعة للقضية نوقشت بالتتابع في عمل دي بوجراند ودريسلر (١٩٨٠) » النص والخطاب والأجزاء : ١٠٦ ، فالصواب ما ذكر كل من الدكتور سعد مصلوح والدكتور سعيد بحيري ، إذ إن صاحب التأليف (دي بوجراند) أدرك بما ذكر وأعلم بتاريخ نشر كتابه .

أو الباحثين العرب ، باستثناء ما يكون من اختلاف في ترجمة اسم معيار ما منها ، أو محاولات لشرح ، أو تفصيل لبعض منها^(١).

كما قدم (دي بوجراند) تقسيما لهذه المعايير السبعة بحسب صلاتها ؛ فكانت عنده ثلاثة أقسام^(٢).

١- ما له صلة بالنص : « السبك والحبك » .

٢- ما له صلة بالنفس : « الموقفية والتناص » .

٣- ما له صلة بالتقدير : « الإعلامية »

وقد تناول الدكتور سعد مصلوح تقسيم المعايير بصورة أشمل وأكثر وضوحاً من قسمة (دي بوجراند) من جانب توزيعه للمعايير السبعة على الأقسام الثلاثة^(٣) :

١- ما يتصل بالنص في ذاته ؛ وهما معيارا السبك والحبك .

٢- ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجاً أم متلقياً (القصد والقبول) .

٣- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص ، وهي ثلاثة معايير (الإعلامية والموقفية والتناص) .

وقد حاول الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أن يضع معايير نصية ؛ وهي معايير استنبطها من المعاني اللغوية التي تضمنتها كلمة (نص) ؛ فقال : « أن هذه المفاهيم لا تخرج عن أحد المعايير الآتية :

(١) من الباحثين من يترجم (Cohesion) إلى السبك أو التماسك أو الربط أو النظام ، ومنهم من يترجم (Coherence) إلى الحك أو الالتحام أو الاتساق أو التقارن ، يُنظر : مدخل إلى علم لغة النص : ١١ ، والنص والخطاب والإجراء : ١٠٣ ونحو النص : ٩٠ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٦ .

(٣) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٤ .

- كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما .
- مراعاة الجانب الدلالي .
- مراعاة الجانب الحجمي (طول النص) .
- مراعاة الجانب التداولي .
- مراعاة الجانب السياقي وهو متعلق بالمعيار السابق .
- مراعاة جانب التماسك ، وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي .

- مراعاة الجانب الوظيفي للنص .
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي .
- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية مثل : الكفاءة والأداء وغيرهما .
- إبراز كونه مفيدا^(١) .

وهنا أتفق مع الدكتور أحمد محمد عبد الراضي في أن « هذه المعايير التي ذكرها الدكتور صبحي بمثابة شرح وتوضيح لما ذكره دي بوجراند^(٢) إلا أن هناك ملاحظات بشأن هذه المعايير ، يمكن إجمالها بما يأتي :

- ١- جعل ضمن المفاهيم التداولية الكفاءة النصية والأداء النصي ، وهما عند (دي بوجراند) ضمن المعايير التنظيمية لا المعايير التأسيسية .
- ٢- هذا التقسيم لم يشمل بدقة - كما فعل دي بوجراند - كل ما يتصل بالنص ، فلا وجود صريح للإعلامية والتناص فيه^(٣) .
- ٣- التداولية : في الكلام ليست مقياسا على النصية ؛ لذا جعل من مراعاة الجانب السياقي في الفقرة بعدها متعلقا بهذا المعيار .

(١) علم اللغة النصي : ٢٨/١-٢٩ .

(٢) نحو النص بين الأصالة والحدانة : ٨٦ .

(٣) ينظر : نحو النص : ٧٦ .

٤- جعل معيار التماسك أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي ، بينما التماسك هنا قرين الحبكة ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر في الاتساق النصي .

٥- التواصل بين المنتج والمتلقي يمثل معيارا القصد والقبول ، فهو وصف لهما وليس معيارا ؛ لأنَّ القصد تواصل جهة المنتج إلى المتلقي والقبول تواصل من جهة المتلقي إلى المنتج .

كما قسم الدكتور (صباحي الفقي) النص إلى نص كامل ونص ناقص ، بحسب ما احتوى الكلام من هذه المعايير أو خلا منها ، فيقول : « وإذا اختلفت سمة من هذه السمات يمكن أن يطلق عليه نص ناقص ؛ ولذا يمكن أن تعد شروطا ينبغي توافرها حتى يمكن أن يطلق عليه: نص كامل »^(١) .

معايير النص بين نحو الجملة ونحو النص

يرى الدكتور (تمام حسان) قسمة المعايير التأسيسية السبعة بين نحو الجملة ونحو النص وكما يأتي^(٢) :

أ- معايير مشتركة :

هما معيارا السبك والحبكة ويقصد بهما المعايير التأسيسية المشتركة بين نحو الجملة ونحو النص .

ب - معايير خاصة :

هي : (القصد والقبول والموقف والإعلامية والتناص) معايير تخص نحو النص دون الجملة . ولعل سبب التقسيم الذي ذهب إليه الدكتور (تمام حسان)؛ هو أن المعايير الخاصة الخمسة « كلها ترتبط بالرسالة مباشرة ؛ لأنها محور الفعل القرآني بل أول مداراته مع شبكة المعينات حاملة في طياتها الشروط التحضيرية المعينة بصدق المقاصد والنوايا »^(٣) .

(١) علم اللغة النصي : ٢٨/١ - ٢٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٨ .

(٣) لسانيات النص ، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ، أحمد محمد مداس ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن - أريد ، ط/١ ، ٢٠٠٧م : ٨٤ .

- أما الدكتور (سعيد بحيري) فقد قسم المعايير السبعة إلى^(١) ثلاثة أقسام :
- ١- النحوي : المعيار الأول السبك ، ويعنى بكيفية ربط مكونات النص السطحي .
 - ٢- الدلالي : ربط بين تصورات علم النص ، وهو عنده المعيار الثاني الحبك .
 - ٣- التداولي : يضم « المعايير الخمسة القصدية والمقبولية والإعلامية ، والمقامية والتناص .

وقد قسم الدكتور (أحمد عفيفي) المعايير النصية التي تختص بنحو النص إلى ثلاثة أقسام بحسب تعلقها^(٢) :

- ١- ما يتعلق بالأسلوبية (التناص) .
 - ٢- ما يتعلق بالبلاغة (المقامية والإعلامية) .
 - ٣- ما يتعلق بمنتج النص أو متلقيه (القصد والقبول) .
- الذي أتبناه في هذه الدراسة هو تقسيم الدكتور (تمام حسان) ، فقسمته وإن كانت عامة بين نحوين إلا أنها وضعت - فيما يبدو لي - مساحة محددة لنحو الجملة في (السبك والحبك) مع السماح لنحو النص بالدخول في هذه المساحة ؛ لأنها مساحة مشتركة ، ثم حدد مساحة نحو النص بالمعايير الخاصة ، وهنا أتاح للبحث نوعاً من التصور في الفصل النظري بين النحوين ، مع العرض أن مساحة نحو النص من خلال المعايير الخاص قد لا تخلو أن تكون مساحة لنحو الجملة ، وهو ما يستدعي مني مناقشته عند عرض بعض معايير النص الخاصة .

الحد الأدنى من المعايير لتحقيق النص :

أحد مميزات النص عن الجملة أن « تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة . أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة »^(٣) .

(١) يُنظَر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٦٦-١٦٧ .

(٢) يُنظَر : نحو النص : ٧٧ .

(٣) مدخل إلى علم لغة النص : ١٠ .

ولعل قضية وجود معيار ما يسجل على أنه أحد معايير النص لكن وجوده غير لازم لحصول النص ، قضية تشكل مأخذًا على نوعية هذه المعايير التي يحكم بها على نصية الكلام .

لذا جاءت عبارات بعض النصيين مرتبكة في هذا الصدد إن لم تكن متناقضة ، فمما يناقض النص الأول قولهم : « المعايير التي لا غنى عنها لتوافر صفة النصية في تشكيل لغوي ما هي . . . »^(١) وذكروا المعايير السبعة ، فعبارة (لا غنى عنها) تتناقض وعبارة (لا تنطبق عليه . . . بمثل هذه الحدة) فكيف وقد وردت العبارتان في مصدر واحد .

ثم ترتبط هذه المشكلة بالاتصالية ، فعدم تحقق أحد المعايير يفقد النص اتصاليته وبالتالي يفقد النص نصيته ، فقالوا : « وإذا اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق ؛ فإن النص لا يتسم بالاتصالية آنذاك ؛ ولذا فإننا سنعالج النصوص غير الاتصالية هنا باعتبارها غير نصوص »^(٢) .

ويرى الدكتور (سعيد بحيري) أن (دي بوجراند وديرسلر) « لا يعينان ضرورة تحقق هذه المعايير السبعة في كل نص ، وإنما يتحقق الاكتمال النصي بوجودها وأحيانًا تتشكل نصوص بأقل قدر منها »^(٣) .

تبدو نظرة الدكتور (سعيد بحيري) موضوعية ، ولا سيما من جانب الاكتمال النصي عند توافر المعايير السبعة في نص ما ، وتبقى قضية ما الحد الأدنى من هذه المعايير التي ذكرها (بأقل قدر منها) ليكون الكلام نصًا ، وأي المعايير هي أولى بالوجود من غيرها ، متوقفة ودونها تساؤلات عديدة قد

(١) مدخل إلى علم لغة النص : ١١ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص : ٢٥ ، المعايير النصية في القرآن الكريم ، تأليف الدكتور أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠١١م : ١٧٦ يقول : « فالتناص أحد المعايير التي يقوم عليها النص حيث لا يعد النص نصًا إلا إذا توافرت فيه هذه المعايير » .

(٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٦٧ .

تشكل خطراً على قضية المعايير النصية ونظرية النص بأسرها ، ولا سيما عند تطبيق هذه المعايير ونظريتها النصية على النص العربي الذي تكون في بعضه القدسية كالقرآن الكريم ويحوي في طياته كثيراً من الخصوصية من مثل الجهل بالقائل والمناسبة أو الخلاف فيهما في كثير من نصوصه ، وهي عوامل لا شك في أهميتها ؛ للدور الذي تقوم به في وظائف معايير علم النص .

المبحث الأول

السبك

السبك :

قال الخليل (ت ١٧٠هـ) : « السبكُ تسيبكُ السبيكة من الذهب والفضة تذاب فتفرغ في مسبكة من حديد كأنه شقُ قَصَبَةٍ »^(١).

ويقول صاحبُ مقاييس اللغة : « السينُ والباءُ والكافُ ، أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على التناهي في إمهاء الشيء ، من ذلك ، سبكت الفضة وغيرَها أسبَكُها سبكًا ، وهذا يستعار في غير الإذابة »^(٢).

ويخرج هذا اللفظ إلى معانٍ مجازية فيقال : « هذا كلامٌ لا يثبت على السبك وهو سبَّكٌ للكلام وفلان قد سبَّكته التجارب ، وسبَّك الدقيق : أخذ خالصه وحوَّاراه ، ورأيت على خواته السبائك : الخبز الأبيض ، وأراد أعرابي : رقي جبل صعب فقال : أي : سبيكة هذا فسماه سبيكة لاملأه »^(٣).

والذي يمكن استخلاصه من مادة (سبك) ، على المعنيين الحقيقي والمجازي أكثر من وجه منها في المعنى الحقيقي .

١ - السبك إذابة الشيء وصهره :

ويمثل هذا الشيء (الألفاظ) قبل دخولها في الجمل (قبل الإذابة) ، وبعد أن تتألف من غيرها في جملة (بعد الإذابة) تتكون السبائك (الجمل والنصوص).

(١) العين : (سبك) ٢/٢١٤ ، والصاحح : (سبك) ٤/١٥٨٩ .

(٢) مقاييس اللغة : (سبك) ٣/١٢٩ .

(٣) أساس البلاغة : (سبك) ١/٤٣٥ .

٢- السبك : عملية تقتضي قالب (مسبكة) ليتخذ الشيء المسبوك شكله فتكون (السبيكة) .

وهذا ما يكون في بناء الجملة على وفق (قواعد) يتعلق بعضها ببعض ، فإذا أدخلت الألفاظ قالب (مسبكة) الجملة الاسمية ، أخذت شكلها ، وحكمها وإذا أدخلت في قالب الجملة الفعلية أخذت شكلها وحكمها ، وكذلك الحال مع الجمل عند تأليف نص توضع في قالب النص وقوانينه وهي (معايير النص) .

وأما المعنى المجازي للفظ (سبك) فيخرج في محاور عديدة هي :

١- السبك بمعنى (القوة) والجزالة ، هذا كلام لا يثبت على السبك ، أي لا تبقى قوته وجزالته ، وعادة ما يوصف الكلام ، بحسن السبك : أي : قوته .

٢- السبك بمعنى (الإنقان) : هذا سبك للكلام ؛ أي : متقن له .

٣- السبك : (الصقل) هذا رجل سبكته التجارب ؛ أي جعلته ذا رأي صائب .

٤- السبك : التنقية : سبك الدقيق : أخذ خالصه .

٥- السبك : الخالص : على خواته السبائك أي : الخبز الأبيض .

٦- السبك : الملس : ضد الخشونة^(١) ؛ وأراد أعرابي رقي جبل صعب ، فقال : أي سبيكة هذا فسماه سبيكة لإملاسه

وبما أن (القوة والإنقان) كانت في الكلام أما المعنيان : (الصقل) و(الملس) فيمكن حملهما على ما تتصور فيه الجملة من أنها يجب أن تكون نقية من الخطأ النحوي والصرفي والدلالي ، فالجملة لا غنى لها عن السبك بهذه المعاني .

أما (الملس) فلها معنى لغوي يمكن حمله على الكلام والألفاظ ؛ فيقال :

(١) يُنظَر : لسان العرب : (ملس) : ٢٢١/٦ .

« للخمير ملساء إذا كانت سلسلة في الحلق »^(١) ، فالكلام إذا كان مسبوكا تيسر النطق به ويجري بسلاسة في الحلق ، فله ملوسة من هذه الجهة .

يقول الجاحظ : « وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ، ولينة العاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتسافرة مستكرهة »^(٢) .

مصطلح السبك (Cohesion) .

إن من الطبيعي أن ترد اختلافات في التعبير عن ظاهرة أو قاعدة بمصطلح ما ، ففي النحور العربي استعمال لأكثر من مصطلح لوصف ظاهرة واحدة كالنعت والصفة ، والعطف والتشريك ، وغيرها كثير ، هذا في اللغة الواحدة والثقافة المشتركة ، فلا عجب في أن يقع هناك اختلاف في مصطلح مترجم إلى العربية ، ولاسيما أن المترجمين من بيئات متعددة الثقافات ، كما أن لمناهج الباحثين المختلفة وللسبق التاريخي في الترجمة الأثر في هذا التعدد^(٣) غير أن هذا الاختلاف قد ينم عن أزمة في الثقافة اللغوية ، ويظهر الجانب السلبي من هذا التعدد ، في حال تجاوز الحد المعقول المقبول ، فهذا المصطلح (Cohesion) أحصى له الدكتور (عصام عبد السلام أبو زلال) عشرة ترجمات هي « السبك ، التماسك ، التضام ، الربط ، الترابط ، الارتباط ، الاتحام ، الانسجام ، الاتساق ، التضيد »^(٤)

(١) ينظر : لسان العرب : (ملس) ٢٢١/٦ .

(٢) البيان والتبيين : ٦٧/١ .

(٣) ينظر : مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية : ٢٩٨ .

(٤) السبك في معلقة زهير بن أبي سلمى : ١٩٧-١٩٨ ، وقد كان غير دقيق في نسبة مصطلح (الاتحام) إلى الدكتور تمام حسان على أنه ترجمة لـ (Cohesion) وقد أحال ذلك إلى ترجمة لكتاب هوجراند : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ ، وفيه ترجم الدكتور تمام بـ (السبك) ، وكذلك توهم في نسبة التماسك لمحمد خطابي في لسانيات النص : ٥ ، والصواب أنه ترجمه إلى (الاتساق) وسبب هذا أن محمد خطابي عرف الاتساق بأنه التماسك الشديد ، وهذا ظاهر أنه لم يرد به المصطلح بل تفسير للمصطلح ، وما استعمله هو الاتساق : ينظر : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ .

فيقف الباحث أمام مصطلحات متعددة من مترجم واحد ومصطلحات ، استعملت في ترجمة غير مصطلح (Cohesion) مما قد يربك الفهم ويعقد من عملية التعليم . فالدكتور (أحمد عفيفي) ترجم (Cohesion) إلى ^(١) :

١- السبك ٢- الربط ٣- التضام

ويلاحظ أن الدكتور أحمد عفيفي قد أفرد مصطلح (السبك) في هذه الترجمة فيما بعد ^(٢) . ويترجم الدكتور (محمد شاوش) ، مصطلح (Cohesion) إلى الترابط أو الاتساق ، وترجمه الدكتور (صبحي إبراهيم الفقي) إلى السبك أو الربط النحوي والتماسك ، والتماسك النصي ^(٣) .

ونظراً إلى أن جهود الترجمة فردية خاضعة لرأي المترجم ، نجد منهم من استعمل مصطلحات أخرى في ترجمة (Cohesion) وهذه مقارنة توضح ما وقع من خلط للمصطلحات .

١- التماسك (Cohesion) عند الأزهر الزنان ، وصبحي إبراهيم الفقي ^(٤) ، وهو عند الدكتور أحمد عفيفي والدكتورة عزة شبل محمد ، مصطلح مقابل لـ (Coherence) الحبك ^(٥) ، كما أن الدكتور محمد العبد ، ترجم مصطلح (Kohaerenz) بالألمانية إلى (التماسك أو الحبك) ^(٦) .

(١) يُنظَر : نحو النص : ٧٥ ، ٩٠ .

(٢) يُنظَر : الإحالة في نحو النص : ٥٢٤ .

(٣) يُنظَر : علم اللغة النصي : ٣٣/١ ، ٩٣ ، ١١٦ . أصول تحليل الخطاب : ١٠٦/١ .

(٤) نسيج النص : ١٥ ، وعلم اللغة النصي : ٤٤/١ ، ٢١/٢ ، ٢٢ ، كما أن الدكتور محمود عكاشة أطلق عليه التماسك النصي (الشكلي) يُنظَر : الربط في اللفظ والمعنى ، تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النصي ، الدكتور محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠١٠م : ٢١٩ ، ومثله الدكتور أحمد محمد عبد الراضي في نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٤٤-١٢٥ .

(٥) نحو النص : ٩٠ ، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٤ ، واسمه عندها التماسك المعنوي .

(٦) اللغة والإبداع الأدبي : ٣٨ .

٢- الاتساق : (Cohesion) عند الدكتور (محمد حماسة عبد اللطيف) وعند (محمد خطابي ومحمد شاوش)^(١) ، أما عند الدكتور (أحمد عفيفي) فالانساق أحد مقابلات (Coherence)^(٢) وكذا عند الدكتور (إبراهيم محمود خليل)^(٣) .

والذي يظهر لي هو اختيار مصطلح السبك مقابلا لـ (Cohesion) في الإنجليزية ، على الرغم من تقارب دلالة الألفاظ الأخرى ، وذلك أن السبك في الاصطلاح سواء عند النصيين أم عند البلاغيين ، يمكن إدراكه في المعنى اللغوي للفظ (سبك) كما أن توحيد المصطلح المستعمل مع رواد المترجمين في هذا الاختصاص - من وجهة نظري - من مقتضيات البحث العلمي حتى يكون المصطلح (السبك) علما على المعنى المراد .

السبك في الاصطلاح :

قبل الحديث عن التعريف الاصطلاحي للسبك لدي المحدثين تجدر الإشارة إلى أن مصطلح السبك ورد بدلالة قريبة جداً من دلالة عند النصيين في التراث اللغوي العربي ، فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عند كلامه عن أجود الشعر يقول : «أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفرافاً وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»^(٤) .

فكلام الجاحظ - وإن كان عن الشعر - غير أنه ليس مقيدا به ؛ لأن غالبا ما يكون الشعر هو الشاهد في كلام القدماء . ويقول (أسامة بن منقذ)

(١) يُنظَر : الإبداع الموازي - التحليل النصي للشعر ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة - مصر . د . ط . ٢٠٠١م : ٣٧ لسانيات النص : ٥ ، ١١ ، ١٦ . وأصول تحليل الخطاب : ١٠٦/١ ، ١٠٨-١٠٩ .

(٢) نحو النص : ٩٠ .

(٣) في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .

(٤) البيان والتبيين : ٦٧/١ .

(ت ٥٨٤هـ) في السبك « فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره »^(١) ويقول : عن الكلام عامة « خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض »^(٢).

تعريف السبك عند النصيين :

يعرف (دي بوجراند) السبك (Cohesion) بأنه ما « يترتب على إجراءات يبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع ، يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي »^(٣).

وعُرف أيضاً أنه : « ما يقوم بين مكونات ظاهر النص أو الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نبصرها من ترابط متبادل ضمن تنال لغوي معين ، وتعتمد مكونات ظاهر النص بعضها على بعض وفقاً للأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد »^(٤). وعرفه الدكتور (تمام حسان) بأنه « إحكام علاقة الأجزاء »^(٥) ، ووسيلته عنده نحوية ودلالية ؛ إذ يقول : « ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى واستصحاب الرتبة النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبية ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل »^(٦).

(١) البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، (ت ٥٨٤ هـ) ، بتحقيق : الدكتور أحمد أحمد بلوي ، الدكتور حامد عبد المجيد ، ومراجعة الأستاذ : إبراهيم مصطفى ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإقليم الجنوبي ، د . ط ، د . ت : ١٦٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٣ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٤) اشترك في تعريفه مع دي بوجراند درسيلر وإلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد في ، مدخل إلى علم لغة النص : ٢٥ ، كثير من الباحثين يخص إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد بهذا الكتاب دون دي بوجراند ودرسيلر . وهو خلاف ما صرحوا به من أن العمل مشترك بينهم كما في (التصدير) : ٨ .

(٥) موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية : ٧٨٩ .

(٦) المصدر نفسه : ٧٨٩ .

وتعريف السبك عند الدكتور (سعد مصلوح) هو : « معيار يرتبط داخل النص بالوسائل التي تحقق ترابط المباني النحوية شكلياً »^(١)
وقد خصص المباني النحوية بالذكر لأهميتها ، وإلا فلا يخفى دور المعجم في السبك .

تجدر الإشارة هنا إلى أن من الباحثين العرب من تبع دي بوجراند في تعريف السبك ، منهم الدكتور (أحمد عفيفي) إذ يقول عنه : « هو معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي »^(٢) ، ثم ينقل نص (دي بوجراند) سابق الذكر . ولعل الاستفادة من تعريف السبك أمور أهمها :

- ١- التركيز على العناصر السطحية (الشكلية) في الربط .
 - ٢- اعتماد الربط النحوي والمعجمي لتحقيق الربط الرصفي الكلي للنص أكثر من اعتماد الترابط الدلالي .
 - ٣- الربط يكون داخل النص بالوسائل التي تحقق ترابط المباني .
- وبالإمكان المقاربة بين هذه الأربعة إذ إن العناصر السطحية هي التي تجعل الاستمرار اللفظي ، كما أن اعتماد الربط النحوي والمعنوي هو ربط داخل النص في الغالب .

يلاحظ أن أجزاء النص قبل تأليفه كانت جملاً ومفردات ذات دلالات قد تكون متقاربة وقد تكون متباعدة وألفاظها مستقلة الروابط ، فكل جملة مستقلة بما تحتويه من روابط لفظية ، والذي يؤلف بين الألفاظ والجمل ويجعلها قطعة واحدة في الاستمرارية هو السبك ، فيقوم بإزالة الفواصل بين الجمل والتراكيب والمفردات ؛ وهذا المعنى في السبك مستمد من معناه اللغوي في الإذابة ؛ وعليه يمكن اقتراح تعريف لهذا المصطلح ؛ وهو : « إذابة الفواصل الدلالية

(١) نحو أجرومية النص الشعري : ١٥٧ .

(٢) نحو النص : ٩٠ .

والنحوية والمعجمية والصوتية بين أجزاء الكلام - جملاً ومفردات - بتوظيف أكبر عدد ممكن من وسائله (الإحالة والاستبدال والحذف والربط التكرار والتضام) ليتألف نصاً غير متقطع الأوصال ولا متجزئ الأفكار .

ويتحقق السبك في النص من خلال توافر وسائل التماسك اللفظي (النحوية والمعجمية) التي جرى تفصيلها فيما سبق ، فكل الوسائل : الإحالة والاستبدال والحذف والربط والتكرار والتضام ^(١) تمثل عناصر سطحية ، لها أثرها في تشكيل النص .

وبما أن السبك من أهم المعايير النصية ، بالنسبة لأي نص فهو من المعايير التأسيسية التي لا يكون النص نصاً إلا من خلالها ^(٢)، فقد أصبح وجود نص مرهوناً بوجوده ، ولاسيما أن وسائله كلها تعتمد في الحقيقة على الملفوظ .

درجات السبك في نصين للسهمري العكلي

الحقيقة أن السبك هو من الثوابت التي لا يكون نص بدونها ، ومع هذا تظهر فروق في درجات السبك من نص لآخر ، وهذا يرجع من وجهة نظري إلى عدد ونوع وسائل السبك المستعملة في النص .

ويمكن إظهار هذا من خلال عرض نصين لشاعر واحد من الشعراء الصعاليك والموازنة بينهما .

النص الأول : يقول السهمري العكلي ^(٣) : [الطويل] .

تَمَثَّلْتُ سُلَيْمَى أَنْ أَقِيلَ بِأَرْضِهَا وَأَلِيَّ لَسْلَمَى وَبَيْتَهَا فَا تَمَثَّلْتُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورَنَّ سَاجِرًا وَقَدْ رَوَيْتُ مَاءَ الْغَوَادِي وَعَلَّتْ

(١) نحو النص : ١٠٣ .

(٢) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ١١ .

(٣) الأغاني : ١٧٠/٢١ وفيه : (وأني لسلمى) ، شعراء أمويون : ١٤٢/١-١٤٣ ، ديوان اللصوص : ٢٧٤/١ ، فيهما (وأني لسلمى) ، أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٧/١ ، وفيه (أني لسلمى) .

بَنِي أَسَدٍ هَلْ فِيكُمْ مِنْ هَوَادَةٍ فَتَغْفَرَ إِنْ كَانَتْ بِيِ الثَّغْلُ زَلَّتْ

النص الثاني : يقول السمهري العكلي ^(١) : [الطويل]

أَلَا طَرَقْتُ لَيْلَى وَسَاقِي رَهَيْتَهُ بِأَسْمَرٍ مَشْدُودٍ عَلَيَّ تَقِيلُ

فَمَا الْبَيْنُ يَأْسَلُمِي بِأَنْ تَشْحَطَ الثَّوَى وَلَكِنْ بَيْنَا مَا يُرِيدُ عَقِيلُ

فَإِنْ أُلْجُ مِنْهَا أُلْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَمَلِكُ سَبِيلُ

وفي الجدول التالي كشف لوسائل السبك في كلا النصين لمعرفة أيهما أكثر سبكاً من الآخر ، بناءً على نوع هذه الوسائل وعددها في كل منهما .

عناصر السبك في النص الأول :

أولاً : الإحالة :

ضميرية : ١- داخلية :

١- الهاء : أرضها

٢- الهاء : وبيها

٣- هي : ما تمت

٤- ما تمت (الهاء) مقدره رابط صلة الموصول محيل إلى (ما) الموصولة .

٥- هي : رويت

٦- هي : علت

٧- علت (الهاء) مقدر في (علته)

٨- ك : فيكم

٩- هي : فتغفر

١٠- هي : زلت

٢- خارجية :

١- أن أقيل : (أنا) محيل إلى الشاعر وهو عنصر خارجي

(١) شعراء أمويون : ١/١٤٥ .

٢- شعري : الياء .

٣- أزورن : أنا .

٤- بني أسد ، (أدعو) أنا .

٥- بي : الياء

ب - موصولية : ما تمت : الذي تمت قبلية .

ثانياً : التحديد :

١- المعروف : ١/١ الغواذي ، ٢/١ النعل .

٢- النكرة : ١/٢ ساجراً . ٢/٢ هوادة .

٣- تاء التأنيث الساكنة : ١/٣ تمت . ٢/٣ تمت . ٣/٣ رويت . ٤/٣ علت

٥/٣ كانت . ٦/٣ زلت .

ثالثاً : الاستبدال :

١- اسمي : سليمي : سلمى .

٢- قولي : أن أقبل بأرضها : ما تمت

رابعاً : الحذف :

١- حذف العائد من الصلة : وهو الضمير (الهاء) . ما تمت : أي : ما تمته

٢- ليت شعري : وفيه الخبر ملتزم الحذف : أي : ليت شعري ثابت^(١) .

٣- ياء النداء : من بني أسد أي : يا بني أسد

٤- حذف الخبر وبقاء متعلقه من هل فيكم من هوادة أي هل هوادة كائنة فيكم .

٥- حذف الناصب للفعل بعد فاء السببية من قوله فتغتفر .

خامساً : الربط : ١ - حروف الجر :

١/١ - لسملى / اللام .

(١) مع الهوامع : ١٦٢/٢ .

- ٢/١- بأرضها/ الباء لسلمي .
- ٣/١- فيكم/ في .
- ٤/١- من هوادة : من/ زائد .
- ٥/١- بي النعل : الباء .
- ٢- حروف العطف : وعلت/ الواو .
- ٣- الاستئناف : وأنى لسلمي/ الواو .
- ٤- واو الحال : وقد رويت/ الواو .
- ٥- الموصولات : ١/٥- حرفية : أن أقيل : أن مصدرية .
- ٢/٥- أن مصدرية بعد الفاء .
- ٣/٤- الاسمية : ما تمت/ ما موصولة .
- ٦- فاء السببية : فتغفر .
- ٧- إن الشرطية : إن كانت بي النعل زلت .
- ٨- الاستفهام : وأنى لسلمي .
- سادساً : التكرار :

- ١- تمت : تمت/ تكرار لفظي .
- ٢- سليمى : سلمى / جناس .
- ٣- أزورن : نون التوكيد الثقيلة : تكرار ضمني .
- ٤- رويت : علت : ^(١) ترادف .
- ٥- هل : هل تكرار لفظي .
- ٦- من هوادة : حرف زائد : تكرار ضمني .
- ٧- ألا ليت : تمنى : تكرار ضمني .
- ٨- قد : تحقيق : تكرار ضمني .

(١) لسان العرب (علل) : ٤٦٨/١١ .

٩- ألا ليت شعري ، هل أזורنُ ساحراً ، تكرر معنوي .

سابعاً : التضام :

١- أن أقيـل بأرضها : علاقة الشمول ؛ أي : ببعض أرضها .

٢- رويت : ماء الغواري : تلازم ذكرى .

٣- بني أسد : هوادة : علاقة الشمول .

٤- هوادة : فتغفر : تلازم ذكرى .

٥- بي : النعل : علاقة ملابسة واستعمال .

٦- النعل : زلت : علاقة سببية .

عناصر السبك في النص الثاني :

أولاً : الإحالة

أ- الضميرية :

الإحالة الداخلية :

١- رهينة : هي ، تقدير

٢- مشدود : هو ، تقدير

٣- ثقیل : هو ، تقدير

٤- ما يريد عقيل : ما يريده/ الهاء/ داخلي

الإحالة الخارجية :

١- وساقى : الياء ، عائد على الشاعر .

٢- فإن أنج : أنا يريد نفسه .

٣- منها : الهاء عائد على المصيبة التي فيها الشاعر ؛ وهي الحبس .

٤- أنج : أنا يريد نفسه .

ب - الإحالة غير الضميرية :

١- فتلك سبيل : الإشارة

٢- ما يريد : الذي يريد . موصول

ثانيًا : التحديد :

١- المعرفة :

١/١- البين ، النوى .

٢/١- النكرة : بينا ، سبيل

٢- تاء التأنيث : طرقت ليلي .

ثالثًا : الاستبدال :

١- الاستبدال الاسمي :

١/١- ليلي : سلمى ، يريد صاحبة .

٢/١- ساقى : عليّ الياء عائدة على الشاعر فاستبدل بعضه ب كله .

٣/١- الأخرى : عدم النجاة

٢- الاستبدال القولي :

١/٢- وساقى رهينة : بأسمر مشدود عليّ ثقيل

٢/٢- بينا : مايريد عقيل

رابعًا : الحذف :

١- حذف الموصوف وبقاء الصفة بأسمر مشدود أي : بقيد أسمر .

٢- وحذف العائد في صلة الموصول ما يريد أي : مايريده عقيل .

٣- حذف الفعل في (يا سلمى) .

خامسًا : الربط :

١- حرف الجر

١/١- بأسمر/ الباء .

٢/١- عليّ : على .

٣/١- بأن/ الباء زائد

٤/١- منها : من

٥/١- من ذي/ من

- ٢- حروف العطف :
- ١/٢- وساقى/ الواو
- ٢/٢- ولكن بينا/ الواو
- ٣/٢- وإن تكن الأخرى/ الواو
- ٣- الفاء الاستثنائية :
- ١/٣- فما البين .
- ٢/٣- فإن أنج
- ٤- الفاء الرابطة لجواب الشرط : فتلك سبيل
- ٥- الشرط : ١-٥- فإن أنج أنج
- ٥-٢- وإن تكن الأخرى فتلك سبيل
- ٦- واو الحال : وساقى رهينة .
- ٧- ولكن : الاستدراك .
- سادساً : التكرار :**
- ١- ألا : التمني / تكرر ضمني .
- ٢- لكن : تأكيد الاستدراك / تكرر ضمني
- ٣- بأن تشحط النوى : حرف جر زائد/ تكرر ضمني .
- ٤- أنج : أنج : تكرر لفظي .
- ٥- البين : أن تشحط النوى/ ترادف .
- ٦- البين : بينا/ جناس .
- ٧- البين : النوى / ترادف .
- سابعاً : التضام :**
- ١- ساقى رهينة : أسمر مشدود/ تلازم ذكرى .
- ٢- ساقى : عليّ/ علاقة الجزء بالكل .

جدول موازنة بين عناصر السبك في النصين

الوسيلة	النص الأول	النص الثاني
الإحالة	ضميرية داخلية (١٠) = (٥) خارجية + موصولة = ١٦	٤ ضميرية داخلية + ضميرية خارجية + غير ضميرية ١٠ =
التحديد	المعرفة : ٢ النكرة : ٢ تاء التانيث الساكنة : ٦	المعرفة : ١ النكرة : ٢ التانيث : ١
الاستبدال	اسمي : ١ قولي : ١	اسمي : ٣ قولي : ٢
الحذف	٥	٣
الربط	١٤	١٥
التكرار	٩	٧
التضام	٦	٢
المجموع	٦١	٤٦

ظهر لي من خلال موازنة نصين متساويين بعدد الأبيات لشاعر واحد وجود فرق واضح في تماسك النصين من خلال وسائل التماسك ، فقد احتوى النص الأول على إحدى وستين وسيلة ، واحتوى النص الثاني على ست وأربعين وسيلة ، وهذه الموازنة كانت خاصة بوسائل التماسك فلم تتطرق إلى اختلاف

النصين في القافية والنبر الذي حصل في كل منهما والفروق بينهما في البحر الطويل ؛ فالنص الأول كان من بحر الطويل ؛ فكل من عروضته وضربه (مفاعلن)، والنص الثاني كان من البحر الطويل ذو العروض المقبوضة (مفاعلن) والضرب المحذوف (فعولن) .

ففي النص الأول يتساوى فيه عدد تفعيلة (مفاعيلن أو مفاعلن) مع تفعيلة (فعولن أو فعول) وبالتالي يتحقق التماسك في النغم العروضي بالتساوي الحاصل من هذا التكرار ، أما النص الثاني فقد غلبت التفعيلة (فعولن أو فعول) على حساب التفعيلة (مفاعيلن أو مفاعلن) لأن الضرب (مفاعيلن) فيه محذوف السبب الخفيف لتصبح التفعيلة (مفاعي) وتنتقل إلى فعولن .

وهنا تقرر لدى الحكم سبك النص الأول بدرجة أعلى من سبك النص الثاني ، وعلى هذا المنوال يمكن الاستفادة من توظيف عدد هذه الوسائل في نص ما مقارنة بعددها في نص تصلح المقارنة به ؛ لينكشف من خلالها درجة السبك بالمقارنة في النص المراد اختباره .

المبحث الثاني

الحبك

تعريف الحبك (Coherence)

الحبك لغة :

جاء في العين « محبوك العجر والمتن إذا كان فيه استواء مع ارتفاع والحباك رباط الحظيرة بقصبات ، ثم تشد كما تحبك عروش الكرم بالحبال واحتبكت إزاري شدته »^(١) .

و« حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكُهُ بالكسر حَبْكًا إذا أجاد نسجه ، قال ابن الأعرابي : كلُّ شيءٍ أَحْكَمْتُهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدْ أَحْبَبَكْتُهُ »^(٢) ولذا يقال : « حَبَكْتُ الحبلَ : شدته وبناء محبوك موثوق وحبكت العقدة ونقنتها »^(٣) .

ظاهر معاني (حبك) في اللغة هو الشد والتوثيق وإحكام الشيء وتحسينه^(٤) ، وهذه معاني يجمعها عنصر القوة .

فمحبوك العجز والمتن دلالتها على القوة ورباط الحظيرة عمله تقويتها بالقصبات المشدودة ، وشد الشيء ، يكون بقوة لغرض التقوية فالحبل يشد وكذا الثوب . ومنه إجادة نسج الثوب وجعله قويا بعد أن كان خيوطا ضعيفة ، وهو حكم على كل شيء أحسنه وأحكمته فيكون محبوكا .

(١) العين : (حبك) ٢٨١/١ .

(٢) الصحاح : (حبك) ١٥٧٨/٤ .

(٣) أساس البلاغة : (حبك) ١٦٥/١ .

(٤) ينظر : الكليات : ٥٧ .

ترجمة مصطلح الحبكة (Coherence)

إن مصطلح (Coherence) الحبكة لم يسلم أيضاً من اختلاف المترجمين في وضع المقابل العربي له ؛ وهذه الاختلافات هي :

١- الحبكة : عند الدكتور (سعد مصلوح) : هو اختيار الدكتور (محمد العبد)^(١) ، وهو إحدى الترجمات عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (صبحي إبراهيم الفقي)^(٢) .

٢- الالتحام : في ترجمة الدكتور (تمام حسان) لكتاب (دي بوجراند) (النص والخطاب والإجراء)^(٣) .

٣- التماسك : عند (محمد لطفلي الزليطي ومنير التريكي) في ترجمتهما لكتاب (تحليل الخطاب) (لبراون وج . يول)^(٤) وأحد ترجمات الدكتور (أحمد عفيفي)^(٥) ومن الدارسين من يضيف إليه الدلالة فيصير (التماسك الدلالي)^(٦) أو التماسك المعنوي^(٧) .

وقد سبقت الإشارة إلى استعمال التماسك لترجمة السبك (cohesion) عند بعض الدارسين .

٤- الانسجام : هو أحد وجوه الترجمة عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (إبراهيم محمود خليل). وكذلك هو عند (محمد خطابي)^(٨) .

(١) نحو أجرومية النص الشعري : ١٥٤ : النص والخطاب والإجراء : ٨٧ ، ٨٩ وحبك النص في التراث العربي : ١٣٩ .

(٢) يُنظَر : نحو النص : ٧٥ ، ٩٠ ، علم اللغة النصي : ٣٣/١ .

(٣) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٨ ، ١٠٣ .

(٤) يُنظَر : تحليل الخطاب : ٣٤٠ .

(٥) نحو النص : ٩٠ ، ومثله عند الدكتور إبراهيم محمود ، يُنظَر : في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .

(٦) علم اللغة النصي : ٣٣/١ .

(٧) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٤ .

(٨) يُنظَر : نحو النص : ٩٠ ، في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ ، لسانيات النص : ٤٠٩ .

٥- الاتساق : هو أحد مقابلات الترجمة عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (إبراهيم محمود خليل)^(١). وسبقت الملاحظة أن من الدارسين من يستعمل (الاتساق) مقابل (cohesion) السبك .

٦- التقارن : عند الدكتورة (إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد)^(٢) .

٧- التماسق : اعتمد هذه التسمية الدكتور (فالح العجمي) (coherence) عند ترجمة كتاب (فولفجانج هاينه) من (وديتز فيهفيجر) الموسوم (مدخل إلى علم اللغة النصي)^(٣) .

وأطلق عليه كل من الدكتور (محمد لطفي الزليطي) والدكتور منير التريكي (التناسق المعنوي)^(٤) .

هذه أبرز الترجمات لهذا المصطلح عند المهتمين بعلم النص ، وقد أظهرت عدم استقرار للمصطلح المترجم مما يزيد من صعوبة تلقي النظرية النصية التي ما زالت تؤسس بأنها نظرية جديدة .

الحبك في الاصطلاح

يعرفه (دي بوجراند) بقوله : « يتطلب في الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة ، لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه »^(٥) .

وهو عند الدكتور (تمام حسان) معيار للترابط المفهومي ، وترجمته عنده (الالتحام)^(٦) .

(١) نحو النص : ٦٠ ، في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .

(٢) مدخل إلى علم النص : ١١ ، ٢٩٠ ، وفي اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .

(٣) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٣ .

(٤) ينظر : تحليل الخطاب : ٣٤٠ .

(٥) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٦) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٨ .

ويحده (ليفاند وفسكي) (lewlandawski) بقوله : « ليس الحبك محض خاصة من خواص النص ، ولكنه أيضاً حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء »^(١).

ويقول (فولفجانج وديتر) بأنه : « استمرارية المضمون بمعنى (ترابط العلامات الدلالية) فهي ليست مجرد سمة للنصوص ، بل أكثر من ذلك ، قضايا في نتائج الإدراك لدى مستخدم النص فالتناسق لا ينشأ لذلك إلا بواسطة ربط العلم المهيأ في النص (عالم النص) مع (عالم العلم) المخزون لدى شريك الاتصال »^(٢).

ويعرفه (هاليداي ورقية حسن) بأنه « مفهوم دلالي ، يحيل إلى العلاقات المعنوية الفاتحة داخل النص والتي تحدده كنص »^(٣).

ويقرب الدكتور (سعد مصلوح) في تعريفه للحبك من تعريف (فولفجانج وديتر) فيقوله « إن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص ، وتعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلي في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم ، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وإبداعاً أو تلقياً واستيعاباً » :^(٤)

وقد عرفه الدكتور (محمد العبد) ؛ ليكون جوهره عنده « تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا ، تسلسل لمعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أس حبك النص »^(٥).

(١) نقلاً عن : حبك النص : ١٢٩ ، النص والخطاب والاتصال : ٩١ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٣ .

(٣) (Cohesion in English : p . p 4) ، نقلاً عن : لسانيات النص : ١٥ .

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٤ .

(٥) حبك النص : ١٣٠ ، والنص والخطاب والاتصال : ٩٢ .

وتعرفه الدكتورة (عزة شبل) بقولها «هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج من تنظيم النص ، ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة»^(١).

كل ما تقدم من تعاريف بمصطلح الحيك تتفق على مضمون واحد وتسعى لإظهار ثلاثة أمور : هي .

- ١- أهمية عالم النص (عناصر المعرفة) .
- ٢- دور عالم النص في استمرارية المضمون (ترابط العلاقات الدلالية) .
- ٣- المتلقي (مستمع أو قارئ) ، ودوره الإدراكي .

وسائل الحيك عند (دي بوجراند) :

حدد (دي بوجراند) بعضاً من وسائل الحيك ، وهي :^(٢)

- ١- العناصر المنطقية - السببية والعموم والخصوص .
 - ٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .
 - ٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ؛ ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم .
- إن ما ذكره (دي بوجراند) يمكن أن ينظم في ثلاثة محاور^(٣) ؛ هي : الربط الدلالي بين القضايا ، ومعرفة الفكرة الأساسية ، وكيفية تنظيم المعلومات في النص .

المفاهيم النظرية للحيك :

اهتم الدكتور (محمد العبد) بهذه المفاهيم التي تتعلق بالحيك ووسمها بأنها «التي تمكن من تحليل بنيته تحليلاً متكاملاً»^(٤) ، وأهم هذه المفاهيم :

-
- (١) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٤ .
 - (٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .
 - (٣) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٧ .
 - (٤) حيك النص : ١٣١ .

أولاً : مفهوم الحبك الطولي المتدرج :

يكون الحبك الطولي المتدرج على مستوى الجمل : أي : ما تعبر عنه كل جملة ، ثم ما تعبر عنه متواليات الجمل ، ومن هنا كانت تسمية (المتدرج) ، فصدق على هذا تسميته بـ (بنى النص الصغرى) في مقابل البنى الدلالية الكبرى للنص^(١) .

ويمكن توضيح هذه البنى ، بما جاء في قول (جحدر العكلي) :^(٢) [الطويل]
إِذَا انْقَطَعَتْ نَفْسُ الْفَتَى وَأَجْنَتْهُ مِنْ الْأَرْضِ رُمِسَ ذُو ثَوَابٍ وَجُنْدَلٍ
رَأَى أَلَمًا دُنْيَا غُرُورًا وَأَلَمًا ثَوَابُ الْفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ

البنى الصغرى : (القضايا الصغرى) :

- ١- الموت (انقطعت نفس الفتى) .
- ٢- الدفن (وأجنته من الأرض رمس) .
- ٣- اليقين (رأى) .
- ٤- الزائل (ألما الدنيا غرور) .
- ٥- الثابت (ثواب الفتى في صبره) .

ثانياً : مفهوم علاقات الحبك :

هناك علاقات يظهر الحبك من خلالها ، من أهمها ما يأتي :

- ١- وحدة المرجع : وهي علاقة بين الذوات فـ «الموضوعات وحدات في قضايا مختلفة يمكن أن يكون لها الذات نفسها والقيمة ذاتها ، ويمكن أن يشار إلى الذات الواحدة باسم العلم ، أو الضمير أو بمفردات مثل : آخر ، أو تعبيرات مثل : ذلك الولد ، أو الطالب الذي فقد كتابه»^(٣) .

(١) ينظر : حبك النص : ١٣١ .

(٢) شعراء أمويون : ١٨١/١ ، وفيه : (وأجنته) ، ديوان اللصوص : ١٦٩/١ . الرمس : التراب ، ورمس القبر : ما حثي عليه ، العين : (رمس) ١٤٩/٢ .

(٣) حبك النص : ١٣٢ .

الكلام هنا هو عن الإحالة أو الاستبدال الخاص بالذوات ، وليس الإحالة المطلقة ، أو الاستبدال المطلق ، ويمكن التمثيل لهذا بقول مالك بن ربيع ^(١) [الوافر]

بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ
أُسُودٌ بِالْحِجَازِ عَلَى أُسُودٍ خَوَادِرُ لَا تُنْهِنُهُمَا الْأُسُودُ
أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُنْهِنِي الْوَعِيدُ
شَقِيتُ بِهِمْ عَلَى طَوْلِ الثَّانِي كَمَا شَقِيتُ بِأَخْمَرِهَا ثُمُودُ
عَسَى ابْنُ الْكَاهِلِيَّةِ فِي نَدَاهُ يَعُودُ بِحِلْمِهِ فِيمَا يَعُودُ
فَإَمْنٌ خَائِفٌ بِهِمْ طَرِيدُ وَيَأْتِي أَهْلَهُ الثَّانِي الْبَعِيدُ

في هذه القطعة ثلاث ذوات ^(٢) (الشاعر ، مصعب ، بنو أبيه) وقد تضمنت عددا من الإحالات ، جعلت من النص محبوبا يعود عدد منها إلى ذات بعينها وعدد آخر إلى ذات أخرى .

- ١- الشاعر : ١- بغاني / الياء . ٢- أحيد/ أنا . ٣- لا أحيد/ أنا .
- ٤- من دمي / الياء . ٥- توعدونني / الياء . ٦- كنت/ ت . ٧- ينهني / الياء . ٨- شقيت/ ت .
- ٢- مصعب : ١- بنو أبيه/ الهاء . ٢- عنهم/ الهاء . ٣- أقادوا/ الواو .
- ٤- توعدونني/ الواو . ٥- تنهنيها/ الهاء . ٦- توعدونني/ الواو . ٧- بهم/ الهاء . ٨- في نداءه/ الهاء . ٩- يعود/ هو . ١٠- بحلمه : الهاء . ١١- يعود/ هو .

(١) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧-١٢٨ ، : التهنئة : الكف . تقول تُنْهِنْتُ فُلَانًا إِذَا زَجَرْتَهُ فَتَنْهَنَةُ أَيْ كَفَفْتَهُ فَكَفَّ ؛ لسان العرب : (تهنه) ٥٥٠/١٣ . الكاهلية : « أم خويلد ابن أسد بن عبد العزى ، جدة العوام بن خويلد ، زهرة بنت عمرو بن حنشر ، من بني كاهل بن أسد بن خزيمة » . أنساب الأشراف : ٣٥٣/٦-٣٥٤ .

(٢) هناك ذات رابعة هي (ثمود) عاد الضمير عليها مرة واحدة فأخرجتها من المقارنة .

٣- بنو آية : وهم بالاشتراك مع مصعب في : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

كما أن هناك استبدالاً وأدوات أخرى .

فاستبدل : ١- أسود بـ (مصعب وبنو آية) ٢- خواذر بـ (مصعب وبنو آية)

٣- ابن الكاهلية (مصعب) ٤- خائف (الشاعر) ٥- طريد (الشاعر)

٦- النائي (الشاعر) ٧- البعيد (الشاعر)

ولا يظهر للباحث فرق بين وحدة مرجع الذوات ووحدة مرجع غير الذوات

(الأفكار) : في تحقيق الحبك : منه قول السمهري العكلي^(١) : [الطويل]

فإن أُلج منها أُلج مِن ذي عَظِيمَةٍ وإن تُكُن الأخرى فتلُك سَبِيلُ

ففي البيت : اسم إشارة (تلك) أحيل به إلى معنى لا ذات ، وهي (عدم

النجاة) التي قابلت النجاة من السجن ، فجعل

عدم النجاة ← معنى → تلك

وحدة المرجع

وفي البيت أيضاً استبدال بـ (أخرى) عن ذكر عدم النجاة ، وهو استبدال لغير

ذات فوحدة المرجع للمستبدل والمستبدل منه معنى لا ذات .

عدم النجاة ← معنى → أخرى

وحدة المرجع

وعلى كل حال فإن وحدة المرجع ضرورية لمعرفة وجود الحبك بين

الجميل ؛ لذا ما كان (لفان دايك) إلا أن ينفي وجود أي ترابط دلالي بين

الجميل في المثالين : (لأن الطقس كان جميلاً يدور القمر حول الأرض) (كم

الساعة؟ فلتعطني إياها) لعدم وجود إحالة بين علاقات الجمل^(٢).

(١) شعراء أمويون : ١٤٥/١ .

(٢) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٤٨ .

٢ - علاقة الاختلاف والتغيير :

يقول الدكتور (محمد العبد) عن فحواها «إننا لا ندوم في الخطاب على ذكر الشيء نفسه عن الذات أنفسها بل ندخل إلى عالم الخطاب ذواتاً جديدة أو نعين جديداً من الخصائص والعلاقات لذوات أدخلناها من قبل»^(١).

وشروط هذه التغييرات أن تكون متجانسة ولا تخرج عن المستوى المنطقي لقبولها في عالم النص ، كما أن هذه التغييرات ترتبط بما ذكر قبل من نظائرها فعملها يتركز على (المحور والتفسير)^(٢).

وفي أبيات من قصيدة لمالك بن الريب يمكن أن تتضح هذه العلاقة إذ يقول^(٣) : [الخفيف] .

وَلَقَدْ قُلْتُ لَا بُتِّي وَهِيَ تَبْكِي	بِدَخِيلِ الْمُتُومِ قَلْبًا كَثِيًّا
وَهِيَ تُذْزِي مِنَ الدُّمُوعِ عَلَى الْحَدِّ (م)	ذَيْنِ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غُرُوبًا
عِبْرَاتٍ يَكْذَنْ يَجْرَحْنَ مَا جُزْ (م)	نَ بِهِ أَوْ يَدْعُنَ فِيهِ لُدُوبًا
حَذَرَ الْحَتَفِ أَنْ يُصِيبَ أَبَاهَا	وَتَلَاقِي فِي غَيْرِ أَهْلِ شَعُوبَا
اسْكُنِي قَدْ حَزَزْتَ بِالْدمْعِ قَلْبِي	طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكَ الْقُلُوبَا
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدَافِعَ عَنِّي	رَيْبَ مَا تُحْذِرِينَ حَتَّى أَوْبَا

يلاحظ نقاط الاختلاف والتغيير في هذه الأبيات على نحو ما يأتي :

- ١- الدموع : ابنتي تبكي ← تذري الدموع غروباً ← عبرات يجرحن ويتركن الندوب ← (اسكني) اتركي البكاء ← الدمع يحز القلب .

(١) حبك النص : ١٣٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٤/١ - ٢٥ . سبق أن بينت معاني (غروباً) و(شعوباً) في ذكر هذه الأبيات في تناص المواقف والقصص . والحتف : الموت وقضاؤه . العين : (حتف) ٢٨٤/١ . والحز قطع في اللحم غير بائن . العين : (حز) ٣١١/١ .

٢- الخدود : الدمع على الخدين ← عبرات يجرحن الخد ← عبرات يتركن على الخد الندوب .

٣- الموت : حذر الحثف يصيب أباهما ← يلاقى المنية في غير قومه ← ريب ما تحذرين .

٣- علاقة التبعية :

جعل الدكتور (محمد العبد) ضمن هذه العلاقة مجموعة من العلاقات المنطقية التي تجعل من الكلام محبوباً منطقياً ذكر منها :

العلة ، والشرط ، والمقارنة ، والتخصيص ، وتدرج الأجزاء ، وعلاقة الجزء بالكل^(١) وتشمل هذه العلاقة عند الدكتورة (عزة شبل محمد) سبعة أنماط هي:^(٢)

١- السبب ويكون خارج مجال الاختيار (الإرادة) ، وتشكل هذه العلاقة عند (فان دايك) باستخدام أدوات ربط سببية مثل : «لأن» ، وإذا ، وهكذا ومن ثم وعلى ذلك ، إذن^(٣) . وفيها يقول شبيب بن كريب^(٤) [الوافر]

إذا بهشت ربيعة للمعالي فعكرمة بن ربعي فناهها
فلا اختيار لربيعة عند الشاعر عندما تطلعت للمعالي بأن يكون عكرمة ابن ربعي فارسها ومقدامها .

٢- المبرر : يشير به إلى جانب الاختيار (الإرادة) ، وقد ورد في قول أبي النشاش النهشلي^(٥) [البسيط] :

(١) ينظر : حيك النص : ١٣٣ .

(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٨٨ .

(٣) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٥٥ .

(٤) نسب معد واليمن الكبير : ٤٩/١ . بهشت ربيعة للمعالي حنت إليها ، ورجل بهش هين لين ، العين : (بهش) ١٦٧/١ .

(٥) ديوان اللصوص : ٢٨٩/٢ . نقض : النقص : إفساد ما أبرمت من حبل . العين : (نقض) ٢٥٧/٤ . وأمرزت الشيء أمره إمراراً إذا جعلته يمر أي يذهب ، لسان العرب : (مرر) ١٦٥/٥ .

وَمَا أَرَادَهُمْ إِلَّا مُخَادَعَةً مِّنِّي لِفُلْتِنِي نَقْصِي وَإِرَارِي

فالمخادعة واقعة من الشاعر باختياره ؛ لينجيه بعد ذلك هروبه .

٣- الوسيلة : هي استخدام مقصود لتحقيق السبب ، يقول المَرَارُ الفقعسي^(١) :

[الطويل]

إِذَا شِئْتُ يَوْمًا أَنْ تُسَوِّدَ عَشِيرَةٌ فَبِالْحِلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّمِّ

فالحلم وسيلة لتحقيق السيادة على العشيرة .

٤- التابع : هو نوع من التبعية . وقد جاء في قول المَرَارُ الفقعسي^(٢) :

[البيط]

فِي لَيْلَةٍ مِّن لَّيَالِي الْقُرَى شَاتِيَةٌ لَا يُدْفِي الشَّيْخُ مِنْ صُرَادِهَا النَّيْمُ

التابع فيه (ليالي القرى) (شاتية) (من صرادها) ، فجاء بنتيجة أن الشيخ

لا يدفع بمثلها .

٥- الغرض : هو تابع اختياري ، ومثاله يقول مالك بن الريب^(٣) : [البيط]

وَالسَّيْفُ بَنِي وَتَنَ النَّوْبِ مُشْعَرُهُ أَخْشَى الْحَوَادِثِ إِنِّي لَمْ أَكُنْ وَكِلاً

التابع الاختياري في البيت هو (السيف بين جلد الشاعر وثوبه) ، وهذا حال

مَنْ (يخشى الحوادث) ليصل بهما إلى غرضه ؛ وهو أنه لم يكن وكيلاً على أحد .

٦- الشرط : هو سبب ضروري أو ممكن للتابع ممكن . وفيه يقول القتال

الكلابي^(٤) [الكامل]

(١) شعراء أمويون : ٤٨٢/٢ . الصَّرْدُ والصَّرْدُ : البَرْدُ ، وقيل : شِدَّتُهُ ، لسان العرب : (صرد) ٢٤٨/٣ . والنَّيْمُ : الفرو الرقيق ، العين : (نيم) ٢٨٢/٤ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٨١/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٣٦/١ . والشُّعَارُ : ما وَلَّى شعر جَسَدِ الإنسان دُونَ ما سِوَاهُ من الثِّيَابِ ، والجمع أَشْعِرَةٌ وشُعْرٌ . لسان العرب : (شعر) ٤١٢/٤ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٤٢ .

أَذْنُو إِلَى الْمَعْرُوفِ مَا اسْتَدْنَيْتَنِي فَبِذَا أَقَادُ مُعَاسِرًا لَمْ أَتَقَدِّ

في البيت شرطان ممكنان الأول (ما استدنيتني) تابعه (أذنو إلى المعروف) والآخر (إذا أقاد) تابعه (معاسراً لم أنقد). وهما ممكنان لا ضروريان ؛ لأنه قد لا يذنو من المعروف حتى لو استدنى إليه ، وقد يقاد إذا قيد .

٧- المسلمة : هي سبب أو مبرر لأي تنابع متوقع أن يحدث ، يقول جحدر^(١) :

[الكامل]

كَانَتْ مَنَازِلُنَا الَّتِي كُنَّا بِهَا شَتَّى وَأَلْفٌ بَيْنَنَا دَوَّارٌ

فالسجن (دَوَّار) مبرر للاجتماع لمن كانت منازلهم متفرقة ، وهو تنابع متوقع الحدوث .

ثالثاً : مفهوم الحلقات المفقودة :

يقصد بالحلقات المفقودة (Missing links) عند (فان دايك) « القضايا التي تسلم بها على أنها تنشئ الحبك النظري للنص ، والتي لا يعبر عنها في الخطاب »^(٢) .

وهذه الحلقات التي وسمت أنها مفقودة يمكن أن يعاد تركيبها إلى الحلقات الموجودة ، وذلك عن طريق أحد ثلاثة إجراءات هي^(٣) :

١- قانون الاستدلال : ٢- قانون التداول : ٣- النظرية المعرفية :

يلاحظ أن هذا المفهوم قد تناولته العربية في قضيتي الحذف والتقدير فالحذف يمثل (القضايا التي لا يعبر عنها في الخطاب) والتقدير يمثل بحق الإجراءات الثلاثة المذكورة لاستعادة الحلقات المفقودة ، وأي إجراء آخر من شأنه إعادة تقدير المحذوف .

(١) شعراء أمويون : ١٧٣/١ .

(٢) (٢) (p . 9 , op . cit Text and Context) نقلا عن : حبك النص : ١٣٣ . والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

(٣) ينظر : حبك النص : ١٣٣ . والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

يقول القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في كلامه عن أحوال المسند : «ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ (النساء: ١٧١) ، قيل : التقدير ، ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ورد بأنه تقرير لثبوت آلهة ؛ لأن النفي إنما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ كما تقول : ليس أمراؤنا ثلاثة ، فإنك تنفي به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة من دون أن يكون لكم أمراء ، وذلك إشراك مع أن قوله تعالى بعده : ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ﴾ (النساء: ١٧١) ، يناقضه ، والوجه أن ثلاثة صفة مبتدأ محذوف ، أي يكون مبتدأ محذوفاً مميزه لا خبر مبتدأ والتقدير : ولا تقولوا لنا - أو في الوجود - آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة ، ثم حذف الخبر ، ثم حذف الموصوف أو المميز ، فيكون النفي عن إثبات الوجود لآلهة ، وهذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين^(١).

هذا وعي سابق لعلماء العربية بإجراءات تركيب الحلقات المفقودة وإن لم يسموا إجراءاتهم بأسماء إجراءاتها لدى المحدثين .

وقد بدأ (القزويني) بالاعتماد على (النظرية المعرفية) ؛ وهي توحيد الله عز وجل ، يرد القول بتقدير (ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة) . يقول «ورد بأنه تقرير لثبوت آلهة» .

ونص على هذا الرد بالقواعد التداولية للبلاغة من أن النفي يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ .

ثم جعل من الاستدلال بالحذف وسيلة لتقوية الوجه الذي ذهب إليه ، ويلاحظ أن أهم هذه الإجراءات لديه كانت (النظرية العامة) وتسخير القواعد البلاغية والاستدلال النحوي في تأييد ما تدل عليه النظرية المعرفية .

وبما أن النحو العربي (نحو الجملة) غالب إجراءاته لإعادة الحلقات المفقودة هي (القاعدة التداولية) ، إذ هي طبيعة الحكم النحوي .

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٩٦-٩٧ .

والمثال على ما يمكن تركيبه من الحلقات المفقودة في شعر الصعاليك
قول : جعفر بن علبة الحارثي ^(١) [الطويل] :

نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا
يقول (ابن جني) « قال : نقاسمهم أسيافنا فتثبت فينا غواشيها وتثبت فيهم
صدورها أي : فتلينا غواشيها وتليهم صدورها ، وقيل : في غواشيها هنا أنها
قوائمها وهذا تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، وإنما حقيقة الغواشي الجفون ،
فكني بالجفون وأوماً بها إلى القوائم ، لإجتماع كل واحد منهما في أنه أقرب
إلى الضارب بالسيف وأن القطع والأثر ليس له ولا به » ^(٢).

فالحلقات المفقودة في هذا البيت والمستنبطة من كلام (ابن جني) هي :

١- ثبات طرفي السيف (الغواشي في الضارب ، والصدور في المضروب) ،
وهذا يجري وفق النظرية المعرفية ، فالمعلوم هو أن الضارب بالسيف
ونحوه يتناول قبضته (الغواشي) فلا يكون للمضروب إلا الجانب الحاد من
السيف .

٢- (الضارب - راكب أو (راجل) يفهم من (غواشي) ، أما الجفون وهي
أغمدة السيوف ، وتكون مع المقاتل الراجل أما بشماله فهي أقرب له من
طرف سيفه أو يكون في نطاقه ، وهو بذلك أقرب .
وإنما إن كانت الغواشي كناية عن الفوائم أي : قوائم الدابة في الحرب ، فهو
إذن راكب غير ماش على رجليه .

وهذه الحلقة تركب أيضاً من خلال (النظرية المعرفية) لأحوال المقاتلين ،
وهذا ما بينه (ابن جني) بقوله « لإجتماع كل واحد منهما (الجفن والقوائم) في
أنه أقرب إلى الضارب بالسيف » .

(١) ديوان الحماسة : ١٢ ، وديون اللصوص : ١٨٧/١ ، وفيه : (نُقَاسِمُهُمْ) . غَاشِيَةُ السَّيْفِ
والرحل غِطَاؤُهُ . العين : (غشى) ٢٨١/٣ .

(٢) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

هذه الحلقة استعان (ابن جني) على إظهارها بالاستشهاد بقول المتنبي :^(١)
[الوافر] .

فَكُنْتُ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْعِرَارُ
فيقول « ويشهد لصحة هذا المعنى قول شاعرنا ، وينبغي أن يكون من هذا
الموضع أخذه وامثله »^(٢) .

أعراف الحبك والرابطة الإنجازية

نبه الدكتور (محمد العبد) على ارتباط مفهوم الحلقات المفقودة (عند فان
دايك) بمفهومين آخرين عند (ودوسون) هما : أعراف الحبك والرابطة
الإنجازية^(٣) .

أولا : أعراف الحبك :

وخلاصة هذا المفهوم هو : « أننا نربط ما يقال بما نعرف ، وأن قدرنا من
المقدرة على الاستدلال يؤول إلى تقاليد وأعراف مرتبطة بنوع الخطاب »^(٤) .
فيلاحظ وضوح علاقة مفهوم أعراف الحبك من جهة (النظرية المعرفية)
بمفهوم الحلقات المفقودة ، وهو ما جعلها تتضمن مفهوم (أعراف الحبك) .
كما يلاحظ أن هذه الأعراف تتفاوت من جهة قبولها بحسب مجموعة
الإنتاج فـ « المكاتبات الإدارية ذات صيغة بعينها ، وأن المعلمين يكتبون
تقاريرهم على نحو بعينه وهكذا »^(٥) .

(١) ديوان المتنبي : ٣٩٩ . العِرَارُ : حَدُّ الرُّمَحِ وَالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ . لسان العرب : (غرر)
١٦/٥ .

(٢) التثبي على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

(٣) حبك النص : ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣٣ والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

(٥) النص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

والذي يظهر أنه يمكن أن يشمل هذا المفهوم ما ينتج عن الفنون الأدبية (شعراً ونثراً) ، ولكل منهما أنماط كتابية محددة بالحقبة الزمنية أو الغرض الأدبي ، فالشاعر مثلاً يمكن أن ينسب إلى فترة زمنية معينة لما في شعره من أساليب عرفت بكثرة في تلك الحقبة . ولعل ما ظهر في العصر الحديث من مدارس أدبية وجماعات كـ (جماعة أبولو ، شعراء المهجر) وغيرهما ، فالمبدع يمكن أن ينسب إلى أحدها لخواص فنية يتسم بها إنتاجه الأدبي .

ولعل الإشارة القرآنية (لحن القول) في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتُهُمْ بِسَمِعِهِمْ ۖ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٠) ، هي ما يمكن أن يستمد منها (أعراف الحبك) قال الزمخشري : « في لحن القول » في نحوه وأسلوبه »^(١) .

وقال أبو حيان : « كانوا يصطلحون فيما بينهم من ألفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح ، وكانوا أيضاً يصدر منهم الكلام يشعر بالاتباع ، وهم بخلاف ذلك عند النصر « إنا كنا معكم » وغير ذلك ، والظاهر الإرادة والمعرفة بالسيما وجود المعرفة في المستقبل بلحن القول »^(٢) .

وهذا كلام ظاهر الأهمية في (النظرية المعرفية) ؛ فوجود المعرفة المسبقة بالأفعال والهيئات للمتكلمين أوجبت المعرفة بلحن قولهم ، وأعراف حبكهم للكلام .

ويمكن هنا الاستدلال بأبيات (لتلبد الضبي) لإظهار أهمية المعرفة في أعراف حبك النص عنده ، فيقول :^(٣) [لطويل] .

تَبَدَّلْتُ مِنْ مَوْقِ الْأَبَاعِرِ فِي الضُّحَى وَمِنْ قَصْرِ الْغِزْلَانِ بَنَى الْمَسَاجِدِ

(١) الكشف : ٥٢٨/٥ .

(٢) البحر المحيط : ٨٤/٨ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٤٢/١ .

فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَخَذْتُ لِلَّهِ تَوْبَةً وَخَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ فِي زِيٍّ عَابِدٍ
 عَلَى أَنْ فِي نَفْسِي إِلَى الْبَيْضِ طَرَبَةٌ وَأَلْيَ قَدْ أَهْوَى رُكُوبِ الْمَوَارِدِ
 من غير المعرفة السابقة أن (تليداً) كان لصاً يقطع الطريق أيام (عمر
 ابن عبد العزيز) (رحمه الله) فأخذه وأمره ببناء مسجد لوحده^(١) ، كان يمكن
 حمل معنى القطعة على أنه كان رجلاً يرعى الإبل ويصيد الغزلان ويعشق
 النساء ثم تاب ، واستقام أمره فبنى مسجداً لله ، غير أن نفسه قد تحدثه بماضيه ،
 ويضطرب إلى البيض ؛ فيهوى لذلك ركوب المخاطر ، ولا سيما أن (سوق
 الأباغر) عندما يكون في الضحى ، لا يدل على سرقة وتلصص ؛ وهي العملية
 التي تجري عادة في الليل ، ثم هو يقرن هذا السوق بقنص الغزلان (الصيد)
 وهو غير مختص بفئة محددة من المجتمع .

ثانياً : مفهوم الرابطة الإنجازية :

تنتج الرابطة الإنجازية عندما « نضع موقفاً في عقولنا يزودنا برابطة إنجازية
 بين المنطوقين »^(٢) . والمنطوقان هما المنطوقان غير المرتبطين ببعضهما ارتباطاً
 صريحاً^(٣) ، ولتوضيحه هذه الرابطة جاعوا بمبادلتين .

أ- ماذا فعل رجال الشرطة؟ ب- جئت لتوى!

« فينبغي هنا أن يتخيل موقفاً يشهد - على سبيل المثال - نوع شغب أحاط
 برجال الشرطة وشد انتباه المارة »^(٤) .

يقول مالك بن الريب^(٥) : [الطويل]

أَلْخَقْتُ بِالرَّيْبِ الرَّفَاقَ وَقَالِكُ بِمَكَّةَ فِي سَجْنٍ يُعَيِّهِ رَاقِبُهُ

(١) يُنظَرُ : خزنة الأدب : ٣٤٩/١٠ .

(٢) حيك النص : ١٣٤ ، النص والخطاب والاتصال : ٩٦ .

(٣) يُنظَرُ : المصدر نفسه : ١٣٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣٤ ، النص والخطاب والاتصال : ٩٦ .

(٥) شعراء أمويون : ٢٤/١ .

المشهد المتخيل أن (مالك ابن الريب) علم بارتحال أصحاب له إلى قومه ،
وكنى عن ذلك باسم أبيه (الريب) ، فقال متحسرا على هذا : أتلتحق بالريب
الرفاق .

كما يلاحظ عدم ارتباط المبادلة الأولى : أتلتحق بالريب الرفاق والمبادلة
الثانية : ومالك بمكة في سجن يعنيه راقبه ، إلا من جهة الرابطة الإنجازية حيث
إنهم منطلقون إلى قومهم بسعادة . وعلى هذا يكون الرابط الإنجازي ، جزءاً من
الحلقات المفقودة . وهي في قول مالك على النحو الآتي :

١- أما علمت يا مالك أن أصحابك قد رحلوا إلى الديار .

٢- أتلتحق بالريب الرفاق ! .

٣- إنهم سعداء في رجوعهم إلى الديار .

٤- مالك في سجن مكة لم يرحل معهم .

٥- مالك سجين يعنيه راقبه .

* * *

الباب الثاني

معايير النص التأسيسية الخاصة
في شعر الصعاليك الأمويين

الفصل الأول

معيّارا تأسيس النص
بين المنتج والمتلقي (القصد والقبول)

المبحث الأول

القصد

تعريف القصد : Intentionality

عرف (دي بوجراند) القصد بقوله : « هو يتضمن موقف منشئ النص في كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام »^(١).

والصورة التي شكلت النص المقصود هي عنده « وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها »^(٢).

وهذا التعريف للقصد يجعل منه دليلا على وجود نص مسبوک ومحبوک : غير أن (دي بوجراند) لا يرى عدم وجود السبك والحبك حائلا دون حصول القصد « حيث يظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام »^(٣).

وبما أن اللغة نشاط تواصلي بين المنتج والمتلقى^(٤)؛ كان لمعيار القصد أهميته في تحقيق النصية ؛ لأنه « تعبير عن هدف النص »^(٥).

(١) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٣ .

(٤) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٢٥ .

(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٦٦ .

- القصد والدلالة :

ليس كل حدث لغوي أو غير لغوي ذو محتوى دلالي معين ، يدل على قصد ، ولا سيما تلك الأحداث المعزولة عن سياقها كـ (تراكم الغمام) و (احمرار وجنتي العذراء) عند (كرايس)^(١) .

فتراكم الغمام يدل على أن السماء قد تمطر ، واحمرار وجنتي العذراء يدل على خجلها . وهذان الحدثان غير اللغويين هما حدثان منتزعان من سياقهما فهما بدلتين عامتين ، « ولكن ليس وراءهما قصد »^(٢) .

ولو أدخل كل واحد منهما سياقاً ما ؛ لظهر القصد من دلالتهما ، فيمكن القول في تراكم الغمام إن عامل البناء لو أخبر صاحب العمل بقوله : اليوم يتراكم الغمام في السماء ، لا شك في ظهور قصده أنه لا يريد الذهاب إلى موقع العمل للبناء .

كما أن في (احمرار وجنتي العذراء) ، لو أن خاطباً تقدم لخطبة إحدى النساء . فرجع الخُطَّاب ، فأخبروه : أنه قد أحمرت وجنتا العذراء ، أليس قصدهم حصول الموافقة عليه . ويمكنني أن أظهر هذا في قول (عبد الله ابن الحمير)^(٣) : [الطويل]

غَدَاةٌ يَقُولُ الْقَيْنُ هَلْ أَلَتْ مُرْدِفِي وَمَا بَيْنَ ظَهْرِ الْقَيْنِ وَالرُّفْحِ إِصْبَعُ
فَقُلْتُ لَهُ يَا بْنَ الْمُرِيَّةِ إِنَّهَا بِرَبِّ خَفِيفٍ وَاحِدٍ هِيَ أَسْرَعُ

(١) ينظر : نحو النص : ٧٩-٨٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٩ .

(٣) الأشباه والنظائر للخالدين : ٣٠٤/٢ . الرِّيَّةُ والرَّيْبُ الشُّكُّ؛ وَرَكْبَتِي أمره يَرِيْبُنِي أي أدخل عليّ شراً وخَوْفاً . فالْمُرِيَّةُ ، الخائفة أو المتهمّة . ينظر : لسان العرب : (ريب) ٤٤٢/١ .

فالحديث غير اللغوي في جملة (وما بين ظهر القين والرمح إصبع) يدل على قصد الشاعر ، وأنه لا يريد إرداف القين ، وقد جاء في البيت الثاني بتعليل يقتضي أنه قد أجابه بالرفض ؛ وهو قوله : (إنها برب خفيف واحد هي أسرع).

اعتراض على الدكتور أحمد عفيفي ودفعه عنه

ضرب الدكتور (أحمد عفيفي) قول لشاعر : [الرجز]

وَأَهَا لِسَلْمَى ثُمَّ وَأَهَا وَأَهَا يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَقَاهَا

مثلا على ما يفتقد القصد « إذا لم ينقل البيت معرفة ولم يحقق هدفا ؛ لأنه ليس وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها ، فلم يحتو البيت على هدف وخطة لتحديد الهدف ، ولم يقدم معرفة معينة فافتقد النصية وبالتالي خرج عن الدراسة النحوية النصية »^(١).

قد سبب ضرب المثال اعتراضاً عليه من قبل الدكتور (أحمد محمد عبد الراضي)، وهذا الاعتراض هو^(٢).

١- إن الدكتور (أحمد عفيفي) لا يعد قول الشاعر نصاً ؛ لخلوه من القصدية ؛ في حين يعد كلام المكره والمخطئ والناسي والسكران نصاً .

٢- كيف يحكم على قول الشاعر بأنه في حكم اللغو ، إذ لم ينقل معرفة أو هدفاً ، ألا يريد الشاعر أن يوصل معنى معيناً إلى المتلقي وأن يعبر عما في نفسه من حب ونحوه تجاه إنسان معين .

٣- « ثم إن الدكتور (أحمد عفيفي) لم ينقل نص الأبيات كما وردت في كتب اللغة منسوبة إلى رؤبة أو العجلي أو أبي الغول وهي :

وَأَهَا لِسَلْمَى ثُمَّ وَأَهَا وَأَهَا هِيَ الْمُتَى لَوْ أَنَّنَا نَلْنَاهَا
يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَقَاهَا بِشَمَنِ ثُرُضِي بِهِ أَبَاهَا

(١) نحو النص : ٨١ .

(٢) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٠-٩١ .

إِنْ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي انْجِدْ غَايَتَاهَا

ثم يعرج فيقول : « ألم تحمل هذه الأبيات هدفاً معيناً يريد الشاعر توصيله إلى الناس ، فاستبعادنا هذه الأبيات عن دائرة النصوص يجعلنا نستبعد كل ما ورد عن العرب من قصائد غزلية رائعة ؛ صور فيها أصحابها مشاعرهم وعواطفهم » تجاه محبوباتهم^(١) . ومن الإنصاف الوقوف عند هذا الاعتراض ؛ لما تضمنه من إيهام :

١- كان الاعتراض الأول يوحي بأن الدكتور (أحمد عفيفي) جعل البيت المذكور مثالا مقابلا لكلام الناسي والمخطئ والمكروه والحقيقة ليست كذلك ، بل إن الدكتور ضرب هذا البيت مثالا لما يفتقد القصد ، فلا وجه لمقارنة قول الشاعر وعدم احتوائه على قصد بكلام المكروه والناسي والمخطئ الذي قد يتضمن قصداً .

وقد جاء مثال الدكتور (أحمد عفيفي) (بيت الشعر) توضيحا لقضية « تراكم الغمام واحمرار وجنتي العذراء » فهذان الحدثان لهما دلالة ، ولكن ليس وراءهما قصد^(٢) ، فالدكتور يرى أن هناك فرقا بين الدلالة في (هدوء الليل) أو (نهر النيل) وبين نسبة هذه الدلالة إلى شيء ما قبل : لفنا هدوء الليل أو سرتنا رؤية نهر النيل^(٣) .

٢- نسب إلى الدكتور (أحمد عفيفي) أنه : « يحكم على قول الشاعر بأنه في حكم اللغو » ولم يتلفظ الدكتور بكلمة (لغو) في كلامه عن البيت الشعري . والظاهر أنه تأويل من المعترض على كلام الدكتور (عفيفي) لتفسيره كلمة لغو بعبارة « إذ لم ينقل معرفة أو هدفاً » ، والذي يدفع هذا عن الدكتور

(١) نحو النص بين الأصالة والحدثة : ٩١ .

(٢) نحو النص : ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٨٠ .

(عفيفي) رآيه الصريح باللغو ؛ إذ قال : إنه « ربما أدى لغو الكلام قصداً وحقق هدفاً لهذا يصعب الحكم عليه باللغو ؛ لأنه حقق معيارية القصد »^(١).

٣- ليس من الإنصاف الاعتراض على مستشهد ما بغير ما استشهد به فالدكتور (أحمد عفيفي) استشهد ببيت واحد ، وسواء احتج به على أنه بيت مفرد أم أنه بيت منتزع من قصيدة ؛ فهو أمر لا يضرهما شاهداً ومُستشهداً ، ولا سيما عندما يكون الشاهد مطابقاً لما استشهد به ، فعدم احتواء البيت على هدف وخطة لتحديد الهدف وعدم تقديمه معرفة معينة هذا على الحقيقة في البيت الذي استشهد به الدكتور عفيفي .

أما بعد أن يضم هذا البيت إلى أبيات القطعة ، فلا يشك بوضوح القصد فيه ، ثم يختم الدكتور (عبد الراضي) بكلام بعد فيه ، فبعد أن حاكم الدكتور (أحمد عفيفي) على شواهد لم يذكرها الأخير ، يقول : « فاستبعادنا هذه الأبيات عن دائرة النصوص يجعلنا نستبعد كل ما ورد عن العرب من قصائد غزلية رائعة ، صور فيها أصحابها مشاعرهم وعواطفهم تجاه محبوباتهم » هذا كلام لا وجه له في الاعتراض : فمن ذا الذي يستبعد مثلها .

إذ لا يتصور هذا من منتسب إلى اللغة العربية ، فكيف يُرمى به من هو متخصص فيها مثل الدكتور (أحمد عفيفي).

القصد : ونية المتكلم :

يقول الجاحظ : « وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهره ، وكأن الله (عز وجل) قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله »^(٢).

يرى الدكتور (تمام حسان) أنه « ليس من قبيل النص ما نسمعه من لغو الكلام وحشوه وكلام السكران والمكره والناسي والمخطئ ؛ ولذا جاء في

(١) نحو النص بين الأصالة والحدثة : ٨٠ .

(٢) البيان والتبيين : ٨٣/١ .

الحديث : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » فإذا لم يتحقق القصد لم يتحقق النص بالمعنى الاصطلاحي^(١) .

وقد تعرض الدكتور (عفيفي) لرأيه باعتراض له فيه وجهة نظر « فالمكره - في رأيي - يقصد مقولته ، وكذا الناسي وكذا المخطئ - وقت حديثه - وربما أدى اللغو قصداً وحقق هدفاً ، ولهذا صعب الحكم عليه باللغو ؛ لأنه حقق معيارية القصد^(٢) .

والذي يظهر أن كلام الدكتور (تمام حسان) فيه مراعاة للمتكلم ، إذ الناسي والمكره والسكران والمخطئ على الحقيقة لم يقصدوا شيئاً مما يتكلمون به ، وهذا هو مجال الحديث عن النية التي هي : « عزم القلب وتوجيهه وقصده إلى الشيء^(٣) » ، فكل واحد منهم ليس لقلبه حضور وعزم في كلامه .

لذا راعى الشرع قصد المكره في لفظه - وإن كان كفراً - ، ولم يرتب بحقه عقوبة ولم يدخله في الحكم ، قال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل: ١٠٦)^(٤) .

وكذلك المخطئ ؛ عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال ، قال رسول الله ﷺ الله أشد فرحاً بتوبة عبده ، حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ،

(١) نحو النص ونحو الجملة : ٢ ، نقلاً عن نحو النص : ٨٠ .

(٢) نحو النص : ٨٠ .

(٣) تاج العروس : (نوي) ١٣٩/٤٠ .

(٤) الكشف : ٤٧٥/٣ .

فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»^(١).

ففي قوله أخطأ من شدة الفرح مراعاة لقصده ونيته لا للفظه وإلا فقد تلفظ بالكفر الصريح .

وقد فرق (فان دايك) بين النوايا والمقاصد بقوله : «إننا يجب أن نفرق بين النوايا والمقاصد ؛ إذ إن المقصد ينسحب فقط على إنجاز عمل بعينه على حين تنسحب النية على الوظيفة التي يمكن أن تكون لهذا العمل أو هذا الحدث»^(٢).

أما كلام الدكتور (أحمد عفيفي) في كلام المكره والناسي والمخطئ ، من أن يكون فيه قصد ، وهذا القصد حاصل حين حديثهم ، وإن خالف نياتهم ففيه على الأقل مراعاة لجهة المتلقي .

فالتورية في العربية التي هي : «أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له حقيقتان أو حقيقة ومجاز ؛ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، ويريد المتكلم المعنى البعيد يوري عنه بالقریب ، فيوهم السامع أول وهلة أنه يريد المعنى القريب وليس كذلك»^(٣) .

ففيها القصد الظاهر للمتلقي غير القصد المخفي الذي هو المطلوب من جهة المتكلم ؛ لذا جاء التحرز في أن القسم على نية المقسم له (المتلقي) لا نية

(١) صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تشرف بخدمته والعناية به ، أبو قتبية نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط/١ ، ٢٠٠٦م : كتاب التوبة ، (باب الحض على التوبة والفرح بها) ، ١٢٥٩-١٢٦٠ رقم الحديث : ٢٧٤٧ .

(٢) علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : ١٢٣ .

(٣) الكليات : ٢٧٧ .

المقسم ، والتورية جائزة ما لم يقسم الموري فإن أقسم وقع في الكذب ولم تنفعه التورية^(١).

نظرية الأفعال الكلامية :

إن الفيلسوف (جون . أوستين) أحد النقاد الأكثر نفوذا في جامعة اكسفورد (١٩١١-١٩٦٠م) ، وله الفضل على علماء اللغة وعلماء النفس وعلماء الأدب وعلماء بعض العلوم الأخرى ، نسبت إليه نظرية (الأفعال الكلامية)^(٢) .

وقد انتقد (جون لاينز) مصطلح (فعل الكلام) ، ووصفه بأنه غامض مرة ومضلل مرة أخرى . وأن مصطلح (فعل لغوي) يعتبر أفضل منه بكثير ، وعلى الرغم من هذا النقد للمصطلح نراه يسلم له ؛ لأنَّ مصطلح (فعل الكلام) يستخدم على نطاق واسع بالمعنى الذي أضفاه عليه أوستن^(٣) .

وبما أن مصطلح (فعل الكلام) أصبح من خلال استعماله لهذا الغرض مصطلحا سائداً على غيره فلا حرج من استعماله ، وإن كان غيره (فعل لغوي) أدق استعمالاً كما أنَّه لا اعتراض على استعمال الأخير مكانه حتى مع نسبته إلى (أوستن) على أنَّه صاحب النظرية فيه^(٤).

(١) يُنظَر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تأليف : ابن حجر العسقلاني ، رقم الكتاب : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه : محب الدين الخطيب ، وتعليقات : عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ : (باب النية في الإيمان) ٥٧٢/١١ .

(٢) يُنظَر : اللغة والمعنى والسياق : ١٨٨ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨٩ .

(٤) استعمل ما ري نور غاري بريور . مصطلح (أفعال اللغة) مع نسبة هذه النظرية إلى أوستن يُنظَر : المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ماري نوال غاري بريور : ترجمة عبد القادر فهمي الشيباني ، سيدي بلعباس - الجزائر ، ط١/ ، ٢٠٠٧م : ١١ ، ما دعاني إلى ما ذكرته أعلاه .

تعريف الأفعال الكلامية :

إن هذا المصطلح على الرغم من أنه مضلل عند جون لاينز ؛ فقد قَدِّمَ له بأنه « يراد به أن يشمل إنتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام شأنه في هذا شأن الوحدة الكلامية من ناحية والنقش أو النص من ناحية أخرى »^(١).

وبما أن (أوستن) لم يقدم بحسب (جون لاينز) أية نظرية متكاملة لأفعال الكلام ، وكل محاضرات (أوستن) منذ سنة أربعين وتسع مائة بعد الألف إلى وفاته (١٩٦٠م) كانت بحوثاً متصلة بالموضوع ، غير أنه لم يترك لهذه المحاضرات مخطوطاً واضحاً ، ولا سيما التي ألقاها في هارفرد ؛ لذلك لم يجد (جون لاينز) غرابة في عدم وضوح صيغة محددة متفق عليها لنظرية أفعال الكلام ، بل ليس واضحاً عنده أن (أوستن) حاول فعلاً أن يجعل من أفعال الكلام (نظرية) بما للمصطلح من مفهوم^(٢).

ويعرف بهذا المصطلح (ماري نوال غاري) بقوله : « تنحو نظرية أفعال اللغة إلى تحديد قسم من الأفعال الأدائية التي تسمح عبر هذه الخصوصية بإنجاز الفعل الذي تشير إليه ، وذلك إذا ما صيغت في الحاضر على ضمير المتكلم »^(٣).

ولعل الفائدة المرجوة من أفعال الكلام أنه « يقود فحص اللغة في هذه الزاوية إلى تحقيق منجزات مهمة في الدلائل والتدليلات على حد سواء »^(٤). وعرفه (أ. أ. ليونتيف) بقوله : هو فعل تضمين نشاط لغوي في نظام أوسع للأنشطة بوصفه أحد المكونات الضرورية والمشروطة بصورة متبادلة لهذه الأخيرة^(٥).

(١) اللغة والمعنى والسياق : ١٨٩ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٩٠-١٩١ .

(٣) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات : ١٢ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣ .

(٥) إسهامات أساسية ، (بعض مفاهيم أساسية لنظرية لغوية للنص) : ١٩ .

ويعرف (فان دايك) الأفعال الكلامية بأنها أحداث ، ويفسرها بقوله :
« نحن نعمل شيئا ، ننتج تحديد سلسلة من الأصوات أو الحروف التي لها -
بوصفها - منطوقات لغة معينة - شكل عرفي يمكن معرفته »^(١).

وبما أن الأفعال الكلامية تحلل من خلال البراجماتية « بوصفها علما بتحليل
الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه
عام »^(٢).

فاللغة من خلال البراجماتية « ليس إبراز منطوق لغوي ما فقط بل إنجاز
حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه »^(٣).

أقسام الأفعال الكلامية :

قسم (جون أوستين) الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام^(٤) :

أولا : الفعل التعبيري (locution act) أو الفعل القولي / المادي / الفيزيائي
لإنتاج التلفظ .

ثانيا : الفعل الإنجازي (illocution act) ، يعني المعنى المقصدي
لمنطوق ما ، أو الفعل الذي يتحقق من خلال إنتاج التلفظ ، كالوعد
والتهديد ... إلخ .

كما أن الاجتماعي (Jurgen Habermas)^(٥) قسم الفعل الإنجازي إلى خبري
وتعبيري وطلبي .

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١٣٠ .

(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٤ .

(٣) المصدر نفسه : ١١٨ .

(٤) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ٢٩ ، وقد ترجمت مؤلفته الاسم إلى
(جون أوستين) وترجمه الدكتور : عباس صادق الوهاب إلى (جي أل أوستن) ينظر :
اللغة والمعنى والسياق : ١٨٨ ، ١٨٩ ، وترجمة عبد القادر الشيباني (جون . ل .
أوستن) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات : ١١ .

(٥) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ٢٩ .

ثالثاً : الفعل الاستلزامي : (Per locution act) ، يعني إنتاج الأثر من خلال الفعل الفيزيائي والفعل الإنجازي فالسامع ينجز حدثاً أيضاً .

وبهذا فالأفعال الكلامية : يمكن أن توصف بأنها مضامين الكلام ، فجملة (يطول على الليل) من قول عطار دُ بن قُرَّان^(١) : [الطويل] .

يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى أَمْلَأُ فَأَجْلِسُ وَالتَّهْدِي عِنْدِي جَالِسُ هي ليست جملة سليمة الصياغة فقط ، بل بث لمضمون (الشكوى) فهو بهذا أنجز حدثاً من خلال النطق بهذه الجملة^(٢) .

القصد والأفعال الكلامية

يكون إنجاز الأفعال الكلامية مصاحباً للقصد ؛ «لأننا في العادة لا نتحدث ضد إرادتنا ، ويمكن أن نتحكم أيضاً في لغتنا»^(٣) .

وبما أن القصد مرتبط بالمتكلم في عملية التواصل بينه وبين المتلقي كان للأفعال الكلامية غاية الأهمية لبيان القصد . والأفعال الكلامية تنقسم إلى صريحة وغير صريحة ، وعلاقتها بالقصد علاقة طردية .

وتكون الأفعال الكلامية صريحة : «إذا كانت وسائل الإشارة إلى الفعل الإنجازي موجودة يقال إن التلفظ له فعل إنجازي صريح أو مباشر»^(٤) . وأما غير الصريحة فهي في حالة كون وسائل الإشارة إلى الفعل الإنجازي غير صريحة^(٥) .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١١٧ ، وفيه : (الفهري) بدل (النهدي) ، ديوان اللصوص : ١٨/٢ . وَفَرَسُ نَهْدٍ : جَسِيمٌ مُشْرِفُ النَّهْدِ : الْفَرَسُ الضَّخْمُ الْقَوِيُّ ، يُنْظَرُ : لسان العرب : (نهد) ٤٢٩/٣ .

(٢) يُنْظَرُ : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٨-١١٩ .

(٣) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١٣٠ .

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٠ .

(٥) يُنْظَرُ : المصدر نفسه : ٣٠ .

فوجود الأفعال الكلامية الصريحة يساعد المتلقي على تحديد القصد الذي عناه المتكلم « فإن الفعل الكلامي يصيب حين نعبّر^(٢) في تساوق مع قصودنا معارف السامع ؛ أي : أن يعرف أننا نتحدث وننطق بهذا النص ، ونعبر من خلال ذلك عن معنى معين ونحيل إلى شيء ما^(٣) ، وهذا ما مدح الجاحظ به الكلام بقوله : « وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه ... »^(٤) .

ومثال ما جاء فيه صريح الأفعال الكلامية من شعر الصعاليك قول القتال الكلابي :^(٥) [الطويل]

وَرِثْنَا أَبَانَا حُمْرَةَ اللَّوْنِ عَامِرًا وَلَا لَوْنٌ أَذْنَى لِلْهَجَانِ مِنَ الْحُمْرِ
في هذا البيت (الشطر الأول منه) قصدان واضحان من خلال أفعال الكلام (ورثنا أبانا حمرة اللون) ، فالموروث من الأب (حمرة اللون) إذ بذكرها ظهر قصده جلياً إذ الموروث بغير تحديد قد يكون مالا ، كما أن تحديد اللون أنهى القصد التي قد ترد في ذهن المستمع بخلاف لو أنه قال : ورثنا أبانا اللون .

كما أن فيه (عامراً) عطف البيان على (أبانا) وهو أبو جد الشاعر ، فهذا التحديد جاء القصد صريحاً لا ينازع فيه أحد ولو تركه ، لكان اللفظ (أبانا) يذهب على الأب على الحقيقة وإن احتمل أن يكون المراد به الجد .

(*) وضعت كلمة (نعبّر) وهي في الأصل (نغير) والظاهر أنه خطأ طباعي ، إذ لا مناسبة لها في هذا الموضع .

(١) علم النص مدخل متناخل الاختصاصات : ١٣١ .

(٢) البيان والتبيين : ٨٣/١ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٦٤ . الهجان : أولاد العرب من الأعجميات اللاتي يغلب على ألوانهن البياض : هَجَنَ وَهَجَنَاءُ ، لَغَلَبَ الْبَيَاضُ عَلَى أَلْوَانِ أُمَهَاتِهِمْ ، وَالهَجَانُ مِنَ الْإِبِلِ : الْبَيْضُ الْكَرَامُ . يُنْظَرُ : لسان العرب : (هجن) ٤٣١/١٣ .

ومن هذين الفعلين الكلاميين الصريحين جاء القصد الأساس الذي أراده الشاعر ، وهو أنني معروف النسب حرٌّ غير عبد أو ابن أمة .

وهذا ما تردد على لسانه في كثير من شعره منه قوله ^(١) : [الطويل]
لَقَدْ وَلَدَتْنِي حُرَّةٌ رِيعَةً مِنْ اللّاءِ لَمْ يُحْضِرَنَّ فِي الْقَيْظِ دُودَنَا
وقوله ^(٢) : [البيط]

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَغَمَّامِي لَهَا وَأَبِي إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمْنَانِ بِالْعَارِ
أما القصد في الأفعال الكلامية غير الصريحة فيكون به بعض الغموض ، وإن كان من الناحية الاجتماعية يعد « أكثر تأدباً من الأفعال الكلامية الصريحة وذلك ؛ لأنها تمنح المخاطبين اختيارات في كيفية تفسير التلطف » ^(٣)

والحقيقة أن مراعاة الجانب الاجتماعي هنا كان على حساب المتلقي ، فيظهر أن تكليف المتلقي بتخمين مقاصد المتكلم ^(٤) يدخل النص في فضاءات التأويل ، كما أن غير الصريح من الأفعال الكلامية يكون المتلقون لها على أصناف يحسب معرفتهم بالقواعد العرفية التي نص عليها (فان داك) ، بقوله : « من البدهي أننا لدينا حين ننطق شيئاً ما في أغلب الأحوال أيضاً قصد ، وهو أن يفسر أولئك الذين قد سمعونا أو يستطيعون القراءة ، هذا العمل على أنه فعل كلامي بناء على القواعد العرفية ذاتها » ^(٥) .

ودليل هذا أحد وجهي الإعراب في قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران: ٧) ، أن الواو عطف فيكون الراسخون في العلم يعلمون تأويل

(١) ديوان القتال الكلامي : ٩٣ . والدُّنْدِينُ ، بالكسر : ما يلي واسودَّ من النَّبَاتِ والشَّجَرِ . لسان العرب : (دندن) ١٦٠/١٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٤ . ويُنظَرُ من هذا المعنى : ٣٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٠ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٠ .

(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١٣١ .

ما تشابه من القرآن^(١)، والشاهد أنه في الآية تصنيف المتلقين للأفعال الكلامية غير الصريحة (ما تشابه منه) ، وهم أهل العلم فهم راسخون وغير راسخين في العلم ، فضلا عن أن من المتلقين من هو من غير العالمين .

ومما جاء في شعر الصعاليك من أفعال كلامية غير صريحة قول تليد الضبي :^(٢) [الطويل] .

وَلَوْ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَفْقِدُ أَمَّهُ لَقِيلَ احْتَوَاهَا فِي الرَّحَالِ ثَلِيدُ
فاحتواها في الرحال قصده سرقها ، غير أن الأفعال الكلامية في هذا البيت غير صريحة في الدلالة على ما قصده ؛ فالفقدان ليس مقتصرا على السرقة ، كما أن الاحتواء قد يدل على أنه حملها على الرحال مساعدة لها ، بعد أن أضلت الطريق على سبيل المثال .

غير أن (يفقد أمه) و(احتواها) يدلان بالمعرفة العرفية على لصوصية تليد .
«فالمتلقي (السامع ، القاريء) يجب أن يكون قادراً أساساً على فهم المتعلق المقصود في المتكلم/الكاتب»^(٣).

الامتداد العربي لنظرية الأفعال الكلامية :

ليست العملية محض محاولات يجتهد فيها الباحثون المعاصرون من العرب لينسبوا إليهم كل ما وفد إلى لغتهم من مفاهيم ونظريات توصل إليها علماء اللغات الأخرى ، بل هو متعلق بتراث لغوي عظيم النتائج سبق إلى كشف حقائق عن التواصل اللغوي . فلم يستثن طرفاً من أطراف هذا التواصل (منتجاً أو متلقياً أو وسيلة) إلا له فيه آراء تصلح لتكون له إشارات ، إذا ما وقف عندها الباحثون المعاصرون لم يكن من المنصف منهم إلا الإجلال ، فيظهر أن

(١) ينظر : الكشف : ٥٢٩/١ ، البحر المحيط : ٤٠٠/٢ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٤١/١ .

(٣) إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو الدلالة ، (بعض مفاهيم أساسية لنظرية لغوية للنص) : ٣٢ .

العرب قد سبقوا ولا يضرهم إن لم تتفق التسميات مع تسمياتهم ؛ لأنَّ العبرة بالحقائق لا بالألفاظ .

فأفعال الكلام سابقة الذكر لم يغيب معناها عن اللغويين العرب ؛ فنجد البلاغيين تكلموا عن المعاني المستفادة من الألفاظ ، وهي قسمان المعنى ومعنى المعنى ، يقول (عبد القاهر الجرجاني) : « تقول : المعنى ومعنى المعنى وتعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و(معنى المعنى) أن تعقل في اللفظ معنى ثم يقضى بك ذاك المعنى إلى معنى آخر »^(١) .

و(عبد القاهر) يفسر معنى المعنى ويحدد وسائله في البلاغة بقوله : « وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية ، والاستعارة والتمثيل »^(٢) .

فليس المراد من معنى المعنى إلا المضمون الذي يدل عليه اللفظ بدلالة لوازم أخرى ، أو قد لا يدل عليه مباشرة ، وهو من هذا الوجه يمكن أن يصدق عليه ما اصطلاح عليه المحدثون (أفعال الكلام) بقسميها الصريح وغير الصريح .

وقد أورد (عبد القاهر الجرجاني) في كلامه عن معنى المعنى ما يمكن أن أطلق عليه وسائل معنى المعنى ؛ وهي عنده الكناية والاستعارة والتمثيل ، وهي على ما ذكر في قوتها لإظهار معنى المعنى .

(١) دلائل الإعجاز : ٢٦٣ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٦٢ .

ولعل أقرب ما يمكن مقارنته بالأفعال الكلامية من التراث العربي ما جاء في مباحث البلاغة من كلام عن الكناية ، فهي قد استوعبت جانباً مهماً وكبيراً من قضاياها في الدراسات النصية^(١).

وقد عرفها (السكاكي) بأنها «ترك لتصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ؛ كما تقول : فلان طويل النجاد ؛ لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة . . .»^(٢) وعرفها (القزويني) بأنها : «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه»^(٣).

وقد كان (للسكاكي) وعي تام بالوسائل التي تدل على الأفعال الكلامية من خلال ما ذكره من وسائل معرفة الكناية بقوله : «ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ومساق الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك»^(٤).

فالسكاكي وإن لم يُجرِ على لسانه مصطلح (الأفعال الكلامية) غير أنه السابق الفعلي لعلماء النص ، ويظهر هنا عند الرجوع إلى (فان دايك) ، في كلامه عن البراجماتية والسياق ؛ فقوله : «البراجماتية تعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية (أو أفعال كلامية) وقواعدها بالنسبة لسياق معين ، وبعبارة أكثر إيجازاً تدرس البراجماتية العلاقات بين النص والسياق»^(٥) ، فكلام السكاكي سابق بزمان طويل كلام (فان دايك).

(١) يقول عبد القاهر الجرجاني : في تعريف الكناية «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه» دلائل الإعجاز : ٦٦ .

(٢) مفتاح العلوم : ٥١٢ .

(٣) التلخيص : ٣٣٧ .

(٤) مفتاح العلوم : ٥١٣ .

(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٦ .

القصد وفهم المخاطب :

تأكيداً لأهمية المتلقي في تحديد القصد ، المتمثلة بأنه أحد طرفي عملية الاتصال ، وأنه المستهدف من أي خطاب ينتجه المتكلم كان لا بد من مراعاة فهم هذا المخاطب ، فهذا (فان دايك) قد أوجب مراعاة ما يهتم به شريك المحادثة بقوله : « فحين أعد شخصاً ما بشيء فإنني يجب أن ألتزم أساساً بوعدتي ، ويتطلب ذلك أيضاً أنني عند نطقتي بوعدتي أعلم أو لدي سبب لافتراض أنني سأكون قادراً على الوفاء بوعدتي ، ويجب أن أعرف أيضاً أن لشريكي في المحادثة اهتماماً معيناً بالحدث الذي أوشك أن أعد به »^(١).

فالأولى مراعاة فهم المخاطب ؛ فكلما كان المخاطب محدود الفهم ازدادت الحاجة إلى التصريح بالأفعال الكلامية ليتجلى المقصود من الكلام ، حتى يكون الكلام مستغنياً عن المفسرات .

وقد راعى الخطاب الشرعي هذه القضية أيما مراعاة ، لتعلقه بالإيمان والكفر والثواب والعقاب ، فقد « قال علي (رضي الله عنه) : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »^(٢).

وقد عبر (فان دايك) عن فهم المخاطب من خلال فهم قواعد عرفية تسري على جماعة الاتصال كلها^(٣) ، وهذه القواعد العرفية برأيه يجب أن يكون المخاطب يعرفها ، والهدف هو محاكاتها عند كلامه ، يقول : « يجب أن يعرف شخص ما ذو ثقافة معينة أو له قدرة ذاكرة معينة القيود والقواعد ذاتها ، وأن يطبقها تطبيقاً دقيقاً ، حيث ينتج منظومات أو مفهومات مثل أي

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٩ .

(٢) ينظر : صحيح البخاري : للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) مؤسسة زاد ، القاهرة ، ط ١/ ، ٢٠١٢ م ، كتاب العلم ، باب (من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) : ٣٠ .

(٣) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٧ .

شخص آخر ، فإذا لم تكن الحال كذلك فإن المنطوق يرد على أنه غير ملائم أو غير مناسب حيث يبطل التفاعل»^(١).

أولى (فان دايك) أهمية لمحاكاة إنتاج منظوقات ومفاهيم سابقة حتى عند معرفة القيود والقواعد التي تنتمي إلى مجموعة لغوية معينة ، وهذا المفهوم ليس هو ما أريد أن أسلط الضوء عليه بل أريد تسليط الضوء على ما يحدث لعملية التواصل حال كون شخص ما يخل في تطبيق القواعد تطبيقاً دقيقاً عند إرادته إنتاج منظوقات ومفاهيم للتواصل ، وهو ما ختم به كلامه في الفقرة السابقة .

فإنه جعل من عدم ملائمة المنظوقات أو مناسبتها سبباً لبطلان عملية التفاعل ، مما يجعل المتلقى الحكم على الكلام من خلال فهمه له أو عدم فهمه له ، فهو الذي له السلطة على قصدية النص باعتبار فهمه له .

أما إن كان المخاطب دقيق الفهم مرهف الحس ، فالتلميح بحقه أولى من التصريح ؛ لهذا «أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح»^(٢) .

وقضية فهم المخاطب توجب الحديث بطبيعتها عن العوامل الزمنية والاجتماعية والثقافية لكل مجموعة أفعال ، فبالضرورة يكون لكل زمن أفهام ومعارف تختلف عن زمن آخر ، كما أن لكل مجتمع أعرافاً متداولة تؤثر على دقة الفهم ، وتكون الثقافة العامة أو الخاصة ضمن زمان ما ومجتمع ما لهما التأثير على فهم المخاطب^(٣) . ويمكن إيضاح ما تقدم بما يقول (جحدر العكلي)^(٤) : [الوافر]

(١) يُنظَر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٧ .

(٢) التلخيص : ٣٤٦ .

(٣) يُنظَر : إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : (في البنية الدلالية للنص : ديترفهفجر) : ٢٦٥ .

(٤) شعراء أمويون : ١/ ١٨٥-١٨٦ .

فَمَا أَخْوَيَّ مِنْ جُثْمِ بْنِ سَعْدٍ أَفَلَا اللَّزْمُ إِنَّ لَمْ تَنْفَعَانِي
 إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ حَجَرٍ وَأَوْدِيَةَ الْيَمَامَةِ فَأَلْعِيَانِي
 إِلَى قَوْمٍ إِذَا مَسِعُوا بِنَفْسِي بَكَى شُبَّانُهُمْ وَبَكَى الْعَوَانِي
 وَقُولَا جَحْدَرٌ أَمْسَى زَهْرِيَا يُحَاذِرُ وَقَعَ مَصْقُولٍ بِمَانِي
 يُحَاذِرُ صَوْلَةَ الْحَبَّاجِ ظُلُمَا وَمَا الْحَبَّاجُ ظَلَامٌ لِبَجَانِ

يحمل هذا النص أسماء لها ميزتها المكانية والزمانية فد(سعفات حجر ، واليمامة ، والحجاج) لها دلالاتها ، فالمخاطب بها والمتلقي لها ، عندما يتلقى مثل هذه الأسماء من المنطقي أن يتأثر فهمه ؛ لينعكس على ظهور قصد المتكلم أو عدمه .

وضوح القصد في (الكناية والاستعارة والتشبيه) : الكناية :

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام هي^(١) : طلب نفس الموصوف ، وطلب نفس الصفة ، وتخصيص الصفة بالموصوف .

هذا التقسيم مبناه على القصد ؛ ففي القسم الأول تكون وسيلة إلى معرفة أن قصد المتكلم (المكني) متجه نحو الموصوف ، والقسم الثاني تدل أفعال الكلام فيه إلى أن القصد من المكني يتجه نحو الوصف ، ثم يأتي القسم الثالث ، لتدل الأفعال الكلامية فيه على أن القصد من المتكلم ينص على العلاقة بين الموصوف وصفته وتخصيص هذا الموصوف بهذه الصفة .

ودليل هذا ما حد (السكاكي) الكناية البعيدة به ، فقال : « وهي أن تتكلف اختصاصها ؛ بأن تضم إلى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعاً وصفياً مانعاً عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه ، مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان : حي مستوي القامة عريض الأظفار »^(٢).

(١) يُنظَر : مفتاح العلوم : ٥١٣ .

(٢) مفتاح العلوم : ٥١٤ .

فكلامه دال على أن القصد محدد ، والأفعال الكلامية (اللوازم) هنا قد أخرجت كل قصد غير القصد المطلوب .

ومنها قول الخطيم المحرزي ^(١) : [الطويل]
وإن تلقَ نَدْماني يُخَبِّرُك أَلَسَني ضَعِيفُ وكاءِ الكيس لم أُغَذِّ بالفَقْرُ
فضعيف وكاء الكيس كناية عن كرمه ، وفيها ظهور لقصده ، وتخليص
الصفة لذاته .

الاستعارة :

هي : نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه . ^(٢) وهي « أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية » ^(٣) . وتقسم الاستعارة إلى قسمين : ^(٤)

الأولى : الاستعارة المفيدة . الثانية : الاستعارة غير المفيدة .

الفائدة هنا هي : المعنى الجديد أو المعنى المضاف على الأصل ، يقول عبد القاهر الجرجاني في كلامه عن غير المفيدة : « استعمل الشفة في الفرس وهي موضوعة للإنسان فهذا ونحوه لا يفيدك شيئاً لو لزمت الأصلي لم يحصل لك » ^(٥) .

(١) شعراء أمويون : ٢٥٦/١ .

(٢) يُنظَرُ : المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر ، لابن أبي الحديد ، قدمه وعلق عليه ، الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ، د . ت : ٨٣/٢ .

(٣) أسرار البلاغة : ٣٠ .

(٤) يُنظَرُ : المصدر نفسه : ٣٠-٣٣ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٢ ، وقد تقسم على غير هذا التقسيم ، كالمصرح بها والمكنى عنها عند السكاكي ، يُنظَرُ : مفتاح العلوم : ٤٨٢ .

الاستعارة المفيدة :

يقول (عبد القاهر الجرجاني) : « وأما (المفيد) فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض ، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك »^(١).

مثال هذه الاستعارة عند البلاغيين قولك : رأيت أسدا تقصد : رأيت رجلاً شجاعاً . فاستعارة الأسد مكان (رجلاً شجاعاً) ؛ وهو المقصود من الكلام ، فالأسد يمثل هنا فعلاً كلامياً ينم عن المقصود الحقيقي .

والذي دفعني إلى جعل الاستعارة في مرتبة أقل من التشبيه ، والكناية في ظهور القصد وعدمه أن الفائدة فيها مبنية على التشبيه^(٢) ، والتشبيه يكون في لفظه دلالة على قصده .

فرأيت أسداً هو في الأصل رأيت رجلاً مثل الأسد في الشجاعة ، فحذف المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه ، ليكون : رأيت أسداً فالفائدة هنا والمبالغة في وصف المقصود بالشجاعة^(٣) ، وقد ورد في قول جحدر العكلي^(٤) : [البسيط] .

يَا أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ حَمْدٍ وَمَكْرُمَةٍ وَأَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ ذَمٍّ وَمِنْ عَارٍ
وَأَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوَاً عِنْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَيْثَ غَابَ عَلَى أَعْدَائِهِ ضَارٍ

يذكر الشاعر من صفات ممدوحه أنه أقرب الناس للمحامد والمكارم وأبعدهم من المذام والعار ، هو عظيم العفو عند المقدرة ، فهو شجاع بالغ الشجاعة فاستعار الليث لذكر عظيم شجاعته عند لقاء الأعداء .

(١) أسرار البلاغة : ٣٢-٣٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٣ ، ٥٥ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٣٣ .

(٤) شعراء أمويون : ١٧٦/١ - ١٧٧ .

الاستعارة غير المفيدة :

يكون هذا النوع من الاستعارة « حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة ، والتنوّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان ، نحو : وضع (الشفة) للإنسان و(المشفر) للبعير و(الجحفلة) للفرس ، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله »^(١) .

ويرى (عبد القاهر الجرجاني) أن هذا النوع منها « لا يفيدك شيئاً لو لزم الأصل لم يحصل لك ، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله : من شفّته وقوله : من جحفلتين ، لو قاله . إنما يعطيك كلا الاسمين العضو المعلوم فحسب »^(٢) .

بل إنه يرى أن هذا النوع أشبه بأن تنقص المعنى من جهة أن الاستعارة تزيل الاختصاص عن الأسماء فيدخل السامع بعض الشبهة في تحديد القصد من ذكره ، ومثاله فيه (الشفة) أنّها لو ذكرت في سياق ورد فيه الإنسان والفرس ، كان التردد في أنّها على أصلها للإنسان أو أنّها استعيرت للفرس^(٣) .

ورأيه في هذا النوع ليس على إطلاقه ، من جهة عدم الإفادة ؛ لأنّه قد استثنى نوعاً « يخلط بالضرب الأول الذي هو استعارة من طريق اللفظ ويعد من قبيله ، وهو إذا حققت - ناظرٌ إلى الضرب الآخر الذي هو مستعار من جهة المعنى وجار في سبيله ؛ فمن ذلك قولهم : إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر ؛ وذلك أنّه كلام يصدر عنهم في مواضع الدم ، فصار بمنزلة أن يقال : كأن شفّته في الغِلَظ مشفرٌ بعير وجحفلة الفرس »^(٤) .

(١) أسرار البلاغة : ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢ .

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٣٢ .

(٤) أسرار البلاغة : ٣٦ .

وهذا المعنى الذي وقف عنده (عبد القاهر) هو ما استدعى أن تضم الاستعارة غير المفيدة^(١) إلى وسائل الأفعال الكلامية العربية ؛ إذ هي تفصح عن قصد المتكلم كما في إرادة الذم في ما ضربه من غليظ المشافر وغليظ الجحافل .

وقد أكد هذا الرأي في غير ما موضع عند كلامه عن الاستعارة^(٢) ، منها قوله : « وكذا قوله »^(٣) [المنسرح] .

وَذَاتِ هِذِمٍ غَارٍ نَوَاشِرُهَا تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّى جَدْعًا
فأجرى التولب على ولد المرأة وهو ولد الحمار في الأصل ؛ وذلك لأنه يصف حال ضر وبؤس ، ويذكر امرأة بائسة فقيرة ، والعادة في مثل ذلك الصفة بأوصاف البهائم ليكون أبلغ في سوء الحال وشدة الاختلال^(٤) . ويجرى هذا الكلام على ما جاء في قول القتال الكلابي :^(٥) [البسيط]

(١) هنا يمكن تسجيل الملاحظة على وصف هذا النوع بأنه غير مفيد؛ لأنه قد ثبتت أفادته هنا واستعماله بهذا القيد كان على سبيل التجوز ، ومتابعة الإمام عبد القاهر الجرجاني .

(٢) أسرار البلاغة : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر - بيروت ، ط ٣ / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م : ٥٥ . والهدم : الخلق البالي . العين : (هدم) ٢٩٨/٤ . الناشيرة وأجدة التواشير ، وهي عروق باطن الذراع . لسان العرب : (نشر) ٢٠٩/٥ . والتولب : ولد الأتان من الوحش إذا استكمل الحول . وقد يستعار للإنسان . لسان العرب : (تلب) ٢٣٢/١ . وجدع الغلام يجدع جدعا ، فهو جدع : ساء غذاؤه . لسان العرب : (جدع) ٤٢/٨ .

(٤) أسرار البلاغة : ٣٩ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٥٧ . والزند والزندة : خشبتان يستدح بهما ، فالسفلَى زندة الأعلى زندة ؛ وإنه لو أري الزند وورثه : يكون ذلك في الكرم وغيره من الخصال المحمودة وماده في البيت عن رجمها وإنما هو على المثل . ينظر : لسان العرب : (زند) ١٩٥/٣ - ١٩٦ . المشابر حزوز في الذراع التي يتبايع بها ، منها حزر الشبر وحزر نصف الشبر وربعه ، كل جزء منها صغر أو كبير مشبر . لسان العرب : (شبر) ٣٩٣/٤ .

يَا فَحَّحَ اللَّهُ صَبِيئَانَا تَجِيءُ بِهِمُ أُمُّ الْهَنْبِيرِ مِنْ زَلْدٍ لَهَا وَارِي
مِنْ كُلِّ أَغْلَمٍ مُنْشَقٌّ مَشَافِرُهُ وَمَوْذَنٌ مَا وَفَى شَبِيرًا بِمَشَارِ

فالمشافر جمع مشفر وهي للبعير بمنزلة الشفة للإنسان^(١) . ووجهه هنا مبالغة في الذم ، وهو تشبيه للمذمومين بالبهايم في سلسلة تبدأ بأمهم (أم الهنابير) الضبع^(٢) ، ثم استعارة المشافر لأولادها من البعير . وللقفال الكلابي استعارة أخرى من هذا النوع جاءت في قول^(٣) : [الوافر]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي خُصَيْنٍ بِهِمْ جَتَفَ إِلَى الْجَارَاتِ بَادٍ
خَلَفَتْ عِذَارَهَا وَلَهَيْتُ عَنْهَا كَمَا خَلَعَ الْعِذَارُ مِنَ الْجَوَادِ
استعار لزوجته التي طلقها عذار الفرس : وهو السَّيْر على خد الفرس وفي اللجام عذاران من يمين الخد وشماله^(٤) .

والمثال يصلح للاستعارة المفيدة ، فاستعاره لزوجته وهو الأداة التي يحكم بها الفرس كحكم الرجل المرأة بعقد النكاح ، وخلعه هو الطلاق .

التشبيه :

هو « الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى »^(٥) ، والذي استدعى أن يكون هذا النوع من البيان مقابلاً للأفعال الكلامية عند النصيين ، هو أنه « مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فنّ البلاغة وأن تعقيب المعاني به ، ولا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً أو ذمّاً أو افتخاراً أو غير ذلك »^(٦) .

(١) الصحاح : (شفر) ٧٠١/٢ ، تاج العروس : (شفر) ٢٠٩/١٢ .

(٢) العين : (هنبر) ٣٢٥/٤-٣٢٦ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٤٧ .

(٤) صفة السرج واللجام ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) حقه واستدرك عليه : الدكتور مناف مهدي محمد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٢ م : ٧٢ .

(٥) التلخيص : ٢٣٨

(٦) والإيضاح في علوم البلاغة : ٢٣٣ .

وقد استعمل (القزويني) أفعال الكلام للاستدلال على فضل التشبيه على غيره في تحريك النفس وتمكين المعنى ؛ إذ يقول : « ومن الدليل على أن للتشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده في الماء ؛ وقال : انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول المجرد »^(١) .

وقد قسم (عبد القاهر الجرجاني) التشبيه إلى قسمين من جهة التأول أحدهما : « أن يكون من جهة أمرين لا يحتاج إلى تأول ، والآخر : أن يكون الشبه مُحَصَّلاً بضرب من التأول »^(٢) .

فالقسم الأول : « تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجه آخر ، ونحو ذلك ، وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره ، وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع »^(٣) .

وهذا النوع أسماء (القزويني الظاهر) من المجمال الذي يفهمه كل أحد^(٤) . ومرد هذا النوع ، هو وضوح قصد المتكلم (المشبه) فلم يستدع تأولاً من المتلقي « فالشبه في هذا كله بَيِّن لا يجري فيه تأول ، ولا يفتقر إليه في تحصيله ، وأي تأول يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة ، وأنت تراها ههنا كما تراها هناك ؟ ، وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجال »^(٥) .

(١) التلخيص : ٢٤١ .

(٢) أسرار البلاغة : ٩٠ ، يفرق بين التشبيه والتمثيل فالتشبيه عام ، والتمثيل خاص : ٩٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٩٠-٩١ .

(٤) التلخيص : ٢٧٤-٢٧٥ .

(٥) أسرار البلاغة : ٩٢ .

ويمكن التمثيل له بقول الخطيم المحرزي^(١): [الطويل]
وَجَارَاتِهَا اللَّاتِي كَأَنَّ عُيُونَهَا عُيُونُ الْمَهَا يُفْقِهَنَّهَا بِالْحَوَاجِبِ
المشبه (عيون الجارات) والمشبه به (عيون المها) ، ووجه الشبه والقصد هو
جمالها ووسعها ؛ وهو قصد معلوم عند ذكر عيون المها .

القسم الآخر : « أن يكون الشبه يحصل بضرب من التأويل .
وهذا النوع هو من التشبيه المجمل الخفي عند (القزويني) الذي لا يدركه
إلا الخاصة كقول بعضهم « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ؛
أي : هم متناسبون في الشرف كما أنها متناسبة الأجزاء في الصورة »^(٢) .
والمجمل في التشبيه ما حذف منه وجه الشبه^(٣) .

تقسيم التشبيه المجمل مراعاة للقصد :

قسم (عبد القاهر) هذا النوع من التشبيه إلى قسمين بحسب تفاوت طريقة
التأويل لإظهار وجه الشبه (المقصود) وهما :
أ- ما كان قريب المأخذ (ظاهر القصد) .

وهو « رد شيء إلى شيء بضرب من التلطف ، وهو أدخل قليلاً في التأويل
وأقوى حالاً في الحاجة إليه »^(٤) .

(١) شعراء أمويون : ٢٧٠/١ ، وقد ضبط الدكتور محمد نبيل طريفي (يُفْقِهَنَّهَا) بفتح الياء
والقاف ديوان اللصوص : ٢٣٤/١ ، والأحسن بالضم والكسر ؛ لأن الكلام عن
عيونهن فهن من يفهمن غيرهن . وهكذا ضبطها عبد العزيز الميمني (رحمه الله)
ومعناها عنده (الظاهر يفْقِهَنَّهَا يفهمنا ، أي إن إشارة الحواجب تنوب عن الكلام
« سمط اللآلي (ذيل اللآلي) ٤٠/٣ ، والمها : بقر الوحش ، لسان العرب : (مها)
٢٩٧/١٥ .

(٢) التلخيص : ٢٧٦-٢٧٦ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٤-٢٧٥ .

(٤) أسرار البلاغة : ٩٣ .

ومثاله عنده في صفة الكلام « ألفاظه كالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة وكالعسل في الحلاوة ، يريدون أن اللفظ لا يستغلق ، ولا يشتبه معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه ، فصارت لذلك كالماء الذي يسوغ في الحلق والنسيم الذي يسري في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ، ويهدي إلى القلب روحا ويوجد في الصدر انشراحا ويفيد النفس نشاطاً ، وكالعسل الذي يَلَذُّ طعمه وتَهَشُّ النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه فهذا كله تأوُّل^(١) .

مثاله ما جاء في قول جحدر العكلي : ^(٢) [الطويل]
عَلَى قَدَمِ مَكْنُونَةِ اللَّوْنِ رَخْصَةٍ وَكَعْبِ كَذْفَرَى جَوْذَرِ الرُّمْلِ أَذْرَمَا
فـ(ذفرى) البعير أصل أذنه^(٣) ، وهي في البيت للجوذر ، ولد البقرة الوحشية^(٤) ، وأدرم ؛ أي : « كعب أدرم لا حجم له لغيبوبته في اللحم »^(٥) . هذا التشبيه هو في امتلاء ساق المرأة ومشابته لذفرى ولدي البقرة الوحشية الذي امتلأ جسمه لحماً حتى بلغ أصلى أذنيه فلا يرى منه ذفره كما لا يرى منها كعبها لغيبوبته في اللحم .

فالقصص هو أنها منعمة في رزقها ، ولاشك أن المقصود (وجه الشبه) يحتاج إلى بعض تأوُّل في اظهاره ؛ لأنَّه قد يحمل على غير هذا المعنى^(٦) .

(١) أسرار البلاغة : ٩٣

(٢) شعراء أمويون : ١٨١/١ . رخص : الرخص : الناعم من كل شيء . ومن المرأة بشرتها ورقتها ، ورخاصة أناملها : لينها . العين : (رخص) ١٠٨/٢ .

(٣) اللسان : (ذفر) ٣٠٧/٤ فيه : وهي مؤنثة فلا تنون ومن العرب من يصرفها ويجعلون الألف فيها أصلية .

(٤) الصحاح : (جأذر) ٦١٠/٢ ولسان العرب : (جلذر) ١٢٤/٤ .

(٥) أسامس البلاغة : (درم) ٢٨٥/١ .

(٦) ذهب الدكتور محمد نبيل طريفي إلى أن الشاعر « شبه كعبها بليته ونعموته بأصل إذن جوذر رمل صغير من أولاد البقر الوحشي » ديوان اللصوص : ١٧٠/١ ، هامش رقم (٢٢) وما أثبتته هو ما تؤيده اللغة فأدرم الكعب الغائب في اللحم والدكتور فسره بالقصر ، ومنه جاء تأويله .

وفيه أيضاً يقول (الخطيم المحرزي)^(١) : [الطويل]

خَلِيلِي الْفَتَى الْعُكْلِي لَمْ أَرْ مِثْلَهُ تَحَلَّبُ كَفَأُ الثَّدَى شَانِعُ الْقِدْرِ
كَأَنَّ سُهَيْلاً نَارُهُ حِينَ أُوقِدَتْ بَعْلَاءَ لَا تُخْفَى عَلَى أَحَدٍ يُسْرِي

وهذا التشبيه مبالغة في مدح صاحبه ، فهو في كرمه ومنزلته المعروفة ، فصارت ناره التي يوقدها في مكان مرتفع للضيوف والمسافرين دليلاً على كرمه . فهو كسهيل دليل لهم في متاهات الصحراء والليل .

ب - ما كان بعيد المأخذ (غير ظاهر القصد)

وهو لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة^(٢) ، و« فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يُعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع »^(٣) ، ومثال هذا النوع عنده قول كعب الأشقر موفد المهلب إلى الحجاج في جوابه عن بني المهلب « كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها »^(٤) ، فهم في تناسبهم في الشرف والنسب كالحلقة في تناسب أجزائها^(٥) .

يقول السمهري العكلي^(٦) : [الطويل]

لَرَى الْبَابَ لَا تُسْتَطِيعُ شَيْئاً وَرَاءَهُ كَأَنَّا فِينِي أَسْلَمْتُمَهَا كُفُوبُهَا

(١) شعراء أمويون : ٢٥٦/١ - ٢٥٧ . وَتَحَلَّبَ الْعَرَقُ وَانْحَلَبَ : سَالَ . وَتَحَلَّبَ بَدَنُهُ عَرَقًا : سَالَ عَرَقُهُ . لسان العرب : (حلب) ٣٣١/١ . وَشَاعَ الْخَبَرُ فِي النَّاسِ يَشِيعُ شَيْعًا وَشِيعَانًا وَمَشَاعًا وَشِيعُوعَةً ، فَهُوَ شَائِعٌ : انْتَشَرَ وَافْتَرَقَ وَذَاعَ وَظَهَرَ . لسان العرب : (شاع) ١٩١/٨ . فشائع القدر كناية عن كرمه .

(٢) أسرار البلاغة : ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٩٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٤ .

(٥) التلخيص : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٦) مجموعة المعاني : ٦٤٢/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٧١/١ ، وشعراء أمويون : ١٤١/١ وفيه : (ترى الباب لا تستطيع) .

الكعوب جمع كعب : « عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا ، وقيل هو أنبوب ما بين كل عقدتين ، وقيل : الكعب هو طرف الأنبوب الناشز وجمعه كعوب وكعاب »^(١)

يلاحظ أن للكعب ثلاثة معانٍ متقاربة ؛ فالأول العقدة بين الأنبوبين ، والثاني هو الأنبوب بين العقدتين ، والثالث هو طرف الأنبوب الناشز ، ولعله قصد بالطرف الذي لا يليه شيء^(٢) ؛ أي : نهاية القناة أو القصبة وقد يكون عين الأول ؛ لأنَّ العقدة هي الناشزة عن الأنبوب ومن دلالة الثالث أن الطرف الناشز (العقدة) في الأنبوب ، يكون المعنى الثاني هو لفظ شامل للأنبوب والعقدة . والأول أرجح فيما يبدو لي في هذا البيت ، ولا سيما أنَّ الكعب يربط بين الأنبوبتين وفيه قوتهما ، وهو المعتمد عليه في الرمح ، وهذا ملتبس في قوله (أسلمتها) ، وكان المرجو منها أن تكون قوية يعتمد عليها .

والشاهد في البيت أنَّه شبه نفسه وأصحابه ، وهم في السجن عاجزون منكسرون أمام من وراء باب السجن وهم الحراس فهم بهذا العجز والانكسار وإن كانوا فرساناً أشداء في حريتهم خارج السجن كالقني التي هي للقتل والصيد غير أن كعوبها تخلت عنها .

يلاحظ أن هذا الوجه من التشبيه (المقصود) يحتاج إلى تحديد دقيق لمعاني اللغة ومناسبة كل لفظ لسياقها ، فلا بدَّ فيه من تأوُّل لاستظهار وجه الشبه .

(١) اللسان : (كعب) ٢١٨/١ .

(٢) ينظر : الصحاح : (كعب) ٢١٣/١ .

المبحث الثاني

القبول

تعريف القبول : (Acceptability)

القبول لغة :

قَبِلْتُ الهديةَ أَقْبَلُهَا قَبُولًا وَقَبُولًا . وَيُقَالُ : عَلَيْهِ قَبُولٌ إِذَا كَانَتْ الْعَيْنُ تَقْبَلُهُ ، وَعَلَى قَبُولٍ أَيُّ تَقْبَلُهُ الْعَيْنُ ، يُقَالُ : قَبِلْتُ الشَّيْءَ قَبُولًا إِذَا رَضِيْتَهُ ، وَتَقَبَّلْتُ الشَّيْءَ وَقَبِلْتَهُ قَبُولًا ، وَهُوَ يَفْتَحُ الْقَافَ الْمَحَبَّةَ وَالرَّضَا بِالشَّيْءِ وَمِيلُ النَّفْسِ إِلَيْهِ^(١) .

القبول اصطلاحًا :

يعرف (دي بوجراند) القبول بأنه « يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام »^(٢) .

ويعرفه كلٌّ من (فولفجانج وديتر) بأنه : « موقف متلقي النص حول توقع نص متماسك ومتناسق مما يعد مفيداً أو مهماً بالنسبة إليه يدلي السامع بشروط معرفته حول ذلك على شكل علاقات عاقبة لتكون مساهمة في تكوين التناسق في مفهوم النص »^(٣) .

(١) يُنْقَر : لسان العرب : (قبل) ١١/٥٤٠ ، تاج العروس (قبل) ٢٠٩/٣٠ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٤ .

إن أهمية هذا المعيار تأتي من أهمية المتلقي في عملية الاتصال ، فيكون معيار قبوله للنص ضرورة في تحليل الخطاب ، فهو بهذا الاعتبار المعيار الذي يمثل أحد طرفي عملية إنتاج النصوص (المتلقي) ^(١).

القبول وثقافة المتلقي :

إن المنتج للنص يسعى أن يكون قصده مقبولا عند المتلقي ، ومن هنا وحسب « المنطق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج في عملية الإنتاج » ^(٢).

لذا كان المشترك الثقافي بين المنتج والمتلقي غاية في الأهمية في تحقيق معيار القبول . فقبول المتلقي للنص يعتمد على « ثقافته وافقه ومعرفته بعالم النص وسياقه » ^(٣) ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤)، ولسان قومه أي : لغتهم وكلامهم ^(٤) ، وليفقهوا عنه ما يدعوههم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لم نفهم ما خوطبنا به ^(٥).

والآية شاهد على العناصر الثلاثة لعملية الاتصال ؛ وهي المرسل (الرسول) والأداة (لسان قومه) والمتلقي (القوم) ، وفي إضافة اللسان إلى قومه دلالة على المشترك الثقافي بين المرسل والمتلقي ؛ فعود الضمير في (قومه) إلى الرسول يدخله فيهم ؛ أي هو منهم عارف بأحوالهم وعاداتهم ، ثم جعل من هذا الأمر بجملته علة لوقوع البيان فقال : (ليبين لهم) .

(١) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ ، ٣٤ .

(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .

(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .

(٤) العين : (لن) ٨٤/٤ .

(٥) الكشف : ٣٦٢/٣ .

القبول بين الجملة والنص .

إن تصور (دي بوجراند) من أن القبول يكون في النص الذي يتحقق فيه معيارا النص الأساسيان (السبك والحبك)^(١)؛ هو ما يستعدي الكلام عن مدى تحقق القبول على مستوى الجملة . إذ إن الجملة تأتي مسبوكة ومحبوكة في أكثر صورها .

وهذا الكلام يكون عن مدى مطابقة القاعدة في الجملة من عدمه الذي يمثل السبك النحوي ، وقد جعل الدكتور (أحمد عفيفي) المقبولية ترتبط « بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك »^(٢) ، فهو يجعل التماسك قريناً للقبول في حكم المتلقي للنص .

وقد اطلق الدكتور (أحمد عفيفي) من السياق المؤدي إلى المقبولية وما يجب أن يراعى فيه من صحة القواعد النحوية ، وتوافق الوقوع أو الرصف بين مفردات الجملة ليقول : « ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقي ، ولعل هذا يدل على أن المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النص غير أنها تتطور في الجملة عن النص حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على المستوى الرصف وصحة القواعد النحوية ، ثم يأتي المعنى النصي المتسم بالتماسك »^(٣) .

كما أنه يبين أن المقبولية في نحو النص هي « في مقابل (مطابقة القاعدة) في نحو الجملة التي تسمح بالاحتمال الدلالي وتعدد الأوجه الإعرابية »^(٤) بينما يكون القبول في نحو النص « بعيداً عن الاحتمالية الدلالية أو عن جواز أكثر من وجه إعرابي »^(٥) .

(١) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤

(٢) نحو النص : ٨٧

(٣) نحو النص : ٨٩

(٤) المصدر نفسه : ٨٨

(٥) المصدر نفسه : ٨٨

والذي يظهر هو أن المقبولية في الجملة لا تتوقف على المطابقة في القاعدة النحوية فقط بل يضاف إليها مدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها على الرغم من كونهما قضيتين مهمتين في اكتساب الجملة معناها ، فالدكتور (محمد حماسة) يبين هذا في كلامه عن القاعدة النحوية من جانب التعليق النحوي بقوله : « إننا الآن أمام قضيتين مهمتين في اكتساب الجملة معناها أولا هما التعليق النحوي والأخرى هي درجة القبول ومدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها »^(١) . فقضية القبول النحوي التي يتوقف عليها اكتساب الجملة معناها في مدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها « هي ما يُكوّن المجاز في العمل الأدبي ، فقد تناولها سيبويه في أول مدونته النحوية الكتاب »^(٢) ، وذلك في « باب الاستقامة من الكلام والإحالة »^(٣) .

وقد جعل هذا الباب خمسة أقسام هي :

- ١- المستقيم الحسن : مثل قولك : أتيتك أمس وسأيتك غداً .
- ٢- المحال : أن تنقض أول كلامك بآخره ، كقولك : أتيتك غداً وسأيتك أمس .
- ٣- المستقيم الكذب ، قولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر .
- ٤- المستقيم القبيح : أن تضع اللفظ في غير موضعه ، قولك : قد زيداً رأيت وكي زيد يأتيتك .
- ٥- المحال الكذب ، قولك : سوف أشرب ماء البحر أمس .

فالاستقامة التي ذكرها سيبويه هي الاستقامة النحوية (التعليق) ، أما القسم الرابع (المستقيم القبيح) ، فالقبيح ليس على مطلق الاستقامة النحوية بل هي محصورة في المراتب ، وقد فسرنا بقوله : « أن تضع اللفظ في غير موضعه » .

(١) النحو والدلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٦ م : ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٢٥/١ ، ٢٦ .

أما الأحكام (الحسن ، المحال ، الكذب ، القبيح) ، فهي أحكام يصدرها المتلقي للجملة ، وهذا هو أساس معيار المقبولية إذ « ترتبط المقبولية بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك »^(١).

مما تقدم يلاحظ أن وعياً عربياً لقضية القبول كان واضحاً في أول كتاب دُون للعربية قواعدها ، ومرد هذا الأمر أن القبول من جانب المتلقي أمر أشبه ما يكون بالفطرة اللغوية إذ إن أي نص لا يُؤلف إلا من أجل المتلقي^(٢).

وإني والقول بمحدودية القبول على مستوى الجملة ؛ فالجملة حتى إذا كانت مقبولة قواعدياً بمعيار السبك والحبك ، تبقى بالنظر إلى النص الكامل ذات مقبولة جزئية .

ومن هنا كان لقبول الجملة أثر في وضوح قبول النص ، وفي الوقت ذاته قد لا يتأثر قبول النص في حال انكسار القبول في الجملة ، فـ« عندما نتعامل مع نصوص غير متكاملة السبك (الربط اللفظي) والحبك (الربط المعنوي) حينئذ يتوجب علينا إدخال اتجاهات مستعملي النص ضمن معايير النصية »^(٣).

فـ« احتواء النص على خلل أو انقطاع في الربط المعنوي (الحبك) لا يؤدي إلى فقد النص للتقبلية ، ما دام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصصية التي تتجه إلى هدف ، وبذلك يجب أن نميز بين ما يشترطه علم القواعد المعيارية والمقبولية ؛ أي : ما هو مقبول فعلاً في عملية الاتصال »^(٤). هذا من جهة كون الجملة غير موافقة لمعيار السبك والحبك ، فلم يتحقق فيها (مطابقة القاعدة).

(١) نحو النص : ٨٧ .

(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٥ .

(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ .

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .

أما إن تحقق فيها مطابقة القاعدة وتوافر لها معيارا السبك والحبك ، فهي وإن كانت ذات مقبولية محددة ، قد لا تؤدي بمجموعها في النص إلى قبول النص ؛ لأن القضية في النهاية أن فكرة الترابط في (مطابقة القاعدة) أضيق من أن تكون تفسيراً كافياً للاتصال التام الذي يظهر قبوله كمعيار كلي^(١).

فالمتلقي من خلال توظيفه للأعراف اللغوية والسياقية التي أنتج النص فيها يصنع تماسكاً خاصاً لكل نص يتلقاه يعينه على تجديد قبول النص الذي يعتمد على « قدرة القارئ في استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية على معرفه العالم والقصدية وأعراف الكتابة ودمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل »^(٢).

القبول على مستوى الجملة في شعر الصعاليك :

إن قبول الجملة من شعر الصعاليك ، يقتضي الرجوع إلى الحديث عن الشواهد في النحو العربي وزمن الاستشهاد ، وقد مر في التمهيد أن شعر الصعاليك في هذا العصر يدخل جملة في دائرة الاستشهاد النحوي واللغوي ، إذ كانت نهاية حكم الأمويين سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة الأولى من الهجرة المباركة وكانت نهاية عهد الاستشهاد في سنة سبعين ومائة من الهجرة^(٣).

فعلى هذا كان لشعر الصعاليك قبول على الأقل من جهة فئة النحاة من المجتمع ، وقد تواصل هذا القبول إلى يومنا هذا من خلال صحة الاستشهاد بأشعارهم .

فمن مظاهر هذا القبول عدد الشواهد غير القليل في كتب النحاة الأوائل كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج وغيرها^(٤).

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ١٧٠ .

(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤-٣٥ .

(٣) يُنظَر : خزنة الأدب : ٦/٧ ، والتمهيد : (مكانة شعر الصعاليك الأمويين في اللغة : أولاً) .

(٤) يُنظَر : تفصيل ما ورد من شواهد شعر الصعاليك في كتب النحاة التمهيد .

ثانيا : القبول على مستوى النص .

إن الاعتماد على ثقافة المجتمع العامة واشتراك أفرادها بمجموعة من المعارف تؤثر إيجاباً أو سلباً على مدى قبول النص ، وهذا الحال لا يختلف في شعر الصعاليك عن أشعار فئة غيرهم فضلاً عن أنواع أخرى من الفنون الأدبية .

لهذا السبب أثارت جملة أبي النشاش النحشلي (ولا كسواد الليل أخفق صاحبه) عبد الملك بن مروان عندما أنشدت قصيدته التي منها^(١) : [الطويل]
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَقْرِ صَاحِجَهُ الْفَقَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ صَاحِبُهُ
فـ « قال : لصُّ ورَبُّ الكعبة ، وأمر بِطَلِّهِ فطُلبَ فَأَعْجَزَ »^(٢) ، فالذي يجعل عبد الملك يجزم بلصوصيته فيقسم ، الثقافة المشتركة بينهما ، فعلى الرغم من اختلاف منزلة كل منهما ، غير أن الثقافة العامة جعلته يحسن تلقي نص هذا الصعلوك .

فعندما ينقل الشاعر الصعلوك صفة ما أو يعبر عن شعور ما يكون له القبول لدى متلقيه من تلك البيئة وذلك المجتمع ، فالحجاج بن يوسف الثقفي ، إذا ما وصف بالظلم في شعر جحدر العكلي من قوله :^(٣) [الوافر] .
وَقَوْلَا جَحْدَرَ أَمْسَى رَهِيْنَا يُحَاذِرُ وَقَعَ مَضْفُولٍ يَمَانِي
يُحَاذِرُ صَوْلَةَ الْحَجَّاجِ ظُلْمَا وَمَا الْحَجَّاجُ ظَلَامًا لِحِجَانِي

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٥٠/١ ، وديوان اللصوص : ٢٨٦/٢ . فيهما (أخفق طالبه) . يقول الأعلام الشنتمري : «الإخفاق الخيبة» شرح حماسة أبي تمام : ٦٣٣/٢ .

(٢) الجليس الصالح الكافي : ٢١٢/٣ .

(٣) شعراء أمويون : ١٨٦/١ .

فهذا النص يُعدُّ مقبولا إذ إن سمعة الحجاج بالظلم لا تخفى ، ومثل هذا القبول يمكن أن يصدق عليه تسمية (القبول بعيد الأمد) إذ إن القبول في النص يمكن أن يكون قصير الأمد ، يصدق على مكان أو موقف محدد .

الأماكن ودورها في القبول :

الأماكن التي يذكرها الشعراء الصعاليك في هذا العصر تشكل عنصراً من عناصر القبول لدى المتلقي غير أن مثل هذا الأماكن قد لا يكون لها وجود حتى يسجل المتلقي لها اليوم قبوله ؛ لذا أرى أنها تشكل أقل قبولاً إذا ما قورنت بما له ذكر في واقعنا . ويمكن أن يتضح هذا الدور للأماكن من خلال نموذجين منها ، هما : السجون والبلدان ، المذكورة في أشعارهم وهي :

السجون :

- ١- دُوَّار : بفتح أوله وتشديد الثاني وآخره راء ، سجن باليمامة سجن فيه غير واحد من الصعاليك مثل : جحدر العكلي وعطارد بن قرآن^(١) .
- ٢- الديماس : ذكره جحدر العكلي^(٢) .
- ٣- البيضاء : ذكره جحدر^(٣) .
- ٤- دوران : ذكره جعفر بن عبله الحارثي^(٤) .
- ٥- حجر : ذكره عطارد بن قرآن^(٥) بقوله : [البسيط] .
إِلَيَّ وَأَخْشَنَ فِي حِجْرِ لَمْخْتَلِفَا حَالٍ وَمَا لَعِمَ حَالاً كَمَجْهُودِ
كَأَكْمَا أَهْلُ حِجْرِ يَنْظُرُونَ مَتَى يَرَوْنِي خَارِجًا طَيْرَ الْيَنَادِيدِ

(١) شعراء أمويون : ١٧٣/١ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ويُنفَر : معجم البلدان : ٤٧٨/٢ ، ٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٢/١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧٧/١ .

(٤) يُنفَر : ديوان اللصوص : ١٩٤/١ .

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٤/١ . وَطَيْرٌ يَنَادِي وَأَنَادِيْدُ : متفرقة ، لسان العرب : (ندد) ٤٢٠/٣ .

ولعل السجن سُمي باسم المدينة الذي هو فيها وقد ذكرها السهري العكلي أيضاً^(١).

على الرغم من اختلاف أماكن وجود هذه السجون غير أنَّها مشتركة في حالها وأنَّها شديدة على نازليها وهي أماكن للعذاب والظلم بنظر المسجونين ، وهذا الاشتراك مع تعدد الأماكن وتعدد من ذكرها يقوي من قبول النصوص التي وردت بها ، ولاسيما أنَّها واقعة في عصر الأمويين الذي عرف ولاته بالشدة على المخالف ، وكان من هؤلاء المخالفين الصعاليك .

وهذا القبول الذي ترسمه هذه الأماكن في ذهن المتلقي ينبع من توافق صورة السجن في ذهن المتلقي الذي تحكمه الخلفيات الثقافية له ، وبطبيعة الحال يكون السجن مكانا للقهر والظلم في مثل بيئة هؤلاء الشعراء ، فلزم مطابقة هذه الصورة مع ، وصف الشعراء الصعاليك للسجون ، والتصريح بذكر أسمائها .

كما أن تداول المتخصصين لقضية ما ، يعضد من قبولها ، فالشعراء الصعاليك هم متخصصون في الاضطهاد والزج في السجون ، فذكرها عندهم وتكرار ذلك الذكر يكتب لها القبول لدى المتلقي ولو على مستوى ذلك المجتمع .

البلدان : إنَّ بعض الأماكن تضيفي على النص قبولاً لأمد بعيد ، كون هذه الأماكن ما تزال معروفة مذكورة وإن تغير بعضها توسعاً أو ضيقاً في الوقت الحاضر^(٢) منها :

١- العراق : ذكره طهمان بن عمرو الكلابي بقوله :^(٣) [الطويل] .

(١) شعراء أمويون : ١٤٥/١ .

(٢) أكثر هذه البلدان قد تغيرت حدودها عما كانت عليه قديماً ، كالعراق مثلاً فقد كان أكبر مساحة عما هو عليه اليوم ، بحسب توصيف ياقوت الحموي ، ينظر : معجم البلدان : ٩٤/٤ .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .

وَهَيْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَمَاذَا أَلَدِي ثَغْنِي وَأَلَتِ صَدِيقُ

سَقَى اللَّهُ مَرَضِي بِالْعِرَاقِ فَيَأْتِي عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالْعِرَاقِ شَفِيقُ

٢- عُمَان : ذكره السمهري العكلي^(١) : [الطويل] .

أَقُولُ لِأَدْنَى صَاحِبِي لَصِيحَةً وَلِلْأَسْمَرِ الْمَغْوَارِ مَا تَرِيَانِ

فَقَالَ الَّذِي أَبْدَى لِي الثُّصَحَ مِنْهُمَا أَرَى الرَّأْيَ أَنْ تَحْجَازَ نَحْوَ عُمَانِ

٣- اليمامة : يذكرها طهمان بن عمرو الكلابي بقوله^(٢) : [الطويل] .

مَلَلْتُ نَوَاءَ الْيَمَامَةِ لَا أَرَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْعَبْدَ يَخْدُو السُّوَانِيَا

٤- نجران : ذكره طهمان بن عمرو الكلابي^(٣) [الطويل] .

أَلَا هَزَلْتُ مِنِّي بِنَجْرَانَ إِذْ رَأَتْ عِشَارِي فِي الْكَبَلَيْنِ أُمُّ أَبَانِ

وذكره عطار بن قرآن أيضاً^(٤) .

٥- نجد : يقول عطار بن قرآن^(٥) : [الطويل]

طَرَبْتُ إِلَى نَجْدٍ وَمَا كِدْتُ تَطْرَبُ وَهَيْتُ جَنُوبَ مَسْهَا لَكَ مُعْجَبُ

وذكره القتال الكلابي^(٦) وجعفر بن علبة الحارثي^(٧) :

٦- المدينة : يقول مالك بن الريب^(٨) : [الوافر] .

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٥/١ . وشعراء أمويون : ١٤٨/١ . وفي : (وبالأسمر)

ولعله خطأ وقع في الطباعة . والأسمر رجل من طي . ينظر : ذيل الأمالي والنوادر : ٧٦/٣ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٥١ ، وديوان اللصوص : ٣٦٥/١ ، وفيهما أن البيت من الكامل والصواب أنه من بحر الطويل .

(٣) المصدر نفسه : ١٥٨ ، وديوان اللصوص : ٣٦٩/١ ، ٣٧١ ، ١٩/٢ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٦/١ .

(٥) المصدر نفسه : ١٠٣/١ .

(٦) ديوان القتال الكلابي : ٣٠ .

(٧) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ .

(٨) شعراء أمويون : ٣١/١ .

وإنْ يُقْلَتْ فَأَيُّي سَوْفَ أَبْعِي بَنِيهِ بِالْمَدِينَةِ أَوْ صِرَارٍ

٧- ذي قار : ذكرها الخطيم المحرزي^(١) : [الطويل] .

لَهَا بَيْنَ ذِي قَارٍ قَوْمٌ مُخَفِّقٍ مِنَ الْقَفِّ أَوْ مِنْ رَفْلِهِ حِينَ أَرَبَدَا
وذكرها المرار الفقعسي^(٢) .

الشام : ذكرها الخطيم المحرزي^(٣) : [الطويل] .

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ قُرَى الشَّامِ مَنَزَلًا وَأَجْبَلُهَا لَوْ كَانَ أَنْ تَوَدَّدَا
عَمَّانَ : ذكرها الخطيم المحرزي^(٤) : [الطويل] .

أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ أَرَى الشَّامَ بَعْدَهَا وَعَمَّانَ مَا غَيَّى الْحَمَامُ وَغَرَدَا

الخوف والتشرد في شعر الصعاليك الأمويين :

يظهر لي أن من مظاهر القبول في شعر الصعاليك ، أنه شعر ينقل طباع هؤلاء الشعراء وما يعانون من ملاحقة السلطان لهم ، والتشرد والترقب الشديد الممتلئ بالخطر واليقظة ، ولعل النص من شعرهم يكون مشحوناً بمثل هذه المواقف التي تستدعي قبول المتلقي من خلال معرفته بشدة السلطان في تعقب الصعاليك ، مما أدى إلى انقطاع نفر منهم لسنين طوال في الصحراء . هرباً من الولاة فمضت به الأيام والليالي خائفاً ، وهذا شأن المطارد في كل أوان ومكان . وفي هذا يقول القتال الكلابي^(٥) : [الطويل] .

(١) شعراء أمويون : ٢٦٤/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٦٣/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٦٤/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٦٤/١ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٤٥ . عماية جبل بالبحرين هرب إليه القتال الكلابي بعد أن قتل رجلاً . يُنظَر : معجم البلدان : ١٥٢/٤ . وازْدَعَيْتُ فَلَانًا أَي تَهَاوَنْتُ بِهِ . وازْدَعَيْتُ فَلَانًا فَلَانًا إِذَا اسْتَحَفَّهُ . وَزَهَاهُ وَازْدَهَاهُ : اسْتَحَفَّهُ وَتَهَاوَنَ بِهِ . يُنظَر : لسان العرب : (زها) ٣٦١/١٤ . وَهَضْبَةٌ مَعْنَقَةٌ وَعَنْقَاءُ : مُرْتَفَعَةٌ طَوِيلَةٌ ، لسان العرب : (عنق) ٢٧٢/١٠ . وَكُلُّ مَا طَالَ عُنُقُهُ مِنَ الْبَهَائِمِ عَيْطَلٌ . وَالْعَيْطَلُ : الناقة الطويلة في حسن منظر وسمن . لسان العرب : (عطل) ٤٥٥/١١ . الْقِلَات : جَمْعُ قَلْبٍ لِلنَّقَرَةِ فِي الْجَبَلِ . لسان العرب : (خطط) ٢٨٩/٧ .

جَزَى اللهُ عَنَّا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَمَائَةَ خَيْرًا أَمْ كُلِّ طَرِيدٍ
فَلَا يَزِدُّهَا الْقَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدٍ
حَمَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عَنَقَاءَ غَيْطِلٍ وَكُلُّ صَفَا جَمِّ الْقِلَاتِ كُنُودٍ

وكذلك قول القتال الكلابي : ^(١) [الطويل]

أُرْسِلَ مَرْوَانُ الْأَمِيرُ رِسَالَةً لِأَيِّهِ إِنْ لَمْ تُضَلَّلْ
وَمَا بِي عِصْيَانٌ وَلَا بَعْدَ مَنْزِلٍ وَلَكِنِّي مِنْ خَوْفِ مَرْوَانَ أَوْجَلُ
ويقول أيضًا ^(٢) : [الطويل] .

كَانَ بِلَادَ اللهِ وَهِيَ غَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَفَّةُ حَابِلٍ
يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَبَاةٍ تَبْمُمُهَا تُوحِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ
ويقول مالك بن الريب في هذا المعنى : ^(٣) [الطويل] .

أَحَقًّا عَلَى السُّلْطَانِ أَمَا الَّذِي لَهُ فَيُعْطَى وَأَمَا مَا يُرَادُ فَيَمْتَنِعُ
إِذَا مَا جَعَلْتُ الرُّمْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَعْرَضَ سَهْبٌ بَيْنَ يَرَيْنَ بَلْقَعُ
مِنْ الْأَذْمَى لَا يَسْتَجِمُّ بِهَا الْقَطَا تَطْلُ الرِّيَّاحُ دَوْنَهُ تَنْقَطِعُ
فَشَأْنُكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ فَاطْلُبُوا سِقَاطِي فَمَا فِيهِ لِبَاغِيهِ مَطْمَعُ

(١) ديوان القتال الكلابي : ٧٧ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٩٩ . وكلُّ مَا اسْتَدَارَ فَهُوَ كَفَّةٌ ، بِالْكَسْرِ ، نَحْوُ كَفَّةِ الْمِيزَانِ وَكَفَّةِ الصَّائِدِ ، وَهِيَ حِبَالَتُهُ وَيُقَالُ أَيْضًا كَفَّةُ الْمِيزَانِ ، بِالْفَتْحِ ، وَالْجَمْعُ كِفَفٌ ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّي : شَاهِدُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ . لِسَانُ الْعَرَبِ : (كفف) ٣٠٤/٩ .

(٣) شعراء أمويون : ٣٤/١ وديوان اللصوص : ١٦٤/٢ وفيه (تكلُّ الرياح) . وَالسَّهْبُ : مِسْبَخَةٌ بَيْنَ الْحَمَتَيْنِ وَالْمُضْيَاعَةِ تَبْيِضُ بِهَا النِّعَامُ . معجم البلدان : ٢٨٩/٣ . يَبْرِينُ : بِالْفَتْحِ ثُمَّ السَّكُونِ ، وَكَسْرُ الرَّاءِ ، وَيَاءٌ ثُمَّ نُونٌ . قَالَ السَّكْرِيُّ : يَبْرِينُ بِأَعْلَى بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ ، وَهَنَّاكَ مَوَاضِعُ أُخْرَى بِهَذَا الْأَسْمِ . يَنْظُرُ : معجم البلدان : ٤٢٧/٥ . وَالْجَمَّةُ : الْمَاءُ نَفْسُهُ . وَاسْتَجَمَّتْ جَمَّةُ الْمَاءِ : شَرِبَتْ وَاسْتَقَاها النَّاسُ . لِسَانُ الْعَرَبِ : (جمع) ١٠٥/١٢ . وَالْعَيْرُ : الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ وَالْوَحْشِيُّ . الْعَيْنُ : (عور) ٢٥٣/٣ .

وَمَا أَنَا كَالْغَيْرِ الْمُقِيمِ لِأَهْلِهِ عَلَى الْقَيْدِ فِي بَحْوَحَةِ الضُّمِّ يَرْتَعُ
ولشدة السلطان على الصعاليك كان لا بدَّ من استسلام بعضهم إلى الطاعة
منهم (الخطيم المحرزي) ، فقد قال مستجيراً بسيلمان بن عبد الملك : ^(١)
[الطويل] .

بِذِي شَقَّةٍ جَوَّابٍ أَرْضِي تَقَادُفْتُ بِهِ سَارَ حَتَّى غَارَ ثُمَّتَ الْجَدَا
أَعِزَّنِي عِيَاذًا يَا سُلَيْمَانُ إِنِّي أَتَيْتُكَ لَمَّا لَمْ أَجِدْ عَنْكَ مَقْعَدًا
لِثُؤْمِنِي خَوْفَ الَّذِي أَنَا خَائِفٌ وَتُبْلَغْنِي رَيْقِي وَتُنْظِرْنِي غَدَا
فِرَارًا إِلَيْكَ مِنْ وَرَائِي وَرَهْبَةً وَكُنْتُ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ أَعْمَدَا
وفي حياة الخوف والتشرد عاش (الخطيم) أمداً من الزمان حتى أنه يلوم
صاحبه على النزول في طريق آخر الليل فيقول : [الطويل] ^(٢) .

فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ الْإِنَاخَةُ بَعْدَمَا حَدَا اللَّيْلَ عُرْيَانُ الطَّرِيقَةِ مُنْجَلِي
أَلَا تَرْهَبُ الْأَعْدَاءَ أَنْ يَمُحِّلُوا بِنَا أَوْ التَّبْعُ مِنْ ذَاكَ الْأَمِيرِ الْمُوَكَّلِ
ومثل هذا الحذر وقع للسهمري العكلي : [الطويل] ^(٣) .

أَلَمْ تَرَ أَلِّي وَابْنُ أَبِيضٍ قَدْ جَفَّتْ بِنَا الْأَرْضُ إِلَّا أَنْ تُؤْمَ الْفَيَافِيَا
طَرِيدَيْنِ مِنْ حَيْثُ شِئِيَ أَشَدُّنَا مَخَافَتُنَا حَتَّى نَخْلُتَا التَّصَافِيَا

(١) شعراء أمويون : ٢٦٦/١ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٦٧/١ - ٢٦٨ . حدا يحدو حدوا وحداء وحِداء ، وَلَا أَفْعَلُهُ مَا حَدَا
الليل النهار ؛ أي ما تبعه . يُنْظَرُ : لسان العرب : (حدا) ١٩٦/١٤ . يُقَالُ : مَحَلْتُ
بِفُلَانٍ أَمَحَلْتُ إِذَا سَعَيْتَ بِهِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ حَتَّى تُوقِعَهُ فِي وَرْطَةٍ وَوَشَيْتَ بِهِ . لسان
العرب : (محل) ٦١٨/١١ .

(٣) شعراء أمويون : ١٤٩/١ . إِذَا تَخَلَّتْ أَشْيَاءُ لَتَسْتَقْصِي أَفْضَلَهَا قُلْتُ : تَخَلْتُ وَاتَّخَلْتُ .
فالتَّخَلُّ : التَّصْفِيَّةُ ، لسان العرب : (نخل) ٢٦٤/٤ .

وقد يكون غير الخوف من المشاعر هو ما يلقي على النص القبول ؛ مثل
الملل عند (طهمان بن عمرو الكلابي) ؛ لأنه كان يسكن (العارض) جبل
اليمامة بعد أن قتل رجلاً ، فقال^(١) : [الطويل] .

مَنْ مُلِّغٌ عِنْدَ الْعَزِيزِ وَمُحْفِنَا وَذِيَّانَ أَلِيٍّ قَدْ مَلَلْتُ نَوَانِيَا
مَلَلْتُ نَوَاءً بِالْيَمَامَةِ لَا أَرَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْعَيْدَ يَحْدُو السَّوَانِيَا
وَأَشْرَبُ لَيْلًا ثُمَّ أَصْبِحُ طَاوِيَا تُظَلُّ عَنَاقُ الطَّيْرِ حَوْلِي حَوَانِيَا

مبررات القبول عند المتلقي :

هناك مبررات يمكن أن تؤثر على المتلقي ، يعتمد المنتج تضمينها ؛ ليكون
النص بها أكثر قبولاً عند إحداث عملية الاتصال ، ومن هذه المبررات ما هو
عناصر غير لغوية ، قد تكون اعتقادية ، أو عقلية ، أو عاطفية ، أو مبررات
حالية ، ومنها ما تكون لغوية تذكر في النص تكون مبرراً لقبول المتلقي .

المبررات غير اللغوية

١ - الاعتقادية :

وهي أخبار تذكر في النص تكون من المقبولات التي « هي قضايا تؤخذ
ممن يعتقد فيه إما لأمر سماوي من المعجزات ، والكرامات كالأنبياء والأولياء ،
وإما لاختصاصه بمزيد عقل ودين كأهل العلم والزهد »^(٢) .

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٥١-١٥٢ . وتوهم المحقق في تخريج
البحر على أنه الكامل ، وتبعه على هذا الوهم محمد نبيل طريفي في ديوان
المصوص : ٣٦٥/١ ؛ لأن البيت الأول دخله الخرم ، وهو حذف الحرف الأول من
الوئد المجموع فـ (فعولن) تصير عولن . والسواني جمع السانية : الناقة يُسقى عليها
للأرضين . يُنظر : العين : (سنو) ٢٨٦/٢ . وطوى فلان نهاره جائعاً يطوي طوى فهو
طاو . العين : (طوى) ٦٩/٣ . حَنَا الشيء حَنَوًا وَحَنِيًا وَحَنَاءً : عَطَفَهُ . وَانْحَنَى الشيءُ :
انْعَطَفَ . وَانْحَنَى الْعُودُ وَتَحَنَّى : انْعَطَفَ . يُنظر : لسان العرب : (حنا) ٢٠٢/١٤ .

(٢) التعريفات ، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق
محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت : ١٩٠ .

وفي مقدمة هذه النصوص شرفاً وكرامة القرآن الكريم ، فاعتقد أهل السنة والجماعة أنه « كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود »^(١).

وهذا الاعتقاد يوجب القبول بكل ما ورد فيه إجمالاً وتفصيلاً من أخبار الجنة والنار والبرزخ ، وذكر الأمم السالفة وأخبار أنبياء الله ومعجزاتهم .

واستعمل الشعراء الصعاليك المبررات الاعتقادية في شعرهم ، منهم (طهمان بن عمرو الكلبي) ، وهو يستعطف (عبد الملك بن مروان) للعفو عنه في حكم قطع يده فيقول^(٢) : [الطويل]

وَأَنْتَ مَسْنُونٌ بِحُكْمِكَ فِي يَدِي عَلَى حَالَةٍ مِنْ رَبَّنَا سَتَكُونُهَا

يرى أنه مظلوم بحكم قطع يده ؛ فجاء بمبرر اعتقادي وهو (حساب يوم القيامة) ، وقد أسهم ذكر هذا الاعتقاد في استمالة قلب الخليفة ، ثم قبول هذا النص بدليل العفو عنه ؛ لما تضمنه من مبرر اعتقادي .

وقد استعمل (أبو النشاش النهملي) هذا المبرر أيضاً في موقف وقع له ، فقال :^(٣) [البسيط] .

فَأَلُّوا لِصَاحِبِهِمْ هَهَاتَ تَلَحُّقُهُ فَأَرْجِعْ بِنَا وَدَعْ الْأَغْرَابَ فِي النَّارِ
إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دَوْلَهُ أَمَدٌ فَاطُورِ الصَّحِيفَةِ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ

هذا حوار ينقله الشاعر جرى على لسان قوم يتبعون آثاره بعد ما سرقهم ، وكان قد سمع لمقالة وقعت بينهم ، فوقع في نفسه قبولها ودليل هذا القبول نقله لها في شعره ، وقد جاء هذا القبول على الرغم من سوء ظرف الشاعر فهو

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم ، ومساعدته ابنه محمد ، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ، بالمملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ٣٧/١٢ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلبي : ١٣٠ .

(٣) ديوان اللصوص ٢٨٩/٢

مطارد لا يعمل بالظن والحدس . ومع هذا يقع منه القبول ؛ لما تضمنه كلامهم من مبررات اعتقادية أقنعت الشاعر بالقبول ، فعنصر اليأس لديهم (هيهات تلحقه) مبرره (دع الأعراب في النار) فهم يرونه من أهل النار ، فعقوبته إن لم تكن على أيديهم عاجلة فهي لا محالة آجلة له يوم القيامة ؛ لذا أشفعوا كلامهم بتأكيد هذا المبرر بـ (إن القضاء سيأتي دونه أمد) فحسابه لا ينقصه إلا الوقت .

٢- العقلية :

هناك مبررات منطقية يضمنها المنتج في النص ، مما يلزم المتلقي قبولها عقلا ، وتسمى (الأدلة العقلية) وهي الأدلة التي تدل بنفسها على الشيء^(١) . وقد تجمع الدلالة العقلية بالدلالة الشرعية كما في القرآن الكريم يقول ابن تيمية : « دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية فهي شرعية ؛ لأنَّ الشرع دلَّ عليها وأرشد إليها وعقلية ؛ لأنها تعلم صحتها بالعقل ولا يقال أنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر »^(٢) .

قال تعالى : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾
(المؤمنون: ٩١) .

فالعقل يحكم لو كان هناك إله مع الله « لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ، ولرايتم ملك كل واحد منهم مميزا عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما ترون من حال ملوك الدنيا ممالكهم متمأيزة وهم متغالبون »^(٣) .

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية : ٤١٣/٢٠ - ٤١٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٧١/٦ .

(٣) الكشف : ٢٤٦/٤ .

وقد تنفرد دلالة العقل في غير القرآن والسنة كالشعر وغيره ، فنكون عقلية لا شرعية . ويظهر هذا المبرر بوضوح في غرض الحكمة من الشعر ، مما يزيد في قبوله لدى المتلقين . ومنه قول جحدر العكلي^(١) : [الطويل] .

إِذَا شِئْتُ تَذَرِي مَا نَفْسُ قَبِيلَةٍ وَأَخْطَارُهَا فَالْظُّرُ إِلَى مَنْ يَرُوسُهَا
المبرر العقلي في هذا البيت هو أن الناس على دين ملوكهم فالرئيس يمثل قومه ورعيته . وقوله : [الطويل]^(٢) .

إِذَا انْقَطَعَتْ نَفْسُ الْفَتَى وَأَجْتَهَ مِنْ الْأَرْضِ رَمْسٌ ذُو ثَرَابٍ وَجَنَدِلٍ
رَأَى أَلَمًا الدُّنْيَا غَرُورٌ وَأَلَمًا ثَوَابُ الْفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ
من المنطق أن يرى الإنسان غرور الدنيا عندما يدركه الموت ويساق إلى قبر ، فهي دلالة شرعية العقل يقررها .

وما جاء من غير الحكمة ، قول طهمان بن عمرو الكلابي^(٣) : [الطويل]
سَقَى حَيْثُ حَلَّ الْحَارِثَاتُ مِنْ حِمَى زُحُولٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ أَمْطَرًا
إن التجربة والممارسة الحياتية أضافت معارف للعقل ، فالمطر ينزل غالباً بعد هبوب الرياح ؛ لذا أصبح تضمين النص هذه القضية (نزول المطر عند هبوب الرياح) يعد مبرراً عقلياً يسهم في قبوله .

٣- العاطفية :

لا شك في أن العوامل النفسية ، العاطفية منها على وجه الخصوص تؤثر على مدى قبول المتلقي لنص ما ، وهذا المبرر قد ينصب على المنتج نفسه أو على النص ، فلو أن متلقياً تربطه علاقة حب بالمنتج ستدفع هذه العاطفة

(١) شعراء أمويون : ١٧٧/١ . يُقَالُ : إِنَّهُ لِرَفِيعِ الْخَطَرِ وَلَكَيْمِهِ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِعَظِيمِ الْخَطَرِ وَصَغِيرِ الْخَطَرِ فِي حَسَنِ فِعَالِهِ وَشَرِّقِهِ وَسَوْءِ فِعَالِهِ وَلَوْمِهِ . وَخَطَرُ الرَّجُلِ : قَدْرُهُ وَمَنْزِلَتُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : (خطر) ٢٥١/٤ .

(٢) شعراء أمويون : ١٨١/١ .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٢٠ .

نحو قبوله للنص الصادر عنه وكذا الحال مع غرض النص (مدح، هجاء، غزل، رثاء... إلخ) بحسب ميول المتلقي .

وقد أظهر القرآن الكريم مدى تأثير العاطفة في قبول النص حتى إن كانت في مقام اللوم والذم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (يوسف: ٣٠) .

هذا النص تضمن كلام نسوة المدينة في ذم امرأة العزيز ، فكانت العادة في مثل هذه التهمة أن تُنفى وتُنكر ، فقد أنكرت امرأة العزيز مكرها من قبل ، في ما جاء على لسانها : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ (يوسف: ٢٥) .

ولكن العاطفة تجاه يوسف (عليه السلام) في هذا الموقف لم توقفها إلا في نشوة الاعتراف فبعد أن قامت يعرضه عليهن فحصل الإكبار له والإجلال قالت : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْسَحَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢) .

فهي التي تلقت هذا النص وجاء مقبولا لديها حتى ولو في ذمها ولومها لمبرر تراه هو العاطفة (العشق) ليوسف (عليه السلام) .

وقد جاء مثل هذا المبرر فيما يقول : الخطيم المحرزي ^(١) : [الطويل] .
وَمَا لَأَمْنِي فِي حُبِّ غَزَّةٍ لَأَنَّمْ مِنْ النَّاسِ إِلَّا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْعِدَا
وَلَا قَالَ لِي أَحْسَنْتَ إِلَّا مَدَحْتُهُ بِمَا قَالَ ثُمَّ اتَّخَذْتُ لَهُ يَدَا
فَلَوْ كُنْتُ مَشْعُوفًا بِغَزَّةٍ مِثْلَ مَا شَغَفَتْ بِهَا مَا لُمْتَنِي يَا ابْنَ أَرْبَدَا
فالشاعر هنا يحكمه مبرر العاطفة فهو يرفض قول كل لائم له في حبه بل يعاديه ، وفي المقابل يمدح من يذكر حبه لعزة بأنه قد أحسن فيه فهو ممدوح عنده بل يرى أنه فعل معه بذلك جميلا ومعروفا لا ينساه .

(١) ديوان اللصوص : ٢٣٧/١ . وشغفه الهوى إذا بلغ منه ، وقُلَانٌ مشعُوفٌ بفلانة . لسان العرب : (شغف) ١٧٧/٩ - ١٧٨ .

وبما أن الكلام عن مبرر العاطفة ؛ لقبول النص ، تجدر الإشارة إلى السياق العاطفي الذي « يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً »^(١) . وقد جاء به (طهمان بن عمرو الكلابي) إذ يقول^(٢) :

[الطويل] .

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْحَارِثِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ مُسَجِّئِي فِي الثَّيَابِ أَسْوَقُ
خُوطِي وَأَكْفَانِي لَدَيَّ مُعَدَّةً وَلِلنَّفْسِ مِنْ قُرْبِ الْوَفَاةِ شَهيقُ
إِذَنْ لَحَسِبْتُ الْمَوْتَ يَتْرُكُنِي لَهَا وَيَفْرُجُ عَنِّي غَمَّهُ فَأَفِيقُ

وهذا الانفعال متفاوت حسب نوع العاطفة ، فعاطفة العاشق تختلف من عاطفة الوالد تجاه أبنائه ، أو العاطفة بين الأصحاب والأقارب ، وهذا هو ما اقتضى القوة أو الضعف بمظاهر التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال سابقة الذكر فبالتالي الغرض الشعري المتضمن للعاطفة يتفاوت بتفاوت هذه العاطفة فالنص الشعري في الغزل يمتاز عن النص في رثاء أو النص في ذكر الأبناء ، وهذا يتطلب من المتلقي معرفةً بسياق العاصفة أما قبول النص من خلال هذا المبرر متوقف على ميول المتلقي العاطفية ، مع ملاحظة أن العاطفة غالباً ما تكون مقبولة من قبل المتلقين بكل أنواعها ولو بنسب متفاوتة .

وخير ما يمثل العاطفة الغزل ، ولعل قصيدة المرّار الفقعسي^(٣) كفيّلة بالإيضاح وهي : [الطويل] .

-
- (١) علم الدلالة : الدكتور أحمد مختار عمر : ٧٠ .
(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠١ . سوق : سقته سوقاً ، ورأيته يسوق سياقاً أي ينزع نزاعاً يعني الموت . العين : (سوق) ٢٩٤/٢ .
(٣) شعراء أمويون : ٤٣٨-٤٣٩ . وداء من نواحي البحرين يقال له جوف داراء ، معجم البلدان : ٤١٨/٢ . والرمل أكثر من موضع منها مدينة عظيمة في فلسطين . ينظر : معجم البلدان : ٦٩/٣ . وتيماء بالفتح والمد : في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القري ، على طريق حاج الشام ودمشق ، معجم البلدان : ٦٧/٢ . وعلوي الرياح : العلوي : نسبة إلى عالية نجد ينظر : معجم البلدان : ١٤٧/٤ . والحمى بكسر الحاء المهملة والقصر : جبل يسمى : أسود الحمى . معجم البلدان : ١٩٢/١ .

لَعَنَرُكَ مَا مِعَادُ غَنِيكَ وَالْبَكَاءُ
أَعَاشِرُ فِي دَارَاءَ مَنْ لَا أَحِبُّهُ
إِذَا رَاحَ رَكِبُ مُصْعِدِينَ فَقَلْبُهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي
وَأَلِي بِتَهَابِ الرِّيحِ مُوَكَّلُ
وَأَنْ هَبْ غُلُوبِي الرِّيحَ وَجَدْتَنِي
وَأَنْ الْكَيْبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّلَا إِذَا أَلَتْ لَمْ تَزُرْ
وَكَاثَتْ رِيَا حُ الشَّامِ تُكْرَهُ مَرَّةً
هَنِيئًا لَخُوطٍ مِنْ بِشَامِ يُرْفَهُ
بِمَا قَدْ تَسْقَى مِنْ مُلَافٍ وَضَمَّةٍ
إِذَا تُرِكَتْ وَخَشِيَّةُ التَّجْدِ لَمْ يَكُنْ

بِدَارَاءَ إِلَّا أَنْ تَهَبْ جَنُوبُ
وَبِالرُّمْلِ مَهْجُورُ إِلَى حَيْبُ
مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُصْعِدِينَ جَنِيْبُ
بِتَيْمَاءَ تَيْمَاءَ الْيَهُودِ غَرِيبُ
طَرُوبُ إِذَا هَبَّتْ عَلَيَّ جَنُوبُ
كَأَنِّي لَغُلُوبِي الرِّيحِ نَسِيبُ
إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحْيِبُ
حَبِيْبًا وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَيْبُ
فَقَدْ جَعَلْتُ تِلْكَ الرِّيحَ طُيْبُ
إِلَى بَرْدِ شَهْدٍ بِهِنْ مَشُوبُ
بَنَانُ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ خَضِيبُ
لَعْنَيْكَ مِمَّا تَشْكُرَانِ طَيْبُ

القصيد من بحر الطويل الثالث ، فهي بضرب محذوف فيها إبطاء ان الأول
وقع بين البيت الأول والبيت الخامس في كلمة (جنوب) والآخر وقع في البيت
الثاني والبيت السابع في كلمة (حبيب) الإبطاء عيب من عيوب القافية^(١).

-- والخُوطُ : الغصن الناعم لستته . العين : (خوط) ٤٥٢/١ . والبشامُ : شجر طيب
الريح والطعم يستاك به لسان العرب : (شم) ٥٠/١٢ . وتَسْقَى الشيءُ : قَبِلَ السَّقْيَ .
لسان العرب : (سقى) ٣٩٣/١٤ .

(١) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق
القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وفصله وعلق على حواشيه : محمد محيي
الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨١ م :
١/١٦٩ ، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، يشمل على فنون الشعر الخمسة
عشر ، تأليف العلامة ، السيد أحمد الهاشمي ، شركة الفاتحين ، القاهرة - مصر ،
ط ١ ، ٢٠٠٧ م : ١٠٤ ، يكون بإعادة اللفظ بمعناه في قصيدة واحدة يفصل بينهما أقل
من سبعة أبيات ، وكلما تباعد كان أخف وكذلك إذا خرج من غرض إلى غرض .

ولهذا البحر خصوصية عند شعراء الغزل الأمويين كما ذكر الدكتور (عبد الله الطيب) فعنده : « مما يدل على سعة الطويل أنه تقبل من الشعر ضروباً عديدة كاد ينفرد بها عن البسيط مثال ذلك أن الشعراء الغزليين على عهد بني أمية أكثروا من النظم فيه على أنهم أقلوا جداً من البسيط »^(١).

يبدأ الشاعر قصيدته بقسم (لعمرك) ، وهذا يوحى بصدقه لتوكيده الكلام ثم هو يقسم على أمر معهود هو بكاء الحبيب في دار الغربة ، فقد ركز المَرَّار في هذه القصيدة على أن العاطفة أشد ما تكون وهو غريب ، ولا سيما أنه يعاشر من لا يحبهم في دار غربته (داراء) ، ثم يجعل داعي البكاء قدوم الرسول من الحبيب (جنوب) فقولته (إلا أن تهب جنوب) « لا يمتنع أن يكون المراد ما ميعاد عينك مع البكاء بهذا المكان إلا إذا هبت الجنوب . وإنما قال ذلك ؛ لأنها تهدي إليه أريحتها أو يعتقد أنها رسولها فتجدد ذكرها وتطري الوجد بها فيبكي شوقاً إليها »^(٢).

ثم يمهد المَرَّار لبث شكواه ويرفع صوته بالحنين ، بذكر القوم المصعدين أن القلب المعنى مع هؤلاء الذي بدءوا سفرهم وشدوا على رحالهم ، فصرح بشكواه (إلى الله أشكو) وأنه طروب فرح إذ ما هبت عليه الجنوب ، ثم هو لا ينفك يذكر الريح وكأنني بها الرسول الأمين لسره فلا يَفْشَى ، مما جعله يُصَيِّر من (علوي الريح) قريباً ونسيباً ، ثم هو يعشق منازل الحي وإن لم يأتها وكل هذا متعلق بالعاطفة وهي (الحب) لذا أراه لا يكتفي بذكر الريح التي تأتيه منها ولا مواطنها بل هو يجزع من هذا كله ؛ ليخبر أن الدنيا لا خير فيها إذا لم يكن فيها زيارة حبيب .

ويبدو أن المَرَّار كان ذا عاطفة متوازنة إذ إنه لم يرض بزيارة الحبيب بل راعى أن يكون الحبيب طرباً بهذه الزيارة وفرحاً بمحبوبة .

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٣٦٢/١ .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي : ١٣٣٢/٢ .

والمَرَّار مع هذا التوازن يبقى للعاطفة نصيبها في حكمه على الأشياء حباً وكرهاً ، فالحب يجعل من الرياح المكروة عنده (رياح الشام) رياح محبوبة وطيبة .

ثم هو يقترب أكثر من الغزل الحسي ليحسد الغصن الناعم ؛ إذ إن المحبوب يمسكه ويحركه على أسنانه ليرتوي من ماء فمه ، وقد أحسن وأجاد في هذه الصورة من التشبيه إذا لم يكتف بتشبيه أسنانها بالبرد فذكر الماء الذي يزيد أثر تحرير الغصن في الفم ، ثم هذا الغصن اللين يرتوي من هذا الماء .

ويلاحظ أنه أجرى الصور المؤثرة بالتتابع فبدأ بأكثر الصور إثارة للوجد والشوق وهي صادرة من حبيب ، وهي صورة تحريك الغصن في الفم فكم يا ترى لها من أثر على العاشق ، ثم هو خبير بهذه الأسنان التي هي برد قد اختلطت بالعلس ، ثم يأتي إلى أن هذا الغصن قد (تَسَقَّى) ، والفعل مضعف أي استقى واستقى واستقى حتى ارتوى ، ثم ينتقل إلى صورة كثيرة الورود وهي أنها تمسك الغصن بأصابع كأنها الحرير الأبيض وقد خضبت ، وجاء (بخضيب) فعيل صيغة مبالغة ، أكد من خلالها على وضوح الخضاب وظهوره ، وهو أكمل للزينة .

هذا النص قد شحنه الشاعر بالعاطفة ، وهياًه لقبول المتلقي في زمنه وبعد زمنه فهذا الشوق والوجد على المحبوب الذي جعل من غير العاقل رسولاً له وأحب الأشياء المكروة من أجله وزاد حبه التي يحبها بسبه وحسد وغار من غصن لا يحسد ولا يغار منه ، وحكم على الدنيا بغير حبيب يزار فيفرح ، أنها دنيا لا خير فيها ، مثل هذا النص جدير بالقبول .

٤ - الحالية :

إن السياق الذي يرد به النص له أهمية كبيرة وأثر ظاهر على قبول المتلقي له ، فحال المنتج تترك أثرها على المتلقي ؛ ليقبل النص أو يرفضه . فالسياق الحالي أو السياق غير اللغوي أو السياق الخارجي هو الذي «تفاعل فيه

مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف»^(١) ويتضمن «الظروف المحيطة بالحدث الكلامي ، سياق الموقف ، العصر ، نوع القول وجنسه ، اللغة أو اللهجة المستعملة ، المتكلم أو الكاتب ، المستمع أو القارئ ، العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة ، الجنس ، العمر»^(٢).

ومن الأدلة على أثر حال منتج النص على قبوله أو رفضه عند المتلقي قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّ أَلَمَلًا يُاتِمُّونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٠) .

فحال الرجل الناصح لسيدنا موسى (عليه السلام) قد أسهم مع القرائن الأخرى في قبول سيدنا موسى (عليه السلام) لهذا النص ، فلا شك أن موسى قد ساوره ما يساور أي قاتل ولو خطأ منه (عليه السلام) ولا سيما بعد ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (القصص: ١٩) ، إن خبر قتل موسى (عليه السلام) ظهر وسيعلم الناس ، فلا شك من الخوف والترقب ، وعلى الرغم من هذا يظهر حال الرجل «رجل» نكرة غير معروف لسيدنا موسى (عليه السلام) وأنه جاء من أقصى المدينة فهو قد تحمل بعد المسافة فالأقصى الأبعد^(٣) كما أنه لم يأت ماشياً ، وإنما جاء يسعى والسعي هو العدو ليس بشديد^(٤) ، لينتج من حال هذا الرجل بالإضافة إلى تأكيده لموسى أنه من الناصحين قبول لنصه وكلامه وأمانة هذا القبول هو الامتثال من سيدنا موسى يقول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (القصص: ٢١).

(١) النص والخطاب والإجراء : ٩١ .

(٢) الدلالة السياقية عند اللغويين ، د . عواطف كنوش المصطفى ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط ١/ ، ٢٠٠٧ م : ٧٦ .

(٣) ينظر : لسان العرب : (قصا) ، ١٣٨/١٥ .

(٤) ينظر : العين : (سعى) ٢٤٩/٢ ، البحر المحيط : ١٠٦/٧ .

وربما أن القبول من سيدنا موسى لهذا النص بلغ أبعد حد له بدلالة فاء العطف التي تجانب التراخي ، والوصف (خائف يترقب) فيهما يقين من أنه ملاحق .

ويمكن في هذا المقام الاستشهاد بقصيدة (طهمان بن عمرو الكلابي) التي استجار فيها بالخليفة حتى لا تقطع يده ، وقد أبرز فيها مبررات حالية كانت مع عوامل أخرى سبباً في قبول النص . وهي قوله : ^(١) [الطويل] .

يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعِيْذُهَا	بِحَقْوَيْكَ أَنْ تُلْقَى بِمُلْقَى يُهَيِّئُهَا
فَقَدْ كَانَتْ الْحَسَنَاءُ لَوْ لَمْ شِيرُهَا	وَلَا تُعْدِمُ الْحَسَنَاءُ عَابَا يُشِيْرُهَا
وَالْكَ مَسْئُولٌ بِحُكْمِكَ فِي يَدِي	عَلَى حَالَةٍ مِنْ رَبَّنَا سَتَكُونُهَا
تَشْدُ حَبَالَ الرَّحْلِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ	إِلَى شِمَالٍ لَا يَمِينُ تُعَيِّنُهَا
دَعَتْ لِيْنِي مَرْوَانَ بِالْخَصْرِ وَالْهَدَى	شِمَالُ كَرِيمٍ ذَائِلَتُهَا يَمِيْنُهَا
وَأَنْ شِمَالاً ذَائِلَتُهَا يَمِيْنُهَا	لَبَاقٍ عَلَيْهَا فِي الْحَرَاةِ حَنِيْنُهَا
وَقَدْ جَمَعْتَنِي وَأَبْنَ مَرْوَانَ حُرَّةً	كَلَابِيَّةً فَرَعٌ كِرَامٌ غُصُونُهَا
وَلَوْ قَدْ أَتَى الْأَنْبَاءُ قَوْمِي لَقُلِّصَتْ	إِلَيْكَ الْمَطَايَا وَهِيَ خُوصٌ غُيُونُهَا
وَأَنْ بِخَجَرٍ وَالْخَضَارِمِ غُصْبَةٌ	حُرُورِيَّةٌ حَبَا غَالِيْكَ بُطُونُهَا

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٢٩-١٣٢ ، الحَقْوُ الْخَصْرُ وَمَشْدُ الْإِزَارِ ، وَعَدَتْ بِحَقْوِ فَلَانٍ إِذَا اسْتَجَرَتْ بِهِ وَاعْتَصَمَتْ . يُنْظَرُ : الصَّحَاحُ : (حقاً) ٢٣١٧/٦ ، لسان العرب : (حقاً) ، ١٨٩/١٤-١٩٠ . وَعَابَا : الْعَابُ وَالْعَيْبُ وَالْعَيْبَةُ : الْوَصْمَةُ . لسان العرب : (عيب) ٦٣٣/١ . وَالْخُوصُ : ضَيْقُ الْعَيْنِ وَغُثُورُهَا . الْعَيْنُ : (خوص) ٤٥١/١ . وَالْخَضَارِمُ : بَفْتَحُ أَوَّلِهِ ، وَكَسْرُ وَائِهِ : وَادٍ بِأَرْضِ الْيَمَامَةِ أَكْثَرُ أَهْلُهُ بَنُو عَجَلٍ ، وَهُمْ أَخْلَاطٌ مِنْ حَنِيْفَةٍ وَتَمِيمٍ ، وَيُقَالُ لَهُ جَرَّ الْخَضَارِمِ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ٣٧٦/٢ . وَالْحَبِيْنُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْبَطْنِ فَيُعْظَمُ مِنْهُ وَيَرِمُ ، وَقَدْ حَبِنَ ، بِالْكَسْرِ ، يَحْبِنُ حَبْنًا ، وَحَبِنَ حَبْنًا وَبِهِ حَبِيْنٌ . وَرَجُلٌ أَحْبَنَ وَحَبِنَ عَلَيْهِ : امْتَلَأَ جَوْفُهُ غَضَبًا . يُنْظَرُ : لسان العرب : (حبين) ١٠٤/١٣ .

إِذَا شَبَّ مِنْهُمْ نَاشِئٌ شَبَّ لَأَعْنَا لِمَرْوَانَ وَالْمَلْعُونَ مِنْهُمْ لَعْنُهَا

هذا نص في الاستعطاف وعلى الرغم من اختلاف الرواية في أن القصيدة قيلت لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، بعد أن قطعت يده أو قيلت للوليد ابن عبد الملك ، فإن النص كان له القبول من متلقيه ، فإن كان هو عبد الملك بن مروان ، فقد « جعل له أيمان مائة من بني حنيفة فمات قبل أن يصل إلى اليمامة »^(١) ، وهي أمانة على قبوله هذا النص وإن كان المتلقى الوليد ابن عبد الملك ، فتكون أمانة القبول أظهر إذ إنه عفا عنه وخلق سبيله^(٢) .

والذي جعل هذا النص مقبولا حال الشاعر الذي نقله لمتلقيه فهو يبدأ بالاستجارة بأمر المؤمنين ، وهي حالة من الضعف والشكوى لما أصابه والحالة الثانية حالة العجز ، فله شمال تشد الرحال لا يمين تعينها فهو عاجز ثم الحالة الثالثة ؛ وهي حالة الولاء والطاعة ، فهو يدعو بها لبني مروان بالنصر والهدى ، ثم يعود إلى حالة رابعة وهي الاستعطاف ، وقد استعار لنفسه يده ، يقول :

وإن شِمَالاً رَأَيْتُهَا يَمِينُهَا لَبَاقٍ عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ حَيَّتُهَا

ويكمل استعطافه للأمير أنه يجمعه وإياه قرابة من جهة لأم ، ثم إن هذه القرابة تظهر لو (يبلغ قومي نبأ يدي وخبر حالي) فإنهم سيأتون إليك شافعين من مواطنهم البعيدة « لقلصت إليك المطايا وهي خوص عيونها » لا ينسى الشاعر نصيب قومه من الحفيظة ؛ فيصف قومه إنه لو أصيب بحكم من الأمير لحقد القوم عليه حتى امتلأت بطونهم داء عليه .

وإن بِحَجَرٍ وَالْحِطَارِمِ غُصْبَةً حَرُورِيَّةً حَبَّتَا عَلَيْكَ بُطُونُهَا

ومع هذا يري أن من يلعن منهم بني مروان فهو الملعون .

(١) يُنْقَرُ : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٣٢ .

(٢) يُنْقَرُ : المصدر نفسه : ١٣٢-١٣٣ .

المبررات اللغوية :

إن المبررات هنا تظهر في الجانب اللغوي ، ولا يمكن فصلها بحال عن سياقها الذي تأتي به غير أن لها الأثر الظاهر في قبول النص ، وقد وقفت على بعض منها غير زاعم أنني أحصيتها في العربية أو وقفت على كل أنماطها . فقد اكتفيت بثلاثة مبررات منها :

أولاً : التكرار :

لتكرار الكلام تأثير على المتلقي يعكس المنتج فيه صدقه لينال القبول ، فهو به ينفي الكذب عن نفسه ؛ ففوائد التكرار في النص عديدة « منها التقرير ، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول »^(١).

ويكون التكرار في العربية بإعادة أعيان الألفاظ كما في التوكيد اللفظي الذي هو تكرار لفظ الحرف أو الفعل أو الاسم^(٢) . ولعل قصيدة (مالك بن الريب) في رثاء نفسه خير مثال على التكرار في شعر الصعاليك ، وهي قصيدة من عيون الشعر العربي بلغت اثنين وستين بيتاً^(٣) ، وهي يائية من بحر الطويل والتكرار فيها في ثلاثة أساليب^(٤) هي (التمني ، وأسلوب المحب لله در) وأمر الأصحاب (بفعل الأمر).

ومنها أيضاً تكرار التحسر على الماضي بقوله (وقد كنت) في الأبيات (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، وللدكتور (عبد الله الطيب) وقفة مهمة مع التكرار في

(١) الكلبيات : ٢٧٠ . وينظر : الإتيان : ٥٥٣ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ٣٩/٣ .

(٣) ينظر : ديوان اللصوص : ١٧٧/٢ - ١٨٥ ، شعراء أمويون : ٤١/١ - ٤٨ ، فيه ثمانية وخمسون بيتاً .

(٤) إن الصيغ اللغوية المتكررة في هذه القصيدة هي أكثر مما ذكرت هنا غير أن الذي ذكرته هو أبرز الصيغ وأظهرها مما أغاني عن التبع والاستقصاء لغيرها من صيغ كمثّل لا الناهية التي تكررت - ثلاث مرات في الأبيات (٢٦ ، ٢٩ ، ٣٦) .

القصيدة ، ذكر منها تكرار (خراسان) وتكرار (الدر) وغيرهما ، وما خصصته بالبحث تناولته من حيث لم يتطرق إليه الدكتور الطيب^(١) . وهي على نحو ما يأتي :

الأسلوب الأول : التمني

- التمني : (ليت شعري) في الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤٤ ، ٤٧) وفي البيت رقم (٤٩) عطف (هل أترك العيس) على ما في البيت رقم (٤٤) « فياليت شعري هل تغيرت الرحا » . كما أن التمني وقع في البيت رقم (٤) بالأداة (لو) من قوله :

لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغُضَى لَوْ دَنَا الْغُضَى مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغُضَى لَيْسَ ذَانِبًا

تعدد ما تكرر به التمني في هذه القصيدة هو سبعة مواضع ، ودلالة ذلك صدق هذا التمني ومكانة ما يتمناه في نفسه ؛ مما يجعل من النص على وفق هذا التكرار مقبولا بمستوى معين من جهة المتلقي ، دون إغفال العوامل الثقافية المؤثرة على هذا القبول ، ولا سيما أن الشاعر معه صحبة هم من تلقوا هذا النص وهم غالباً على دراية كافية بحال مالك بن الربيع في دياره ، مما تدعوهم إلى القبول مثل هذا النص ولو من جهة حقيقة ما يتمناه .

الأسلوب الثاني : أسلوب المدح (الله در) .

الدرُّ في الأصل اللبن ؛ وهي صيغة من صيغ المدح فلله دره أي عمله^(٢) ، تكررت هذه الصيغة في ثمانية مواضع من هذه القصيدة ؛ وهي في الأبيات المرقمة (١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨) . وفي البيت الثامن عشر ثلاثة مواضع .

وهذه المواضع كلها يمدح ما ترك خلفه في دياره ووجه الصيغة إلى غيره باستثناء الموضع الذي في البيت رقم (١٤) ، فالموضع الثاني هو : « دَرُ الظباء » ثم « دَرُ كبير » ، ثم دَرُ الرجال الشاهدين ، ثم « دَرُ الهوى » و« دَرُ حاجاتي »

(١) يُنظَر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٥٣٦-٥٤٥ .

(٢) يُنظَر : اللسان : (در) ٢٧٩-٢٨٠ ، الخزائن : ٤١٩/١ .

و«دُرُّ انتهائيا» وهذا التكرار في المدح وبهذه الصيغة يكون له نصيب من القبول في نص مثل نص (مالك بن الربيع) ، وذلك أن المدح يصدر من منتج (الشاعر) قد أيقن بالموت في طريق الغربة ؛ مما يستعدي هذا التذكر وخير ما يذكر مثله فضائل بيته وأهله ورفاقه وخير أيامه وخير أعماله . فعند مجيء مثل هذا التكرار ليس للمتلقي الذي له الحد الأدنى من معرفة ظروف الشاعر إلا القبول به وتسخيره لقبول النص الذي ورد فيه . كما يلاحظ أن الصيغة (لله دُرُّ) مناسبة لتكرارها ؛ لأنَّ الشاعر كان في حالة رجاء وهو ينازع مما استعدي أن يذكر ممدوحيه بتصدير (لله دُرُّ) أي لله عملك وعطاؤك في نسبة ما يمدحون به لله عز وجل فناسب ذلك رجاءه رحمة ربه .

الأسلوب الثالث : خطاب الأصحاب (صيغة الأمر) .

يخاطب صاحبيه ويأمرهما بصيغة الأمر ، وقد يلتفت عن المثنى إلى الجمع فيكون صرح بالجماعة مرة . وكنى عنهم بالتثنية مرات أخر ، وقد يخاطب الواحد من أصحابه ، وقد وردت صيغة الأمر في مخاطبة صاحبيه في هذه القصيدة ثمان مرات ، وهي في الأبيات المرقمة : (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٧) وقد أمر المخاطب مرتين في البيتين المرقمين (٥٣ ، ٥٤) بصيغة النداء لنكرة غير مقصودة (فيا صاحباً إما عرضت فبلغا) في الأول وفي الآخر فعل الأمر (عَرِّ) من قوله : (وعرِّ قلوصي في الركاب) .

وقد أورد الجمع (الأصحاب) في الأمر مرة واحدة بقوله في البيت (٢٤)^(١) .
أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ يَقْرُبُ عَيْنِي أَنْ سَهِّلَ بَدَأَ لِيَا

(١) ضبط الدكتور نوري حمودي القيسي (شعراء أمويون : ٤٤/١) وتبعه الدكتور محمد نبيل طريفي (ديوان اللصوص ١٨٠/٢) بالكسر في همزة (أن سهيل) وما أثبتته هو بالتوافق مع الدكتور عبد المعين الملوح في أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٢٠/١ ، وهو ضبط البغدادي في غزاة الأدب : ٢٠٤/٢ .

فقد كرر (مالك بن الريب) صيغة الأمر في مخاطبة أصحابه في قصيدته إحدى عشرة مرة ، وداعي هذا التكرار هو أن الذي يدركه الموت وتنزل به المنية يحتاج إلى أن يوصي ، ووصية المنازع عادة ما تكون من أو آخر كلامه وهذا يجلب الحرص من الموصي على الإلحاح والتأكيد على ما يريد ، والأمر وصيغته أولى من غيرها في هذا المقام ؛ لذا نرى الشاعر يكثر من تكرار هذه الصيغة ، والمخاطبون بهذه الأوامر هم أصحابه ، لا شك في قبولهم لها وقبول النص التي وردت فيه ، إذ إن عادة الأصحاب في مثل موقف الموت يكونون من أحلم الناس على المحتضر ، وأرغب الناس في تلبية أوامره وهذه الرغبة هي من قرائن القبول .

وبعد هذا العرض يتبين أن للتكرير أثره وسلطته على المتلقي حتى يصير سبباً لوصول النص إلى القبول وهو بغية المنتج ورغبته ، وهذا التكرار بطبيعة الحال تأكيد لما يريده المنتج للنص فـ « يكون لإزالة الشك ونفي الإنكار مع السامع ، كذلك يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول من السامع »^(١) .

ثانياً : التعليل :

يعرفه الكفوي بقوله « هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه : لكون رتبة العلة متقدمة على المعلول »^(٢) .

وقد ذكر السيوطي فائدة التعليل وهي « التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة وغيرها »^(٣) .

فالنص الذي تقوم قضاياه على تعليل من منتجه يسلك سبيل القبول إلى المتلقي ، وللتعليل أدواته ، وقد سبق الكلام عنها^(٤) .

(١) الكليات : ٢٦٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٤ .

(٣) الإتقان : ٥٦٩ .

(٤) ينظر : مبحث : الربط .

منها حروف العلة « اللام وإن وأن وإذ ، الباء وكي ومن ولعل »^(١) ، وغيرها .
ومن الأمثلة على مبرر التعليل في شعر الصعاليك قول طهمان بن عمرو
الكلابي^(٢) : [الطويل] .

يُزَيْنُ مَا أُعْطِيتُ مِنِّي سَمَاحَةً وَ وَجْهَةً إِلَى مَنْ يَقْتَرِبُهُ طَلِيقُ
تَرْوُكٍ لَطِيفَاتِ السَّفِينَةِ تَكْرُمًا وَذُو نَزَلٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ غُلُوقُ

فجاء بالمفعول لأجله (تكرماً) وبه علل تركه لأفعال السفينة ، وعدم
التعرض لها ؛ مما جعل مثل هذا النص مستدعياً لقبول المتلقي أكثر من لو أنه
أجرى الكلام من غير تعليل . ومنه أيضاً قول القتال الكلابي^(٣) : [الطويل] .

نَشَدْتُ زَيْادًا وَالْمَقَامَةَ يَتَنَّا وَذَكَرْتُه أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْثُمْ
وَلَمَّا دَعَانِي لَمْ أَجِبْهُ لِأَنِّي خَشِيتُ عَلَيْهِ وَقَعَةً مِنْ مُصَمَّم

يكون القبول في مثل هذا النص من خلال التعليل ؛ لأن الشاعر لو تركه
لكان من الممكن أن يحمل على غير مراده ، فقد يسري إلى ذهن أنه جبان
يهاب اللقاء ؛ لوجود (لم أجبه) ، ومن قبلها ينشد الخصم أن لا يلاقيه ويذكره
الرحم بينهما ، لكن التعليل جاء مبيناً لحال الشاعر ومراده (لأنني خشيت عليه
وقعة من مصمم) مما أسهم في رفع مقبولية النص .
ونحو هذا ما جاء في قول المزار الففغسي^(٤) : [الكامل] .

(١) الإتيان : ٥٦٩ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٨ . ورجلٌ ذُو نَزَلٍ : كثيرُ الفضل والعطاء
والبركة . لسان العرب : (نزل) ٦٥٩/١١ . والمُحَافَظَةُ والحِفَاطُ : الذَّبُّ عَنِ الْمَحَارِمِ
وَالْمَنْعُ لَهَا عِنْدَ الْحُرُوبِ . لسان العرب : (حفظ) ٤٤٢/٧ . والغُلُوقُ : احتد فلانٌ
فنشب في حدته فغلَّقَ أي : غَضِبَ . العين : (غلق) ٢٨٧/٣ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٨٩ . يقول الأعلام الشنتمري : «المقامة جماعة الحي يريد
موضعهم وديارهم فعبر بها عنهم وسعر وهيثم جداهما» شرح حماسة أبي تمام :
٣١٩/١ .

(٤) شعراء أمويون : ٤٧٠/٢ .

شَقِيَتْ بَنُو سَعْدٍ بِشِعْرِ مَسَاوِرٍ إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْتَنَقُ

كيف تشقى بنو سعد بشعر شاعر ، لكنه مبالغة في الهجاء نال به من الشاعر بما ناله من عشيرته ، والذي يجعل من هذا مقبولا ما جاء به من تعليل ، فد(إن) الشقي بكل حبل يخنق) فبنو سعد أشقياء عند المرار ؛ لأن شاعرا مثل مساور في ضعف شعره منهم .

ثالثا التقريب :

جاء التقريب في البلاغة العربية وسيلة لقبول الغلو وهو ما كان من المبالغة في غير التبليغ الذي يقع فيه « المدعى إن كان ممكنا عقلا وعادة »^(١) أو الإغراق الذي يقع « إن كان ممكنا عقلا لإعادة »^(٢) ، والغلو غير مقبول في عرف البلاغيين إلا إذا اقترن بما يُقربُه إلى الصحة أي : إمكانية الوقوع .

ولهذا التقريب أدواته اللغوية منها (كاد ، لو) يقول (الكفوي) : « كل من الإغراق والغلو لا يُعدُّ من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه من القبول مثل (كاد ، و(لو) وما يجري مجراهما من أنواع التقريب »^(٣).

١- كاد :

فعل ناسخ من أخوات كان يفيد المقاربة^(٤) ويكون خبره فعلا دون الاقتران بد(أن) وقد تدخل عليه وهو قليل^(٥) ، والمقاربة في (كاد) على سبيل الوجود

(١) التلخيص : ٣٧١ .

(٢) التلخيص : ٣٧١ .

(٣) الكلبيات : ١٥٢-١٥٣ ، الذي يعني البحث هنا ما قربت إحدى الأدوات اللغوية ؛ لأن من التقريب ما يكون من غير أداة مثل « ما تضمن نوعا حسنا من التخيل » ينظر : التلخيص : ٣٧٣ . كما أن التقريب هنا يراد به تقريب المعنى إلى الذهن ، وليس مجرد القرب الزمني الذي يقع من خلال بعض الأدوات مثل (قد) في « قد قامت الصلاة » ينظر : الجنى الداني : ٢٥٥ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل : ٢٨٩/١ ، شرح ابن النازم : ١١٠ .

(٥) ينظر : المقرب : ٩٨/١ .

والحصول ، « فإذا قلت كاد زيد يفعل ، فالمراد قرب وقوعه في الحال إلا أنه لم يقع بعد ؛ لأنك لا تقوله إلا لمن هو على حدّ الفعل كالداخل فيه لا زمان بينه وبين دخوله فيه »^(١).

وقد وردت في شعر جعفر بن علبة الحارثي إذ يقول :^(٢) [الطويل] .
عَجِبْتُ لِمُسْرَاهَا وَأَلْسَى تَخْلَصْتُ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ ذُوْنِي مُغْلَقُ
أَتَنَّا فَحَرِّتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

يعجب الشاعر كيف أن محبوبته تمكنت من زيارته في سجنه وباب السجن مغلق دونه ، بل يبالغ في خياله أنها أتته فحيتها فأوجز ، فقال : (ثم قامت فودعت) ، فأوحى أنه جالسها وجرى بينهما الكلام لزمن ؛ لأنه عطف بد(ثم) لتراخي الوقت بين مجيئها وقيامها ، ثم قال (قامت) وبه إشارة إلى أنها جلست عنده ، وهنا جاءت حسرته على فراقها بقوله (كادت النفس تزهب) ؛ أي : لتوليها عنه ، وهذه المبالغة منه لعظم حسرته على فراقها جاءت مقبولة بدخول (كاد) ؛ أي : قاربت نفسي تزهب ، ولو جرد كلامه من هذه المقاربة لجاء غير مقبول لغلوه في المبالغة .

٢- لو الامتناعية :

تكون حسب الجملتين بعدها ، فإن دخلت على جملتين مثبتتين كانت حرف امتناع لامتناع مثل : (لو قام زيد لأحسنت إليك) ، وإن دخلت على جملتين منفيتين تكون حرف وجوب لوجوب نحو : (لو لم يقم زيد لم يقم عمرو) ، وإن دخلت على جملتين الأولى مثبتة والثانية منفية ، كانت حرف امتناع لوجوب نحو : (لو يقوم زيد لما قام عمرو) ، وتكون حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملتين الأولى منفية والأخرى مثبتة ؛ مثل : (لو لم يقم زيد لقام عمرو)^(٣).

(١) شرح المفصل : ١١٩/٧ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٨٨/١ .

(٣) ينظر : رصف المباني : ٢٨٩ ، الجنى الثاني : ٢٧٧ .

وجواب (لو) يكون فعلاً ماضياً مثبتاً أو منفيّاً ويكون مضارعاً منفيّاً وتقترن اللام مع الماضي المثبت كثيراً^(١)، مثالها فيما يقول القتال الكلابي :^(٢)
[الطويل] .

أَعَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى غُصْنِ رَطْبٍ لِأَصْبَحَ ذَاوِيَا
هنا (لو) حرف امتناع لامتناع لدخولها على جملتين مثبتتين ، ووقع جوابها فعلاً ماضياً مقترنا باللام ؛ فالغصن الرطب لم يذو ؛ لأنّه لم يشك ما أصابه إليه .

والمبالغة واقعة إذا لو أنّه شكّا كل هموم الناس إلى غصن رطب لم يذو لها ولا تأثر بشكواه ، فمجمع الحرف الامتناعي (لو) جعل من هذه المبالغة مقبولة لدى متلقي هذا النص ؛ لما أفاده من تقريب .

٣- لولا : الامتناعية :

تكون حسب الجملتين بعدها، فإن كانتا مثبتتين فهي حرف امتناع لوجوب: مثل : (لولا زيد لأحسنت إليك) وإن كانتا منفيّتين ، فهي حرف وجوب لامتناع نحو : (لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك) وإن كانتا مثبتة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب ، مثل : (لولا زيد لم أحسن إليك) إن كانتا منفية ومثبتة فهي امتناع لامتناع مثل : (لولا عدم زيد لأحسنت إليك) .

وجوابها إن كان مثبتاً اقترن باللام وإن كان منفيّاً لم يقترن ، ويجوز حذفها مع الجواب المثبت واقتراثها مع الجواب المنفي ، وتعرب (لولا) حرف ابتداء عند دخولها على الاسم الظاهر أو ضمير رفع منفصل ، وتعرب حرف جر عند

(١) يُنْقَرُ : الجنى الداني : ٢٨٣ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٩٤ وفيه : لأصبح باليا وما أثبتته من الأغاني : ٨٩/٢٤ ، وديوان اللصوص : ١١٠/٢ .

دخولها على ضمير متصل ، ويكون خبر المبتدأ بعدها واجب الحذف^(١) ، ويمكن التمثيل لها بما ورد في قول الخطيم المحرزي^(٢) : [الطويل]
 فَلَوْلَا قُرَيْشٌ مَلِكُهَا مَا تَعَرَّضْتُ لِيَ الْجَنُّ بَلَّةَ الْإِنْسُ قَدْ عَلِمْتُ قُدْرِي^(٣)
 و(لولا) في البيت حرف وجوب لوجوب ؛ لدخولها على جملة مثبتة (قريش ملكها) ، وجملة منفية (ما تعرضت لي الجن) ، فلو جود ملك قريش وجد تعرض الجن .

وفي البيت مبالغة غالى فيها الشاعر فكان لدخول (لولا) كسر لهذا الغلو ؛ ليكون ضرباً من المبالغة المقبولة : فالنص قبل لولا هو : (وجد ملك قريش فتعرضت لي الجن) وهذه مبالغة لا تقبل بحال من إنسان لم يعصم ، وقد ثبت نصيب الجن من بني آدم بقواطع الأدلة من الكتاب العزيز^(٤) ، بوجود قريش وبعدم وجودها .

(١) يُنظَر : رصف المباني : ٢٦٢-٢٩٦ ، الجنى الداني : ٥٩٧-٦٠٤ .

(٢) منتهى الطلب : ٢٤٦/٣ ، وشعره أمويون : ٢٥٦/١ ، وفيه (سلكتها) .

(٣) وبه تكون اسم فعل بمعنى دع ، فتصب المفعول ، وهي مبنية ، نحو : به زيداً . وتكون مصدرأ بمعنى ترك ، النائب عن اترك ، فتستعمل مضافة ، نحو : به زيد . وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، وقد تكون بمعنى كيف ، فتقول : به زيد؟ بالرفع . وقيل : هي اسم فعل ، بمعنى : بقي وعدها الكوفيون والبغداديون من أدوات الامتناء ، وأجازوا النصب بعدها ، على الاستثناء ، نحو : أكرمت العبيد به الأحرار . وذهب جمهور البصريين إلى أنها لا يستثنى بها ، وأنه لا يجوز فيما بعدها إلا الخفض . وذهب بعض الكوفيين إلى أن به بمعنى غير . وذهب الأخفش إلى أن به حرف جر . يُنظَر : شرح الرضي : ٩٣/٣-٩٤ ، الجنى الداني : ٤٢٤-٤٢٦ ، مغني اللبيب : ٢٠٤/٢-٢٠٧ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْوٍ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: ١١٢) ، وقوله : ﴿ وَقَوْمٌ يَحْكُمُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَتَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَكِبُوا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمْرًا الَّذِي أُجِئْتَ لَنَا ﴾ (الأنعام: ١٢٨) .

ثم من ذا الذي عرف قدره الأنس ، ليكون شاعرنا الصعلوك بهذه المنزلة ،
غير أنه قرب ما أراده من مبالغة بإدخال (لولا) ليكون لقصده الزواج ولمواده
السداد .

٤ - التشبيه :

إن التشبيه الذي هو « الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى »^(١) . هذا
المعنى يكون ظاهراً في المشبه به مشتهر به^(٢) ، ومن هنا جاء التقريب
للمعنى المقصود في المشبه ليكون قريب من المشبه به من خلال وجه الشبه
بينهما .

وما ذكره القزويني في هذه المشاركة دون تحديد أحد أحرفه يدخل فيه
جميع أدوات التشبيه ؛ وهي : الكاف وكأن ومثل وشبه وشابه وما يرادفها من
ألفاظ^(٣) .

والغرض العائد إلى المشبه في التشبيه ، منه ما يمكن إدراجه تحت عموم
التقريب يقول (السكاكي) عنه : « إما أن يكون لتقوية شأنه عند السامع وزيادة
تقرير له عنده ، وإما أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه
أو الاستطراف وما شاكل ذلك »^(٤) .

فـ(كأن) الواردة في قول السمهري العكلي^(٥) : [الطويل]

كَأَنَّ وَمِئُضَ الْبَرْقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِذَا حَانَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ ابْتِسَامُهَا
شَبَّهَ الشَّاعِرُ بِهَا بَيَاضَ أَسْنَانٍ مَحْبُوبَتِهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا بِوَمِئُضِ الْبَرْقِ . وهو
مشابه له عنده في أكثر من وجه ، فوميض البرق غير مستمر بل منقطع وبه

(١) التلخيص : ٢٣٨ .

(٢) يُنظَرُ : مفتاح العلوم : ٤٥٣ ، التلخيص : ٢٦٤-٢٦٥ .

(٣) يُنظَرُ : التلخيص : ٢٦٢ .

(٤) مفتاح العلوم : ٤٤٨ .

(٥) شعراء أمويون : ١/١٤٧ .

وصف الشاعر (إذا حان من بين الحديث) ، فهي تبسم له أثناء كلامها وفيه تقطع وعدم تواصل كما البرق ، وكلمة (وميض) توحى بهذا المعنى وتدل عليه^(١)، وقد أراد من البرق بياضه ولمعانه ؛ ليكون وجهًا مُقَرَّبًا لبياض أسنانها^(٢) .

ووجه الشبه غير ملفوظ في هذا التشبه ، والمشبه هو (ابتسامها) والمشبه به (وميض البرق) ، وقد وقع التقريب في هذا التشبه بالأداة (كأن) ، إذ لا يقبل أن يكون التطابق تاما في وجه الشبه بين وميض البرق وتبسم محبوبته ، ولكن قبل هذا الغلو وهذه المبالغة باستعمال هذه الأداة على وجه المقاربة لا المطابقة .

تجدر الإشارة هنا إلى أن ما ذكرت في هذا المطلب من وسائل لغوية للتقريب يمكن أن يقاس عليها مباحث لغوية أخرى لم أشأ الإسهاب فيها ، فاقصرت على ما يبرز دورها لقبول النص الذي تضمنها ؛ فمنها ما يمكن إدراجه تحت أحد العناصر المذكورة أيضا كالقسم والحال المؤكدة والنعت المؤكد وعطف البيان وغيرها في مبحث التكرار ، و(أما) التفصيصة والاستدراك والتفسير تحت مبحث التعليل .

* * *

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ١٤٦/٦ ، اللسان : ٢٥٢/٧ .

(٢) يقول الزمخشري : «ومن المجاز أومضت المرأة ، تبسمت ، شبه لمع ثناياها بإيماض البرق» أساس البلاغة : (ومض) ٢٥٦/٢ . .

الفصل الثاني

المعيار التأسيسي لمحتوى النص (التناص)

المبحث الأول

التناص التعريف والأقسام

تعريف التناص :

تحدد (جوليا كريستيفا) النص « كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه »^(١) . فالنص عندها علاقته باللسان علاقة إعادة توزيع ، وهو « ترحال للنصوص وتداخل نصي ، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى »^(٢) . فهي بهذا تجعل التناص أحد مكروني النص .

وإن (جوليا) هي التي « ربطت مصطلح التناص بالطرق التي تحيل فيها النصوص إلى نصوص أخرى ، أو الطرق التي تبنى النصوص من نصوص أخرى »^(٣) . وذلك من خلال تقديمها إلى الغربيين عمل (ميخائيل باختين) عن تاريخ الرواية الذي ترجم من الروسية إلى الإنجليزية^(٤) ، وعلى الرغم من هذا جاء التناص عندها محدداً بالملفوظات ، فهي لم تحدد ما إذا كانت هذه الملفوظات متحدة الدلالة ، أو متغايرة الدلالة .

(١) علم النص : جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد زاهي ، مراجعة ، عبد الجليل ناظم ، دار تويقال للنشر ، المغرب - الدار البيضاء ، ط/١ ، ١٩٩٧م : ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١ .

(٣) التناص سيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره ، شربل داغر ، مجلة النقد الأدبي فصول مج ١٦ ، ع ١ ، القاهرة/ ١٩٩٧ : ١٢٧ .

(٤) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٧٤ .

وقد استعمله النصيون معياراً من معايير النصية فجاءت تعاريفهم له من جانب الوظيفة التي يقوم بها ، إذ « هو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أو بغير وساطة »^(١).

تقسيم (دي بوجراند) للتناص :

خصص (دي بوجراند) تقسيمه للتناص بحسب الوساطة الزمنية الواقعة بين النصين المتناصين . وبنى على هذه القسمة ، فالتناص بلا وساطة يمثل تكامل النصين ومثاله : الجواب عن المحادثة أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة ، أما التناص بالوساطة فيتكون عندما يبنى نقد أو جواب على نص قديم^(٢).

فالذي يجعل التناص بلا وساطة وسيلة فاعلة هو الكمال الانصالي ؛ أي : « وجود وعي متبادل بين المتحدثين في العادة مؤيداً بالحضور التخاطبي »^(٣) ، فأصبح من الطبيعي أن يتوافر معيار التناص في النصوص المنتجة في عملية اتصال فورية لاعتمادها الكبير عليه^(٤).

(فدي بوجراند) يفرق بين ما هو ملقوظ في النصوص وبين ما هو مكتوب في مدى الاستفادة من التناص في عملية الاتصال ؛ والذي يبدو أنه كان على وعي ناضج بمكانة التناص ، للانتفاع بالنصوص « فالتناص الذي لا يستغنى عنه عند إرادة الانتفاع بالنصوص يأتي نتيجة لعوامل اجتماعية ولغوية »^(٥).

فهو المعيار الذي يعتمد على سعة المخزون اللغوي والثقافي لدى المنتج ، ومع هذا لا يمكن الاكتفاء بمجرد توظيف النصوص السابقة في نص ما ، من

(١) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٤ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٤٩١ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٤٩١ .

(٥) المصدر نفسه : ٤١٢ .

دون مراعاة مستوى معرفة المتلقي إذ « موضوعه تلك العوامل التي تجعل استغلال أحد النصوص معتمداً على معرفة نص سابق أو أكثر من النصوص التي تعرّف عليها مستقبل النص في الماضي »^(١).

ومن هنا يكون الكلام عن أهمية هنا المعيار إذ هو حلقة وصل بين ثقافة طرفي الاتصال ، المنتج والمتلقي .

- التناص في الاتصال شبه المباشر

تجدر الإشارة هنا إلى أن من أنواع الاتصال الذي يمكن أن يطلق عليه شبه المباشر ، ويكون فيه معيار التناص بمستوى يقترب من الاتصال المباشر هو الاتصال الذي ينقل عن قائله بصيغة الحوار ، فهو مباشر بالنظر إلى وحدة زمن الوقوع وغير مباشر بالنظر إلى أنه اتصال منقول عن زمن ماضٍ ، كما يلاحظ أن الذاكرة تقوم بدور هام في عمليتي الإنتاج والتلقي غير أنها ليس بالضرورة أن تستدعي كل تجارب الحوار السابقة بتتابع ، بل تبرز بعض العناصر وتخفي أخرى تبعاً لقصد المنتج والمتلقي^(٢).

وهذا النمط شائع الورود في العربية ؛ فالقرآن الكريم والحديث الشريف والخطب والفنون الأدبية ، تتضمن نماذج صالحة للدراسة تحت هذا الفرع .

فالقرآن الكريم على سبيل المثال كثيراً ما ينقل الحوار بين الله (عز وجل شأنه) وبين الملائكة أو بينه سبحانه وبين الشيطان الرجيم ، وقد يكون بين الأنبياء وأقوامهم أفراداً أو جماعات ؛ ففي قصة البقرة التي جاءت في سبع آيات من سورة البقرة (٦٧-٧٣) تجلّى التناص في الحوار بين موسى (عليه السلام) وبين بني إسرائيل .

(١) مدخل إلى علم لغة النص : ٣٥ .

(٢) ينظر : تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص - الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط/٣ ، ١٩٩٢م : ١٢٤ .

أما شعر الصعاليك في العصر الأموي فإنه لا يختلف عن الشعر في غيره من العصور بنقله للحوار ومنه قول جحدر العكلي^(١) : [الوافر] .

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَكُنْتُ أَحْزُو بِبَعْضِ الطُّرِّ مَاذَا تُخْزُوَانِ
فَقَالَ الدَّارُ جَامِعَةً قَرِيبُ فَقُلْتُ بَلْ أَتَمَّا مُتَمَنِّيَانِ

يصدق على هذا الحوار التناص بلا رساطة كما هو عند (دي هوجراند) غير أنه غير مباشر عند مثليه في هذا الزمن ، ووقع التناص في «أحزو» وهي مقدرة في الكلام ، إذ الشاعر يستفهم من صاحبيه ، فقال أحدهما : «الدار جامعة قريب» أي : أحزو الدار جامعة قريب .

إشارات التناص في التراث العربي :

اهتم أدباء العرب بهذا المعيار وإن لم تتفق نظرتهم إليه وعلم النص اليوم ، فالتناص يدرس على أنه معيار للنص وينظر إليه من قبلهم نظرة تتسم بالإيجابية ، أما التراث العربي فقد تعددت وجهات العلماء في تناوله في تعدد المصطلحات وفي الحكم على من جاء به في إنتاجه الأدبي .

ولعل السرقات الأدبية خير مثال على موقف النقد العربي قديماً من معيار التناص «السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخذه»^(٢) ، يقول (القاضي الجرجاني) : «فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر أمور متفرقة في النفوس ، متصورة في العقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم ، والفصيح والأعجم ، والشعر والمفحم ، حكمت بأن

(١) شعراء أمويون : ١٨٤/١ ، ومثله : لجعفر بن عتبة : ديوان اللصوص : ١٩٣/١ ، ولحرث بن عتاب الطائي : ديوان اللصوص : ٢٢٠/١ ، وللخطيم المحرزي : شعراء أمويون : ٢٦٧/١ . التَّحْزِي : التَّكْهَنُ . حَزَا يَحْزُو ، وَحَزَى يَحْزِي وَيَتَحْزَى وَتَحْزَى تَكْهَنُ الْحَازِي يَقُولُ بَظَنٍ وَخَوْفٍ . يَنْظُرُ : الْعَيْنُ . (حزاً) ٣١٤/١ ، ولسان العرب : (حزاً) ١٤٧/١٤ .

(٢) العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٨٠-٢٨١ .

السُرقة عنها مُنتَفية ، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع ، وفصلت بين ما يشبه هذا وبيانيه ، وما يلحق به وما يتميز عنه ، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع ؛ فوجدت منه مستفيضاً متداولاً متناقلاً لا يعدّ في عصرنا مسروقاً ، ولا يُحسب مأخوذاً ، وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به ، وأوله للذي سبق إليه^(١).

الكلام ظاهر في التمييز بين المعاني المتداولة فهي من جهة الإبداع قسمان قسم متقرر في النفوس متصور في العقول مشترك بين كل فئات المنتجين وقسم آخر صح فيه الاختراع ثم انتقل إلى التداول والاشتراك ، مع مراعاة حقّ صاحب أصل الإبداع ، وهذان القسمان لم يحكم عليهما النقاد القدامى بحد السُرقة ، يقول (ابن رشيق) : « إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعمله في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره »^(٢).

ثم يذكر نوعاً آخر من الأخذ يكون الشاعر الأخذ محسناً فيه لا يعيبه ما يعيب السارق ، وهو أن يأتي على معنى فيزيد فيه زيادة حسنة أو يختصره إن كان مطولاً « فمتى جاءت السُرقة هذا المجيء لم تعد مع المعائب ولم تُحص في جملة المثالب وكان صاحبها بالتفضيل أحق وبالمدح والتزكية أولى »^(٣).

والعيب الذي في السُرقة عند (القاضي) في نقل المعنى بكثير من الألفاظ فقال : « وعلى من يأخذ قول أبي العطاء : [الكامل]

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرحاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ط ١/٢٠٠٦ م : ١٦١ .

(٢) العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٨١/٢ .

(٣) الوساطة بين المتبني وخصومه : ١٦٥ .

جَلَّتْ رِزْقُهُ فَعَمَّ مُصَابُهَا فَاَلْنَّاسُ فِيهِ كَلَّهْمَ مَا جُور
فيقول^(١) : [الكامل]

وَلَقَدْ أَصَابَ غَلِيلُهَا مَنْ لَمْ يُصَبْ وَتَصَيَّرَتْ فَقْدًا لِمَنْ لَمْ يَفْقِدْ
وبين الكلامين في صحّة النظم وعذوبة المنطق ما تراه . ثم كرر المعنى في
المصرعين ، ولم يزد على قول أبي العطاء : فَنَمَّ مُصَابُهُ ، وَبَقِيَةِ الْبَيْتِ
فضل^(٢) .

وقد أرشد (ابن الأثير) (ت ٦٣٧ هـ) إلى الفائدة من معرفة مبحث السرقة
فقال : « واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ
المعاني إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول لكن لا ينبغي لك أن
تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتتادي على نفسك بالسرقة ،
فكثيراً ما رأينا من عجل في ذلك فعثر وتعاطى فيه البديهة فعقر والأصل
المعتمد عليه في هذا الباب التورية »^(٣)

ولعل من الأولى التنبيه على أن هذه النظرة إلى بعض أنواع التناص ، كانت
صادرة من قبل النقاد ، وإلا فقد تضمنت كتب الأدب آراء تختلف ، فيروي عن
(هشام بن محمد الخزاعي) قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أخبرني
طماح ابن أخي الرماح بن ميادة قال : قال لي عمي الرماح : ما علمت أنني
شاعر حتى واطأت الحطينة^(٤) فإنه قال : [الطويل]

(١) الغليل : « الغُلُّ والغُلَّة والغَلْل والغَلِيل ، كله : شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَتُهُ ، قَلٌّ أَوْ كَثَرٌ » .
لسان العرب : (غلل) ٤٩٩/١١ .

(٢) الوساطة بين المتبني وخصومه : ١٦٧ .

(٣) المثل السائر : ٢١٨/٣ .

(٤) ديوان الحطينة : ٥٦ . الظليم : الذَكَرُ مِنَ النِّعَامِ ، وَالْجَمْعُ أَظْلَمَةٌ وَظُلُمَانٌ وَظُلُمَانٌ ،
لسان العرب : (ظلم) ٣٧٩/١ . والجوذر والجوذر : وكذا البقرة ، والجمع جاذر .
لسان العرب : (جذر) ١٢٤/٤ .

عَقَا مُسَخَّلَانُ مِنْ سُلَيْمَى فَحَامِرُهُ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ

فوالله ما سمعته ولا رويته فواطأته بطبعي فقلت^(١) : [الطويل]

فَذُرُ الْعُشِّ وَالْمَمْدُودِ أَصْبَحَ خَاوِيَا تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ

فلما أنشدتها قيل لي : قد قال الحطيط : تمشى به ظلمانه وجاذره ، فعلمت أنني شاعر حينئذ^(٢) .

فالرماع كان الأصمعي يختم به الشعر^(٣) ، وهو لا يرى نفسه شاعراً حتى واطأ شاعراً تقدم عليه .

جهود الباحثين العرب في التناص

إن للباحثين العرب جهوداً في توظيف هذا المعيار ووضعه في إطاره العربي .

رأي الدكتور (صلاح فضل)

يقسم الدكتور (صلاح فضل) التناص إلى ثلاث درجات أساسية من حيث التحقق والوقوع هي^(٤) :

١- الحد الأدنى :

هو القسم الذي تمثله « خواص شكلية محددة ، مثل الإيقاعات والأوزان والأبنية المقطعية ومثل أنماط الشخصيات والمواقف التي يمكن استخدامها كحد أدنى للتناص ، على اعتبار ما تفرضه في استخدامها مجموعة الأعراف التقليدية المتصلة بكل جنس من الأجناس الأدبية »^(٥) .

(١) شعر ابن ميادة ، جمعه وحققه : الدكتور حنا جميل حداد ، راجعه : قدري الحكيم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د . ط ، ١٩٨٢ م : ١٣١ . وفيه : (أصبح قاويا) .

(٢) الأغاني : ١٧٧/٢ - ١٧٨ .

(٣) ينظر : البيان والتبيين : ٣٤٩/٣ .

(٤) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٤٠ - ٢٤١ .

فالنص الشعري يتمتع بهذه الدرجة من درجات التناص على مستوى الوزن والقافية ؛ منه شعر الصعاليك في العصر الأموي إذ النص الشعري في هذا العصر ملتزم بالوزن والقافية بدرجة عالية .

٢- الدرجة الوسطى :

هذه الدرجة هي الأكثر حساسية عند الدرس إذ إنها ليست مشتركة لا يمكن تحديد الآخذ من المأخوذ فيها ، كما الحد الأدنى من التناص ، ولا هي واضحة فلا تخفى مثل الدرجة القصوى التي سيأتي الكلام عنها ، مع احتياجها إلى الفهم الدقيق والاطلاع الواسع ؛ لتحديد نقطة التناص والنص المأخوذ عنه ؛ لأنها بالفعل إشارات متضمنة وانعكاسات مباشرة .

وعنده « تتمثل الدرجة الوسطى من التناص في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها ، مما يعتد به كمجال فعلي للتناص الحقيقي »^(١) .

٣- الدرجة القصوى :

هي التي « تقوم فيها تلك الممارسات الاقتباسية والمعارضات مما يحيل على مجموعة الشفرات الأسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لا يمكن أن يخفى على القارئ المتوسط ، وهو المجال الذي تمثله أبواب السرقات في النقد العربي القديم »^(٢) .

رأي الدكتور (تمام حسان) :

يرى الدكتور (تمام حسان) أن التناص : « علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض كما تقوم بين النص والنص كعلاقة المسودة بالتبييض ، وعلاقة

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٤١ .

المتن بالشرح ، وعلاقة الغامض بما يوضحه وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة القرآن يفسر بعضه بعضاً^(١).

فالدكتور (تمام حسان) يقترب إلى حد ما من تقسيم (دي بوجراند) للتناص ، الذي يجعل التناص بلا وساطة أكثر أهمية من التناص بوساطة ، وقد مر الكلام على القسمين ، وقد قابلهما الدكتور (تمام حسان) بالتناص بين أجزاء النص الواحد ، وبالتناص بين النص والنص ، وهو ما أطلق عليه (دي بوجراند) بوساطة ومثل له بالنقد الموجه إلى كتاب قديم .

رأي الدكتور (محمد عبد المطلب) :

يرى الدكتور (محمد عبد المطلب) أن الكيفيات المختلفة في التناص تنقسم إلى نمطين أساسيين : هما^(٢) :

الأول : العفوية وعدم القصد وطريقته هي تسرب أجزاء من النص الغائب إلى النص الحاضر في غيبة الوعي ، أو ارتداد النص الحاضر إلى النص الغائب في الظرف الذهني نفسه .

والآخر : يعتمد على القصد ، وطريقته هي صياغة النص الحاضر بأجزاء من نص آخر ، تكاد تحدد تحديداً كاملاً يصل إلى درجة التنصيص .

والذي يبدو أن هذا التقسيم فيه نوع من المعالجة لقضية السرقات الأدبية التي عرفها النقد الأدبي القديم ، فالمنتج لا يخلو أن يكون أحد اثنين ، فإما أن يكون حاضر الوعي قاصداً ما ضمنه من نصوص أخرى ، أو يكون غائب

(١) نحو الجملة ونحو النص : ٢ نقلاً عن : نحو النص : ٨٣ . والمادة نص محاضرة أُلقيت في معهد اللغة العربية بأم القرى ، مكة المكرمة في الموسم الثقافي الصيفي لعام ١٩٩٥ م . ولم يتسن لي الوقوف عليها .

(٢) يُنظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة ، ط١/١ ، ١٩٩٥ م . : ١٥٣ .

الوعي عن التضمين الموصوف لدى الدكتور (محمد عبد المطلب) بالتسرب من النصوص الأخرى .

فالأخير منها يخرج قضية التناص عن السرقات كلياً ؛ كونه يصدر عن لا وعي من المنتج للنص ، مما يعني وجود نسبة مشتركة بين المنتجين الأول والثاني في الثقافة ، أما التناص المعتمد على قصد وبحضور كامل للوعي فمصطلح التضمين أو الاقتباس أولى به من مصطلح السرقة إذ إنّ هذا النوع من التناص يتنافى وحقيقة السرقة^(١) .

رأي الدكتور (أحمد عفيفي) :

يرى الدكتور (أحمد عفيفي) أن التناص بين النص والنص الآخر « بهذا المفهوم يندرج بعمق شديد داخل الدراسة النقدية والأدبية والأسلوبية »^(٢) .

وعلى الرغم من أن الدكتور (عفيفي) يرى أن مثل هذا التناص يخدم نحو النص بشكل ما ، هو يبادر إلى القول : « بأنّ التناص الذي يخدم نحو النص إنما يحمل خصوصية التطبيق فبدلاً من أن تكون المفاهيم والصور المطروقة بين نص حاضر ونصوص أخرى غائبة فإن التناص المقصود به هنا ينصب على النص الواحد دون النصوص الأخرى »^(٣) .

ويدعم قوله برأي الدكتور (تمام حسان) وتعريفه للتناص الذي هو « علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض كما بين النص والنص »^(٤) ، ويرى أن سبب أهمية هذا التناص في نحو النص « وجود الروابط على مستوى النص الواحد »^(٥) .

(١) يُنظَر : تحليل الخطاب الشعري : ١٢٢ ، ١٢١ .

(٢) نحو النص : ٨٢-٨٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٨٣ .

(٤) نحو الجملة ونحو النص : ٢ ، نقلاً عن : نحو النص : ٨٣ .

(٥) نحو النص : ٨٣ .

ولعل الروابط التي عناها الدكتور (عفيفي) هي ما ألمح إليها (دي بوجراند) في كلامه عن التناص بلا وساطة فقد ذكر أنه «ليست الوساطة في المحادثة واسعة المدى ، يرجع ذلك إلى وجود وعي متبادل بين المتحادثين في العادة مؤيداً بالحضور التخاطبي الطبيعي»^(١).

فهذا الكلام - وإن كان عن المحادثة - فلا مانع فيما أرى أن يجري ناتجه على النص الواحد المكتوب أو المسموع ، ثم إن التناص في أجزاء النص الواحد يقلل من المقدار الثقافي الذي يتطلبه التناص بين النص والنصوص الأخرى .

- رأي (محمد مفتاح) ومناقشته :

قسم (محمد مفتاح) التناص أكثر من تقسيم ؛ فالتقسيم الأول عنده كان مستنداً على ما يجري من محاكاة للنصوص السابقة ، فكان التناص الضروري والتناص الاختياري^(٢) .

والتقسيم الثاني : بحسب مصدر النص الآخر هل هو من داخل النص أو من خارجه وقد أكد «أن الكاتب أو الشاعر ليس إلا معيداً لإنتاج سابق في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج نفسه أو لغيره»^(٣) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن (محمد مفتاح) - بناءً على ما قَدَّمَ - يقرر أن من المبتذل «أن يقال إن الشاعر قد يمتص آثاره السابقة أو يحاورها أو يتجاوزها فنصوصه يفسر بعضها بعضاً»^(٤) ، «كما أنه من المبتذل أن يقال إن الشاعر يمتص نصوص غيره أو يحاورها أو يتجاوزها بحسب المقام ، والمقال لذلك

(١) النص والخطاب والإجراء : ٤٩١ .

(٢) ينظر : تحليل الخطاب الشعري : ١٢٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٤-١٢٥ - مع ملاحظة أن حرف العطف بعد همزة التسوية يكون «أم» وليس «أو» .

(٤) تحليل الخطاب الشعري : ١٢٥ .

فإنه يجب موضعة نصه أو نصوصه مكانيا في خريطة الثقافة التي ينتمي إليها وزمانيا في حيز تاريخي معين^(١) ، ثم هو يفترض أن تكون « الدراسة العلمية تفرض تدقيقا تاريخيا لمعرفة سابق النصوص من لاحقها كما يقتضى أن يوازن بينهما لرصد صيرورتها وسيرورتها جميعها وأن يتجنب الاكتفاء بنص واحد »^(٢)

وهذا يظهر أن (محمد مفتاح) يساوي بين مكانة النصوص في عملية التناس ، كما أنه لا يثبت فرقا بين نص يؤخذ من إنتاج صاحب النص وبين النص الذي يؤخذ من منتج آخر .

إن هذا الكلام يحتاج إلى وقفة ، إذ ليس الأمر على نحو ما ذهب إليه ؛ لأن النصوص تتفاوت فيما بينها لأسباب كثيرة ولعل أهمها شرف القائل ومكانته ، فالقرآن نصوصه ليست كالأحاديث النبوية ، وهما في القدسية بمكانة لا تبلغها قصيدة أو خطبة ، هذا مع مكانة النص ذاته من البلاغة والفصاحة ، فيجمع للنص المتضمن بين مكانة القائل وقيمة النص ذاته . وهذا الفرق يظهر في شعر القتال الكلاسي واستعماله لأنواع النصوص في التناس . وهو قوله^(٣) : [الطويل]

يَرَى أَنْ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَرَى إِذَا كَانَ يُسْرًا أَنَّهُ الدُّهْرُ لَا زَبُ

استعمل الشاعر التناس من القرآن (إن بعد العسر يسرا) فقد ورد معنى هذا وقريب جداً من ألفاظه ، في الآيتين الخامسة والسادسة في سورة الشرح :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ (الشرح: ٥-٦)

فاستعمال الشاعر الآيات القرآنية الكريمة في نصه ، يشعر بصدق ما ادعاه ولا سيما أنه في مقام مدحه لنفسه ، يقول المرزوقي عنه : « يعلم أن أسباب الدنيا وتصاريدها مبنية على التغيير والتبديل والعسر واليسر يتعاقبان ولا يلزمان ،

(١) تحليل الخطاب الشعري : ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٥ .

(٣) ديوان القتال الكلاسي : ٢٩ ، ديوان اللصوص : ٥٧/٢ .

فمتى استغنى كرم ولم يبطر علما أنه يفنى ولا يبقى ، وإذا افتقر عف ولم يئأس ثقة بأنه يزول ولا يدوم^(١) . وهذا هو عين ما دلت عليه الآيتان في سياق السورة إذ « كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ المؤمنين بالفقر والضيقة^(٢) فجاءتا بعد ذكر ما أنعم الله به على رسوله وعلى المؤمنين في صدر السورة .

وجاءت لفظة (يسرا) في عجز البيت داعمة لهذا التحليل فهو ليقينه بالأقدار وتبدل الأحوال ، جاء باليسر ، الذي يرجو كل الناس دوامه ، ولو جاء بالعسر لكان أقل أداء لهذا المعنى فالناس في تمني زوال العسر وأمل انصرافه حالهم معروف .

وأما من غير القرآن فقد استعمل (القتال الكلابي) معنى بيت (علقة الفحل)^(٣) : [الطويل]

فَإِنْ تُسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ
وذلك في قوله^(٤) : [الطويل]

بِهِنَّ مِنَ الدَّاءِ الَّذِي أَنَا عَارِفٌ وَمَا يَعْرِفُ الْأَدْوَاءُ إِلَّا طَيِّبُهَا
إن (القتال) ضمن معنى بيت علقمة ، والمعنى الذي أراده هو معنى مطروق مبالغ فيه ، وادعاء كل الرجال يزعمونه ولاسيما من تعلق بالنساء منهم ورافقه العشق .

(١) شرح الحماسة للمرزوقي : ٦٥٤/١ .

(٢) ينظر : الكشف : ١٩٧/٦ .

(٣) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، للأعلام الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) قدم له ووضع فهارسه : الدكتور حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣ م : ٢٤ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٣٠ .

بينما معنى التناص الأول معنى روعي فيه يقين بالأقدار أكدته النص القرآني ، وهو مصدر اعتقاد الشاعر ، فهل يصلح أن يأتي الشاعر بتناص لاعتقاده من شعرا ! وإن فعل فلن يكون بمنزلة التناص مع القرآن الكريم بحال من الأحوال .

والذي أميل إليه وأراه مناسباً لمعالجة شعر الصعاليك في العصر الأموي ، هو ما ذهب إليه الدكتور (تمام حسان) في تقسيمه للتناص ، فهو واقع بين أجزاء النص الواحد وبين نص ونص آخر ، كما أن من التناص ما يقع في المعنى المأخوذ دون ألفاظه ، وهذا المعنى قد يكون من المعاني العامة المتداولة ، غير محددة بفترة واحدة من المنتجين ، ويمكن تسميته حينئذ بـ(التناص المشترك) ومن هذه المعاني ما يكون خاصاً بمنتج محدد ، وهذا في العادة يظهر في نص واحد أو نصين لشاعر واحد وهو ما ظهر لي تسميته بالتناص الخاص .

وعلى هذا سيتناول التناص في أشعار الصعاليك الأمويين في المبحث الخاص بالنماذج التطبيقية وهو بعد الذي يأتي من المباحث .

المبحث الثاني

مصادر التناس في شعر الصعاليك الأمويين

ضمّن الشعراء الصعاليك في العصر الأموي أشعارهم نصوصاً كثيرة اختلفت مصادرها ، ووظفوا ثقافتهم للاختيار من تلك النصوص بحسب ما دعتهم الحاجة إليه ، فمن هذه المصادر :

أولاً : القرآن الكريم :

يسمى التناس مع القرآن في التراث العربي (الاقباس) وقد حدّه (السيوطي) بقوله : « تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنّه منه ، بلّا يقال قال تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً »^(١) ونقل خلاف الفقهاء في حكمه ، وعلى أساس الحكم كان تقسيمه ؛ فهو عنده « ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود ، فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ، والثاني : ما كان في القول والرسائل والقصص ، والثالث : على ضربين ، أحدهما : ما نسبته الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه والآخر : تضمين الآية معنى هزل نعوذ بالله من ذلك »^(٢) .

(١) الإنتقان : ٢٣٥ ، وينظر كلامه عن التضمين : ٥٩٨ .

(٢) الإنتقان : ٢٣٥ . جاء القميص شاهداً في ثلاثة مواضع من سورة يوسف ، هي قال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف: ١٨) وقوله : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ لِي يَأْتِيَ بَصِيراً وَأَنْتَوِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ (يوسف: ٩٣-٩٤) ، والآية التي استشهدت بها في أعلاه .

وله شواهد من شعر الصعاليك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قُبُلٍ
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ (٢٦-٢٧) .
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ (يوسف: ٢٦-٢٧) .

يقول (جحدر العكلي) ^(١) : [الكامل]

ثُمَّ اثْبَتْتُ فِي قَمِيصِي شَاهِدًا مِّمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ
شهادة القميص في بيت الشعر جاءت بالتناص مع الآية الكريمة ، مع
اختلاف في أدلة الشاهد (القميص) ، ففي الآية دليله القد وفي بيت الشعر دليله
الدم (شاخب الأوداج) ، وقد أثرت التصريح بالشهادة (شهد شاهد) و(وفي
قميصي شاهد) على دليل الشهادة ؛ لأنَّ قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف: ١٨) ، وإن كان شاهداً بالدليل (الدم) المشترك مع البيت
غير أنه لم يصرح بأنَّه شاهد .

ثم إن استعمال القميص شاهداً استعمال فيه تأكيد على البراءة ، وهو دليل
إثبات براءة من الذنب الذي أخذ به ، كما كان القميص شاهداً على براءة يوسف
(عليه السلام) .

٢- قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥) ، الأنبياء: ٣٥
العنكبوت: ٥٧ . وقد ورد معنى ها في قول جحدر العكلي ^(٢) : [البسيط]

يَا نَفْسُ لَا تَجْزَعِي إِلَيَّ إِلَى أَمَدٍ وَكُلُّ نَفْسٍ إِلَى يَوْمٍ وَمِقْدَارٍ

(١) شعراء أمويون : ١٧٢/١ . والشَّخْبُ : ما امتد من اللبن متصلاً بين الإنباء والطبي .
وَشَخَّبْتُ اللَّبْنَ فَانْشَخَّبَ ، وقد شَخَّبْتُ أوداج المقتول دماً . العين : (شخب) ٣١٣/٢ .
(٢) شعراء أمويون : ١٧٥/١ .

٣- قوله تعالى : ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

(النور: ٢٩) . في هذا المعنى يقول (جحدر العكلي) أيضًا ^(١) : [البسيط]

اَدْعِيهِ سِرًّا وَلَدَائِيهِ غَلَانِيَةً وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِغْلَانِي وَإِسْرَارِي

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا

مُرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧) . وقد جاء هذا المعنى في شعر (الخطيم المحرزى) ،

إذ يقول ^(٢) : [الطويل]

فَلَا وَالَّذِي مِنْ شَاءِ أَغْوَى فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُرْشِدٌ وَمِنْ شَاءِ أَرْشَدَا

٥- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَنْجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّمْرُ

وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَعْمَلَ سَنِيْعَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ (سبأ: ١٠-١١) ،

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ

أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠) .

وهذا المعنى أورده (حريث بن عئاب الطائي) في قوله ^(٣) : [الطويل]

بِيْضٍ خِفَافٍ مُرْهَفَاتٍ قَوَاطِعٍ لِدَاوُدَ فِيهَا أَثَرُهُ وَخَوَاتِمُهُ

وهذا التناص يكون من التناص التاريخي أيضًا ؛ لأن الخبر بأن داود (عليه

السلام) كان حداثاً من التاريخ .

(١) شعراء أمويون : ١٧٦/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٣/١ .

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٥٠/١ . وفي شرح الحمامة للمرزوقي نسب البيت

إلى أبان بن عبدة وقال في تفسيره : «وداود عليه السلام إنما سرد الدروع لما لين الله

الحديد له معجزة لا السيوف ، لكن القصد إلى العتق والقدم ، لا إلى الطبع والعمل

والأثر : فرند السيوف . وذكر الخواتم مثل ، أي هي مما اتخذ في أيامه ، واستعمل

تحت خواتمه » . ٦٣٥/١-٦٣٦ .

٧- قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ (الشرح: ٥-٦) .

يقول القتال الكلابي^(١) : [الطويل]

يَرَى أَنْ يَغْدُو الْعُسْرُ يُسْرًا وَلَا يَرَى إِذَا كَانَ يُسْرًا أَنَّهُ الدُّهْرُ لَا زَبُ

٨- قال تعالى : ﴿ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَيْنَهَا ۖ ﴾ (الشمس: ١٢) . وجاء معناها في قول

مالك بن ربيع^(٢) : [الوافر]

شَقِيتُ بِهِمْ عَلَى طُولِ التَّنَائِي كَمَا شَقِيتُ بِأَخْمَرِهَا ثُمُودُ

٩- قال تعالى : ﴿ أَيْتَمًا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ ۖ ﴾ (النساء: ٧٨) . يقول مالك

ابن الريب في مثل معنى الآية^(٣) : [الخفيف]

أَنَا فِي قُبْضَةِ الْإِلَهِ إِذَا كُنْتُ تَغْيِذَا أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيْبَا

ضمَّن الشعر معنى الآية في بيته . وكذلك فعل (الخطيم المحرزي) بقوله^(٤) :

[الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا إِلَيَّ سَتَبْلُغُ مُدَّتِي إِلَى قَدَرٍ مَا يَغْدُو لِي مِنْ قَدَرٍ

يلاحظ أن التناص مع القرآن كان غير لفظي ؛ بمعنى أنه لم يأت شاعر من الشعراء الصعاليك بأية كاملة لفظة بلفظة ، وإنما أتوا بمعاني بعض الآيات ، وهو من النوع المقبول بحسب قول السيوطي .

ثانيًا : الحديث الشريف :

يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ بِأَنَّهُ « هُوَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَنْصَرِفُ إِلَى مَا حَدَّثَ بِهِ

(١) ديوان القتال الكلابي : ٢٩ . لزب : اللَّزْبُ : الأُزْبَةُ . والأُزْبُ : الشَّذَّةُ وَالصَّلَابَةُ . وَلَزَبَ لُزُوبًا ، أَي : لَزَقَ ، وَالطَّيْنُ اللَّازِبُ مِنْهُ . لعين : (لزب) ٨١/٤ .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٨/٣ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٥/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥٨/١ .

عنه ﷺ النبوة من قوله وفعله وإقراره ؛ فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة^(١).

وقد تضمنت أشعار الصعاليك في العصر الأموي ، معاني لأحاديث شريفة ؛ وهي أحاديث قولية ويلاحظ أنها قليلة إذا ما قورنت بنصوص القرآن ، وهي :

١- قال ﷺ : « الحياء خير كله » قال أو قال : « الحياء كله خير »^(٢)

جاء معنى الحديث دون لفظه في قول القتال الكلابي^(٣) : [البسيط]

وَأَسْخِيَا أَنْ تُلُوْفَا أَوْ أَلُوْمَكُمَا إِنَّ الْحَيَاءَ جَمِيْلٌ أَيْمًا حَالٍ

٢- قال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »^(٤).

وجاء (المرار) بمعناه بجملة (كل امرئ بامرئ لابد مؤنزر) من قوله^(٥) :

[البسيط]

وَقَدْ لَعِنْتُ مَعَ الْفِتْيَانِ مَا لَعِبُوا وَقَدْ أَجِدُ وَقَدْ أَغْنِي وَأُفْتَقِرُ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جِدِّي وَمِنْ لَعِي كُلُّ امْرِئٍ بِامْرِئٍ لَا بُدَّ مُؤْتَزِرُ

ثالثاً : الشعر :

إن تعاور المعاني في الشعر يكثر حتى أن المعاني المبتدعة قد لا يوقف على مبدعها على الحقيقة لكثرة تداولها ، وقد نالت هذه القضية اهتمام نقاد

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (كتاب الحديث) : ٦/١٨ - ٧ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (باب شعب الإيمان) برقم (٦١) : ٣٨ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٨١ .

(٤) المستدرک علی الصحیحین ، تألیف : محمد بن عبد الله بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي وبذيله : تتبع أو هام الحاكم التي سكنت عليها الذهبي ، لأبي عبد الله مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، مصر - القاهرة ، ط١/ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م : ٤/٢٨٥ ، كتاب البر والصلة بالرقمين : ٧٣٩٩ ، ٧٣٩٨ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢/٦٩٩ ، ديوان اللصوص : ٢/٢٢٣ .

الأدب القديم ، ففضية السرقات لا يكاد يخلو مؤلف في الأدب والبلاغة منها ، وكتاب الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين شاهد على هذا الاهتمام^(١).

١- يقول (جميل بن معمر)^(٢) : [الطويل]

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيُّ جِهَادٍ غَرُّهُنَّ أَرِيدُ

جاء في شعر تليد الضبي^(٣) : [الطويل]

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا ثَلِيدُ بِتَوْبَةٍ وَفِي النَّفْسِ مَنِي عَوْدَةٍ سَأَعُودُهَا

الشاعران أمويان ، غير أن (جميل عاش) إلى سنة اثنين وثمانين هجرية (وتليد) وإن لم تحدد المصادر وفاته غير أنه كان في زمن عمر بن عبد العزيز الذي يُويع له سنة تسع وتسعين^(٤) وقد أخذ في أيامه على اللصوصية^(٥).

٢- يقول (عبدالله بن أنيس)^(٦) (رضي الله عنه) : [الطويل]

تَنَازَلْنَاهُ وَالظَّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفُهُ بِأَيْتِصَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهْتَدٍ

يقول عبد الله الأحذب السعدي^(٧) : [الطويل]

(١) يُنظَرُ : الأشباه والنظائر ، للخالدين : يقولان : «ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب ، وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة» : ٢٠/١ .

(٢) ديوان جميل بثينة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان - د . ط : ١٩٨٢ م : ٧٧ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٤١/١ .

(٤) يُنظَرُ : بلغة الظرفاء : ١٥٥ .

(٥) يُنظَرُ : معجم البلدان : ١٢٧/٢ .

(٦) هو عبدالله بن أنيس بن أسعد أبو يحيى ، شهد العقبة بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسرية وحده إلى سفيان بن خالد ، وأمره بقتله فقتله ، وأعطاه (صلى الله عليه وسلم) عصا ويشره بالجنة ، يُنظَرُ : المنتظم : ٢٤٧/٥ .

(٧) الأغاني : ١٦٨/٢١ ، ديوان اللصوص : ٣٧٧/١ وقد نسب إلى بهدل الطائي ، في أنساب الأشراف : ٢٦٨/١١ .

لَمَّا دَعَانِي السُّمَهْرِيُّ أَجَبْتُه بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٍ
وجاء نص الشطر الثاني من بيت الأحدب في شعر العدیل^(١)؛ إذ يقول :
[الطويل]

بوادي حنين ليلة البدر رعه بأبيض من ماء الحديد صقيل
والسبق فيما يظهر ومن خلال المصادر التي بين يدي أنه لعبد الله بن أنيس
(رضي الله عنه) .

٣- يقول (عمرو بن معدى كرب الزبيدي)^(٢) : [الطويل]
وَمُرْدٌ عَلَى جُرْدٍ شَهِدْتُ طَرَادَهَا قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ ذُرَّتِ
وقد ورد صدر البيت فيما يقول (القتال الكلابي)^(٣) : [الطويل]
وَمُرْدٌ عَلَى جُرْدٍ يُسَارِ لِمَجْلِسِ كِرَامٍ بِأَيْدِيهِمْ مَوَارِنُ ذُبُلِ
الشاعر (عمرو بن معد كرب) ، متقدم على القتال فهذا اللفظ (مرد على
جرد) قد يكون القتال قد أخذه من (عمرو بن معد كرب) ، أو وقع منه توارداً
دون قصد .

٤- (أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً)

هذا صدر بيت كثر تلاوله بين الشعراء ، ولعل أقدم من ذكره رجل عرف
بنسبه إلى (جرهم) «على دين إبراهيم وإسماعيل وكان شاعراً ، فزعموا أن
(عمرو بن لحي) أخرج ذلك (الجرهمي) من مكة فنزل بأطم من أعراض
مدينة النبي ﷺ نحو الشام وقد تشوق إلى مكة :

(١) الأغاني : ٢٢٩/٢٢ .

(٢) شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، جمعه ونسقه : مطاع الطريشي مطبوعات
مجمع اللغة العربية دمشق ، ط/٣ ، ١٩٨٥ م : ٧٠ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٧٤ .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتُ لَيْلَةً وَأَهْلِي مَعًا بِالْمَأْزَمِينَ خُلُولُ»^(١)

عاش هذا الرجل في زمن الجاهلية ، وقد استعمل (بلال بن رباح) هذا الشطر في الإسلام فبعد الهجرة أصابت الحمى بلالا في المدينة ؛ فقد روى البخاري عن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ : «وكان بلال إذا أفلح عنه يرفع عقيرته فيقول : أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتُ لَيْلَةً بِسُودٍ وَحَوْلِي أَذْخِرُ وَجَلِيلُ»^(٢)

أما الشعراء الصعاليك في عصر الأمويين فقد استهل به (مالك بن الريب) قصيدته المشهورة في رثاء نفسه فقال^(٣) : [الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتُ لَيْلَةً بِخُتْبِ الْعُضَى أَرْجِي الْقَلَّصَ الثَّوَجِيَا

وأخذه (الخطيم المحرزي)^(٤) فقال : [الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتُ لَيْلَةً بِأَعْلَى بَلِيٍّ ذِي السَّلَامِ وَذِي السُّدْرِ

الذي يظهر أن (مالك بن الريب) والخطيم المحرزي لم يأخذوا صدر بيتهما من شاعر محدد ممن سبقهما ، وإنما مثل هذا يجري في التناص على نحو ما تجري الأمثال وحكم العرب ، فلا حرج على شاعر أن يأخذ مثل ما تضمنه صدر البيت الشعري من معنى عام يوظفه لخدمة غرضه . ولعل أشهر من أخذ هذا الصدر

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تأليف : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق (ت ٢٥٠ هـ) تحقيق ودراسة : الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الأسد ، المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة ، ط ١ / ٢٠٠٣ م : ١٦٥ / ١ . والمأزمان : هما جبلا مكة وليسا من المزدلفة ، الواحد مأزم . ينظر : معجم البلدان : ٤٠ / ٥ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى ، باب من دعا برفع الوباء والحمى : ٨٢٤ رقم (٥٦٧٧) وكتاب التمني ، (باب قوله صلى الله عليه وسلم ليت كذا وكذا) : ١٠٢٢ رقم (٧٢٣١) . والجليل : الثمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصائص البيوت ، تاج العروس : (جلل) ٢٨ / ٢٢٥ .

(٣) شعراء أمويون : ٤١ / ١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥٨ / ١ .

فضمنه شعره هم : جميل بثينة^(١) ومجنون ليلى^(٢) وابن ميادة^(٣) وأبو فراس الحمداني^(٤) والشريف الرضي^(٥).

٥- (وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكُورَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا)

هذا عجز بيت تداوله شعراء منهم (أبو رجاء العطاردي)^(٦) إذ يقول :
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمْ وَأَهْلُ تَنْفَعُ الشُّكُورَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
وقد أخذ هذا العجز (طهمان بن عمرو الكلابي)^(٧) في قوله : [الطويل]
خَلِيلِي إِلَى الْيَوْمِ شَاكٍ إِلَيْكُمْ وَأَهْلُ تَنْفَعُ الشُّكُورَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
وقد أخذ (ابن الدميني)^(٨) بيت طهمان بن عمرو الكلابي بالتناص من ديوانه ،
وعند الخالدين يتناص مع بيت أبي رجاء العطاردي^(٩).

(١) ديوانه : ١٩٩ ،

(٢) ديوان قيس بن الملوح - مجنون ليلى - رواية أبي بكر الوبلي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ، ١٩٩٩ م : ٣٥ .

(٣) ديوانه : ١٩٩ .

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور : خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ط ٢/ ، ١٩٩٤ م : ٤٣ .

(٥) ديوان الشريف الرضي ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦١ م : ١٧٤/١ .

(٦) توفي سنة سبع عشرة ومائة ، اختلف في اسمه ، أدرك النبي ﷺ ، وهو شاب أمرد شهد جنازته الحسن البصري والفرزدق ، وقد قال الأخير فيه : [الطويل]

ألم نر أن الناس مات كبرهم وقد عاش قبل البعث بعث محمد

ينظر : الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق :

الدكتور علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط ١/ ، ٢٠٠١ م :

١٤٠-١٣٨/٩ .

(٧) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٦٢ .

(٨) ديوان ابن الدميني ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب

النفاح ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ١٣٧٩ هـ : ٥٠ .

(٩) الأشباه والنظائر ، للخالدين : ٧٥/٢ .

٦- البيت : [الطويل]

وَلَنْ يَلْبَثَ الْوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا إِذَا لَمْ يَكُنْ صُلْبًا عَلَى الْبَرْيِ عُودُهَا
نُسِبَ البيت إلى أعرابي لم يحدد اسمه أو زمنه ^(١)، وقد ذُكر في شعر
طهمان ابن عمرو الكلابي ، وفيه بدل (يصدعوا) (يكسروا) ^(٢)، ونسبه الخالديان
إلى ابن الدمينية ^(٣) ولا وجود في ديوانه : كما نسبه الصفدي إلى كثير عزة ^(٤)،
وليس في ديوانه .

٧- (وما أنس م الأشياء لا أنس ...) ^(٥)

هذا بعض الشطر تداوله شعراء كثير ، كان منهم الجاهلي كعروة بن الورد -
عروة الصعاليك - ^(٦) وعبدالله بن علقمة الكناني صاحب حبشة ^(٧) ومنهم
الخارجي كالطرماح بن حكيم ^(٨) ، ويروى (فما أنس مل أشياء) كذا هو عند

(١) أمالي القاضي : ٤٣/١ .

(٢) ديوان اللصوص : ٣٧٢/١ .

(٣) الأشباة والنفاثر : ٧٥/٢ .

(٤) يُنظَر : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، لخليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق :
محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، د . ط ، ١٩٦٩م : ٢٢٦ .

(٥) وقع حذف في نون حرف الجر (من) في (وما أنسم الأشياء ...) يُنظَر : لسان العرب :
(حور) ٢١٩/٤ .

(٦) ديوان عروة بن الورد (أمير الصعاليك) دراسة وشرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد ،
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٩٨م : ٦٦ .

(٧) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري
(ت ٧٣٣هـ) ، تحقيق : علي محمد هاشم وعبد المجيد ترحيني وآخرين ، دار الكتب
العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ، ٢٠٠٤م : ٢٢٤/١٧ .

(٨) ديوان الطرماح بن حكيم ، عني بتحقيقه : الدكتور عزة حسن ، دار الشرق العربي ،
بيروت - لبنان ، حلب - سورية ، ط ٢/ ، ١٩٩٤م : ١٨١ ، الوافي بالوفيات :
٢٤٥/١٦ .

هُدْبَةُ بن الخَشْرَم العُذْرِي^(١) وجميل بثينة^(٢) وكثير عزة^(٣)، وابن ميادة^(٤) وهم أمويون .

ومن الصعاليك الأمويين ذكره كل من القتال الكلابي وآخر كلمة فيه هي (نسوة)^(٥)، وجعفر بن علبه الحارثي وآخر كلمة عنده هي (قولها)^(٦)، وهو عند الخطيم المحرزوي وآخر كلمة فيه هي (طائعا) مع اختلاف في ألفاظه وهو : «وما أنس مل أشياء لا أنس . . .»^(٧) .

مع العرض أن هذه الألفاظ جاءت في روايات البيت لعدد من الشعراء الذين ذكروا وهم : عروة بن الورد^(٨) وعبد الله بن علقمة الكناني^(٩) وجميل بثينة^(١٠) وكثير عزة^(١١) وابن ميادة^(١٢) . في على ما يظهر رواية عامة فيه .

(١) شعر هُدْبَةُ بن الخَشْرَم العُذْرِي ، إعداد : الدكتور يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط/٢ ، ١٩٨٦م : ١٥١ .

(٢) ديوانه : ١٥ .

(٣) ديوان كثير عزة ، جمعه : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ط ، ١٩٧١م : ٧٦ .

(٤) ديوانه : ٢٠٦ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٤٩ .

(٦) ديوان اللصوص : ١٩٥/١ .

(٧) شعراء أمويون : ٢٥٨/١ .

(٨) ينظر : الجيم : (الأحور) ٢١٧/١ .

(٩) مصارع العشاق ، لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ (ت ٥٥٠هـ) دارصادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت . : ٣١٥/١ .

(١٠) الحماسة البصرية : ١٥٠/١ .

(١١) منتهى الطلب : ١٣٥/١ .

(١٢) ديوان الحماسة : ١٤٤ .

٨- (علي دماء البدن)

جاءت هذه الجملة في شعر عدد من الشعراء ، أقدم من وقفت عنده هو (سويد بن أبي كاهل) إذ يقول^(١) : [الطويل]
 حَسِبْتُمْ هِجَانِي إِذْ بَطَنْتُمْ غَنِيمَةً عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ أَنْ سَوَّفَ تُنْذِمُوا
 وقد أخذها من صعاليك العصر الأموي (مالك بن الريب)، فقال^(٢) :
 [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ لَمْ تُفَارِقِي أَبَا حَرْذَبٍ يَوْمًا وَأَصْحَابَ حَرْذَبٍ
 (وتوبة بن الحمير) يقول^(٣) : [الطويل]
 عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ كَانَ زُوجُهَا يَرَى لِي ذَلًّا غَيْرَ أَلِي أَرْوَرُهَا
 كما أخذه (عطار بن قران)^(٤) : [الطويل]
 عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ لَمْ تُمَارِسِي أُمُورًا عَلَى قُرْآنٍ فِيهَا تَكَالِفُ
 كما أخذه (كثير غزاة)^(٥) والشريف الرضي^(٦) من بعدهم .

٩- يقول (طهمان بن عمرو الكلابي)^(٧) : [الطويل]
 إِذَا سَايَرْتَ أَسْمَاءَ يَوْمًا طَعْنَةً فَأَسْمَاءَ مِنْ تِلْكَ الطَّعْنَةِ أَمْلَحُ

(١) ديوانه : ٣٩ . وَالْبَدْنَةُ : ناقةٌ أو بَقَرَةٌ ، الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ ، يُهْدَى إِلَى مَكَّةَ ، وَالْجَمِيعُ الْبَدَنُ ، الْعَيْنُ : (بدن) ١٢٢/١ . وَمَعْنَاهَا : أَتَحْمِلُ ثَمَنَ دِمَاءِ الْبَدَنِ الَّتِي تَهْدَى فِي مَكَّةَ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٧/١ .

(٣) ديوان توبة بن الحمير : ٣٩ .

(٤) معجم البلدان : ٣١٩/٤ .

(٥) ديوانه : ١٢٩ .

(٦) ديوانه : ١٥٠/٢ .

(٧) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٤٠ .

وقد أخذه (جرير) كاملاً إلا بإبدال (ظعينة) في الشطرين بـ (ظعائن) يقول^(١) :

إِذَا سَايَرْتُ أَسْمَاءَ يَوْمًا ظَعْنَانِ فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظَّعْنَانِ أَمْلَحُ
٣- يقول (مالك بن الريب)^(٢) : [مجزوء الكامل]

الْعِدْدُ يُقْرِغُ بِالْقَصَا وَالْحَرُّ يُكْفِيهِ الْوَعْدُ
قال (ابن قتيبة) : عن مالك «ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله : . . .»^(٣) وجاء بيته ، ونقل ثلاثة أبيات من الشعر تناسخ وبيت مالك ، وهي لمجهول ولابن المفرغ وليشّار ، وقد جعله القاضي الجرجاني من المعاني التي أخذت من مالك^(٤) .

٤- قال (مالك بن الريب)^(٥) : [الطويل]

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي وَلَيْسَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانًا
وقول (هذبة بن الخشرم)^(٦) : [الطويل]
يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي وَلَيْسَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا حَرَانِحِي

(١) ديوانه : ٨٤ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٨/١ .

(٣) الشعر والشعراء : ٣٥٤-٣٥٥ .

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٧٠-١٧١ .

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٧٣ ، شعراء أمويون : ٤٦/١ وديوان اللصوص :

١٨٢/٢ وفيهما : (وأين مكان) بدل (وليس مكان) . وفي لسان العرب : (بعد) يقول :

«العرب بعضهم يقول بَعْدَ وبعضهم يقول بَعْدَ مِثْلَ سَحَقٍ وَسَحَقٍ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ بَعْدَ فِي الْمَكَانِ وَبَعْدَ فِي الْهَلَاكِ ، وَقَالَ يُونُسُ : الْعَرَبُ تَقُولُ : بَعْدَ الرَّجُلِ وَبَعْدَ إِذَا تَبَاعَدَ فِي غَيْرِ سَبَبٍ وَيُقَالُ فِي السَّبَبِ : بَعْدَ وَسَحَقٍ لَا غَيْرَ» .

(٦) شعر هذبة بن الخشرم العُدْري : ٨٩ .

وقد جعل (القاضي الجرجاني) المعنى لمالك بن الريب أخذه منه (هذبة ابن الخشرم العذري)^(١).

٥- يقول (حريث بن عنب الطائي)^(٢) :

أَتَرْجُو حَيًّا أَنْ يَجِيءَ صَغارها بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا حَيًّا كِبَارها

يقول (الآمدي) (ت ٣٧٠هـ) بعد أن ذكره : « فأخذه الفرزدق^(٣) فقال :

أَتَرْجُو كُلِّيبٌ أَنْ يَجِيءَ صَغارها بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلِّيبًا كِبَارها

فأخذه (البيهقي)^(٤) يهجو (جريباً) فقال :

أَتَرْجُو كُلِّيبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلِّيبًا قَدِيمُهَا^(٥)

رابعاً : التاريخ :

هناك أحداث يسجلها التاريخ وهذه الأحداث سواء كانت مناقب أم مثالب ، تحفظهما الذاكرة لتعيد صياغتها بالتناص وتوظفهما لأغراض يرمي إليها المنتج ؛ فيضمنها النص وتتسم هذه الأحداث في العادة بشهرتها في أوساط ثقافية دون أخرى ، ما يعني أن هذا النوع من التناص يكشف على الأقل عن ثقافة المجتمع (المتلقين) للنص الذي أورد مثلها .

١- يقول (عطارُ بن قُرَّان)^(٦) : [الطويل]

رَوَى نَمْرٌ عَنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّكُمْ عَيْدُ الْعَصَا لَوْ صَبَّحْتُمْ فَوَارِسُ

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه : ١٧٣ .

(٢) المؤلف والمختلف من أسماء الشعراء : ٢٠٦ .

(٣) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١/ ١٩٨٧م : ٢٣٩ وفيه ربيع بدل كليب .

(٤) شعر البيهقي المجاشعي ، جمعه وحققه : الدكتور عدنان محمد أحمد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د . ط ، ٢٠١٠م : ٩٢ .

(٥) المؤلف والمختلف من أسماء الشعراء : ٢٠٦-٢٠٧ .

(٦) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٥/١ .

لا شك أن (عبيد العصا) كناية عن ذل القوم^(١) الذين هجاهم (عطارد) هنا ، مع هذا لا يمكن الاكتفاء بهذه الدلالة لتعلق عبارة (عبيد العصا) بالتاريخ ، فعبيد العصا يقال لبني أسد حتى ذهبت مثلاً عند العرب^(٢) .

ولأن الرواية لم تنص على نسبة المهجوين أكانوا من بني أسد أم لا ؟ جاء هذا التناص ليقرب صورة القوم مهما كانت نسبتهم أنهم أذلاء لأتباعهم ، كبني أسد .

٢- يقول (مالك بن الريب)^(٣) : [الطويل]

مَا زِلْتُ يَوْمَ الصُّغْدِ تَوَعَّدُ وَإِقْفَا مِنْ الْجُبْنِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَنْصُرَا
وَمَا كَانَ فِي عُثْمَانَ شَيْءٌ عَلِمْتُهُ سِوَى نَسْلِهِ فِي رَهْطِهِ حِينَ أَذْبَرَا
وَلَوْلَا بَنُو حَرْبٍ لَطَلَّتْ دِمَاؤُكُمْ بَطُونُ الْعِظَايَا مِنْ كَسِيرٍ وَأَعْوَرَا

يهجو (مالك بن الريب) (سعيد بن عثمان بن عفان) ويرميه بالجبن ، ثم لا يكتفي بحاله في يوم الصُّغْدِ ، بل ينقل حادثة مرت في التاريخ وهي هروب أبان بن عثمان في معركة الجمل ، وهي قوله : (سوي نسله في رهطه حين أذبرا) وقصد من (نسله) أبان وإن دلت هذه اللفظة على الجمع غير أن كلمة (أذبرا) توضح أن المقصود منها المفرد ، وأراد من (رهطه) أي معسكر عائشة وطلحة والزبير ، والضمير فيه يمكن أن يعود إلى عثمان أو إلى (نسل) ودليل

(١) يُنْفَرُ : تاج العروس : (عصو) ٥٧/٣٩ .

(٢) مجمع الأمثال : ١٩/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٩/١ . الصُّغْدُ : بالضم ثم السكون ، وآخره دال مهملة ، وقد يقال بالسين مكان الصاد : وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند . معجم البلدان : ٤٠٩/٣ .
وَالطَّلُ : هَذَرُ الدَّمِ وَقِيلَ : هُوَ أَنْ لَا يُثَارَ بِهِ أَوْ تُقْبَلَ دَيْتُهُ ، وَقَدْ طَلَّ الدَّمُ نَفْسَهُ طَلًّا وَطَلَّتْهُ أَنَا . لسان العرب : (طلل) ٤٠٥/١١ . والعظاية على خلقة سام أبرص أعظم منها شيئا ، والعظاءة لغة فيها كما يقال امرأة سقاءة وسقاءة ، والجمع عطايا وعطاء .
لسان العرب : (عظي) ٧١/١٥ .

إرادة هروب (أبان بن عثمان) الوصف (بطون العظايا من كسير وأعورا) وهو ما يثبت التاريخ أنه كان أبرص وأحول وأصم ، يقول صاحب أنساب الأشراف : « وأما (أبان بن عثمان) فشهد الجمل مع عائشة فكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم »^(١) .

إن التناص التاريخي يقلل من الاحتمالات الممكنة في النص ، فبدونه يمكن أن يُحمل الكلام كُلُّه على (سعيد بن عثمان) وهو ليس بمراد ، فأسهم التناص مع قرائن أخرى في فهم النص فهماً صحيحاً .

(١) أنساب الأشراف : ٢٤٩/٦ .

المبحث الثالث

نماذج التناص في شعر الصعاليك

تناص المعاني العامة :

يسمى تناص المعاني غير المباشر^(١) وهو أخذ للمعنى دون لفظه ، وبما أن «العلاقة بين التناص والإبداع ليست متوقفة على وجود أو غياب عدد من التناصات ، وإنما تتوقف على طريقة المعالجة ومحاولة التحرر من أطر النصوص الأخرى للانسجام مع نسيج النص الجديد في إطار السياق الثقافي ومخزون الكاتب»^(٢) أصبح تجديد المعاني وصياغتها إبداعا .

وفي الحقيقة لم تقف الدراسات العربية أمام قضية الإبداع من دون معالجة ، ففكرة إبداع المعنى الأول لقيت اهتمام بعض النقاد القدامى ، فنجد أن إبداع المعنى الأول يحفظ لصاحبه مع تفضيل أخذ منه عليه لما أجاده الأخير ، وأبدع في إخراجه وصياغته . ومن ذلك قول القتال الكلابي^(٣) : [الكامل]

لَقَدْ وَلَدَتْ غَوْفُ الطَّعَانِ وَمَالِكَا وَعَمَرُو الغُلَى وَالْحَارِثُ الْمُتَجَبِّا
رِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ دِمَاءٌ وَنَائِلٌ يَكَادُ عَلَى الأَعْدَاءِ أَنْ يَتَحَلَّبَا

(١) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٩١ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٢ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٣٤ . والنائل ما يُلْت من معروفٍ إنسان ، وكذلك التَّوَال .
وَأَنَالَهُ معروفُهُ وتَوَلَّه : أعطاه معروفُهُ . لسان العرب : (نول) ٦٨٣/١١ . وَتَحَلَّبَ قُوهُ
وَتَحَلَّبَ التَّدَى أو الشَّيْءَ إذا سَالَ . العين : (حلب) ٣٤٥/١ .

يقول عنه الخالديان : « ومن هذا أخذ البحري قوله ^(١) : [الطويل]
وَصَاعِقَةٌ فِي كَفِّهِ يَنْكَفِي بِهَا عَلَى أَرْؤُسِ الْأَبْطَالِ خُمْسُ سَحَابٍ
يَكَادُ التَّدَى مِنْهُ يَقْبِضُ عَلَى الْعَدَى مَعَ السَّيْفِ فِي ثَنِي قَنَا وَقَوَاضٍ
و(البحري) وإن كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين ، فقد جود وأحسن
وفاق على وفاق الأول بما أبدع في المعنى وزاد ، وهذا هو الحذق في الشعر
وأخذ معانيه ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحق به ممن أبدعه ^(٢)
وقريب من هذا ما نبه عليه (ابن جني) في قول جعفر بن علبة ^(٣) [الطويل]:
لِقَاسِمُهُمْ أَسَافَتَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفَتِنَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا
فيقول : « ويشهد لصحة هذا المعنى قول شاعرنا ، وينبغي أن يكون من هذا
الموضع أخذه وامثله : ^(٤) [الوافر] .
فَكُنْتُ السَّيْفَ قَانِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْعِرَارُ ^(٥) »

وقد وردت في شعر الصعاليك معان أخذوها أو أخذت منهم منها :

١ - تمني طُروق خيال المحبوب :

استعمل هذا المعنى كثير من الشعراء أقدم من وقفت عليه من طبقة
المخضرمين ، (خفاف بن ندبة) إذا يقول ^(٦) : [الطويل]

(١) ديوان البحري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار
المعارف ، القاهرة - مصر ، ط/٣ ، ١٩٦٤ م : ١٧٩/١ . وفيه : (أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ) بدل
(أَرْؤُسِ الْأَبْطَالِ) ، وخمسة سحائب أصابع الممدوح . يُنْقَرُ : الأشباه والنظائر :
٣١-٣٢ . وَقَوَاضٍ وَقُضِبُ جَمْعُ الْقَضِيبِ وهو السيف اللطيف الدقيق . يُنْقَرُ :
لسان العرب : (قضب) ٦٧٩/١ .

(٢) الأشباه والنظائر : ٣١-٣٢ .

(٣) ديوان الحماسة : ١٢ ، وديوان اللصوص : ١٨٧/١ ، وفيه : (تَقَاسِمُهُمْ) .

(٤) ديوان المتنبي : ٣٩٩ .

(٥) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

(٦) الأصمعيات : ٢١ .

أَلَا طَرَفَتْ أَسْمَاءُ فِي غَيْرِ مَطَرَقٍ وَأَلَيْ إِذَا حَلَّتْ بَنَجْرَانِ نَلْتَقِي
 و(حميد بن ثور الهلالي)^(١) : [الطويل]
 أَلَا طَرَفَتْ صَحْبِي عُمَيْرَةُ إِلَيْهَا لَنَا بِالْمَرْوَزَةِ الْمُطْلُ طَرُوقُ
 ويقول (الحطينة)^(٢) : [الطويل]
 أَلَا طَرَفَتْ هَذَا الْهُدُودِ وَصَحْبِي بِجُورَانِ الْجُودِ هُجُودِ
 و(عمرو بن الأهتم) يقول^(٣) : [الطويل]
 أَلَا طَرَفَتْ أَسْمَاءُ وَهِيَ طَرُوقُ وَهَاتَتْ عَلَى أَنْ الْحَيَالِ يَشُوقُ
 وقد أخذ هذا المعنى عدد من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي هم :
 (طهمان بن عمرو الكلابي) في قوله^(٤) : [الطويل]
 أَلَا طَرَفَتْ لَيْلَى عَلَى نَأْيِ ذَارِهَا وَلَيْلَى عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ طَرُوقِ
 و(السمهري العكلي)^(٥) يقول : [الطويل]
 أَلَا طَرَفَتْ لَيْلَى وَمَا فِي رَهْنَةٍ بِأَشْهَبَ مَشْدُودٍ عَلَى مَسَامِرَةٍ
 و(الخطيم المحرزي)^(٦) : [الطويل]

(١) ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية أبي ذؤاد الأيادي، تحقيق: عبد العزيز الميمني،
 الدار القومية للطباعة، الجمهورية العربية المتحدة - القاهرة د. ط، ١٣٨٤ هـ -
 ١٩٦٥ م : ٣٤. والمرورة بالفتح موضع فيه يوم مشهور. ينظر: معجم البلدان :
 ١١٢/٥.

(٢) ديوانه : ٤٥. قرية على باب همدان. معجم البلدان : ١٨٠/٢.

(٣) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت ١٦٨ هـ) شرح وتحقيق: أحمد
 محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط/٩،
 ٢٠٠٦ م : ١٢٥.

(٤) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٤، وبهذا المعنى : ١١٠. والشحط : البعد.
 ينظر: العين : (شحط) ٣١٢/٢.

(٥) شعراء أمويون : ١٤٣/١، ومثله : في ١٤٥/١، ١٤٦.

(٦) المصدر نفسه : ٢٥٧/١.

سَمَتْ لِي بِالنِّينِ الْيَمَانِيَّ صَبَابَةً وَأَلَتْ بَعِيدَ قَدْ نَأَيْتَ عَنِ الْمَضَرِّ
أَتَيْحَ لِيذِي بَتْ طَرِيدُ تُغَوِّدُهُ هُمُومٌ إِذَا مَا بَاتَ طَارِقُهَا يَسْرِي
و(المرار الفقعسي) ^(١) : [الكامل]

طرق الخيال فهاج لي من مضجعي رجع النحيب في الظلام المهلس
وقد أخذه شعراء العصر الإسلامي (عبيد الله بن قيس الرقيات ^(٢) والأخطل ^(٣)
وكثير عزة ^(٤) وجريير ^(٥) وذو الرمة ^(٦) ويزيد بن الطثرية ^(٧) وغيرهم .

وقد وقع في شعر جعفر بن علية الحارثي أحد الصعاليك هذا المعنى من
غير ألفاظه وهو متعجب من زيارة محبوبته في سجنه ، فقال ^(٨) : [الطويل]
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَلَى تَخَلَّصَتْ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
أَتَنَّا فَحَيْثُ لَمْ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ
ومثله قول توبة بن الحمير ^(٩) : [الطويل]

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا هَلْ أَبَيَّنَّ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ لَا يَسْرِي إِلَيَّ خَيَالُهَا

٢- الإخبار عن المحبوب بـ(نبئت أو يقولون)

لعل اسم (ليلي) صار علما للمعشوقة ، حتى تعاوره الشعراء ، وجاء

(١) شعراء أمويون : ٤٦٠/٢ . أراد بالمهلس الضعيف مِنَ الظلام . لسان العرب : (هلس)
٢٤٩/٦ .

(٢) ديوانه : ١٦٣ .

(٣) ديوان الأخطل ، شرحه : مهدي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٩٩٤م :
٢٨٩ .

(٤) ديوانه : ١٦٤ .

(٥) ديوانه : ٥٠٠ .

(٦) ديوانه : ٣١ .

(٧) ذيل الأمالي والنوادر : ٧٥/٣ .

(٨) ديوان اللصوص : ١٨٨/١ .

(٩) ديوان توبة بن الحمير : ٨٤ .

الاهتمام به ، وقد لاحظت أن أخبار ليلى - مريضة وغير مريضة - نقلت إلى الشعراء بما روه في أشعارهم ، يقول (طهمان بن عمرو الكلابي)^(١) : [الطويل]
 وَبُنْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي وَأَنْتَ صَدِيقُ
 سَقَى اللَّهُ مَرَضَى بِالْعِرَاقِ فَبِائِنِي عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالْعِرَاقِ شَفِيقُ
 ويقول (السهمري العكلي)^(٢) : [الطويل]

وَبُنْتُ لَيْلَى بِالْغُرَيْنِ سَلَمْتُ عَلَيَّ وَدَوْنِي طِخْفَةَ فَرَجَاهُهَا
 وقد أخذ هذا المعنى (مجنون ليلى)^(٣) : فقال : [الطويل]

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَمَا لَكَ لَا تُضْنِي وَأَنْتَ صَدِيقُ
 سَقَى اللَّهُ مَرَضَى بِالْعِرَاقِ فَبِائِنِي عَلَى كُلِّ مَرَضَى بِالْعِرَاقِ شَفِيقُ
 ويقول^(٤) : [الطويل]

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُوذُهَا
 و(مجنون ليلى) في البيت الأول يتناص مع (طهمان) إلا في يسير منه ،
 فبدل (فماذا الذي تغني) جعلها (فما لك لا تضني) وجاء بالبيت الذي يليه نصاً
 عن شعر طهمان مع اختلاف يسير فبدل (كل شاك) عند (طهمان) جعلها (كل
 مرضى) .

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .
 (٢) ديوان اللصوص : ٢٨٨/١ ، شعراء أمويون : ١٤٧/١ ، وفيه (طخمة) . والغريان :
 خيالان من أخيلة حمى فيد يطوئهما طريق الحاج ، والخيال : ما نصب في أرض
 ليعلم أنها حمى فلا تقرب . ينظر : معجم البلدان : ١٩٧/٤ . وطخفة جبل أحمر
 طويل حذاءه بنار ومنهل ، هو موضع بعد النجاج في طريق البصرة إلى مكة ، ينظر :
 معجم البلدان : ٢٣/٤ .

(٣) ديوانه : ٦٦ .

(٤) ديوانه : ٦٧ .

٣- البكاء على المنزل (الطلل)

يقول (امرؤ القيس)^(١) : [الطويل]

فَقَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمِلِ

يقول (السمهري العكلي)^(٢) : [الطويل]

بَكَيْتَ وَمَا يُنْكِيكَ مِنْ رَسْمٍ مَنْزِلٍ عَلَى حَفْرِ السَّيْدَانِ أَصْبَحَ خَالِيَا

٤- رؤية البرق

يقول (امرؤ القيس)^(٣) : [الطويل]

أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِضْهُ كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَلَّلِ

يقول (السمهري العكلي)^(٤) : [الطويل]

أَعْنِي عَلَى بَرْقِ أُرِيكَ وَمِضْهُ يَشَوْقُ إِذَا اسْتَوْضَحْتُ بَرْقًا غَنَائِيَا

٥- الندم على قتال الأقارب

نسب الخالديان هذا المعنى إلى (المهلهل بن ربيعة) من قوله ^(٥) : [الوافر]

بِكْرُهُ قُلُوبَنَا يَا آلَ نَكْرِ تُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ

لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ وَإِنْ كَانَتْ تُغَادِي بِالصُّقَالِ

وَبَيْكِي حِينَ تَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَقْلُكُمُ كَأَلَا لَا تُبَالِي

قالا : « آيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى »^(٦).

(١) ديوانه : ١١٠ .

(٢) شعراء أمويون : ١٤٩/١ . وحفر السيدان موضع وقيل جبل وقل ماء . يُنظَر : معجم

البلدان : ٢٩٤/٣

(٣) ديوانه : ١٢١ .

(٤) شعراء أمويون : ١٥٠/١ .

(٥) ديوان المهلهل ، تحقيق : أنطوان محسن القوّال ، دار الجيل ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٩٥م :

٧٥ . الجَوْنُ الْأَسْوَدُ الْمُشْرَبُ حَمْرَةً ، لسان العرب : (جون) ١٠١/١٣ .

(٦) الأشباه والنظائر : ٤/١ .

وذكروا من أخذ هذا المعنى من الشعراء ، واستشهدوا بأشعارهم وهم
الحُصَيْنُ ابن الحُمَامِ المَرِّي ، ومالك بن مطفوق السعدي ، وحرب بن مسعر ،
ولم يسميا بعضهم واكتفيا بنقل الشعر^(١) ، وجاء هذا المعنى عند القتال
الكلابي^(٢) : [الطويل]

نَشَدْتُ زَيْادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْخَامَ سِعْرِ وَهَيْثُمْ
وَلَمَّا دَعَانِي لَمْ أَجِبْهُ لِأَنِّي خَشِيتُ عَلَيْهِ وَقْعَةَ مِنْ مُصَمِّمٍ
فَلَمَّا أَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ أَلْكَ عَاجِزًا وَلَا وَكَلًا فِي كُلِّ ذَهْيَاءَ صَيْلِمٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مِثْلِهِ أَقْلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَذْنِ مُقْرَمٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ لَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مُنْذَمٍ

تناص المعاني الخاصة :

هذا النوع من التناص يكون بإعادة الشاعر فكرته بأكثر من مناسبة وبأكثر
من صورة ، مع بقاء الإطار العام للفكرة بمكوناتها الأساسية . وقد ورد في شعر
الصعاليك الأمويين نماذج من هذا النوع ، منها :

١ - مبارزة الأسد^(*) عند (جحدر العكلي)^(٣) يقول : [الرجز]

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ صَنْكَ
كِلَاهُمَا ذُو حَنْقٍ وَمَحْكٍ
وَبَطْشَةٍ فِي صَوْلَةٍ وَقَتِكَ

(١) الأشباه والنظائر ، للخالدين : ١/٤-٥ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٨٩ . سبق بيان معنى المقامة وسعر وهيثم وهنا : الصَيْلِمُ :
الأمرُ المُفْنِي المُسْتَأْصِلُ ، وَوَقْعَةُ صَيْلِمِيَّةٌ مِنْ ذَلِكَ . العين : (صلم) ١٠/٢ . واللدن :
اللِّينُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَدْنٌ لِدُونِهِ ، وَرُمِحَ لَدْنُ الْعَيْنِ : (لدن) ٨٠/٤ .

(*) سبق أن استعملت هذه الواقعة في تكرار القصص والموافق في الباب الأول ، وهنا
الكلام عن التناص الخاص في هذا المعنى .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٨/١-١٧٩ .

إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ فِتَاكَ الشُّكَّ
بِظُّفَرٍ مِنْ حَاجَتِي وَدَرَكِ
فَهُوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرَكِ
الذُّبِّ يَغْوِي وَالْغَرَابُ يُبْكِي

وقد نقل (جحدر) هذه الحادثة وأخذها ليضمنها قصيدة أخرى يحكي بها شجاعته وإقدامه كان مطلعها ^(١) : [الكامل]

يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوُ شَهِدْتَ كَرِيهَتِي فِي يَوْمِ هَوْلِ مُسْدِفٍ وَعَجَاجِ
وَتَقْدَمِي لِلَّيْلِ أَرْسَفُ مُوتَقَا كَيْمَا أَكْبِرُهُ عَلَى الْأَحْرَاجِ
ومنها :

أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مُكْبَلًا لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَتَاجِي
ومنها :

قِرْنَانٍ مُحْتَضِرَانِ قَدْ مَحَضَتْهُمَا أُمُّ الْمَيْتَةِ غُرُ ذَاتِ نَسَاجِ
ومنها ^(٢) :

نَازَلْتُهُ إِنْ التَّرَالِ مَجِيئِي إِنِّي لِمِنْ سَلَفِي عَلَى مِنْهَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوُ أَيْتُ نَزَالُهُ إِنِّي مِنَ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَلَقْتُ هَامَتُهُ فَخَرُّ كَانَهُ أَطَمَ هَوَى مُتَقَوِّضِ الْأُجَاجِ
ثُمَّ انْتَبَيْتُ وَفِي قَمِيصِي شَاهِدٌ مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ

ثم إن (جحدرًا) كان يستذكر ما وقع له مع الأسد ويعد قتله إياه كان من النجاة في الدنيا . فيقول ^(٣) : [البسيط]

(١) شعراء أمويون : ١٧٠/١ - ١٧١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧١/١ - ١٧٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧٢/١ ، وفيه : (نحت بي) .

إِنَّ اللَّيْلِي نَجَتْ بِي فَهِيَ مُخَسِّنَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا مِنَ الدِّيمَاسِ وَالْأَسَدِ

٢- الشك في النجاة عند (السمهري العكلي)^(١): [الطويل]

فَإِنْ أُلْجُ يَا لَيْلَى فَرُبَّ فَتَى نَجَا وَإِنْ تُكْنِ الْأُخْرَى فَشَيْءٌ أَحَاذِرَةٌ

هذا البيت قاله في قصيدته التي أنشأها في السجن بعد أن طرق خيال ليلى وهو رهين الساق ، وهذا الشك في النجاة متأثراً من أنه بعد هروبه من سجنه في المدينة وقد قطع أرضاً بعيدة ثم لقي راعياً من لهب بن أزد شنوءة ، فسأله عن العيافة فيما رآه فأجابه اللهي أن من فعل ما فعل ثم رأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب^(٢) .

فظهر أمارات صدق اللهي في عيافته جعلت (السمهري) يشك في نجاته وقد قبض عليه . فيأخذ هذا الشك يضمه شعره مرة أخرى بألفاظ قريبة من الأولى فيقول^(٣): [الطويل]

فَإِنْ أُلْجُ مِنْهَا أُلْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِنْ تُكْنِ الْأُخْرَى فَتِلْكَ سَبِيلُ

والسياق في القصيدتين يحتم أنه قال البيت الأول أول مرة ، ثم أخذه في القصيدة الأخرى التي جاء سياقها أقل شكاً بهلاكه ، يقول فيها^(٤): [الطويل]

فَمَا الْبَيِّنُ يَا سَلْمَى بَأَنْ تُشْحَطَ الثَّوَى وَلَكِنَّ بَيْنَنَا مَا يُرِيدُ عَقِيلُ

٣- طرفا السيف :

ورد هذا المعنى عند (جعفر بن عتبة) ، بالتناص في موضعين ، الأول :^(٥)

[الطويل]

(١) شعراء أمويون : ١٤٣/١ .

(٢) ينظر : الأغاني : ١٦٧/٢١ - ١٦٨ .

(٣) شعراء أمويون : ١٤٥/١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٤٥/١ .

(٥) ديوان اللصوص : ١٨٧/١ ، الغماء الأمر الشديد ، الحرة الكريمة ، الغمرات الشدائد ، ينظر : شرح حماسة أبي تمام للأعلم : ٢٠٩/١ . والبيت الأول دخله الخرم ، وهو حذف الحرف الأول من الوجد المجموع قد (فعولن) تصير عولن . .

لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا
تُقَاسِمُهُمْ أَسَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفَتِنَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا
والآخر : قوله : ^(١) [الطويل]

لَهُمْ صَدْرُ سَنَفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبِلٍ وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
تناص المعاني المشتركة :

لا شك أن نمط الحياة المشترك بين الشعراء الصعاليك في عصر الدولة الأموية يلقي بآثره على المعاني ، فيقع التناص فيها بين شاعر وآخر منهم ، قد يكون أحدهم أخذ من الآخر ، وإن لم تنص المصادر على تحديد المعنى السابق ، وصاحبه غير أنها تبقى معاني متاحة لزمرة الصعاليك ؛ لتشابه أنماط الحياة التي يعيشونها .

١- التحريض على الغزو (السرقة)

يقول (جحدر العكلي) ^(٢) : [الطويل]

وَإِنْ امْرَأٌ يَغْدُرُ وَحَجْرٌ وَرَاءَهُ وَجَرٌّ وَلَا يَغْزُوهُمَا لَطِيفُ
إِذَا حُلَّةٌ أَتْلَتْهَا ابْتَغَتْ حُلَّةً كَسَانِي بِمَا طَوَّعَ الْقِيَادِ غَلِيفُ
يقول (شغلاط الضبي) ^(٣) : [الطويل]

(١) ديوان اللصوص : ١٩٣/١ ، وينظر : شرح حماسة أبي تمام للأعلم : ٢٦٠/١ .
(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٩٠/١ وفي شعراء أمويون : ١٧٨/١ ، (نسائية طوع القياد) وفي ديوان اللصوص : ١٦٤/١ . (كسائها طوع القياد) . وجو : اسم لناحية اليمامة . معجم البلدان : ١٩٠/٢ . والقياد : الحبل الذي تقود به دابة أو شيئاً ، ويقال : إنه لسلس القياد . العين : (قود) ٤٤١/٣ .

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٧/١ . البيت الأول دخله الخرم . كان العرقان عرقا البصرة محميين ، وهما عرق ناهق وعرق نادق ، لإبل السلطان وللهوافي أي الضوال ، وعرق ناهق يحمي لأهل البصرة خاصة ، معجم البلدان : ١٠٧/٤ . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، وقيل : هي ما بين الثلاثين والمائة . لسان العرب : =

مَنْ مَبْلَغُ فِتْنَانِ قَوْمِي رِسَالَةً فَلَا تَهْلِكُوا فَقْرًا عَلَى عِرْقِ نَاهِقِ
فَإِنْ بِهِ صَيْدًا عَزِيزًا وَهَجْمَةً طَوَالَ الْهَوَادِي بَانَاتِ الْمَرَافِقِ
تَجَانِبَ ضَبَاطٍ يَكُونُ بُعَاوُهُ دُعَاءً وَقَدْ جَاوَزْنَ عَرْضَ الشَّقَائِقِ

في النصين تحريض واضح على السرقة وإن اختلفت قوته بينهما ، ففي النص الأول القوة والشدة هي أساس لهذه الحض والتحفيز ، فهو ينسب مَنْ لا يسرق إلى الضعف ، ثم هو يخرج ما يفعله من سرقة بألفاظ مباحة يتقبلها المتلقي وهي البيع ، فهو يبلي حله لا يبالي ؛ لأن طوع القياد سيكسيه بدلها .

أما النص الآخر ففيه تحفيز من نوع آخر ، وهو أن السرقة خير من الموت فقراً ، ثم ما يدعو إلى السرقة هو أن الذي سَيُسْرِقُ هو صَيْدٌ عَزِيزٌ ، وهجمة طوال الهوادي بانات المرافق ، وهذه صفات تدل على ثمنها وارتفاع أصواتها دليل صحتها .

٢- ضوء النار من داخل السجن

إن ضوء النار يبعث الاطمئنان إلى النفس التائهة الغريبة ؛ لذا جاءت مع ألفاظ الأنس ، قال تعالى ﴿ ءَأَنْتَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ (القصص: ٢٩) ، وهذا الأنس يحتاج إليه السجين كحاجة التائه والغريب ، ولكن قد يجمع مع هذا وذاك التصعلك ، فيتولد تناص معاني قد تكون خاصة بهم . وقد ورد هذا المعنى في قول (جحدر العكلي)^(١) : [البسيط]

== (هجم) ٦٠٢/١٢ . والهادي من كل شيء : أَوَّلُهُ . أقبلت هَوَادِي الْخَيْلِ ، أي : بَدَأْتُ اعْتَاقَهَا . وقد هَدَّتْ تَهْدِي ، لَأَنَّهَا أَوَّلُ الشَّيْءِ مِنْ أَجْسَادِهَا . العين : (هدى) ٢٩٩/٤ . والضباط : مَنْ تَضَبَّطَ الضَّأْنُ أَيِ أَسْرَعَ فِي الْمَرْعَى وَقَوِيَ . وَتَضَبَّطَ الضَّأْنُ : نَالَتْ شَيْئًا مِنَ الْكَلَالِ . لسان العرب : (ضبط) ٣٤٠/٧ . والشقائق موضع . معجم البلدان : ٣٥٤/٣ .

(١) شعراء أمويون : ١٧٤/١ .

يَا صَاحِبِي وَتَابُ السَّجْنِ ذُونُكُمَا هَلْ تُؤْنِسَانِ بِصَخْرَاءِ اللَّوَى نَارًا
لَوَى الدُّخُولِ إِلَى الْجَرَعَاءِ مَوْقِدُهَا وَالتَّارُ يُبْدِي لِيذِي الْحَاجَاتِ أَذْكَارًا

كما يقول في موضع آخر : ^(١) [الوانر]

نَظَرْتُ وَنَاقَيْ عَلَى نَعَادٍ مُطَاوَعًا الْأَزْمَةَ ثَرْحَلَانِ
إِلَى نَارِيهِمَا وَهَمًا قَرِيبَ تَشْوِقَانِ الْمُحِبِّ وَتَوْقِدَانِ
رَأَيْتُ بِذِي الْمَجَازَةِ ضَوْءَ نَارٍ تَلَالًا وَهِيَ لَازِحَةُ الْمَكَانِ

وهذه الرؤية وإن لم يصرح بالأنس بها إلا أن مجرد النظر إليه ورؤيتها هو من دواعي الأنس بها .

ومثل هذا يقول المَرَارُ الفقعسي ^(٢) : [الطويل]

أ نَارٌ بَدَتْ مِنْ كَوَّةِ السَّجْنِ ضَوْؤُهَا عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجَرَعِ الْعَفْرِ
عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ أَرْضًا خَصِيَّةً يَطِيبُ بِهَا مَسُّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ
فِيَا وَالْبَيِّ سِجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا أَسِيرُكُمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِي

وقد أظهرت الصورة عند المَرَارِ أن رؤية النار من داخل السجن هو نوع أمل في الحرية يبت في نفس المسجون .

(١) شعراء أمويون : ١٨٣/١ - ١٨٤ . وَذُو الْمَجَازَةِ : مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيقِ مَكَّةَ بَيْنَ مَاوِيَّةَ وَيَسُوعَةَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ . لِسَانُ الْعَرَبِ : (جوز) ٣٣٠/٥ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٥٣/٢ . الْجَرَعُ : جَمْعُ جَرَعَةٍ ، وَهِيَ الرَّمْلَةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا : مَوْضِعٌ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ١٢٧/٢ . وَالْجَنُوبُ : رِيحٌ تَجِيءُ عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ ، وَالْجَمِيعُ : الْجَنَائِبُ . الْعَيْنُ : (جنب) ٢٦٣/١ . وَالْفَرِيُّ : الشَّقُّ وَفَرِيتُ الشَّيْءِ بِالسَّيْفِ وَبِالشُّفْرِ : قَطَعَتْهُ وَشَقَّقَتْهُ . وَفَرِيَتُهُ : أَصْلَحَتْهُ . وَالْفَرِيَّةُ : الْجَلْبَةُ . وَيَقَالُ : لِلرَّجُلِ الشُّجَاعُ : مَا يَفْرِي أَحَدَ قَرِيْبِهِ . الْعَيْنُ (فري) ٣١٩/٣ .

٣- رثاء النفس^(١) :

نمط من الرثاء يصدر من ذات الشاعر إلى أهله يكون صادق الإحساس به في العادة . وقد رثى أربعة شعراء من الصعاليك أنفسهم تقاربت فيه الصور ، من تمني الرجوع إلى الموطن ، والحنين إليه ، وذكر ما يهيج فيه الشوق إلى الأهل والموطن ، ووصية الأصحاب وذكر من يبكي عليه ، وهؤلاء الشعراء هم مالك بن الريب ، والمرار الفقعسي ، وجحدر العكلي ، وجعفر بن علبة الحارثي .

يقول مالك بن الريب^(٢) : [الطويل] من قصيدته المشهورة .

وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرُورِ مَنِيَّيْ وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَالَتْ وَفَاتِيَا
أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْقُعُونِي فَإِنَّهُ يَقْرُبُ بَعْثِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَأَ لِيَا
فَيَا صَاحِبِي رَحِّلِي ذَنَا الْمَوْتِ فَانْزِلَا بِرَأْيِيَةِ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا
ويقول فيها^(٣) :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بَاكِيًا
إِذَا مِتُّ فَأَعْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي عَلَى الرُّمَسِ أَسْقَيْتِ السَّحَابَ الْغَوَادِيَا

(١) بعد أن استقصيت هذه الظاهرة في شعر الصعاليك الأمويين وثبت ما وقفت عليه عندهم ، وقع بين يدي كتاب : الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت ، جمع وتنسيق : عبد المعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة ، بيروت - لبنان ط/١ ، ١٩٩٢ م . وقد ضمنه شاعرين من الشعراء الصعاليك الأمويين ، هما مالك بن الريب وجعفر بن علبة الحارثي : ٧٦-٨٢ ، ٨٤-١٠٠ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٤/١ . والخلل في الأمر والحرب كالوهن والفساد . وأمر مختل : وأمين . وأخل بالشيء : أجحف . لسان العرب : (خلل) ٢١٥/١١ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٧/١ . وعالوا نعيه : أظهروه ؛ عن ابن الأعرابي ، قال : ولا يقال أعلوه ولا علوه . لسان العرب : (علا) ٩١/١٥ .

وهذه الصورة (عند مالك بن الريب) صورة من آيس من الحياة ، فهو ينتقل من التمني في مطلع القصيدة (ألا ليت شعري . . .) إلى ذكر فضائل نفسه ثم يوصي صاحبيه ويكثر من الوصية ، ثم هو على يقين من بكاء أهله عليه ، فجعل من ذلك خاتمة لقصيدته .

أما (المرار الفقعي) فيظهر أنه كان هارباً طريداً في (دير توما) وقد يكون سجيناً فليس للقصيدة قصة تروى غير أن سياقها يظهر أنه كان غريباً مطارداً ، فهو يبدأ بقصيدته فيقول^(١) : [الوافر]

لَعَنَرَكْ إِنِّي لِأَحِبُّ نَجْدًا وَمَا أَرَى إِلَى نَجْدٍ مَسِيلًا
وَكُنْتُ حَسِبْتُ طِيبَ ثَرَابٍ نَجْدٍ وَعَاشًا بِالطَّرِيفَةِ لَنْ يَزُولًا
ثم هو يقاسي طول الليل^(٢) : فيقول :

نَصِيحُ إِذَا هَجَعْتَ بِدَيْرِ تَوْمًا حَمَامَاتٌ يَزِدْنَ اللَّيْلَ طُولًا
إِذَا مَا صَحَنَ قُلْتُ أَحْسُ صُبْحًا وَقَدْ غَادَرَنَ لِي لَيْلًا ثَقِيلًا
ويبدو أنه قد استسلم لليأس حتى بلغ منه الغاية فرأى أنه هالك^(٣) : فقال :

فَلَوْ كَانَتْ تَجُوبُ الْأَرْضَ غُرُضًا وَلَكِنْ جَوَّهْنُ الْأَرْضَ طُولًا
لَقَعَنَ جُؤْهَنُ عَلَيَّ حَيًّا وَأَعْدَدَنَ الْمَرَاتِلِيَّ وَالْعَوِيلًا
ثم لا ينسى حينها صاحبيه بالوصية :

خَلِيلِي أَقْعِدَا لِي غِلًّا لِي وَصُدَا لِي وَسَادِي أَنْ يَمِيلَا

(١) شعراء أمويون : ٤٧٤/٢ . الطريفة قفر يستعذب لها الماء ليومين أو ثلاثة بأسفل أرمام لجذيمة ، وقيل : لبني خالد بن نضلة بن جحوان ابن فقعس . معجم البلدان : ٣٤/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٧٥/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٥١/٢ . ودير توما موضع في الجزيرة ، لم يحدده . معجم البلدان : ٥٩/٢ ، ٥٠٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٧٦/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٥١/٢ .

وبهذا المعاني جاء (جحدر العكلي) ؛ غير أنه استفتح بذكر الهموم فقال^(١) :
[الوافر]

تَأْوِينِي فَبِتَّ لَهَا كَيْفَا هُمُومٌ لَا تُفَارِقُنِي حَوَانِ
هِيَ الْغَوَاذُ لَاغَوَاذُ قَوْمِي أَطْلُنْ عِيَادَتِي فِي ذَا الْمَكَانِ

ثم جاء بالتمني والحنين إلى الربوع ، فقال^(٢) :

أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ أَيُّهَا الْبَرَقُ الْيَمَانِي
وَأَخْوَى أَنْ أُعِيدَ إِلَيْكَ طَرَفِي عَلَى عُذْوَاءٍ مِنْ شُغْلٍ وَشَانِ

ثم ذكر ما يزيد همومه ويشوقه وهو قوله^(٣) :

أَلَا قَدْ هَاجَنِي فَارْزَدْتُ شَوْقًا بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
وَهَجَنِي بِلُحْنٍ أَعْجَمِي عَلَى غُضُنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ

ثم يُقَدِّمُ عَلَى وصية الأصحاب^(٤) :

فَيَا أَخُوِي مِنْ جِشْمٍ بِنِ سَعْدٍ أَفَلَا اللَّوْمُ إِنْ لَمْ تَنْفَعَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ حَجَرٍ وَأَوْدَيْتُمَا الْيَمَامَةَ فَالْعِيَانِي

إِلَى قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا بِنَغْيِي بَكَى شَبَابُهُمْ وَبَكَى الْغَوَانِي

(١) شعراء أمويون : ١٨٢/١ - ١٨٣ . وفي خزانة الأدب : « تأويني فبت لها كييفا أي :

أتأني ليلاً هموم من الأوب وهو الرجوع والكبيح بفتح الكاف وكسر الموحدة قال

السكري : كبيع وكابع بمعنى أي : مشدود » ٢٠٩/١١ - ٢١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨٣/١ ، العذواء : عادة الشغل ، وقيل : عذواء الشغل موائعه ، لسان

العرب : (عدا) ، ٣٨/١٥ ، تاج العروس : (عدو) ، ٨/٣٩ .

(٣) شعراء أمويون : ١٨٤/١ .

(٤) شعراء أمويون : ١٨٥/١ - ١٨٦ . وحجر : هي مدينة اليمامة وأم قراها ، وبها ينزل

الوالي . معجم البلدان : ٢٢١/٢ . والغواني الشواب اللواتي يعجب الرجال ويعجبهن

الشبان والغانية الجارية الحسنة ، ذات زوج كانت أو غير ذات زوج ، سميت غانية

لأنها غنيت بحسنها عن الزينة . لسان العرب : (غنى) ١٣٨/١٥ .

ويقول^(١) :

فَإِنْ أَهْلِكَ قُرْبُ فَتَى سَيِّكِي عَلَيَّ مُخْطَبِ رَخْصِ الْبَتَانِ

أما (جعفر بن علبة الحارثي) ، فقد كان سجيناً^(٢) ومع هذا هو لم يقدم في قصيدته ما يشغل المسجون ، بل إنه كان كأنه محارب في يوم سَحْبَل ، وهو يوم أكثر من ذكره . فقد بدأ قصيدته^(٣) : [الطويل]

أَلَا لَا أَبَالِي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أَعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا
تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبَلٍ وَمَضَيْتُهُ مُرَاقٍ دَمٌ لَا يَبْرَحُ الدُّهْرَ ثَاوِيَا
شَفِيتُ بِهِمْ غَيْظِي وَجُرْبَ مَوْطِنِي وَكَانَ مَنَاءَ آخِرِ الدُّهْرِ بَاقِيَا

بعد أن ذكر بأسه في الحرب ، وكيف قد شفى غليله من عدوه بدأ يحن إلى وطنه ، وقد جاء هذا الحنين متأخراً لعللة المقام الذي كان فيه الشاعر . فيقول^(٤) :

أَحَقًّا عَبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ زَائِيَا صَحَارِي نَجْدٍ وَالرِّيَاحِ الدَّوَارِيَا
وَلَا زَائِرَا شَمِّ الْعَرَائِينِ تَنْتَمِي إِلَى عَامِرٍ يَحُلُلْنَ زَمَلًا مُعَالِيَا

(١) شعراء أمويون : ١٨٦/١ .

(٢) يذكر الدكتور عبد المعين الملوحي أن جعفر بن علبة الحارثي كان سجيناً عندما نظم هذه القصيدة ينظر : الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل موتهم : ٩٨ . ولم تتضمن هذه القصيدة ما ، يدل على سجنه فقد جردها الشاعر من الأحاسيس التي تنتاب المسجونين ، ومن التصريح باسم السجن أو ذكر الأصفاد والحراس أو طلب النجدة ومحاولة الهرب وغيرها من قرائن تدلل على السجن .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٧/١ . وسَحْبَل : موضع في ديار بني الحارث بن كعب . معجم البلدان : ١٩٤/٣ .

(٤) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ . وَشَمِّ جَمْعُ أَشَمِّ ، وَالْعَرَائِينُ : الأنوف ، وهو كِنَايَةٌ عن الرُقْعَةِ وَالْعُلُوِّ وَشَرَفِ الْأَنْفُسِ . لسان العرب : (شمم) ٣٢٧/١٢ .

ثم يذكر من يُخبر بخبره فيقول^(١) :

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثَاتِ فَالْعَيْنِ لَهُنَّ وَخَيْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَقَوْدُ قُلُوصِي فِي الرُّكَّابِ فَإِلَيْهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا
أَوْصِيكُمْ إِنْ مِتُّ يَوْمًا بِعَارِمٍ لِيَفْقِيَ شَيْئًا أَوْ يَكُونَنَّ مَكَانِيَا

هؤلاء أربعة من الصعاليك تتناص معانيهم في رثاء النفس وهم أحياء وقد بلغ حال كل واحد منهم مبلغه في أنه هالك لا محالة ، فالموت بعد أن لدغ (مالك بن الربيع) وانقطاع المَرَّار في الغربة والته ، وسجن الحجاج أبلغ جحدرًا الموت ظنًا منه ، ويوم سحبل وكثرة الدماء فيه جعل (جعفر بن علبة) مشاهدًا للموت قبل أن ينزل به .

٤ - النعي في عدم ركوب ناقه المقتول :

صورة من صور النعي أن المقتول لا تركب ناقته ، أو فرسه ؛ ليعرف أهله أنه قتل ، وقد جاء هذا المعنى عند (مالك بن الربيع) ، يقول^(٢) : [الطويل]

فَا صَاحِبًا إِمَّا عَرَضْتَ قَلْعًا نَيْي مَازِنِ وَالرُّؤْبِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَعَرَّ قُلُوصِي فِي الرُّكَّابِ فَإِلَيْهَا سَتَفْلُقُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

ويقول (جعفر بن علبة الحارثي)^(٣) : [الطويل]

(١) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ . عارم ابنه . معجم البلدان : ١٩٥/٣ والقود : تقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها . لسان العرب : (قود) ٣٧٠/٣ . ودلالة قودها أن صاحبها مقتول فلا يركبها أحد لإشعار أهله بذلك .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر : ١٣٨/٣ ، وشعره أمويون : ٤٧/١ ، وفيه (وعز) بدل (وعر) وهو تصحيف . وفي لسان العرب : (برد) ٨٢/٣ يقول : « قال مالك بن الربيع ، وكانت المنية قد حضرته فوصى من يمضي لأهله ويخبرهم بموته ، وأن تعطل قُلُوصه في الرُّكَّاب فلا يركبها أحد ليعلم بذلك موت صاحبها وذلك يسر أعداءه ويحزن أوليائه »

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ .

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَأَنِّعِي لَهُنَّ وَخَبِرْهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَقَوِّذْ قَلُوبِي فِي الرُّكَّابِ فَإِنَّهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

٥- صوت الحمام في الغربة

وظف ثلاثة من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي صوت الحمام وهم في الغربة ؛ ليذكروهم بديارهم وأهلهم وقد استعمل كل واحد منهم ألفاظًا تناسبت ونوع غريبته ، وهم مالك بن الريب والمرار الفقعسي وجحدر العكلي :

وفيه يقول (مالك بن الريب)^(١) : [الوافر]

تُذَكِّرُنِي قِبَابُ الثُّرُكِ أَهْلِي وَمَبْدَاهُمُ إِذَا نَزَلُوا مَنَايَا
وَصَوْتُ حَمَامَةٍ بِجِبَالِ كِسٍّ دَعَتْ مَعَ مَطْلَعِ الصُّبْحِ الْحَمَامَا
فَبِتْ لَصَوْتِهَا أَرْقَا وَبَاتَتْ بِمَنْطِقِهَا تُرَاجِعُنِي الْكَلَامَا

إن (مالك بن الريب) يستعمل صوت الحمام في غربة عاشها استعمالاً متوازناً فهذا الصوت وإن كان سبب لميته أرقاً غير أنه دأب من دواعي الأنس ، فهي بصوتها تدعو الحمام إلى الاجتماع مع مطلع الشمس فكان يبه يراه فأل خير لانتهاه غريبته والتقائه بأهله ثم هي تراجع الكلام بمنطقها ، فهو ينظر بأمل إلى صوتها .

و(المرار الفقعسي) يقاسي طول الليل غريباً في (دَيْرِ تَوْمًا) فيقول^(٢) [الوافر] :

تَصِيحُ إِذَا هَجَعْتَ بِدَيْرِ تَوْمًا حَمَامَاتٌ يَزِدْنَ اللَّيْلَ طُولًا

(١) شعراء أمويون : ٣٩/١ - ٤٠ . وسمام : قلعة بما وراء النهر أحدثها المقنّع الخارجي ، وإياها عنى مالك بن الريب . معجم البلدان : ٢٦٠/٣ . وكس : بكسر أوله ، وتشديد ثانيه : مدينة تقارب سمرقند ، قال البلاذري : كس هي الصغد . معجم البلدان : ٤٦٠/٤ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٧٥/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٥١/٢ .

إِذَا مَا صَحْنُ قُلْتُ أَحْسُ صُبْحًا وَقَدْ غَادَرَنِي لَيْلًا ثَقِيلًا
 إن صوت الحمام هنا هو صياح في أذن الشاعر التأثت الطريد فهو مصدر
 لقلقه ولفظة صياح منتقاه من الشاعر لتعبر عن قلقه وتوتره ونومه الحذر ،
 فكلما نام أيقظه صياح الحمام فكان الميل طويل والليل لا يطول إلا على
 المخائف المترقب .

و(جحدل العكلي) ذكر ما يزيد همومه ويشوقه إلى دياره وأهله ، وهو
 غريب في سجن الحجاج لذا نراه يخص الحمام وصوته بالبكاء وهو تعبير
 أفصح عن حالة الشاعر ومأساته وهو قوله^(١) :

أَلَا قَدْ هَاجَنِي فَارْزَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
 وَمَهْجِنِي بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ

- التناص في المسميات

هناك من التناص في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات ما يثبت أن
 لا غنى لمتكلم عنه فضلاً عن أن يكون المتكلم شاعراً يعالج تجارب وينقل
 آثاراً ، وهنا أقف عند التناص في الأسماء ، فهي يمكن أن تدرج تحته شأنها
 بذلك شأن كل نص يمكن أن يذكر بالتناص .

إن أسماء الأشخاص أو الجماعات تكون متوارثة ، ويمكن إدراج غالبها في
 التناص عن طريق اللاوعي ، فأسماء كثير من الناس تتشابه ، وقد يكون لبعضها
 تاريخ ، فهي معروفة النشأة ، فاسم «عبد الملك» أول من سمي به عبد الملك
 ابن مروان^(٢) ، فكل اسم يأتي بعده يأتي بالتناص معه .

وأكثر العنوانات تقصد ويكون التناص فيها بحضور الوعي ، وبعض هذه
 العنوانات تكون متناصة مع عنوانات مثلها : كإعراب القرآن ، ومعاني القرآن ،

(١) شعراء أمويون : ١٨٤/١ .

(٢) ينظر : الوافي بالوفيات : ١٣٩/١٩ .

فهناك أكثر من كتاب بهذين العنوانين تتناول الموضوع ذاته ، وقد كان الأصل
لواحد من كل منهما والباقية تتناص معه .

ومن العناوانات ما يكون تناصاً مع آية من القرآن أو بعض آية لبعض
العنوان : كما في (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) للإمام (محمد
ابن فضل الله المحبي)^(١) . فهو تناص مع بعض آية من سورة الرحمن هي قوله
تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤) .

وقد أخذ الأستاذ (زكي مبارك) عنوان كتابه « ليلى المريضة في العراق »^(٢)
من شعر الصعاليك ، فهو تناص لقول طهمان بن عمرو الكلابي^(٣) : [الطويل]
وَبُنْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَمَازَا الَّذِي لُغِنِي وَأَنْتَ صَدِيقُ

* * *

(١) هو محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي ، الحموي الدمشقي
(١٠٦١-١١١١ هـ) ، من مصنفاته (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ،
وجنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) وغيرهما ، ولد في دمشق وسافر إلى مصر
وولي القضاء في القاهرة ، وعاد إلى دمشق فتوفي فيها . (ينظر : الأعلام للزركلي :
٤١/٦) ، طبع في مطبعة الترقى في دمشق عام (١٢٤٨ هـ) ، وعينت بنشره مكتبة
القدس والبدین ، وأعادت نشره دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان في طبعته الأولى عام
١٩٨١م ، وهي معتمدة على نشره القدسي بالكامل .

(٢) عنوان الكتاب : ليلى المريضة في العراق « تاريخ يفصل وقائع ليلى بين القاهرة
وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ويشرح جوانب من أسرار المجتمع وسرائر
القلوب » طبع الكتاب في دار مصر للطباعة ، وأصل الكتاب مقالات نشرها صاحبها
في مجلة الرسالة في بغداد سنة ١٩٣٨ ثم طبعت بكتاب سنة ١٩٣٩م بالعنوان نفسه .
(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .

الفصل الثالث

معيّارا تأسيس السياق في النص
(المقامية والإعلامية)

المبحث الأول

المقامية

تعريف المقامية ^(١) Situationality

كثرت تعاريف هذا المصطلح وهي على كثرتها ذات دلالات متقاربة ، وقد يحددها بعض الدارسين باسترجاع موقف سائد كما فعل (دي بوجراند) إذ هي عنده « تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه » ^(٢) .

وهذا لا يعني أبداً إغفال المقامية الحاضرة التي تتزامن وإنتاج النص فهي « تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما ، سواء أكان موقفاً حاضراً أم قابلاً للاسترجاع » ^(٣) .

لذا يكون من المنطقي أن يراعي المتلقي المقامية في النص سواء أكان هذا النص مسموعاً أم مكتوباً ، وبما أن المقام يتناول زمان الحدث التواصل ومكانه ، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه ^(٤) ، أصبحت الحاجة له ضرورية عند تحليل النصوص .

(١) ترجمها الدكتور تمام حسان إلى (الموقفية أو رعاية الموقف) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ ، ويُنظَر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٢ .

(٣) مدخل إلى علم النص : ٢٠٩ .

(٤) يُنظَر : لسانيات النص : ٥٣ .

ومن هذا الجانب يتناوله الباحثون في كلامهم عن السياق الخارجي ، وقد عرفت العلوم العربية^(١) السياق بوجه عام والخارجي منه على وجه الخصوص ، ففي علوم القرآن علم أسباب النزول الذي هو « إبانة ما أنزل فيه من الأسباب إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »^(٢) فبالوقوف على المقامية في قصة الآية وسبب نزولها يحدد المعنى المراد وينزل الإشكال .

نظراً إلى أن شعر الصعاليك في العصر الأموي وصل إلينا مكتوباً ، فالمواقف التي جرت عند عملية الإنتاج غائبة عن نصوصه غير أنه يمكن استرجاع بعض هذه المواقف ؛ لأنها مواقف سائدة .

ومع هذا فمن الممكن أن يروي الشاعر الصعلوك بعض المواقف وهو ينقل صورة ما ، كما في قول : (جعفر بن علبة الحارثي) :^(٣) [الطويل] .

أشارت لنا بالكفّ وهي حزينة تُودّعنا إذ لم يُودّع سلامها

ينقل الشاعر موقفاً يجري عند الوداع وهو الإشارة باليد ، وهو ما يمكن استرجاعه وتصوره إذ هو سائد في مثل هذه الواقعة ، ثم هي حزينة وهذه الحالة تمثل صورة أخرى من صور هذا الموقف الوداعي ، إذ الحزن الذي عناء الشاعر قد يكون ظاهراً على ملامح وجهها .

(١) يُنظر : البيان في روائع القرآن : ١٦٤/١ ، دلالة السياق ، الدكتور ردة الله بن ردة الله ابن ضيف الله الطلحي ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية . ط/١ ، ١٤٢٤هـ : ٥٠ ، المصطلحات المفاتيح : ٣٥-٣٦ ، نظرية السياق بن الموروث العربي واللسانيات الحديثة الدكتور حسن طبل ، مجلة فكر وإبداع ، ج/٥٣ ، يونيو ٢٠٠٩م : ٦٤-٦٦ .

(٢) أسباب النزول ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، تخريج وتدقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، الدمام - السعودية ، ط/٢ ، ١٩٩٢م : ٨ ، والإتقان : ٧١ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٥/١

وهذه الصورة قد تكون واقعة بالفعل ، أو هي في نسج خيال الشاعر فكثيرا ما يبدع الشاعر في إخراج الصورة في خياله بشكل أحداث ومواقف محسوسة .

فليس في الواقع بين يدي تحليل النص التراثي - شعر الصعاليك في العصر الأموي - من خلال سياقه غير اللغوي بيانات تساعد في التحليل كالآداء الصوتي أو الحركي ، وذلك أنه نص مكتوب^(١).

المقامية في نحو الجملة

اهتم علماء العربية بالمقامية ، وقد تجلّى هذا الاهتمام « لدى علماء البلاغة العرب في الشعارات التي لا يكاد يخلو منها كتاب بلاغي ، والتي تظهر ما للموقف من أهمية ومن بينها (لكل مقام مقال) ومراعاة مقتضى الحال »^(٢).

سبق أن عرضت لكلام الدكتور (أحمد عفيفي) في تقسيم الدكتور (تمام حسان) لمعايير النصية إلى معايير مشتركة بين نحو الجملة ، ونحو النص ومعايير خاصة بنحو النص وهي ما عدا السبك والحبك .

وقد تعرض الدكتور (عفيفي) في مناقشته للموقفية فقال : « يبدو أن مجموعة المعارف السابقة مفيدة في تحديد الموقف وتحليل الخطاب بناءً عليه »^(٣).

هذا النص هو تعليق على توجيه قوله « أَذَاهُمْ » من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٤٨) ، فالكلام عنه هل المصدر (أذى) مضاف إلى الفاعل أو مضاف إلى المفعول ، وإن رعاية الموقف تلزم إضافته إلى الفاعل على الرغم من أن نحو الجملة لا ينفي كون المصدر (أذى) مضافا إلى الفاعل أو إلى المفعول .

(١) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١

(٢) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩ .

(٣) نحو النص : ٨٥ .

فعلى هذا « يبقى لنحو الجملة تلك الاحتمالية ، على حين أن نحو النص
حسم الأمر من خلال رعاية الموقف أو المقامية »^(١) ، والذي يظهر هنا تأييد
ما ذهب إليه الدكتور (عفيفي) من أن المقامية لها علاقة بنحو الجملة ، مع
ملاحظة أن الاحتمالية الباقية لنحو الجملة قد تكون مرجحة بأدلة لنحو الجملة
نفسه ، المعبر عنها أحياناً بالسياق اللغوي الداخلي .

احتمال صيغة (أفعل) للاسمية والفعلية :

مثاله ما جاء من قول جعفر بن عُلبة الحارثي^(٢) [الطويل]
وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزُدُّهَا وَعَيْدُكُمْ وَلَا أَنِّي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ
يقول الدكتور (فخر الدين قباوة) عن كلمة (أخرق) : « فهي تحتل أن
تكون صفة مشبهة من الخرق وهو الاضطراب ، وأن تكون فعلاً مضارعاً من
ذلك المعنى ، غير أن الخبر لـ (أن) الأولى بالجملة (يزدهي) يرجح الفعلية
لتصير الجملة (أخرق) من الفعل والفاعل في محل رفع خبراً لـ (أن) الثانية »^(٣) ،
وهذا هو استعمال للسياق اللغوي في ترجيح قول على آخر .

وبالرجوع إلى قوله تعالى في الآية « وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا » (الأحزاب: ٤٨) ، ففي سياقها
الداخلي ما يستبعد احتمال إضافة المصدر (أذى) إلى المفعول ، إذ المعنى
يكون : « ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل »^(٤) فهو أمر بترك أذيتهم وتقويمهم^(٥) ،

(١) نحو النص : ٨٥ ، هامش ١٦٤ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٨٨/١ . ومعنى يزدهيها أي يستخفها والأخرق الذي لا يحسن
العمل . يُنظَر : شرح حماسة أبي تمام : ٤٢٠/١ .

(٣) التحليل النحوي ، أصوله وأدلتها ، الدكتور فخر الدين قباوة ، الشركة المصرية العالمية
للنشر ، لوانجمان ، الجزيرة - مصر ، ط١/٢٠٠٠م : ١٢٥ .

(٤) الكشف : ٧٩/٥ .

(٥) البحر المحيط : ٢٣٠/٧ .

فكيف يُنهى ﷺ عن أذيتهم ، وعن طاعتهم فلو كان قد آذاهم بشيء يلزم منه عدم طاعة لهم .

أن الخفيفة بعد فعل الظن ^(١) :

يترك النحو الحكم على (أن) إذا جاءت بعد ظن أهـي مخففة من الثقيلة أم هي مصدرية ناصبة ، والفيصل في هذا التردد هو المقامية ، فإذا كان الظن راجحاً فهي المخففة من الثقيلة ؛ لأن الظن الراجح أقرب إلى اليقين وهو يناسب التأكيد .

وإذا كان الظن محضاً كانت أن مصدرية ناصبة وهي تعمل في مقام الرجاء والظن الذي يناسبها ^(٢) .

ما تقدم هو فحوى قول النحاة غير أنهم لم يتعدوا هذا إلى تحرير أن السياق هو الحاسم بأن يكون فعل الظن راجحاً أو مرجوحاً ، ووجه الجواز لديهم ماورد من القراءة بالرفع والنصب للفعل (تكون) في قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ (المائدة: ٧١) ^(٣) . « فالرفع على أن الحساب بمعنى العلم وأن المخففة من الثقيلة العاملة في الأسماء ولا عوض عن الزايب والتقدير : « وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً » ، والنص على الشك بإجرائه مجرى الخوف و(أن) العاملة في الفعل النصب ^(٤) .

(١) ومن مسائل النحو على هذا النمط ، جعل كاد بمنزلة عسى بدخول (أن) على خبرها وجعل عسى بمنزلة كاد وتجريد (أن) من خبرها ، فمرده الموقفية ، ينظر : شرح المفصل : ١٢١/٧ .

(٢) ينظر الكتاب : ١٦٦/٣ - ١٤٨ ، والمقتضب : ٨-٧/٣ .

(٣) ينظر : كتاب السبعة في القراءات تأليف : أحمد بن موسى بن العباس التميمي ، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ : ٢٤٧ .

(٤) شرح المفصل : ٧٧/٨ ، وينظر : الجنى الداني : ٢٢٠ ، شرح التصريح : ١٣٤/٢ .

ولعل (سيبويه) كان أقرب النحاة إلى مراعاة المقامية في إجازة الرفع في الفعل بعد (أن) مع تصدر غير اليقين الكلام والنصب في الفعل بعد (أن) مع تصدر الكلام بيقين ، فيقول : «ولو قال رجل : أخشى أن لا تفعل ، يريد أن يخبر أنه يخشى أمراً قد استقر عنده أنه كائن جاز ، وليس وجه الكلام»^(١) .

وما أجازته (سيبويه) هنا لين جانب منه في تطبيق القاعدة النحوية على الرغم من تحرزه بأنه ليس وجه الكلام ؛ لذا اعترض عليه (المبرد) (ت ٢٨٥هـ)^(٢) ، و(سيبويه) يؤكد ما يراه فيقول : «وتقول : ما علمت إلا أن تقوم وما أعلم أن تأتيه ، إذا لم ترد أن تخبر أنك قد علمت شيئاً كائناً البتة ، ولكنك تكلمت به على وجه الإشارة ، كما تقول : أرى من الرأي أن تقوم ، فأنت لا تخبر أن قياماً قد ثبت كائناً أو يكون فيما يستقبل البتة مكانه قال : لو قمتم»^(٣) .

ومنه ما جاء في قول (طهمان بن عمرو الكلابي)^(٤) : [الطويل]
صَرَبْتُ بِهِ عَبْدًا سَمِيًّا فَفَلَّهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يُفْلَلَ كَاهِلُهُ
الخشية عند (طهمان) لم تكن أمراً استقر عنده ، فهي كائنة الوقوع كما يقول (سيبويه) : بل خشية غير متحققة ، لذا نصب الفعل (يفلل) على أن (أن) مصدرية ناصبة ، فالشاعر في مقام الرجاء ، فناسب هذا المقام أن تكون أن ناصبة وليست المخففة من الثقلة التي تفيد التأكيد .

(١) الكتاب : ١٦٧/٣ ، والذي جعلني أنسب هذا القرب إلى سيبويه دون غير من المتقدمين ، استبعاد المبرد لرأيه كما أنني لم أقف على قول للنحاة يوسع في مذهب سيبويه ، ينظر : المقتضب : ٨/٣ .

(٢) ينظر : المقتضب : ٨/٣ .

(٣) الكتاب : ١٦٨/٣ .

(٤) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٤٨ . الفل : التلم في أي شيء كان ، فله يَفْلَهُ فَلًا وَفَلَّه فَنَفَّلَ وَافْتَلَّ وَافْتَلَّ . لسان العرب : (فلل) ٥٣٠/١١ .

ومثل هذا أيضاً قول مالك بن الربيع^(١) : [الطويل]
 مَا زِلْتُ يَوْمَ الصُّغْدِ تَرْعُدُ وَأَقْفَا مِنْ الْجُنَيْنِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَنْصُرَا
 قال هذا في هجاء (سعيد بن عثمان بن عفان) ، وكان أميراً للجيش ، وجاء
 خوف (مالك) من تنصره على غير الجزم والقطع في هذا الخوف ؛ فنصب
 الفعل (تنصر) بأن المصدرية ، ولم يجعلها المخففة من الثقيلة ، إذ الخوف من
 تنصره لم يكن قد استقر عنده فلم يقطع به ليأتي بالمخففة لتأكيد .

مقامية (السجن) في شعر الصعاليك الأمويين

وصل إلينا شعر الصعاليك مدوناً ، فالشاعر يحاول فيه تقديم وجهة نظره
 في جانب من جوانب الحياة ، ولا شك في أن أي شاعر منهم له رؤيته الخاصة
 للعالم من حوله تظهر هذه النظرة وتلك الرؤية من خلال ما يختاره من
 ما يحيط به ويلبس أحداثه ، فتكون « الاختبارات لما يقال من خلال ذلك
 النص وكيف يقال »^(٢) ، وهو ما يظهر المقامية في نصوص شعرية لهؤلاء
 الشعراء الصعاليك .

ولعلني أكتفى بموقف سائد في أشعارهم يمكن استرجاعه ، وتصور موقف
 الشاعر فيه من خلال ألفاظه وعباراته التي جاء النص بها ، فالنص يقرأ بها قراءة
 كاملة.

يعد من الطبيعي أن تكثر السجون في زمن يوصف حكامه بالشدة والقسوة
 ويرمى ولاته بالظلم والتجبر ، فعهد بني أمية انتهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة
 من الهجرة وكانت بدايته عند تولي (معاوية بن أبي سفيان) الحكم سنة أربعين
 للهجرة^(٣) . وقد حدثت فيه فتن وحروب داخلية كثيرة أثارها الخصوم

(١) شعراء أمويون : ٢٩/١ .

(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١ .

(٣) ينظر : بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء : ١٣٨ .

السياسيون من الزبيريين والخوارج والشبعة^(١) بالإضافة إلى قطاع الطريق من اللصوص والصعاليك فقد قامت بمطاردتهم واضعة المكافآت للقبض عليهم^(٢). وتجدر الإشارة إلى أن وصف السجون وذكر المعاناة فيها « من الموضوعات الجديدة التي تميز به شعر الصعاليك الأمويين عن شعر الصعاليك الجاهليين ، وجد هذا الموضوع نتيجة الحياة الاجتماعية والسياسية القائمة في العصر الأموي »^(٣).

ولعل زمن (عبد الملك بن مروان) كان أشد العهود على هؤلاء الصعاليك^(٤) ، الذي بويع للخلافة سنة خمسة وستين هجرية ودامت خلافته نحو إحدى وعشرين سنة ، وكان حازماً في رأيه ولا يكِل أمره إلى غيره^(٥). فقد عانى (جحدر) مرارة السجن وصوره خير تصوير في شعره ، وهذه الصورة لا شك في حدوثها في ظروف (زمان ومكان) ، كما أنه لا بُدَّ من ملابتها ببعض الانفعالات الحركية والصوتية ، وهذه الظروف والانفعالات في حادثة السجن هي ظروف وانفعالات يمكن تصورها واسترجاعها ، إذ هي متوقعة وأنماط عادة ما تكون متشابهة الأحداث ، وهذا الموقف لدى (جحدر) يحمل معاناته في السجن :

(١) يُنظَر : التطور والتجديد في الشعر الأموي : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط/٩ ، ١٩٩١م : ٨٥ ، البطولة في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط/٢ ، ١٩٨٤م : ٥٢ .

(٢) يُنظَر : شرح أبيات مغني اللبيب ، صنفه عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) حققه : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط/٢ ، ١٩٨٨م : ٢١٠/٣ ، الصعاليك في العصر الأموي ، أخبارهم وأشعارهم ، إعداد : محمد رضا مروءة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٠م : ١١٠ . كيف جعل والي البمامة جعلاً كثيراً لفتيان بني يربوع للقبض على جحدر العكلي .

(٣) الصعاليك في العصر الأموي : ١١٠ .

(٤) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، الدكتور حسين عطوان : ٧٨ .

(٥) بلغة الظرفاء : ١٤٨ .

يقول : ^(١) وهو في سجن ديماس ^(٢) [السيط] .

إِنَّ اللَّيْلِي نَجَتْ بِي فَهِيَ مُخَسِّنَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا مِنَ الدِّيمَاسِ وَالْأَسَدِ
وَأَطْلَقْتَنِي مِنَ الْأَصْفَادِ مُخْرِجَةً مِنْ هَوْلِ سِجْنِ شَدِيدِ الْبَاسِ ذِي رَصَدِ
كَأَنَّ سَاكِنَهُ حَيًّا حُشَّاشَتُهُ مَيَّتٌ تَرَدَّدَ مِنْهُ السَّمُّ فِي الْجَسَدِ

فهذا السجن شديد البأس ، وهذه صفة للسجن ذاته ليست للسجان أو الحرس أي : أن المكان فيه قسوة على حقيقته ومع هذا هو مرصود وفيه قطع لحديث النفس بالهروب ، إذ إن الموقف السائد في غالب نفوس المسجونين أنهم يفكرون بالهرب والتخطيط له ، غير أن (جحدراً) يقطع هذا بأنه (ذو رصد) ، فعظمت بهذا مصيبة السجون ، فتشبيه ما هو فيه بأنه ميت في حالته وإن جرت الأنفاس فيه فهو حيّ حياة جسد أخذ السم منه مأخذه ، فهو بهذا يصدق تسمية القبر على الديماس الذي فيه جحدر وهو سجين وغريب ؛ إذ إنه من أهل اليمامة أخذه وإليها فأرسله إلى الحجاج فسجنه بالديماس ، ولعله آخر سجن له ، وهو بين الغربية وقهر السجن ومخافة الأسد الذي سينزله أو بطش الحجاج به .

ولعل (الديماس) سجن استحق بحق هذه السمعة ، يظهر هذا عندما يقارن وصفه بما وصف به سجن غيره ، ولأنّهما بمراعاة الموقف الذي وصفه مسجونوه ، فالعوامل الخارجية لها أثرها الظاهر هنا كالغربة وتوعده بالقتل ومنازلته للأسد .

(١) شعراء أمويون : ١٧٢/١ ، وفيه (نحت بي). والحشاشة بضمة : بقية الروح في القلب ، وهو الرمق في المريض والجريح . تاج العروس : (حشش) ١٤٩/١٧ .

(٢) هو سجن كان للحجاج بن يوسف الثقفي في واسط ، وهذا الاسم تشبيه له بالليل لظلمته وهو اسم للقبر أيضاً يغيب فيه المسجون ، فكأنه قبر للأحياء يُنظر : أساس البلاغة : (دمس) ٢٩٨/١ ، لسان العرب : (دمس) ٨٨/٦ .

ومهما يكن من شيء فالشاعر يصف دُؤار وهو سجن باليمامة ^(١) سجن الشاعر فيه غير أن الموقف هنا يختلف كثيراً ، فهو وإن كان سجيناً لكنه لم يكن غريباً ، وإن كنت لا أقطع عنه الوجل والخوف من مصيره غير أنني أزعم أنه في (الديماس) كان أكثر وجلاً وأشد خوفاً . يقول (جحدر العكلي) ^(٢) : [البسيط]

يَا صَاحِبِي وَبَابُ السَّجْنِ دُونَكَمَا هَلْ تُؤْنِسَانِ بِصَحْرَاءِ اللُّوَى نَارَا
لَوَى الدُّخُولِ إِلَى الْجُرْعَاءِ مَوْقِدُهَا وَالتَّارُ يُبْدِي لِدِي الْحَاجَاتِ أَذْكَارَا
لَوْ يُتَّبَعُ الْحَقُّ فِيمَا قَدْ مَنِيَتْ بِهِ أَوْ يُتَّبَعُ الْعَدْلُ مَا عَمَّرَتْ دُؤَارَا
إِذَا تَحَرَّكَ بَابُ السَّجْنِ قَامَ لَهُ قَوْمٌ يُمْدُونَ أَعْنَاقَا وَأَبْصَارَا

فدوار سجن باليمامة وهي بلده ، وإليها ينسب كما أنه لم يسجن به أول مرة فقد تكررت أخبار سجن فيه من خلال شعره كقوله ^(٣) : [الكامل]

كَأَنَّتْ مَنَازِلُنَا الَّتِي كُنَّا بِهَا شَيْئاً وَأَلْفَ بَيْنَتَا دُؤَارُ

هذا مما يقلل من وحشته وغرته ، ثم إن له في دوار رفقة يستهل بمناذاتهم (يا صاحبي) على خلاف ما كان عليه الحال في الديماس فهو يستهل بذكر (الليالي) ويرجو النجاة بإحداها ، وبما أنه في دياره فهو يحدد أماكنها (لوى الدخول) و(الجرعاء) وهو يوردها باستفهام عن الأنس بالنار التي توقد فيها .

(١) يُنظَر : معجم البلدان : ٤٧٨/٢ - ٤٧٩ ، تاج العروس : (دور) ٣٣٥/١١ .
(٢) شعراء أمويون : ١٧٤/١ . وَمَنِيَتْ بِكَذَا وَكَذَا : ابْتَلَيْت بِهِ . لسان العرب : (مني)
٢٩٣/١٥ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٦/١ . ثم هو يذكر هذا السجن في مدح لصاحبه فيقول :
سَقَا لِيَجْنِكَ مِنْ سِجْنٍ وَسَاكِنِهِ بِدِينَةٍ مِنْ ذَهَابِ الْمَاءِ مِثْدَارِ
كما أنه ذمه وتمنى زواله (شعراء أمويون : ١٨١/١) إذ يقول : [البسيط]
يَارَبُّ دُؤَارِ أَلْقَدْ أَغْلَقْ عِجْلًا وَأَلْقَنْ مَرَاتِرَةً مِنْ بَعْدِ إِثْرَامِ
رَبِّ أَرْمِهِ بِخَرَابٍ وَأَرْمِ بَانِيَهُ بِصَوْلَةٍ مِنْ أَبِي شَيْئَيْنِ حِرْغَامِ

ومع هذا يرى أنه مظلوم مجني عليه ، وأن الحق والعدل يقضيان أن لا يقيم بدوار ، ثم إن في سجنه بارقة أمل إذ لهذا السجن باب يفتح ، وهذا الموقف الحركي يصحبه انفعال آخر من ساكني هذا السجن فهو إذا ما تحرك بابه ، قام له قوم يمدون أعناقاً ويحدقون بأبصارهم إلى خارجه ، وليت شعري هل هذه المواقف إلا مواقف سائدة في حالة كل مسجون حبيس عن الخروج .

ولجحدرة تجربة مع سجن آخر هو (المخيس) وهو في بيضاء البصرة^(١) فهو يقول فيه^(٢): [البسيط]

أَقُولُ لِلصَّحْبِ فِي الْبَيْضَاءِ دُونَكُمْ مَحَلَّةٌ سَوْدَتْ بَيْضَاءُ أَفْطَارِي
مَأْوَى الْفُتُوَّةِ لِلْأَذَلِّ مُذْ خُلِقْتُ عِنْدَ الْكِرَامِ مَحَلُّ الذُّلِّ وَالْعَارِ
كَأَنَّ سَاكِنَهَا مِنْ قَعْرِهَا أَبْدًا لَدَى الْخُرُوجِ كَمُتَّاشٍ مِنَ النَّارِ

إن (جحدرًا) في هذا السجن أكثر معاناة في سجن دَوَّارٍ إذ ظهر ما وجد في شدته ، فهو قد سود له أيام صباه التي قضاها سعيدة بيضاء في دياره ، وإن سجن هذه شدته لهو شديد لاشك . كما أنه يرى أن السجن عار على الرغم من أنه يكون مأوى للفتوة غير أنه عند كرام الناس هو محل للذل والعار . فكأنى به غير راض به منزلاً ، لشرف يراه في نفسه ، ثم إنه في وصفه أن الخارج منه كأنه خارج من النار بعد أن احترق بها يقترب كثيراً من صفة الديماس الذي جعل منه قبرا للأحياء ، لكنه يقصر دونه فهو في البيضاء يذكر الصحب أيضاً ، ثم هو يأمل من الصحب أن يخلصوه فالأمل بالهرب غير منقطع .

(١) معجم البلدان : ٥٣٠/١ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٦١/١ . وَيُقَالُ : اتَّشَانِي فَلَانٌ مِنَ الْهَلَكَةِ أَيِ اتَّقَذَنِي ، لسان العرب : (نوش) ٣٦٢/٦ .

المبحث الثاني

الإعلامية

تعريف الإعلامية : Informatively

الإعلام : مصدر أعلم ، وهو « عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلاً بالعلم به ؛ ليتحقق إحداث العلم عنده وتحصيله لديه ويشترط الصدق »^(١).

والفرق بين الإعلام والإخبار أن الأخير لا يشترط فيه الصدق مثل ما اشترط في الأول^(٢) ، والإعلام : اختص بما كان بإخبار سريع^(٣).

يُعرف (دي بوجراند) الإعلامية بأنها : « العوامل المؤثرة بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابل البدائل الممكنة »^(٤).

كما يبينها وأصحابه بمضمونها الذي هو : « مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع أو المعلوم في مقابل المجهول »^(٥) ،

(١) الكلبيات : ١٤٨ .

(٢) يُنظر : المصدر نفسه : ١٤٨ .

(٣) يُنظر : تاج العروس : (علم) ١٢٨/٣٣ ، لذا يظهر لي أن مصطلح (الإعلامية) أكثر ملاءمة من استعمال مصطلح (الإخبارية) لأن السرعة في الإعلامية جاءت زيادة على مجرد الإخبار ، وهذه السرعة عنصر من عناصر الجودة والتنوع الذي يتضمنه التعريف الاصطلاحي .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ١٠٥ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص : ٢٣-٣٣ .

وقد نبه (دي بوجراند) على أن النظر إلى هذا المصطلح (الإعلامية) يكون « من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف »^(١).

وقد أوضح آلية تطبيق هذا المصطلح فذكر أنها « عنصر ما ، تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي : إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية ، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية »^(٢).

أما ميدان تطبيق الإعلامية فـ« في العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى »^(٣).

إشارات إلى الإعلامية في التراث العربي :

تضمنت كتب علماء النقد والبلاغة إشارات إلى الإعلامية وأهميتها ، بوصفها مقياساً لعدم التوقع كفكرة الغرابة عند (حازم القرطاجني)^(٤) ، ولعلها تلتبس عند (الجاحظ) كما في قوله : « وقالوا لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفرقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نواذر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النواذر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع »^(٥) ، وفي هذا تنبيه إلى عنصر الجدة والتعدد الذي دعا إليه النصيون في الكشف عن الإعلامية في النصوص .

يقول (عبد القاهر الجرجاني) عن بعض أساليب التشبيه ، يطلب بالفكرة « وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٣) مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩ .

(٥) البيان والتبيين : ٢٠٦/١ .

طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه وما كان منه ألفت كان امتناعه عليك أكثر وأبأه أظهر واحتياجه أشد^(١) ، وهذا الكلام لا أشك في إمكانية توظيفه في مجال الإعلامية المرتفعة وسبيل خفضها .

ثم يرد على اعتراض قد يورد على هذا ، فيقول : « فإن قلت : فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعتمد ما يكسب المعنى غموضاً ، مشرفاً له وزائداً في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ألا تراهم قالوا : إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك؟ .

فالجواب : إني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب ، وإنما أردت القدر الذي يحتاج إليه نحو قوله^(٢) :

فإن المسك بعض دم الغزال

... . فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهرة في صدف لا يبرز لك إلا أن تشق عنه^(٣) .

وكأنني بعبد القاهر يذكر بعض موارد الإعلامية المنخفضة ، فيقول : « وهكذا الحكم في الطرق التي ابتدأها الأولون والعبارات التي لخصها المتقدمون والقوانين التي وضعوها حتى صارت في الاشتراك كالشيء المشترك من أوله والمبتذل الذي لم يكن الصون من شأنه والمبذول الذي لم يعترض دونه المنع في شيء من زمانه^(٤) .

أما (القزويني) فقد أظهر دور العناصر غير المعهودة في النفس ، فقال : « ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكبر

(١) أسرار البلاغة : ١٣٩ .

(٢) ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٨٣م : ٢٨٦ ، وصدر البيت : فإن تَفَقَّى الأَنَامَ وَأَتَتْ مِنْهُمْ .

(٣) أسرار البلاغة : ١٣٩-١٤١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٠ .

وكان الشغف به أجدر^(١)، وما نؤه به (لقزويني) يمثل العناصر غير المتوقعة ودورها إمتاع المتلقي على الرغم من تطلبها إجراءات أكبر عبثاً^(٢).

تكثر نماذج هذا النوع من الإعلامية في أنماط عديدة من التراث العربي^(٣) أكتفي بالاستدلال لها بالتشبيه المقلوب .

يكون هذا النوع من التشبيه عندما يكون الغرض من عملية التشبيه إبراز المشبه ، به^(٤) « فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه وذلك في التشبيه المقلوب وهو أن يكون بالعكس »^(٥) ومثالهم في هذا النوع قول محمد ابن وهيب الحميري^(٦) :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتْهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَتَسَبَّحُ

القول في هذا التشبيه « هو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبه بوجه الخليفة ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيه يفخم به أمره فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف مخالف ، أو تهكم متهمك والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب^(٧) .

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠ .

(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٣) يمكن أن يمثل الإعلامية من التراث العربي بالمجاز والكناية والاستعارة في النحو بالحذف والتقديم والتأخير والتضمين والتعريف والتكثير وغيرها ينظر : الإعلامية في نحو النص (دراسة تطبيقية) بحث دكتورة في كلية دار العلوم ، إعداد : محمد أشرف الشامي ، إشراف الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، ٢٠١١م : ٦٤ .

(٤) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٥٠ .

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠ .

(٦) أبو جعفر من شعراء الدولة العباسية مدح المأمون والمعتصم ، وهو شاعر مكثر مطبوع ، ينظر : معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢٠ .

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠-٢٦١ ، وينظر : أسرار البلاغة : ٢٢٣ .

إن إدراجي لهذا النوع من التشبيه تحت هذه الدرجة كان بسبب إجراء خفض خروجي عليه عند (عبد القاهر الجرجاني) في حديثه عن العكس في التمثيل وعلاقته بالتأويل ؛ إذ يقول : « ومن هذا الباب قول الآخر ^(١) : [الكامل] ولقد ذكرْتُكَ والظلامُ كأنَّهُ يومُ الثَّوى وفؤادُ مَنْ لم يَعشَقِ لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد ، فيقال : (اسودَّ النهار في عيني) و(أظلمت الدنيا عليّ) ، جعل يوم النوى كأنَّهُ أعرف وأشهر بالسواد من الظلام ، فشبه به ثم عطف عليه (فؤاد من لم يعشق) تظرفاً وإتماماً للصنعة ^(٢) .

إن عبد القاهر في هذا النص يستعمل الخفض الخروجي وإن لم يصرح به وذلك بالاستعانة بسياق خارج عن النص ، وهو في العالم المعرفي (أوقات المكاره توصف بالسواد) وذلك من خلال أقوال الناس : (اسودَّ النهار في عيني) و(أظلمت الدنيا عليّ) .

الإعلامية في الجملة :

يلفت الدكتور (أحمد عفيفي) النظر إلى « أن الإعلامية مرتبطة أيضاً ببنية النص بناء على مقولات نحاة النص أنفسهم ^(٣) .

نقل عن (دي بوجراند) ما يؤيد كلامه وهو أن « العلاقات بين درجات الإعلامية وبنية الجملة شديدة الحساسية بالنسبة للموقف ، فالمنظور الوظيفي للجملة يمكن بصورة تامة أن يسمى المنظور الوظيفي للنص ^(٤) .

يقول (دي بوجراند) عن المنظور الوظيفي « بوصفه ضابطاً لتشكيل الجمل بجانب أمور أخرى كثيرة ، ولا حاجة بنا إلى توقع أن يكون لكل جملة معهود

(١) البيت لأبي طالب الرُّقي ، يُنظَر : نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٦/٧ .

(٢) أسرار البلاغة : ٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) نحو النص : ٨٧ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٢٨٦ .

في مقابل مستفاد ما لم نصل إلى تحديد هذه المفاهيم في ضوء الواقع في نطاق الجملة أولاً ، ونحن في هذه الحالة لا نعد باحثين عن الإعلامية ، وعلى أقصى تقدير نستطيع هنا أن نستكشف المعهود من وجهة النظر الموقعية والمستفاد من وجهة النظر الشاملة دون ارتباط بعناصر طول الجملة^(١).

وهو بهذا يظهر ما للجملة من دور في الإعلامية ، وإن كان لا يبحث عنه مجرداً دون النص فليست الجملة عنده بمستهدفة ، ومع هذا لا يجد (دي بوجراند) بُدأً من التنبية على ما للشكل السطحي للجملة من أهمية في عملية الاتصال ، وهو « أن تعلمهم بكيفية التحديد والانتقاء من بين عناصر المحتوى الذي هو المعهود من قبل ، ويجد هذا المطلب عوناً من الشكل السطحي للجملة الذي يشير إلى البؤرة في مقابل الأرضية »^(٢).

يقول الدكتور (عفيفي) عن هذا بأنه : « اعتراف بالربط بين الإعلامية وبنية الجملة من خلال المنظور الوظيفي لها ، غير أن التطبيق على بناء الجملة سوف يختلف بالتأكيد عن بناء النص إلا أن التعامل يكون أكثر شمولاً واتساعاً »^(٣).

وبالرجوع إلى مفهوم الإعلامية عند (دي بوجراند) « فإن الإعلامية عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي : إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى ومن وجهة النظر الاختيارية ، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية »^(٤).

تعريف (دي بوجراند) يظهر أن للإعلامية مستويات من ناحية كفاءتها فكلما كان العنصر غير متوقع الورود بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى كانت كفاءة الإعلامية منخفضة ، وهذا أمر بحد ذاته لا يمنع وروده على

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ٢٨٥ .

(٣) نحو النص : ٨٧ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

مستوى نحو الجملة ، فالنظر إلى مصطلح الإعلامية إذن « لا من حيث كونه يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال ، بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف »^(١).

وهنا يمكن الحديث عن قواعد اللغة العربية ليس من جانبها المعياري فحسب ، بل من جانب إمكانية توقعها من عدمه ولو على مستوى التركيب السطحي لا المحتوى المفهومي ، فلكل فعل فاعل ولكل مبتدأ خبر ، وغيرهما من التراكيب النحوية المتوقعة ، التي تتمتع بأقل قدر من الإعلامية ، ولا سيما عند التزام رتبها ؛ لأن رفع إعلاميتها قد يكون بالتقديم والتأخير ، أو الحذف .

للجملة الشعرية خصوصية الوزن والقافية ، مما يحدد من احتمالات التوقع ، وبالتالي تكون القصيدة الواحدة متوقعة المقاطع من خلال الوزن الشعري ، وهذا يجري على القافية في القصيدة ومن هنا يكون الكلام عن دور الضرورة الشعرية وبعض عيوب الشعر في رفع كفاءة الجملة في الشعر .

وهنا يمكن أن أمثل للإعلامية على مستوى الجملة في شعر الصعاليك الأمويين بمثالين هما :

أولاً : قول بدر بن سعيد الفقعسي^(٢) : [البسيط]

وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ

أثار هذا البيت خلافا بين النحاة ؛ بسبب بؤرة التنشيط الإعلامي (هم) الضمير المنفصل ، وهذا الخلاف هو :

أ- قول ابن مالك :

« فهم الأخير فاعل يزيد ، وظن بعضهم أن هذا جائز في غير الشعر ؛ لأن قائله لو قال : يزيدونهم ، لصلح ، فجعل المتصل وهو الواو فاعلا ، والمنفصل

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٢) ديوان اللصوص : ٧٥/١ .

توكيدا ، وهذا وهم ؛ لأن لك ضميرين متصلين لمسمى واحد ، أحدهما فاعل والآخر مفعول وذلك لا يجوز في غير فعل قلبي^(١).

ب - أبو حيان : وكلامه رد على (ابن مالك) .

«الذي ظنه هذا الظان صحيح وما رد به المصنف فاسد ووهم منه ؛ لأنه اعتقد أن الفاعل بـ(يزيد) هو المفعول به وليس كذلك بل الفاعل بـ(يزيد) عائد على (قوم) و(هم) المتصل بـ(يزيد) عائد على من سبق ذكره في الشعر في الذين فارقه ، على هذا صح أن يقال (إلا يزيديهم) لاختلاف مدلول الفاعل والمفعول ؛ لأن الزائد غير المزيد»^(٢).

وأيد هذا القول البغدادي وصرح بأنه ضرورة للشاعر ؛ لأنه وضع الضمير المنفصل موضع الضمير المتصل ، موافقا بذلك (ابن عصفور)^(٣).

ج - ابن هشام : وهو في صدد الرد على (ابن مالك) أيضاً .

يقول : «فادعى أن الأصل : يزيديون أنفسهم ، ثم صار يزيديونهم ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وآخر عن ضمير المفعول ، وحامله على ذلك ظنه أن الضميرين لمسمى واحد ، وليس كذلك ؛ فإن مراده أنه ما يصاحب قوما فيذكر قومه لهم إلا يزيد هؤلاء القوم قومه حباً إليه لما يسمعه من ثنائهم عليهم ولا يحسن تخريج ذلك على ظاهره»^(٤).

(١) شرح التسهيل : ١٥٦/١ .

(٢) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، ألفه أبو حيان الأنديلي : حققه : الدكتور حسن هنداي ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ط١/١ ، ١٩٩٨م ؛ ٢٤٨/٢ - ٢٤٩ .

(٣) ينظر : شرح أبيات المغني : ٢٧٦/٣ ، وضرائر الشعر ، تأليف أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٣ هـ) ، وضع حواشيه : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١/١ ، ١٩٩٩م ؛ ٢٠٣ .

(٤) مغني اللبيب ٣٩٨/٢ - ٣٩٠ .

مؤدى هذا الخلاف أن هناك عدم توقع مجيء الضمير المنفصل محل الضمير المتصل ، وبالتالي سبب إشكالاً في الفهم ليحدث خلافاً في تفسيره بين النحاة ، فعدم التوقع الوارد على مستوى الجملة يدل على وجود الإعلامية وحصولها على مستوى الجملة .

ثانياً : يقول (المَرَّار الفقهسي) ^(١) [الوافر]

أَنَا ابْنُ الثَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بَشَرًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقِيهِ وَفَوْعَا

شاع الخلاف بين النحاة في ضبط كلمة (بشر) التي هي من خلال علامتها الإعرابية أصبحت بؤرة للإعلامية في هذا البيت ، فسيبويه ينشدها بالكسر على أنها بدل أو عطف بيان ^(٢) ، وهنا يمكنني القول إن مسائل الخلاف النحوية التي ثارت بين النحويين يمكن إدراج كثير من قضاياها في هذا النوع من الإعلامية .

مراتب الكفاءة الإعلامية :

تعرف الكفاءة بأنها « هي صياغة أكبر كمية من المعلومات باتفاق أقل قدر من الوسائل » ^(٣) وللکفاءة الإعلامية ثلاث مراتب ذكرها (دي بوجراند) ^(٤) هي :

الدرجة الأولى : الإعلامية المنخفضة :

تكون هذه الدرجة من الإعلامية عادة في « وقائع مبتذلة ؛ أي : إنها تكون مستوعبة في نظام أو مقام ما استيعاباً كاملاً يجعل حظها من الاهتمام ضئيلاً » ^(٥) .

فهذه الدرجة لا يخلو نص منها فهي الحد الأدنى في أي نص « مهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع » ^(٦) .

(١) شعراء أمويون : ٢٦٥/٢ .

(٢) ينظر : الكتاب : ١٨٢/١

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٩٩ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٢ ، مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٧ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٧-١٨٨ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٣ .

فهي أضعف درجة من درجات الإعلامية « ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك وإلى الملل بل إلى رفض النص في بعض الأحيان »^(١).

والسبب وراء وجود الحد الأدنى للإعلامية في كل نص إذ إن كل نص يمثل وقائع أو واقعة معينة فوجود النص يعني وجود الوقائع في مقابل عدم وجود الوقائع^(٢).

وقد وقف (عبد القاهر الجرجاني) على أحد أسباب انخفاض الإعلامية في بعض النصوص ، وهو قوله : « فإنك تعلم أن قولنا : (لا يُشَقُّ غُبَارُهُ) الآن في الابتذال كقولنا : (لا يُلْحَق ولا يُدْرِك)، و(هو كالبرق) ونحو ذلك إلا أننا إذا رجعنا إلى أنفسنا علمنا أنه لم يكن كذلك في أصله وأن هذا الابتذال أتاه بعد أن قضى زماناً بطراءة الشباب وجدة الفتاة وبعزة المنيع ، ولو قد منعك جانبه وطوى عنك نفسه لعرفت كيف يشق مطلبه ويصعب تناوله »^(٣).

فجعل من أسباب ورود النص منخفض الإعلامية ؛ لأنه « سهل مرامه واتسع وجوده »^(٤)، وهذا الكلام أصله عند عبد القاهر في الموازنة بين التشبيهين . و« لأنه لا يمتنع أن يسبق الأول إلى تشبيه لطيف بحسن تأمله وحدة خاطره ، ثم يشيع ويتسع ويذكر ويُشهر حتى يخرج إلى حد المبتذل وإلى المشترك في أصله ، وحتى يجرى مع دقة تفصيل فيه مجرى المجمل الذي تقوله الوليدة الصغيرة والعجوز الورهاء »^(٥).

(١) مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣ .

(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٥ .

(٣) أسرار البلاغة : ١٨٩-١٩٠ .

(٤) أسرار البلاغة : ١٩٠ .

(٥) أسرار البلاغة : ١٨٩ .

وبهذا يكون الاتفاق بين (الجرجاني) ونحاة النص الآن بوصف هذه الدرجة بأنها من السداجة والوضوح ما يشبه أسلوب الأطفال في التعبير عن رغباتهم^(١).

ولعل هذه الدرجة أقل ما تكون وروداً في الشعر ؛ لأن النص الشعري في الغالب يكشف عن «المحتوى غير المحتمل في الهيئة المحتملة أو المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة»^(٢)، ففي الحالتين يكون المتلقي أمام وقائع أو أشكال غير محتملة مما يرفع من الكفاءة الإعلامية إلى ما هو فوق مستوى هذه الدرجة .

و(لمالك بن الريب)^(٣) نص في ذكر ابنته (سهلة) عندما أحس بالموت يمكن أن يكون محتواه متوقع الحصول ، وهو قوله : [المتقارب]

سَأَلْتُ سَهْلَةً فَقَالَتْهَا وَتَسْأَلُ عَنْ مَالِكٍ مَا فَعَلُ
تَوَى مَالِكٌ بِبِلَادِ الْعَدُوِّ تَسْفِي عَلَيْهِ رِيحُ الشَّمْلِ
لِذَلِكَ سَهْلَةً جَهَّزْتَنِي وَقَدْ حَالَ دُونَ الْإِيَابِ الْأَجَلُ

وهو نص لا يتضمن إلا محتويات محتملة لا تتسم بالجدة فسهلة (البنات) عادة ما تسأل عن الأب (مالك) الغائب في سفر للحرب ، وطبعي أن يكون السؤال موجه للقفال ثم الخبر أنه ميت يستحوذ على البيتين الأخيرين .

(١) يُنظَر : الإعلامية في نحو النص : ٤١ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٢١ . ويمكن التشبيه على أن الهيئة غير المحتملة ، هنا تخص الكلام عن الشعر في غير العربية ، أما الشعر العربي فله التزام عال بالهيئة (الوزن والقافية) فهو من هذه الجهة محتمل التوقع فأجزاء الشعر العروضية التي هي من أهم عناصر الشكل فيه بالإضافة إلى العلامات الإعرابية قد التزم بها الشعراء قديماً من بينهم الصعاليك في العصر الأموي .

(٣) شعراء أمويون : ٣٨/١ .

ويقول (طهمان بن عمرو الكلابي)^(١) : [الطويل]
 سَقَى دَارَ لَيْلَى بِالرِّقَاشِ مَسْبِلٌ مُهْنِبٌ بِأَغْتَاكِ الْغَمَامِ دُفُوقُ
 إن عنصر التنشيط الإعلامي في الشطر الأول من البيت هو (سقى) ، ويكون
 التحديد من خلاله حصرا إذ السقي يكون بالماء ؛ لأنه متوقع ورود غالبا ،
 فلا قوة للكفاءة الإعلامية في ورود العنصر (مسبل) فلم يتضمن عنصر جدة
 أو احتمال للتنوع فيه .

فكرة خلو النص من الإعلامية

يحسن أن أتناول في معرض الحديث عن الدرجة الأولى (المنخفضة) فكرة
 خلو النص من الإعلامية عند بعض الدارسين .

الدكتور (أحمد عفيفي) :

نقل الدكتور تعريف (دي بوجراند) للإعلامية وحدد مفهومها ، أجرى
 تطبيقه على بعض نص نقله عن الدكتور (تمام حسان) وهو : « إن الذي يرى
 خواطر التاريخ المقبل وما تنطوي عليه تهاويل النزغات الدقيقة لا بد أن تبهره
 أحلام الواقعية التي تمتد على روافد التاريخ ، ولقد كان الإنسان في كل ناحية
 من نواحي الشوائب الفارحة في التطور العاطفي قائما بالقسط بين النية والطوية
 في تعامله مع الآخرين ، ولئن كان المد السكوني المتاح للإنسان (منظور إليه
 في ضوء الجزر الحركي لأنواع الجماد) لم يأت بجديد في حقل الملاحظة
 والتجربة فإن ما نسمع عنه من استقامة المحيط وحلزونية القطر بما أفضى في
 نهاية المطاف إلى حدس زمكاني أرجواني الطابع والاتجاه »^(٢).

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ٩٧ .

(٢) الأصول ، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو - فقه اللغة - البلاغة)
 الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٩م : ٢٨٨-٢٨٩ ، نحو
 النص : ٨٦ .

إن الدكتور بعد ذكره أن نحاة الجملة يمكن لهم أن يقولوا عن هذا الكلام نصاً^(١) ، يقول «أما النحو النصي فلا يقف أمام هذا الكلام ؛ لأنه ليس نصاً ولا يحكم له بالنصبة لافتقاده الإعلامية بفراغ محتواه»^(٢).

يلاحظ أن الدكتور (أحمد عفيفي) أفقد هذا الكلام إعلاميته لفراغ محتواه فحكم عليه بأنه لا نص ، وحقيقة الأمر عنده أن الإعلامية مرتبطة بالمحتوى فد على هذا لا بد أن يحمل النص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقى عن طريق النص اللغوي ، إذ لو جاء نص فارغ المحتوى من الدلالة فليس نصاً ولا علاقة لنحو النص به بل لابد لهذه الدلالات أيضاً من الترابط والانسجام إن الإعلامية ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقى ومدى توقعه لعناصره»^(٣).

إن فراغ النص من المحتوى الدلالي لا يعني عدم وجود نص فالإعلامية توجد في أي نص مهما يكن نصيب الشكل أو المحتوى من التوقع»^(٤).

فالكلام المستشهد به إن قيل فعلاً فهو نص ؛ لأن كل نص يدل على واقعة معينة أو وقائع ، فمجرد وجود نص ما يعني وجود هذه الوقائع ، وهذا الوجود هو في مقابل عدم الوجود ، وقد استشهد الدكتور (تمام حسان) بأصل النص على أنه دليل لا يحمل مضمونا ولا معنى فهو ككلام المجانين»^(٥).

(١) نحو النص : ٨٧ ، يقول : «ذلك دون النظر إلى محتواه» الذي أراه هو التحفظ على هذا الكلام إذ لم يكن النحو يوماً نحواً دون مراعاة المحتوى ، وتقسيم سيويه للاستقامة النحوية إلى استقامة حسنة واستقامة كذبا واستقامة قبيحة خير مثال على هذه المراعاة ينظر : الكتاب : ٢٥/١ ، والنحو والدلالة : ١٢-١٣ ، ٦٥ .

(٢) نحو النص : ٨٧ .

(٣) نحو النص : ٨٦ ، وقد أظهر الدكتور أحمد محمد عبد الراضي حذره من نص الدكتور عفيفي فقال : «ليس الأمر كذلك لما بينا من أن الإعلامية كما وضحتها بوجرائد لا تكمن في مجرد احتواء النص على معلومات أو مضمون وإلا فكل تركيب أو نص لا بد أن يعبر عن شيء ولا بد له من مضمون وإنما تكمن الإعلامية في جلة هذه المعلومات وتنوعها» ، نحو النص بين الأصالة والحدثة : ٩٧-٩٨ .

(٤) مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣ .

(٥) الأصول : د . تمام حسان : ٢٨٨ .

فهذا الحكم - كلام مجانيين - يدل على أن النص احتوى مجموعة كبيرة من (الانقطاعات والفجوات والتعارضات)^(١) مما سبب مشكلة ؛ «لأنَّ تحديد وصلات العناصر الجديدة الواردة بالنسبة لما سبقها معرضة للخطر بطريقة غير متوقعة واحتمال الفشل هنا عظيم»^(٢).

وكلام الدكتور (أحمد عفيفي) في آخر فقرته السابقة اشترط في الدلالات (المحتوى) الترابط والانسجام ؛ لأنَّ الإعلامية ترتبط بعملية الإنتاج وهي متوقفة على المتلقي ومدى توقعه للعناصر .

وهذا الكلام في الواقع يُسلم له فيما يتعلق بدور المتلقي وتوقعه أما انسجام وترابط الدلالات في كل النص فلا يسلم لها إلا عند الكلام عن الدرجة الأولى من الإعلامية التي توصف نصوصها بأنها «تتسم بسهولة الإجراء ؛ أي أن إيجاد وصلات لربط الوقائع بما يسبقها لا يحتاج إلى نظر»^(٣) ، هذا اليسر في الإجراء يكون في الدلالات المترابطة المنسجمة ، أما في حال كون هذه الدلالات غير مترابطة أو منسجمة ؛ أي : أصابها (انقطاعات أو فجوات أو تعارضات) فحينئذ لا ينطبق كلام الدكتور عفيفي عليها .

كما يلاحظ أن الدكتور (أحمد محمد عبد الراضي) بعد أن ذكر وجه استشهاد الدكتور (تمام حسان) للنص الذي استعمله الدكتور (أحمد عفيفي)، وأنَّه ساقه في معرض حديثه عن العلاقة الطبيعية بين الرمز الأدبي ، ومعناه يعلق عليه بقوله : « فلا علاقة له بنحو النص أو الإعلامية »^(٤).

ولهذا التعليق وجهان أحدهما : أن يكون هذ التعليق قد وجهه إلى النص ومحتواه ، وهذا وجه مستبعد ؛ لأنَّه في معرض الرد على الدكتور (عفيفي) الذي علق الإعلامية بالمحتوى فلا يصح أن يكون مناقضاً لنفسه .

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٥٥ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٢ .

(٤) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٨ .

والوجه الآخر : إن التعليق موجه إلى الاستشهاد بهذا النص ، ؛ لأنه نص بالأصل عند الدكتور (تمام حسان) لم يستشهد به لنحو النص والإعلامية .
والذي يبدو أن هذا التعليق ليس له حظ من التوفيق إذ يمكن نقضه من وجهين : الأول : إن أي نص ما كان ولم يكن ولن يكون حِكْراً في الاستشهاد على قاعدة أو نظرية فلا يسمح له بالخروج إلى غير ما طبق عليه من قواعد وفرضيات بل إن النص الواحد قد يصلح لجعله شاهداً لأي قاعدة ما أمكن ذلك .

والآخر : إن الدكتور (عفيفي) ما كان يجهل لأي شيء استشهد الدكتور (تمام حسان) بهذا النص بل نص على ذلك وذكر حكم الدكتور (تمام) عليه^(١).
الدكتور (أحمد محمد عبد الراضي) :

نقل الدكتور نص (دي بوجراند) في الإعلامية ، وركز على قضية جودة المعلومات وتنوعها الواردة في النصوص فقال : « فليست الإعلامية إذن متمثلة في مجرد المعلومات التي يحتويها النص ، وإنما تتمثل في جودة هذه المعلومات وتنوعها اللذين توصف بهما المعلومات في بعض المواقف »^(٢).

ثم يأتي لتأكيد هذا عند خلو النص من الدلالة أو عدم خلوها منها فيقول : « ومن ثم لا ينبغي أن نفهم خلو النص من صفة الإعلامية خلوها من الدلالة تماماً وإلقاءه على المتلقي شكلاً بحثاً بلا مضمون ؛ لأن القضية ليست احتواء النص على مضمون وعدم احتوائه على مضمون إنما القضية احتواء النص على معلومات توصف بالجدة والتنوع ، ولذا كلما قل احتمال المتلقي لها ازداد مستواها الإعلامي ، فإذا قلنا : (السماء فوقنا والأرض تحتنا والنار حارة) فهذا النص يحمل معلومات ولكن لا يمكن أن توصف بالإعلامية »^(٣).

(١) نحو النص : ٨٦-٨٧ ، هامش رقم : ١٦٦ .

(٢) نحو النص بين الأصالة والحدثة : ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) نحو النص بين الأصالة والحدثة : ٩٧ .

قرر الدكتور هنا أن قضية الإعلامية غير متعلقة باحتواء النص على مضمون أو عدم احتوائه ، وقضية أن من النصوص (المثال الذي ساقه) لا يمكن أن توصف بالإعلامية .

وليس الأمر في هاتين القضيتين كما ذهب الدكتور فيهما ، وإنما احتواء النص على مضمون وعدم احتوائه على مضمون قضية مؤثرة جداً في الإعلامية ، إذا أن التوقع وعدم التوقع من قبل المتلقي تنصب على المحتوى بالدرجة الأولى كما أن فراغ المحتوى (الفجوات) يسهم كنوع معتاد من أنواع الدرجة الثالثة من الإعلامية .

أما القضية الثانية التي تطرق إليها الدكتور ، وهي « إن النص قد لا يتسم بالإعلامية ، فليس الأمر كذلك ؛ لأن النصوص دوال على وقائع فهي في مقابل عدم الوقوع ، ومن هنا كان الحد الأدنى للإعلامية في أي نص بغض النظر عن نصيب هذا النص من الشكل أو المحتوى من التوقع »^(١).

والمثال الذي ساقه الدكتور يُعَدُّ من الدرجة الأولى من الإعلامية ، لـ « أن مجرد اختيار بديل متاح في موقف ما - أي بديل يقدمه أي نظام ذي علاقة - تأتي عنه على الأقل كفاءة إعلامية من الدرجة الأولى »^(٢).

فمثل (السماء فوقنا والأرض تحتنا والنار حارة) يأتي في موقف ما كواقعة حادثة في مقابل عدم الوقوع .

الدرجة الثانية : الإعلامية المتوسطة :

تأتي الإعلامية في هذه الدرجة أعلى من الدرجة الأولى ، وذلك عندما تكون « العناصر السورادة في مرتبة أكثر موارد للإجراء فإنها تستدعي عمق الإجراء »^(٣).

(١) يُنْفَر : مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣ ، ١٨٩

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٣ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٢ .

وهذه الدرجة هي في الحقيقة المعيار الطبيعي من الإعلامية لعملية الاتصال في النصوص^(١)، ولعل مقدار عبء المعالجة للاحتتمالات في هذه الدرجة هو ما جعلها تمثل على الحقيقة هذا المعيار .

فالدرجة الأولى المبتدلة « يمكن إعلاء مرتبتها (ما لم تكن تستحق مزيد اهتمام) كما أن العناصر الواردة من المرتبة الثالثة يمكن خفض نسبتها »^(٢) . ولعل هذا ما سيوضح في قول توبة بن الحمير^(٣) : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَلِيَّ أَزْوَاجِهَا
إن النص الذي يستدعي مزيد من عمق الإجراء بسبب العناصر الواردة فيه يكون أعلى إعلامية قياساً بنص لا يستدعي مثل ما استدعى من إجراءات . فالشاعر في هذا البيت يُضْمَنُ نصه عناصر تثير المتلقي وتستدعي منه مزيد عناية ، فالشاعر (العاشق) يزور (ليلي الأخيلية) المعشوقة ، التي على عصمة رجل (الزوج) .

فجاء العنصر (غير أنني أزورها) يستدعي أكثر من وجه عند التحليل، الأول : أنه يعترف بأن زيارتها ذنب ، لكن هذا ذنبه الوحيد الذي قدمه بصيغة عذر له ، وأقسم عليه أن زوجها يراني مجرماً بهذا الذنب غاية الإجرام فلا ذنب لي إلا زيارتها .

والوجه الآخر : إن الشاعر لا يرى زيارتها ذنباً ، فهو غير معروف باقتراه الذنوب حتى أن زوج المعشوقة أشد الناس غيرة عليها لا يري الشاعر مذنباً ، ولكن الحقيقة أن الشاعر يزورها خفاء فليس له ذنب معلوم عند الزوج إلا أن الشاعر يزور زوجته ، ولو علم لكان له ذنب .

(١) يُنْقَر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٣) ديوان توبة بن الحمير : ٣٩ .

ومنه أيضاً قول الخطيم المحرزي^(١) : [الطويل]
 وَلَسْتُ بِقَوْلٍ إِذَا قَالَ صَاحِبِي لَكَ الْخَيْرُ مُرْنِي أَنْتَ مَا شِئْتَ أَفْعَلُ
 يمكن أن يرد في هذا البيت تعدد للاحتتمالات يقبلها النص ، وهي تقدير
 جمليتي مقول القول لـ (قوال) ولـ (قال) . فهل جملة (لك الخير) مقول قول في
 محل نصب مفعول به لـ (قوال) أو لـ (قال) ومثلها (مرني أنت ما شئت أفعل) .
 فسياق الكلام يحتمل أنه قد نفى أنه قال لصاحبه (لك الخير) بعد أن قال له
 صاحبه (مرني أنت ما شئت أفعل) فالضمير (الياء) في (مرني) عائد إلى
 الشاعر ، مع بقاء احتمال عوده إلى صاحبه .
 وقد يكون نفى أنه قال لصاحبه (مرني أنت ما شئت أفعل) بعد أن قال له
 صاحبه : (لك الخير) ، فضمير المخاطب المتصل (الناء) عائد إلى صاحبه
 ويبقى احتمال أن يكون عائداً إلى الشاعر ، فهنا مزيد عبء على المتلقي
 وتعدد في الاحتمالات الممكنة مما تسبب في جعل مثل هذا النص من الدرجة
 الإعلامية الثانية .

وقريب من هذا التعدد يقع في جملة (مرني) هل هي ضمن جملة مقول
 القول الأولى لتكون (لك الخير مرني) فتصير تفسيراً للخيار الذي وهبه صاحبه
 إياه . أو تكون من جملة مقول القول الثانية ؛ أي : (مرني أنت ما شئت أفعل)
 فتكون من جملة مقول قول الشاعر ، فتصير جملة (أنت ما شئت أفعل) تفسيراً
 للأمر .

يقول (الخطيم المحرزي)^(٢) : [الطويل] .
 أَبَا قَطْرِي لَا تُصَارِعْ فَإِنِّي أَرَى قَرْنَكَ الْأَعْلَى وَإِيَّاكَ أَسْفَلَ

(١) ديوان اللصوص : ٢٥٢/١ ، شعراء أمويون : ٢٦٨/١ ، وفيه تقديم القافية (أفعل)
 على حشو العجز .

(٢) شعراء أمويون : ٢٧٠/١ . والقرن : ضدك في القوة . العين : (قرن) ٣٨٣/٣ . وناوأْتُ
 الرَّجُلَ مُنَاوَأَةً وَنَوَاءً : فَاخَرْتُهُ وَعَادَيْتُهُ . وَالنَّوَاءُ وَالْمُنَاوَأَةُ : الْمَعَادَةُ . يُنْظَرُ : لِسَانِ
 الْعَرَبِ : (نَوَأَ) ١٧٨/١ .

أَرَأَيْتَ إِذَا نَادَىٰ قَرْيَا سَبَقْتَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَسْلَمَتْ لِمَوْتٍ أُولَىٰ

إن الكفاءة الإعلامية في هذين البيتين يمكن أن تكون من الدرجة الأولى ؛ لأن الوقائع فيهما مُستوعبة من قبل المتلقي استيعاباً كاملاً .

ويفهم هذا من علاقة التضاد بين (الأعلى والأسفل) في عجز البيت الأول ، فإذا كان (أبو قطري) أسفل المتناولين فلا يكون قرينه إلا في الأعلى ، كما أن البيت الثاني تضمن هذا المعنى بألفاظ جديدة ، فالسبق إلى الأرض ، الذي كان من (أبي قطري) سبق من هو في الأعلى ليكون هو الأسفل وأكد له هذا السبق بقوله : « واستسلمت للموت أولاً » ؛ لذا يمكنني أن أزعم أن حظ هذا النص من اهتمام المتلقي كان قليلاً ، أما لفظ (سبق) في البيت الأخير وإن كانت غير متوقعة الوجود ؛ لأنَّ الموقف هو موقف الهزيمة والخسارة والسبق متوقع مع الفوز والربح ، ومع هذا لا أظن أنَّها ترفع كثيراً من درجة الإعلامية ؛ لأنَّ عنصر الجودة في هذه اللفظة لا يجاري التعدد المبتذل لمعنى (الأعلى والأسفل) وعلى الرغم من هذا يكون مثل هذا النص في الدرجة الثانية من الإعلامية ؛ لأنَّ « لو أن نصاً معيناً اتسع لأكثر من مرتبة واحدة من مراتب الكفاءة الإعلامية ؛ فإنَّ المرتبة الثانية ربما استحققت أن تفضل على الأولى »^(١).

ومثل هذه الدرجة في قول القتال الكلابي :^(٢) [الطويل]

إِذَا مَا لَقِيتُمْ رَاكِبًا مُتَعَمِّمًا فَقُولُوا لَهُ مَا الرَّاكِبُ الْمُتَعَمِّمُ

جاء هذا البيت خال من المحتوى الذي يمكن أن يسجل درجة إعلامية ثانية أو ثالثة ، غير أن بنية الجملة من خلال الشكل الذي استعمل به (ما) للاستفهام عن المعروف بدل غير المعروف (أي شيء) الذي تستعمل له بالأصل^(٣).

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٦١ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٧٥ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٢٢٨/٤ ، الأزهية في علم الحروف ، تأليف علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥ هـ) تحقيق : عبد المعين الملوحي ، دمشق - سوريا ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م : ٧٥ .

جعلت هذا النص في درجة إعلامية أعلى ؛ فالجدة في هذا أن الراكب لا بد أنه عاقل ، فأنزله منزلة غير العاقل .

الدرجة الثالثة : الإعلامية المرتفعة :

تتكون هذه الدرجة عند وجود عناصر « غير معتادة وشديدة الإشارة للانتباه »^(١) في النص لأنها « خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة »^(٢).

وعلى الرغم من أن هذه العناصر قليلة الوقوع ويصعب السيطرة عليها وفهمها ؛ مما يتطلب قدرًا كبيرًا من عبء المعالجة لموارد الاحتمالات تكون في المقابل أكثر امتاعًا للمتلقي من الدرجتين السابقتين^(٣).

وقد قسم (دي بوجراند) الأنواع المعتادة من هذه الدرجة إلى ثلاثة أنواع هي^(٤) :

١- الانقطاعات : « وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة »^(٥) ؛ أي عند عدم التعليق^(٦).

٢- الفجوات : « والتي تحدث عندما يشتمل التعليق على شغب لا يتضمن أي محتوى »^(٧).

٣- التعارضات : أو التضارب وهو « الذي يقع عندما لا تنسجم المعلومات التي قررها النص مع عالم المعرفة المختزنة »^(٨) كما يطلق عليها (المفارقات)^(٩).

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ ، ومدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٤) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٦) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٢٠ .

(٧) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٨) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٩) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

وقد جاء هذا في تشبيه أجراه (المَرَّار الفقعي) في قوله : ^(١) [الطويل]
وَحَالٍ عَلَى خَدَيْكَ يَدُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَذْرِ فِي دَعَجَاءٍ بَادٍ دُجُوثُهَا
إن الحكم على هذا البيت وأمثاله لدى النقاد القدامى كان مخالفاً لما عليه
نحاة النص اليوم ، فهو يتضمن عيباً من عيوب الشعر ؛ لأن « من عيوب الشعر
مخالفة العرف والاثيان بما ليس في العادة والطبع مثل قول المَرَّار فالمتعارف
المعلوم أن الخيلان سود أو ما قاربها في ذلك اللون والحدود الحسان إنما هي
البيض وبذلك تنعت فأتى الشاعر بقلب المعنى » ^(٢).

وهذا التضارب بين ما أورده نص المَرَّار وبين المعرفة المختزنة جعل من
المتلقي « خارج نطاق الخيارات المحتملة » ^(٣) ، فهي عناصر غير معتادة لدى
المتلقي وشديدة الإثارة للانتباه ، فكيف يكون الخال الأسود سنا للبرق ، وهذه
الصورة جعلت من هذا النص في المرتبة الثالثة للإعلامية .

ومنها قول مالك بن ربيع الأسدي ^(٤) : [الوافر]
شَقِيتُ بِهِمْ عَلَى طُولِ النَّانِي كَمَا شَقِيتُ بِأَحْمَرِهَا ثُمُودُ
يتضمن هذا البيت إعلامية عالية الكفاءة لتضمنه وجهين من التعارضات
الوجه الأول : أن التشبيه غير تام أو مطابق ^(٥).

(١) ديوان اللصوص : ٢٦٩/٢ .

(٢) نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد
عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت : ٢٠٣ ،
ينظر : الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة
العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ط ، ٢٠١٣ م : ٩٠ .

(٣) النص الخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٨/٣ .

(٥) وهذا النوع من التشبيه هو الأول من أوجه التفصيل في التشبيه : « وهو أن تفصل بأن
تأخذ بعضاً وتدع بعضاً » أسرار البلاغة : ١٦٦ .

فشقاوة الشاعر على الرغم من بعده عن (مصعب) وأخوته ، بينما كانت شقاوة أحمر ثمود مع قربه من قومه إذ عقر الناقة في قومه ، فهذا تعارض فيه عدم انسجام مع ما قرر في عالم المعرفة بقصة عقر الناقة .

والوجه الآخر : أن الشقاوة مختلفة السبب فالشاعر حصلت له الشقاوة بسبب (مصعب) وأخوته ، وثمرود شقيت بسبب أحمرها ، فجعل من نفسه ثمود وجعل من (مصعب) وأخوته أحمر ثمود .

ومثله قول جعفر بن علبة الحارثي : ^(١) [الطويل] .

إِذَا بَابُ دُورَانٍ تَرَنَّمَ فِي الدُّجَى وَشَدَّ بِإِغْلَاقٍ عَلَيْنَا وَأَقْفَالِ

يقول (الزمخشري) : « ترنم المغني ورَنَّمَ ورَنَّمَ رَنَّمَ رَجَّعَ صوته وسمعت له رَنِيمًا ورَنَمَةً حسنة وترَنَّمًا وترَنِيمًا ، ومن المجاز ترنمت القوس » ^(٢) وترَنَّمَ الطائرُ في هديره والترَنيم : تَرْجِيعُ الصَّوْتِ وترَنَّمَ : رَجَّعَ صَوْتَهُ ، وَكُلُّ مَا سُمِعَ لَهُ رَنَمَةٌ حَسَنَةٌ فَلَهُ تَرْنِيمٌ وَتَرْنُمٌ ^(٣) .

يلاحظ أن المادة اللغوية لترنم تأتي للصوت الحسن المتكرر ، وتخرج عن هذا المعنى إلى أشياء لا يكون فيها الطرب مثل القوس ، ومنها (باب دوران) إذ لا يتصور من باب السجن صوت حسن وإن تكرر ، بمجيء (ترنم) لهذا المعنى يجعل منه عنصرا فيه من الجودة ما ترتفع به إعلامية النص ، وترنم الباب يحمل على المجاز كترنم القوس ، فهو غير متكرر لقريئة (وشد بإغلاق علينا) مع عدم تصور الحسن في صوته ، ومع هذا تبقى الجودة ظاهرة فيه ؛ لإيراد الترنم للباب ومنها ارتفعت كفاءة النص الإعلامية .

(١) ديوان اللصوص : ١٩٤ .

(٢) أساس البلاغة : (رنم) ، ٣٩٠/١ .

(٣) ينظر : لسان العرب : (رنم) ، ٢٥٦-٢٥٧ ، تاج العروس : (رنم) ، ٢٨٩/٣٢ -

المبحث الثالث

خفض الكفاءة الإعلامية ورفعها

مرَّ الكلام عن الدرجات الثلاثة للإعلامية ، واتضح أن الدرجة الأولى هي الدرجة الأقل كفاءة إعلامية ، وتُرد كثيراً في الكلام الذي تتصف عناصره بالسذاجة والتفاهة في محتواها وتكون متوقعة الاحتمال لدى المتلقي ، أما الدرجة الثانية فهي التي تمثل الحالة الطبيعية للتواصل ، وتتسم إجراءاتها بأنها أقل توقعاً من الدرجة الأولى في احتمال ورودها لدى المتلقي والدرجة الثالثة التي تكون أعلى درجات الكفاءة لصعوبة توقع عناصرها ، وهذه القسمة (أقل ، متوسطة ، عليا) قد ترد عليها بعض الإجراءات من قبل المتلقي يخفض من خلالها الدرجة الثالثة إلى الدرجة الثانية والدرجة الثانية إلى الدرجة الأولى ، وقد ترد عليها إجراءات أخرى فترفع من الكفاءة فيها فتنتقل الدرجة الأولى إلى الثانية والدرجة الثانية إلى الثالثة .

خفض الكفاءة الإعلامية :

اهتم (دي بوجراند) بخفض الكفاءة الإعلامية ، وحدد أوجه إجراء الخفض من قبل المتلقي فيما « لو رجع الناس إلى العناصر الواردة في الماضي البعيد من أجل العثور على طريق التحفيز فإنهم يقومون بخفض رجعي ، وإذا انتظروا ونظروا إلى الأمام بغية العثور على عناصر أخرى واردة فإنهم يقومون بخفض تقدمي ، أما إذا خرجوا من إطار الموقف الحاضر فإنهم يقومون بخفض خروجي »^(١).

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥-٢٥٦ .

وقد لوحظ أن (دي بوجراند) مثَّل لهذا الخفض بما يقع في الدرجة الثالثة ، ولعل السبب في هذا أن هذه الدرجة لا بد من اللجوء فيها إلى الموقف الذي ترد فيه عناصره للوقوف عند العناصر غير المتوقعة ^(١) . وتتمثل هذه الإجراءات بما يأتي :

أولاً : الخفض الرجعي :

يقع هذا النوع من الخفض عند رجوع المتلقي إلى سياق الحال ، وقد ضرب (دي بوجراند) مثالا أظهر من خلاله كل أنواع الخفض ، وهو « إذا أُلقي القبض علينا دون تحذير أو دافع واضح فسنكون قد صادفنا تجربة من الدرجة الثالثة ، وسنكون عرضة لأن نستجيب لذلك بإحدى الطرق الآتية :

١- أن نعود بالفكر إلى تتبع أفعالنا القريبة العهد ؛ لنرى ما إذا كان أي واحد منها يصلح سبباً للقبض » ^(٢) .

يمكننا هنا تقديم مثال لتخفيض درجة إعلامية من النوع الثاني التي تُعدُّ العلاقة فيها غير نموذجية ^(٣) ، فعندما يتلقى متلقٍ بيت جحدر العكلي : ^(٤) :

[الكامل]

وَتَقْدَمِي لِلَّيْثِ أَرْسِفُ مُوْتَقَا كَيْمَا أَكْبَاهُهُ عَلَى الْأَخْرَاجِ
فالتقدم لليْث علاقة يمكن وصفها بغير نموذجية إلى حدٍّ ما ؛ لاحتمالها المجاز أي : تقدمي لرجل كالليْث ؛ لذا عددها من الدرجة الثانية .

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥١ ، ٢٥٥ ، وقد جاءت عبارة أحد الباحثين موهمة أن تطبيق طرق الخفض لا يكون إلا في الدرجة الثالثة ، ولعل السبب في هذا المثال المضروب لطرق الخفض ، ينظر : الإعلامية في نحو النص : ٤٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ ، وقريب من هذا المثال : مثال الصك بمبلغ كبير ، ينظر مدخل إلى علم لغة النص : ١٩١ ، فهو من الدرجة الثالثة أيضاً .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ .

(٤) شعراء أمويون : ١٧٠/١ .

ويمكن إجراء الخفض الرجعي لتصبح درجتها أولى من خلال سياق الحال فقد امتحن (الحجاج بن يوسف) الشاعر وقذف به وأسد جائع في بستان ، وقد نقل هذا نقلاً مباشراً بقوله [الرجز] ^(١).

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي مَجَالِ ضَنْكَ
كَلَاهُمَا ذُو حَنْقٍ وَمَحْكَ

فالتقدم لليت يكون على الحقيقة مما يعني عدم وجود أي احتمال آخر للعناصر المستعملة في هذا النص .

ومن هذا الخفض أيضاً قول الخطيم المحرزي ^(٢) : [الطويل]
وَأَلَّتْ أَمْرُؤُ عَوْدَتِ نَفْسِكَ عَادَةً وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
إن هذا البيت على مستوى المحتوى لم يقدم شيئاً يوصف بالجدّة ، أو يكون له احتمالات متعددة لتوقعها مما يعني أنه قدم معلومات يمكن وصفها بالمعلومات المتوقعة ، وإن لم تكن نموذجية ساذجة لورود التأكيد لمحتواها بتكرار المعنى في (وكل امرئ جار على ما تعودا) ، فهو يذكر هذا على سبيل التأكيد كونها مسلمة عند الشاعر في العالم المعرفي ، فإعلامية هذا النص يمكن أن تكون من الدرجة الثانية ^(٣).

وبمراجعة سياق الحال الذي قدم به هذا البيت يمكن خفض هذه الإعلامية إلى درجة أقل ، وذلك من خلال علمنا أن الشاعر ، لم يورد كل عادات ممدوحه وإن وردت اللفظة نكرة (عادة) ؛ لأنه أراد عادة الإجارة .

فقد أجاز (سليمان بن عبد الملك) (يزيد بن المهلب) ، وهذه الحادثة ينظر إليها أنها وقعت قبل نص الشاعر ، وهي من دوافع استجارة الشاعر (سليمان ابن عبد الملك).

(١) شعراء أمويون : ١٧٨/١ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٦٦/١ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ .

وقد نص الشاعر عليها بقوله ^(١) : [الطويل] .

أَجَرْتُ يَزِيدَ بِنَ الْمُهَلَّبِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ مِنْ بَابِ الْمَنَةِ مَوْرِدَا
فَقَرَّجَتْ عَنْهُ بَعْدَمَا ضَاقَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ الشَّرِيدُ الْمُطْرَدَا

ثانياً : الخفض التقديمي :

تكون طريقته بانتظار المتلقي للوقائع التي تأتي بعد الواقعة التي هو بصدددها ، والنظر إلى عناصرها على أنها عناصر موضحة ومفسرة لعناصر الغموض لديه .

وهي الطريقة الثانية : في مثال (دي بوجراند) السابق إذ يقول : « أو ننتظر حتى يقال لنا السبب بواسطة شخص من رجال القانون (خفض تقديمي) » ^(٢) .

ولعل بيت جحدر العكلي السابق :

وَتَقْدَمِي لِلْبَيْتِ أَرْسِفُ مُوتَقَا كَيْمَا أَكْبِرُهُ عَلَى الْأَخْرَاجِ

يصلح هنا أيضاً لتخفيض إعلامية تخفيضاً تقديمياً ، فعند الانتظار والنظر إلى الأبيات التي تلي البيت المذكور يقل عدد الاحتمالات لدى المتلقي ، لتتخفض بذلك إعلامية البيت المذكور ، بسبب البيتين المذكورين بعده : ^(٣) .

(١) شعراء أمويون : ٢٦٦/١ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٠/١ . وَتَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ : مُعْظَمُهُ وَوَسْطُهُ وَأَعْلَاهُ ، وَالْجَمْعُ أَتْبَاجٌ وَتُبُوجٌ . لسان العرب : (تبيج) ٢/٢١٩ . الشُّنُّ : الرجل الذي ، في أنامله غلظٌ والفعل : شُنَّ . العين : (شنن) ٢/٣٠٦ . والعُنْلَةُ : الخَشْبَةُ التي يُدَقُّ عليها بالمِهْرَاسِ . والعُنَابِلُ : الوَتَرُ الغَلِيظُ ، وقيل : العُنَابِلُ الغَلِيظُ وَجَمْعُهُ عُنَابِلٌ ، بِالْفَتْحِ . يُنْظَرُ : لسان العرب : (عنبل) ١١/٤٧٨ . شَبَا : شَبَاةُ كُلِّ شَيْءٍ : حَدُّ طَرَفِهِ ، وَقِيلَ حَدُّهُ . لسان العرب : (شبا) ١٤/٤١٩ . وَالزُّجُّ تُرْكُزُ بِهِ الرُّمَحُ فِي الْأَرْضِ وَالْجَمْعُ أَرْجَاجٌ وَأَرْجَةٌ وَزَجَاجٌ وَزَجَجَةٌ وَجَمْعُ زُجِّ الرُّمَحِ زَجَاجٌ ، بِالْكَسْرِ ، لَا غَيْرَ . يُنْظَرُ : لسان العرب : (زجاج) ٢/٢٨٦ .

جَنَّهُمْ كَأَنْ جَبَّيْنَهُ طَبَقُ الرَّحَا لَمَّا بَدَا مُتَقَبِّجَرِ الْأُنْبَاجِ
شَنْ بَرَائِثُهُ كَأَنْ تُبَوِّبُهُ زُرْقُ الْمَعَابِلِ أَوْ شَبَابَةُ زَجَاجِ

وفيها (البرائن ، والنيوب) وهما من الحيوان المفترس الليث المقصود بالبيت الأول ؛ فأصبحت عبارة (تقدمي لليث) التي تضمنها البيت وكانت بذرة التنشيط تحتوي إعلامية من الدرجة الأولى ، لزوال أى احتمال لتعدد الترجيح لعناصرها .

مثاله أيضاً قول الخطيم المحرزي سابق الذكر : [الطويل]

وَأَلَتْ امْرُؤٌ عَوْدَتَ نَفْسِكَ عَادَةً وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا

إن التأكيد في الشطر الثاني للمحتوى في الشطر الأول جعل من الإعلامية فيه من الدرجة الثانية .

ثم إن المتلقى يكون أمام نص تكون «المعلومات العامة ليست دقيقة في الواقع ، ومن هنا ليس لها من الاحتمال ما يبدو لها»^(١) إلا من خلال النظر في الوقائع التالية له فليس للنص مضمون جديد يمكن أن يضيفه إلى عالم المعرفة ، فكل امرئ له عادات قد لا يخالفها بحال وليس سليمان ابن عبد الملك مستثنى من هذا ، فما الحديد في أنه عود نفسه عادة ما ، فيأتي قول الشاعر بدرجة إعلامية أقل لو بلغ المتلقي قوله : بعد البيت الشاهد .

تَعَوَّدْتَ أَلَّا تُسْلِمَ الدُّهْرَ خَائِفَا أَتَاكَ وَمَنْ آمَنَتْهُ أَمِنْ الرُّدَى

فالبیت وإن تضمن مبالغة في وصف سليمان في عاداته لكنه بذات الوقت حدد له عاداته التي هي عدم إسلام الخائف الذي يأتيه مستجيراً .

ثالثاً : الخفض الخروجي :

قصد (دي بوجراند) بهذا الخفض خروج المتلقي إلى سياق غير السياق الذي ورد به النص ذو الكفاءة الإعلامية من الدرجة الثالثة ، يوضح هذا من

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٦١ .

خلال المثال السابق ، فقال : « أو نحاول أن نتذكر الحالات التي حجز فيها شخص ما بسبب خطأ في تحديد هوية هذا الشخص (خفض خروجي) »^(١).

فهو على الحقيقة خروج من سياق إلى سياق آخر لا كما توهم أحد الباحثين في كلامه عنه بقوله : « ويكون بخروج مستقبل النص إلى خارج النص ، ليبحث عن تفسير للغموض أو مبرر للوقائع المذكورة في النص وذلك بالرجوع إلى عناصر سياق الموقف »^(٢) ولعل هذا التوصيف أليق ما يكون بالخفض الرجعي ؛ لأنه في الحقيقة رجوع إلى عناصر سياق الموقف .

وعلى الرغم أن المواقف التي يعاقب الناس فيها بالفنائم إلى الأسود قليلة ، غير أن هذه القلة لا تعارض أن تستخدم طريقة للخفض ، فمعرفة الوقائع التي جرت لبعض الناس تقلل من تعدد الاحتمالات ، فيذهب المتلقي مباشرة إلى أن (جحدراً) يواجه أسداً حقيقياً ، مما يجعل عبارة (تقدمي لليث) ذات محتوى متوقع قليل الكفاءة الإعلامية .

ولعل المثال السابق من قول (الخطيم المحرزي) يصلح هنا أيضاً ، فالشاعر يخاطب (سليمان بن عبد الملك) بقوله : [الطويل]

وَأَلَّتْ أَمْرُؤُ عَوُدَتْ نَفْسُكَ عَادَةً وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا

فسواء أكان (سليمان بن عبد الملك) الخليفة أم ولي العهد ، فهو يتمتع بسلطة الإجارة ، كما أن الخلفاء وأبناءهم وأولياء عهودهم غالباً ما يجرون عاداتهم وينفذونها خيراً ، أو شراً ؛ لأنهم أصحاب السلطة .

وهذه المعرفة تخفض من درجة إعلامية هذا النص ، فترفع عنه عدم الاحتمال والتوقع ، فما تعود الخليفة ، أو ولي عهده متوقع إلى حد كبير ؛ لأن أمثاله من الخلفاء هذه عاداتهم أيضاً .

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ .

(٢) الإعلامية في نحو النص : ٤٣ .

رفع الكفاءة الإعلامية :

إن طرق رفع الكفاءة الإعلامية لنص ما تكون بنفس إجراءات طرق الخفض الثلاثة ، فـ « من الممكن إجراء تفرقة مماثلة في حالات رفع المنزلة أيضاً »^(١)؛ أي مماثلة لإجراءات الخفض^(٢)، ويمكن إظهار هذا الرفع في نص واحد (للسميري العكلي)^(٣) : [الطويل]

لَقَدْ جَمَعَ الْحَدَّادُ بَيْنَ عَصَايَةٍ	تَسَاءَلُ فِي الْأَسْجَانِ مَاذَا دُتُّوْهُهَا
مُقَرَّبَةً الْأَقْدَامِ فِي السَّخَنِ تَشْتَكِي	ظَنَانِيْبٌ قَدْ أَمْسَتْ مُبِيْنَا غُلُوْهُهَا
إِذَا حَرَسِيْ قَعَقَعَ الْبَابَ أُرْعِدَتْ	فَرَانِصُ أَقْوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوْبُهَا
نَرَى الْبَابَ لَا نُسْطِيعُ شَيْئًا وَرَاءَهُ	كَأَنَّا قُبِيْنَا أَسْلَمَتْهَا كُغُوْبُهَا
بِمَنْزَلَةٍ أَمَّا اللَّئِيْمُ فَاَمِنْ	بِهَا وَكِرَامُ الْقَوْمِ بِإِدِ شُحُوْبُهَا
أَلَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبِيْلَتِي	وَلَمْ أَدْرِ مَا شَبَانُ عُكْلٍ وَشِيْبُهَا
قُبَيْلَةً لَا يَفْرَعُ الْبَابَ وَقَدْهَا	بِخَيْرٍ وَلَا يَأْتِي السَّدَادُ خَطِيْبُهَا
فَإِنْ تَكُ عُكْلٌ سَرَّهَا مَا أَصَابَنِي	فَقَدْ كُنْتُ مَصْبُوْبًا عَلَى مَنْ يَرِيْبُهَا

أود قبل البدء بإجراءات الرفع تبين أن هذا النص بكفاءة إعلامية مرتفعة بسبب تضمينه عددا من القطاعات والفجوات والمفارقات ، أسهمت بمجملاها برفع كفاءته الإعلامية ، ولعل مركز التنشيط الإعلامي في هذا النص هو قوله :

بِمَنْزَلَةٍ أَمَّا اللَّئِيْمُ فَاَمِنْ بِهَا وَكِرَامُ الْقَوْمِ بِإِدِ شُحُوْبُهَا

(١) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٢) يُنظَرُ : الإعلامية في نحو النص : ٤٤ .

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٦-٣٧ ، وشعراء أمويون : ١٤١/١ . وفيه البيت الرابع (لا نستطيع) ، ديوان اللصوص : ٢٧١/١ . فيه (لا نستطيع) . وفي كليهما يكسر وزن البحر .

لأنه قد تضمن تناقض علاقات محددة^(١) بين اللثيم الآمن والكريم الخائف ، وقد جاءت جملة (أما اللثيم فأمن) متضمنة مفارقة هي كون اللثيم آمناً فكفاءتها الإعلامية عالية ، إذ العنصر المحدد (اللثيم) الذي تنشط في الجملة لم يتوقع معه ورود (أمن) فالذي يوصف به اللثيم في أكثر المواقف هو (الخوف)، وأن للفظ (منزلة) دورها في هذه المفارقة إذ دلالتها غالباً ما تكون على الرفعة والمكانة العالية .

ومثل هذه الجملة جملة (كرام القوم باد شحوبها) في إحداث المفارقة لرفع الكفاءة الإعلامية . وسيتم استظهار إجراءات رفع الكفاءة الإعلامية على النحو الآتي :

١- الرفع الرجعي :

يحصل هذا النوع من الرفع عندما ينظر المتلقى إلى سياق الحال الذي وقع فيه النص . والسياق في هذا النص هو حالة سجن نص عليها الشاعر في الأبيات الأربعة الأولى ، وقد تضمن هذا السياق تناقضات في السؤال (ماذا ذنوبها) ، وكأنه لم يدر ما ذنبه وأنه لم يحبس في قتل (عون بن جعده بن هبيرة). ثم إن كان لا يعلم ما ذنبه فلمَ الخوف (أرعدت فرائص أقوام وطارت قلوبها) بمجرد تحرك باب السجن ، وفي هذا السياق فجوات لم تتضمن محتوى جديداً فالمعلومات (في الأسجان) (في السجن) و(جمع الحداد بين عصابة) (مقرنة الأقدام) تضمنت دلالات متشابهة .

فهذا السياق الذي قدمه الشاعر في نصه بهذه المفارقات والفجوات ، يرفع من كفاءته الإعلامية بالنظر إلى مركز التنشيط في هذا النص .

٢- الرفع التقدمي :

يقع الرفع التقدمي عندما ينتظر المتلقي الوقائع التي وردت في عناصر النص اللاحقة ، وتكون بإخبار من المبدع نفسه ، لتقارن بمركز التنشيط

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٧ .

الإعلامي لترفع بذلك الكفاءة الإعلامية إذا ما تضمنت انقطاعات أو فجوات أو مفارقات .

وقد جاء النص الذي بين يدي متضمنًا في سياقه اللاحق عددًا من هذه الانقطاعات والفجوات ، مثل : (من غير عكل) على سبيل التمني بليت (قبيلتي) (ولم أدر ما شبان عكل وشيبيها) فيه فجوة من خلال محتواه الذي لم يقدم شيئًا جديدًا في الجملة الأخيرة ، فهو إن لم يكن من (عكل) فاللازم له عدم معرفة شبانها وشيبيها ، ثم يتعارض في (قبيلة لا يقرع الباب وفدها بخير)، فهو رمي لقبيلة (عكل) باللؤم ومثلها (لا يأتي السداد خطيبها) ، وهو متعارض مع مركز التنشيط الإعلامي فيه نسب نفسه إلى كرام القوم (وكرام القوم بادٍ شحوبها) .

ثم يأتي بتناقض ، وضعه في أسلوب الشرط فقوله :
فَإِنْ تَكُ عَكْلُ سَرَّهَا مَا أَصَابَنِي فَقَدْ كُنْتُ مَصْبُوبًا عَلَى مَنْ يَرِيهَا
فكيف يصح أن (عكلًا) تُسر بمصيبة رجل هذا شأنه (مصبوبًا على من يريها).

٣- الرفع الخروجي :

يقوم السياق الخارجي من خلال وقائع لا ترتبط بالوقائع التي يراد رفع درجتها الإعلامية ، برفع الدرجة الإعلامية من الأولى إلى الثانية ومن الثانية إلى الثالثة^(١).

إن المعرفة العامة بحال السجون تجعل من النص أعلى درجة إعلامية بسبب مركز التنشيط الإعلامي وهو قوله :
بِمَنْزِلَةِ أُمَّا اللَّيْمِ فَأَمِنْ بِهَا وَكَرَامِ الْقَوْمِ بَادٍ شَحُوبُهَا
لأن السجون وإن كان فيها المظلوم من كرام الناس وفيها - لا شك - لثام القوم ، غير أن اللثام ، وإن غلبت طباعهم وشروهم على المسجونين ، وتألفت

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٦٠ .

منهم عصابات داخل السجون تمثل قوة ، لكنها في الوقت ذاته غير آمنة بمعنى الأمن ؛ لأن هناك سلطة السجن من الحراس تبقي لهم القوة فلا أمان لأحد من المسجونين لثامهم وكرامهم .

وأحداث السجن مشهورة في العصر الأموي ، وقد نال الصعاليك فيه نصيبهم من السجن والتعذيب فليس (السمهري العكلي) إلا واحد منهم وسياقات شعره نصت على ما لاقاه من عذاب منها ، يقول (السمهري العكلي) ^(١) [الطويل]

أَلَا طَرَفْتُ لَيْلَى وَمَاقِي رَهِيْنَةً بِأَشْهَبَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ مَسَامِرُهُ

ويقول : ^(٢) [الطويل]

أَلَا طَرَفْتُ لَيْلَى وَمَاقِي رَهِيْنَةً بِأَشْمَرَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ ثَقِيْلُ

ويقول ^(٣) : [الطويل]

لَقَدْ طَرَفْتُ لَيْلَى وَرَجُلِي رَهِيْنَةً فَمَا رَاعَنِي فِي السَّجْنِ إِلَّا مَلَامَتُهَا

درجات الإعلامية بين (دي بوجراند وعبد القاهر الجرجاني)

بعد الكلام عن درجات الإعلامية عند (دي بوجراند) وذكر شواهد لها من شعر الصعاليك لم يكن (دي بوجراند) السابق إلى هذه الدرجات ، وكان السبق فيها للتراث العربي ممثلاً (بعبد القاهر الجرجاني) ^(٤) الذي أجرى في ثاقب فكره الكلام عن العبرتين في قرب تشبيه الصورة الكلية وبعد تشبيه الصور التفصيلية من وجهة التأمل والحاجة إليه لفهم التشبيه ، وخص العبرة الثانية في الكلام عن الشيء تثبت صورته في النفس إذا كثر دورانه على العيون ودام ترده

(١) شعراء أمويون : ١٤٣/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٤٥/١ .

(٣) شعراء أمويون : ١٤٦/١ .

(٤) إن القارئ ليقف منهراً معجباً أمام عالم ذي عقلية فذة أجرت أدق النظر على النصوص العربية وتوصلت إلى نتائج سجلها في مؤلفاته قبل تسعة قرون ويزيد ، لتصبح اليوم مثل هذه الآراء نظريات تستحق من الباحثين العناية .

في مواقع الإبصار^(١)، فقال : « وإذا كان هذا الأمر لا يشك فيه ، بأن منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدا ، فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل ، وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع ، ثم تتفاضل التشبيهات التي تجيء واسطة لهذين الطرفين بحسب حالها منهما فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب ، فهو أدنى وأنزل وما كان إلى الطرف الثاني أذهب ، فهو أعلى وأفضل ، ويوصف الغريب أجدر^(٢) .

فالمتمامل في كلام (دي بوجراند) لا يراه إلا أنه جاء بتفصيل كلام (عبد القاهر الجرجاني) وأخرجه من التشبه إلى سائر النصوص .
الدرجة الأولى : « التشبيه المعقود عليه نازل مبتذل . عند عبد القاهر و(دي بوجراند) تكون الدرجة الأولى في « وقائع مبتذلة » .

الدرجة الثانية : « وما كان بالضد من هذا [أي الدرجة الأولى] وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع » ، وهذه الدرجة الثالثة عند (دي بوجراند) فتكون العناصر فيها « غير معتادة (غريبة) وشديدة الإثارة للانتباه (بديعة) » ، ومن ثم يصعب السيطرة عليها وفهمها ؛ لأنها (نادرة) .
والدرجة الثالثة : « واسطة لهذين الطرفين بحسب حالها منهما » وهي عند (دي بوجراند) الثانية « إن اختيار بديل من الدرجة الوسطى ، أو من الدنيا الوسطى من الاحتمالات يفضي إلى المرتبة الثانية من الكفاءة الإعلامية^(٣) .

و(عبد القاهر الجرجاني) لم يهمل فكرة الخفض عند (دي بوجراند) بل اهتم بها فقال : « فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب فهو أدنى وأنزل وما كان إلى الطرف الثاني أذهب فهو أعلى وأفضل » .

(١) أسرار البلاغة : ١٦٥-١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٥ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٢٥ .

ويمكنني أن ألمح من كلام (عبد القاهر) حقيقة أن الدرجة الوسطى من الإعلامية تمثل المستوى الطبيعي للاتصال ؛ لأنه جعل منها عندما تجيء في التشبيه تفاضل فيما بينها بحسب ما تميل إليه من طرف إما إلى نزول وإما إلى ارتفاع .

و(دي بوجراند) يتفق وهذا ، فيقول : « ولعل وجود عناصر من الدرجة الثانية هو المستوى العادي للاتصال بطريقة النص »^(١) .

وبناء على هذا أرى أن طريقة إجراء الخفض عند (عبد القاهر الجرجاني) سابقة لطريقة (دي بوجراند) ، (فعبد القاهر) يخفض الدرجة الوسطى إلى الدرجة الأولى ، أو يرفعها إلى الدرجة الثالثة ، فيجعل من الخفض والرفع مرتبطا بالدرجة الوسطى التي هي المستوى الطبيعي للاتصال ، أما (دي بوجراند) فعلى الرغم من أن الخفض عنده يأخذ هذا المنحنى غير أنه يوسع فيه فيجيز رفع الدرجة الأولى لتكون الدرجة الوسطى (الثانية) وينزل الدرجة الثالثة إلى الدرجة الوسطى ، والشكل الآتي يوضح ما سبق



منخطط خفض الإعلامية ورفعها بين عبد القاهر الجرجاني ودي بوجراند

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

تحليل قصيدة المرار الفقعسي^(١)

في رثاء أخيه بدر

أَلَا يَا لِقُومِي لِلتَّجَلْدِ وَالصَّبْرِ
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ
وَمَا لَكُمْ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخْبِرَا
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمُقَادِيرَ وَالْمُنَى
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيَاةَ بَعْدَمَا
تَرْوُحُ فَقَدْ طَالَ الشَّوَاءُ وَقُصِّيتْ
وَمَا لِقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بَشَاشَةٍ
تُذَكِّرُنِي بِدُرٍّ زَعَاذُغَ حَجَرَةٍ

وَلِلْقَدْرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَمَا تَذْكُرِي
وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكُمْ فِي أَمْرِ غُفْمَانٍ مِنْ أَمْرِ^(٢)
وَطَيْرًا جَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْحَبْرِ^(٣)
زَجَرَتْ فَمَا أَغْنَى اعْتِيَافِي وَلَا زَجْرِي^(٤)
مُشَارِبُ كَأَنَّ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجْرِي^(٥)
وَلَا الْحَيَّ آتِيَهُمْ وَلَا أَوْبَةَ السَّفَرِ^(٦)
إِذَا غُصِفَتْ إِحْدَى عَشْرِينَ الْغَيْرِ^(٧)

(١) يُنظَرُ : شعراء أمويون : ٤٥٠/٢ - ٤٥١ ، وأشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ . وهي قصيدة من تسعة عشر بيتاً .

(٢) عثمان بن حيان المُرِّي والي المدينة الأثافي : ٢٤٩/١٠ .

(٣) وَقَاتِلَهُ اللَّهُ لَعَنَهُ اللَّهُ مَعْنَى قَاتِلَ اللَّهِ فَلَانَا قَتَنَهُ . وَيُقَالُ : قَاتَلَ اللَّهُ فُلَانًا أَيَّ عَادَاهُ . لِسَانَ الْعَرَبِ : (قتل) ٥٤٩/١١ . السُّعَافَاتُ : بضم أوله ، وبعد الألف فاء ، وآخره تاء مثناة من فوق : موضع في قول المرار . معجم البلدان : ٢٢٠/٣ . والحبر اسم وادٍ . معجم البلدان : ٢١٢/٢ .

(٤) العيافة من عَافَ الطائرَ وغيره من السَّوَانِحِ يَعِيفُهُ عِيَاةٌ : زَجَرَهُ ، وهو أن يعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها . لسان العرب : (عوف) ٢٦١/٩ . الزَّجْرُ أن تَرْجُرَ طَائِرًا أَوْ ظَبْيًا سَانِحًا أَوْ بَارِحًا فَتَطِيرَ مِنْهُ . لسان العرب : (زجر) ٣١٩/٤ .

(٥) المشاريط العلامات والأمارات : يُنظَرُ : الأغاني : ٢٤٨/١٠ .

(٦) الْقُفُولُ : الرَّجُوعُ مِنَ السَّفَرِ وَقَدْ يُقَالُ لِلسَّفَرِ قُفُولٌ فِي الدَّهَابِ وَالْمَجِيءِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُوعِ . يُنظَرُ : لسان العرب : (قتل) ٥٦٠/١١ - ٥٦١ .

(٧) الزعازع الشديدة الهبوب والحجرة السنة الشديدة . يُنظَرُ : الأغاني : ٢٤٨/١٠ .

إِذَا شَوَّلْنَا لَمْ نُزَوِّ مِنْهَا بِمِخْلَبٍ قَرَى الصَّيْفَ مِنْهَا بِالْمُهَنْدِ ذِي الْأَثَرِ^(١)
 وَأَضْيَافُنَا إِنْ تَبْهَوْنَا ذَكَرْتُهُ فَكَيْفَ إِذَنْ أُنْسَاهُ غَايِرَةَ الدَّهْرِ^(٢)
 فَتَى كَانَ يُقْرَى الشَّحْمَ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا عَلَى حِينٍ لَا يُعْطِي الدُّثُورُ وَلَا يُقْرَى^(٣)
 إِذَا سَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرٍ^(٤)
 تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَمَا قِيلَ عَارِفٌ لِمَا نَابَهُ يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ^(٥)
 إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةٌ مَرَّتْ دَفَعَ عَيْنِي فَاسْتَهَلَّ عَلَى نَحْرِي^(٦)
 وَمَا كُنْتُ بِكَأَنَّ وَلَكِنْ يَهْجُجُنِي عَلَى ذِكْرِهِ طَيْبُ الْخَلَائِقِ وَالذُّكْرِ
 أَعْيَنِي إِلَيَّ شَاكِرٌ مَا فَعَلْتُمَا وَحَقٌّ لِمَا أَتْلِيْتُمَانِي بِالشُّكْرِ

- (١) والشَّوْل من النوق : التي نقصت ألبانها ، أو جفت . العين : (شول) ٣٦٧/٢ .
 والمِخْلَب ، بالكسر والحلاب : الإناء الذي يُحْلَبُ فِيهِ اللَّبَنُ . لسان العرب : (حلب)
 ٣٢٩/١ . والأَثَرُ والإثْرُ والأثرُ ، على نُعْلٍ ، وهو وَاحِدٌ لَيْسَ بِجَمْعٍ : فِرْنَدُ السَّيْفِ
 وَرَوْنَقُهُ ، والجمع أثور ، لسان العرب : (أثر) ٨/٤ .
 (٢) غَبَرَ الشَّيْءُ يُغْبَرُ غُبُورًا : مَكَثَ وَذَهَبَ . وَغَبَرَ الشَّيْءُ يُغْبَرُ أَيُ بَقِيَ . والغَايِرُ : الباقي .
 والغَايِرُ : الماضي ، وهو من الأضداد . لسان العرب : (غبر) ٣/٥ .
 (٣) الدُّثُورُ : الكَسْلَانُ الْخَامِلُ النَّوْمِ . والدُّثْرُ ، بالفتح : المال الكثير ، لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ ،
 لسان العرب : (دثر) ٢٧٦-٢٧٧/٤ .
 (٤) وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ فَرَحًا : أَشْرَقَ وَاسْتَهَلَّ . لسان العرب : (هلل) ٧٠٢/١١ .
 (٥) لَهْفٌ : التَّلَهُّفُ عَلَى الشَّيْءِ التَّحَسُّرُ عَلَيْهِ يَفُوتُكَ وَقَدْ كُنْتَ أَشْرَفْتَ عَلَيْهِ . العين :
 (لهف) ١٠٥/٤ .
 (٦) خَطَرٌ عَلَى بَالِي وَبِبَالِي ، كله يَخْطِرُ خَطَرًا وَخَطَرًا إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي بَالِكَ وَهَمِكَ .
 العين : (خطر) ٤٢٠/١ . وَهَلَّ السَّحَابُ بِالْمَطَرِ وَهَلَّ الْمَطَرُ هَلًّا وَانْهَلَّ بِالْمَطَرِ انْهِلَالًا
 وَاسْتَهَلَّ : وَهُوَ شِدَّةُ انْصِبَائِهِ . لسان العرب : (هلل) ٧٠١/١١ .

سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي فَبُجِدْتُمَا عَوَّانِينَ بِالنَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطُرٌ^(١)
 فَلَمَّا شَفَانِي النَّاسُ عَنْهُ بَسَلُوهُ وَأَعْذَرْتُمَا ، لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعُذْرِ^(٢)
 نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُشِمَّتَا بِي فَكُنْتُمَا صُبُورَيْنِ بَعْدَ النَّاسِ طَاوِيَتِي غُبْرٌ^(٣)

- أولاً : قراءة النص :

القصيدة من الطويل والبيت الأول فيها مصرع ، جاءت القصيدة في رثاء أخيه بدر الذي مات مقتولاً على يد والي المدينة (عثمان بن حيان) «ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن ذروة أحاسيسه تبرز في مراثيه لأخيه (بدر) ، فتورة نفسه كانت قوية ضد الموت الذي اختطفه ، كما يبرز مزايا (بدر) وأخلاقه»^(٤).

القصيدة نص واحد متماسك البناء محبوبك المعاني ، جاءت كأنها كلمة واحدة هي (الرثاء) وكانت على سبع فقرات الأولى من بيتين ، وهما استفتاح وبعده استغاثة بـ(يا لقومي للتجلد) ثم عطف على المستغاث له أربعة عناصر (للتجلد والصبر وللقدر الساري وللشيء تنساه وللشيء لا تنساه) ، وهو استفتاح عام لم يحدد بشيء من المخصصات إذ لم يتضمن إشارة صريحة إلى مقتل أخيه .

في حين يمكن للتحليل النصي الكشف عن غرضه من خلال توظيف وسائل التماسك النص واستظهار معايير النص فيه ، وهو ما سيبينه هذا التحليل .

(١) عَوَّانِينَ مثنى عَوَّانٍ ، منها . الحربُ العَوَّانُ التي كانت قبلها حرب بكر ، وهي أولُ وقعةٍ ، ثُمَّ تكونُ عَوَّاناً كأنها ترفع من حال إلى حال أشدَّ منها . يُنظَرُ : العين : (عون) ٢٥٨/٣ . سَجَمَتِ الْعَيْنُ تَسْجُمُ سَجُوماً وهو قطران الدَّمعِ قُلٌّ أو كَثِيرٌ ، وكذلك المطرُ . العين : (سجم) ٢١٨/٢ .

(٢) سَلا فلانٌ عن فلان يسلو سلواً ، وفلان في سلوةٍ من عيشه ، أي : في رغد يسليه الهم . العين : (سلا) ٢٧١/٢ .

(٣) يقول طويتما أغبار دمعكما . والأغبار البقايا كأغبار اللبن . الأغاني : ٢٤٨/١٠ .

(٤) ديوان اللصوص : ١٩٨/٢ .

ثم مدخل من بيت واحد ، ينفي فيه الشاعر علم الغيب عن اثنين هما على مذهب العرب مخاطبة الأصحاب بصيغة التثنية ، ليخبرا عن مقتل أخيه ، وقد حذف ما لم يخبرا به ، وهو قتل أخيه أي : فما لكما بالغيب علم فتخيرا بموت أخي ثم كرر هذا الحذف في الشطر الثاني من هذا البيت وما لكما من أمر عثمان عندما قتل أخي من أمر .

وَمَا لَكُمَا بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخْبِرَا وَمَا لَكُمَا فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ
وقد أحدثت كلمة (أمر) ربطاً لهذا المدخل بحادثة قتل أخيه ، فهو لم يصرح بأن (عثمان) قتل أخاه ، واختار لفظ (أمر) ، التي بمعنى شأن في هذا السياق ، ليتجنب بها إنهاء فحوى الكلام ، ولكنه قدم اسم (عثمان) القاتل دلالة منه على نزعة الانتقام وتقديم سبب فقد أخيه ، وفيه ظهور لمنطقية الممرار فهو يعتمد على أسباب يقدمها بين يدي كلامه .

ثم ينتقل للاستسلام لما قدر له فيبدأ بالتنبيه (ألا قاتل)، وهو هنا أيضاً يحسن اختيار لفظة (قاتل) ، فقاتل الله (لعنها الله وعادها) ولكن ذكره للمقتل إشارة إلى مقتل أخيه وإن لم يصرح ورواية (ياقوت) قاتل الله الأحاديث والمنى^(١) ، وهي أحاديث نفسه وأنه قد هرب وترك أخاه في السجن ، ثم الطير تجري في موضعين عينهما الممرار (السعافات والحبر) والظاهر أنه يرى جريها شؤماً عليه ، على ما كان معروفاً عند العرب من التشاؤم .

ثم يعطف اللعن الأول بلعن آخر (وقاتل تكذيبي العيافة) ، فهو مكذب للعيافة التي هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ، وهذا التكذيب لم يغن عن اعتيافه وزجره ، فقد قُتل أخوه ، ويأمر أخاه بالراحة (تروح فقد طال الشواء) فهناك علامات ودلالات تدق قصى لها أن تجري نحو قصدها وغايتها .

(١) معجم البلدان : ٢١٢/٢ و ٢٢٠/٣ .

تَرَوْحُ فَقَدْ طَالَ السَّوَاءُ وَقُضِّيتْ مَشَارِيطُ كَأَنَّ نَحْوَ غَائِبَتِهَا تَجْرِي

ثم يمضي (المرار) إلى ذكر أشياء تدل على أخيه وتذكر به ، فلم يبق للراجعين إلى قومهم بشاشة لخلوهم من (بدر) ثم الحي ليس له بشاشة ، وليس فيه أنس حتى من يرجع منهم من السفر . وهذا أمر عام ومشهد غير محدد ؛ لأنه قد خصص بعده مواطن تذكره (بدرًا) .

ثم هو يذكر أخاه في شدائد تنوبه (تذكرني بدرًا زعازع) الريح شديدة الهبوب في إحدى الليالي الغبر في سنة شديدة فقد كان (بدر) يسد له هذه الثغرة ، فهو القائم على ما تفسده الريح في كل سنة ، ثم قبل ذلك هو الأنيس المطلوب في مثل هذه الليلة الشديدة ، ودلالة (زعازع ، عصفت) تكفي بنقل ما يكابده المرار من ألم فراق أخيه .

بلغ الكرم (بدر) أنه يجعل من (المرار) أسيرًا ، لا بد له من اختيار صفاته ، فالناقة التي لا تؤتي بملء المحلب (إناء الحلب) لإطعام الضيف ، أتى (بدر) بلحمها ليقري ضيفه ، فهو شديد بكرمه ، والمرار يجعل له من هذه الصفة نصيبًا فيورد (وأضيافنا ، نبهونا) ليظهر أنهم قوم كرماء ، ولكن (بدرًا) كان مقدمًا بهذا فيذكر بدر بتبنيه الضيوف ، وكأنه من لوازم الضيافة وجود بدر ، ثم (المرار) يبدع في توسيع ما مدح به أخاه (فكيف إذن أنساه غابرة الدهر) للآزم هذا أن الضيوف لا ينقطعون أبدًا مدى الدهر ، فهو يخص بدرًا بالذكر ؛ لأنه المبادر ، وهذا لا يعني عنده انقطاع الضيوف ، الذين يذكرونه بأخيه ، فهم لن ينقطعوا وهو لن ينساه .

و(بدر) فتى من الفتيان شجاعة وكرمًا ، هو يطعم الشحم في ليلة البرد ، التي يكون فيها الأدخار عادة ، ومثل الشحم لا يعطى فيها ، ثم إن البرد قد يمنع الكريم من الكرم بإيثاره الراحة في الفراش ثم المرار يؤكد على لفظ : الليل (إحدى عشايتها) (في ليلة الصبا) ، والليل هو وقت الراحة فالقيام به لأجل الضيف دليل على همة عالية وكرم بالطبع .

ما قدمه المرار عن كرم (بدر) هو كرم فعلي مارسه (بدر) ثم يعطف إلى كرم معنوي يؤكد على كرم الطبع عند (بدر) وذلك (تهلل الوجه) عند رؤية الضيوف (إذا سلم الساري تهلل وجهه) ، ثم هو لا فرق عنده بين العسر واليسر في الكرم ، فهو على كل حال كريم .

يقول المرار عن نفسه أنه يتذكر بدرًا ، بعد أن قيل إنه صابر ، على ما أصابه فقلت ؛ أي المرار : نعم أتذكره يا لهف نفسي عليه ، فعندما تخطر ببالي خاطرة منه كأنها تأمر دمع عيني فيستهل ولا يتوانى حتى يسيل على النحر .

و(المرار) شديد العزم قوي الإرادة ، ومع هذا لا يقوى على ما يهيجه من ذكر أخلاقه وما يذكر به من فضل ، فيكون له عذر بالبكاء (وما كنت بكاء) (ولكن يهيجني) .

وللد(مرار) حوار مع عينيه دار بين الأمر والشكر والنهي فأما أمره لهما فبالبكاء وعبر عنه باسعاده (سألتكما أن تسعداني فجدتما) ، ثم هو يسألهما ولا يأمرهما ؛ لأنهما لا تبكيان لأي شيء وهو لم يقدم الأمر بالبكاء بل قدم الشكر لهما ، وهذا من لطيف صنع (المرار) ، فالعينان عنده تفعلان وتلييان له ما يريد ، ومن هذا الفعل البكاء مباشرة وهو بكاء بصيغة مبالغة و(عوانين بالتسجام) مرة بعد مرة ، ولم يبق شيء من الدمع فيهما حتى حصل لهما العذر لا بل فوق منزلة العذر وهو الشكر ، هنا يطلب منهما أن يكفا عن البكاء ؛ لأن السلوة دخلت إلى قلب المرار من يأسه بعودة أخيه .

فنهى (المرار) عينيه من الشماتة به ونسب إليهما هذا وهو واقع بسببهما ، فاتمرت بما أراد وكانتا صبورين بعدما وقع له اليأس ، وقد فضل من دمعهما ما طوى فيهما .

- ثانيًا : تماسك النص .

قد تضمن هذا النص عددًا من وسائل التماسك النصي يمكن استظهارها من خلال ما يأتي :

- أولاً : الإحالة :

تضمن النص سبعين ضميراً فيها الإحالة ، توزعت بين إحالات داخلية قبلية وهي خمس وثلاثون ، وأخرى خارجية وهي خمس وثلاثون أيضاً . وقد تألف من خلال هذه الإحالات روابط دلالية جعلت من النص نسيجاً واحداً .

أما الإحالة غير الضميرية فقد جاءت في النص ثلاث إحالات بالاسم الموصول (ما) ، فالموضع الأول (لما نابه) ؛ أي للذي نابه وفيها إحالة خارجية إلى حادثة مقتل (بدر) . والموضع الثاني (إني شاكر ما فعلتما) ؛ أي الذي فعلتما (يقصد عينييه وقد نظم به إحالة داخلية بعيدة ، وأراد هنا من فعلهما البكاء الذي ذكره بعد هذا الاسم المبهم ، والموضع الأخير هو (وحق لما أبلتmani) أي : للذي أبلتma من أجلي ، وهو يريد شيئاً لاحقاً هو البكاء والصبر ، وحق لهما ؛ لأنهما في البكاء والصبر طائعتان له .

- ثانياً : التحديد :

نقل النص من خلال وسائل التعريف والتذكير والتأنيث انطباعاً عن مدى تأثير التحديد على ترابط النص وتماسكه ، فقد تضمنت اثنين وثلاثين معرفاً بـ(ال) وتسع عشرة نكرة وست مؤنثات بـ(ال) التأنيث الساكنة .

وبما أن أداة التعريف تشير إلى معلومات سابقة فقد كان في النص نوع إحالة إلى الألفاظ السابقة جعلت منه متماسكاً عند النظر إلى عددها ودورها .

من هذه المعارف معهودة ذهنياً مثل (السعافات ، الحبر) عند الشاعر ومتلقي نصه وفي هذا النوع من التحديد إحالة إلى خارج النص ، هي الأشياء المعهودة لدى المتلقي فهي إحالة خارجية تتحقق عندما يستعمل المتلقي ذهنه في استرجاع معاني هذه الألفاظ ويحدد مواضع أو يقدرها مكاناً أو زماناً .

أما التعريف بـ(ال) الجنسية التي لا يعطي تحديداً واضحاً عن ذات أو هيئة مثل : (التجلد والصبر والمقادير والمنى ، الساري ، الشكر) فليس للمعرفة من هذه الألفاظ دور في تحديد نوع أو صفة هذه المعارف ، فدلالة

الساري مثلاً ، الذي يخرج آخر الليل هذه دلالة من المعجم والتعريف فيه لا يبين جنسه أو صفته .

أما التحديد بالنكرة في النص فقد تضمن تسعة عشر موضعاً لتكررات تحتاج إلى تنشيط مساحات جديدة في النص ، مثل النكرة في البيت الثالث :

وَمَا لَكُمْ بِالْقَبِ عَلِمَ فِتْخَبِرًا وَمَا لَكُمْ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ

فلفظ : (علم) نكرة نشط من خلالها مساحة الإخبار ، في قوله : فتخبراً ، مع العرض أن الإخبار يحتمل الصدق والكذب لكن المراد منهما الإخبار بعلم .

كما إن النكرة (أمر) قد تكررت والثانية منهما غير الأولى ، فأمر (عثمان) هو شأنه في قتل (بدر) ، وأمر المخبرين - هو - أنه ليس لهما إرادة وأمر لمنع القتل أو إنفاذه ليقع عليهما اللوم .

أما التحديد الواقع بأداة التأنيث في هذا النص فكان في ستة مواضع نظم من خلاله تحديداً تقدمي لعودها إلى متقدم ، وهو نوع المسند إليه (وطيراً جرت) ؛ أي : وطيراً جرت هي ، والضمير المستتر عائد على الطير المؤنث غير الحقيقي ، ومثلها : كانت نحو غايتها تجري ؛ أي : مشاريط كانت هي ، فالضمير اسم لكان مقدر عائد على مشاريط . وعلى هذا جاءت (مرت دمع عيني) ؛ أي : خطرة مرت دمع عيني ، أي : مرت هي .

وباقى المواضع كلها شكلت إحالة لاحقة ، قضيت مشاريط وإذا عصفت إحدى : إذا خطرت منه على النفس خطرة ، وكلها تحدد نوع المسند إليه من جهة التذكير والتأنيث .

- ثالثاً : الاستبدال :

الذي هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر لغوي آخر داخل النص ، وعلاقة الاستبدال تنشأ على مستوى النحو والمعجم ، فوجوده في النص يضيف على ذلك النص مزيد تماسك ، وقد ورد في هذا النص تسعة مواضع للاستبدال ،

منها الاستبدال الاسمي والاستبدال الفعلي فمن الاسمي قوله : بين القدر والمقادير في قوله :

أَلَا يَا لِقُومِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ وَلِلْقَدْرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَمَا تُذَرِّي
أَلَا قَاتِلَ اللَّئِمِّ الْمَقَادِيرِ وَالْمُنَى وَطَيْرًا جَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْحَبْرِ

واستبدل بـ (طيراً جرت) لفظة (العيافة) ثم استبدال بـ (العيافة) جملة هي (زجرت) . واستبدل بـ (طيراً جرت) والمقادير والمنى) جملة (مشاريط كانت نحو غايتها تجري) من قوله :

تَرَوْحُ فَقَدْ طَالَ الشَّوَاءُ وَقُضِّيتْ مَشَارِيطُ كَأَنَّ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجْرِي

واستبدل بـ (بدر) لفظ فتى بين البيتين الثامن والحادي عشر . وكذلك وقع الاستبدال بين (إضيافنا والساري) في البيتين العاشر والثاني عشر .

واستبدل بـ (الضمير العائد على الشاعر) لفظ (نفس) في : (تذكرت بدرًا) يا لهف نفسي ، من قوله :

تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَمَا قِيلَ عَارِفٌ لِمَا ثَابَهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ

أما الاستبدال الفعلي فورد في قوله : (تذكرت بدرًا) ، فقد استبدلها لفظ (خطرت على النفس خطرة) ، وجملة (أن تسعداني) أبدلها جملة : (جدتما) .

ووقع الاستبدال القولي فقوله (سألتكما) أبدله قوله : (أن تسعداني) .

سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَانِي فَبُجِدْتُمَا عَوَائِنَ بِالتَّسْجَامِ بِأَقْيَتِي قَطُر

- رابعاً : الحذف :

إذا كان الحذف هو الاستغناء عن عنصر لغوي في تركيب ما بالمذكور فيه من قرائن لفظية أو معنوية أو سياقية تدل على المحذوف كان دوره في تماسك النص من خلال : الدليل على المحذوف والتكرار التقديري ؛ لأن الحذف يعامل معاملة المذكور من الناحية الدلالية ، ثم للمتلقي دوره في عملية التماسك من خلال الحذف فهو غياب يستكمله المتلقي ، وهو يعين في النص ثنائية المحذوف والمذكور لإنجاز نصية النص .

وقد ضمن الشاعر نصه عدداً من أنواع الحذف في عشرة مواضع فبدأ بقوله : (ألا يا لقومي) وهو تنبيه فيمكن تقدير محذوف جملة (انتبهوا) والاستغاثة بـ(يا) هو دليل على محذوف (استغيث) وفي جملة (إذا شولنا لم نؤت منها بمحلب) جملة محذوفة هي : إذا لم نؤت ، دلّ عليه الفعل بعد الاسم المرفوع بعد إذا ، فتقديرها : إذا لم نؤت من شولنا لم نؤت منها . وهنا حذف الأسماء هي : فتخبِرا ، أي : فتخبِرا ؛ بمقتل بدر ومالكما ؛ أي : ومالكما علم . وبمحلب : بقدر محلب . قرى الضيف منها : أي قرى الضيف من لحسها . وتهلل وجهه : تهلل وجهه له .

وحذف أيضاً لفظ (حال) من : على كل حال من يسار ومن عسر ، أي : من حال يسار ومن حال عسر .

فهذا النص كثيف التركيب في بنيته التقديرية إذا أضفنا إلى هذه المحذوفات ما يقدر من ضمائر ؛ لأنها بحاجة إلى استعادة وجودها في تقدير المتلقي ، ففي النص : يمكن استرجاع الضمير المقدر في الساري ؛ أي الساري هو ، وما تدري أنت ، وكذلك تنساه وتذكر بقدر لهما (أنت) وفي لا تنساه أي (أنت) ، والضمير (هي) في جرت ، وفي تروح (أنت) وفي كانت (هي) ، وكذلك في تجري ، وفي آتيهم (أنا) ، وفي لم نؤت : نحن ، وفي قرى الضيف ؛ أي : هو والضمير (أنا) في أنساه وفي يقري الشحم : هو ، وفي لا يقري هو ، وفي لما نابه : هو ، وفي مَرَّت دمع عيني ، أي هي عائد على خطرة ، وفي استهل : هو وفي شاكر : أنا ، فهذه الضمائر المقدرة تضيف للنص قدراً كبيراً من التكرار ، ويكون للمتلقي الدور الأبرز في إعادة هذا المقدر ليسهم من خلالها في تماسك النص .

- خامساً : الربط :

تمثلت الروابط اللفظية في هذا النص بحروف الجر وحرف العطف والاستفتاح وأدوات النفي والاستفهام وغيرها . وكما يأتي :

الحروف الجارة :

ورد في هذا النص أربعة وثلاثون حرفاً للجبر ، وهذه الحروف هي (اللام وإلى وعلى والباء وفي ومن وعن) . فحرف اللام في تسعة مواضع ، والحرف (إلى) مرة واحدة ، والحرف (على) في سبعة مواضع ، و(الباء) سبعة مواضع ، و(في) موضعين و(من) سبعة مواضع و(عن) موضع واحد .

تضمن النص أيضاً ثمانية عشر عطفًا بالواو لمطلق الجمع ، وستة واوات للاستئناف وأربعة قاءات للاستئناف أيضاً .

أما أدوات النفي :

فبالحرف (ما) في ستة مواضع الموضع الأول في البيت الأول : وما تدري ووفي البيت الثالث موضعين فهما ما عاملة عمل ليس :

وَمَا لَكُمْ بِالْغُيْبِ عِلْمٌ فَتُخْبِرَا وَمَا لَكُمْ فِي أَمْرِ غُثَّانٍ مِنْ أَمْرِ

وهي كذلك في البيت السابع : وما لقفول بعد بدر بشاشة . وهي نافية غير عاملة في البيت الخامس : فما أغنى اعتيافي . وفي البيت الخامس عشر : وما كنت بكاءً . و(لم) مرة واحدة في البيت التاسع : لم نؤت منها . وبالحرف (لا) في سبعة مواضع في البيت الثاني والبيت الخامس ، والبيت السابع موضعين ، وموضعين في البيت الحادي عشر .

وقد تضمن أيضاً ألا استفتاح في مرصوعين ويا استغاثة وإلا في الاستثناء وأداة للاستفهام بكيف وفاء سببية وقد للتحقيق وهمزة نداء ويا تنبيه في تحسر وتوجع (يا لهف نفسي) وإذا للشرط غير الجازم في أربعة مواضع في البيت الثامن ، والبيت التاسع ، والبيت الثاني عشر ، والبيت الرابع عشر ، ولما شرطية ، وإن شرط في موضع واحد ، و(إذن) جواب ، و(لا) جواب ، وبلى للإضراب ، ولكن للاستدراك (من) حرف جر زائد .

سادساً : الاتساق المعجمي :

١- التكرار :

عرّف نحاة النص التكرار بأنه : شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف ، أو عنصراً مطلقاً ، أو اسماً عاماً .

وكرر الشاعر في هذا النص عناصر منها : تكرار : حرف الجر (اللام) للتجلد ، للقدر ، للشيء وللشيء في البيتين الأول والثاني . وكرر اسم بدر في الأبيات السابع ، الثامن ، والثالث عشر مكرر مرتين هذا هو التكرار الصريح لهذا الاسم ، وكرر لفظ (الشيء) في البيت الثاني مرتين ، وكرر عبارة (مالكما) ولفظ (أمر) مرتين لكل منهما في البيت الثالث ، وكرر لفظ (قاتل) مرتين في البيت الرابع والخامس ، وكرر (تنساه) مرتين في البيت الثاني وأعادها (انساه) في البيت العاشر وكرر الحرف (لا) مع العطف في البيت السابع ومنها في البيت الحادي عشر (اليأس ، بين البيت الثامن عشر والتاسع عشر .

وما سبق كان التكرار الصريح أو المعض . أما التكرار الجزئي الذي يمثل الجنس ومنه الناقص في قوله : (تذكر « ذكر » في البيت الثاني و(زجت وزجرت) في البيت الخامس .

والجناس التام في (الساري) في البيت الأول بمعنى النافذ وبين الساري في البيت الثاني عشر من الجنس التام أيضاً قوله : عشياتها الغبر في البيت الثامن وبين طاويتي غبر في البيت الأخير ، ومثله (ذكر ، الذكر في البيتين الثاني والخامس عشر ، والناقص أيضاً بين (خطرت ، خطرة) . وبين الشاكر والشكر في البيت السادس عشر ، وكذا بين (تهلل) في البيت الثاني عشر ، و(استهل) في البيت الرابع عشر .

أما تكرار المواقف والأحداث فقد ضمن الشاعر نصه تكرار موقف هو كرم أخيه ف(قرى الضيف وأضيفنا إن نهونا ذكرته . فتى كان يقري الشحم ، وإذا سلم الساري تهلل وجهه) .

والتوازي الذي ربط بين عناصر متساوية الحال ، وهذه العناصر تكون سابقة وأخرى لاحقة ؛ فهو المركب ثنائي التكوين لها يعرف أحد طرفيه إلا من خلال الآخر وعلاقته أقرب إلى التشابه ، وقد ورد مثل هذا في النص فقوله :
 وَلِلشَّيْءِ نَسَاءٌ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ وَلِلشَّيْءِ لَا نَسَاءٌ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ
 وَمَا لَكُمْ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخْبِرُوا وَمَا لَكُمْ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ
 وكذلك في قوله :

سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي فَبُجِدْتُمَا عَوَّالِينَ بِالتَّسْجَامِ بِأَقْبَتِي قَطْرٍ
 وأيضاً قوله :

نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُشْمِتَا بِي فَكُنْتُمَا صَبُورَيْنِ بَعْدَ الْيَأْسِ طَائِفَتِي غَيْرِ
 أما التكرار الضمني فقد تضمن هذا النص أدوات تأكيد منها زيادة (من) في ومالكما في أمر (عثمان) من أمر ، و(ما) النانية في (بعدهما) والتأكيد اللفظي بـ(لا) في قوله : (ولا الحي آتيهم ولا أوبة السفر) في البيت السابع وقوله : (لا يعطي الدثور ولا يقري) ، في البيت الحادي عشر ، و(إن) في قوله : إني شاكر ما فعلتما .

٢- التضام :

عرّفه التحويون بأنه : توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك وهو يمثل شكلاً من أشكال العلاقات الأفقية في النص على مستوى المعجم ، وعلاقاته هي : التضاد ، والتوازي الذكري ، وعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الجزء بالجزء ، وعلاقة التدرج ، وعلاقة العنصر العام ، وقد وردت مثل هذه العلاقات في النص من التضاد ، في قوله : وللشيء تنساء وللشيء لا تنساء في البيت الثاني ، وقوله : ذكرته وأنساه في البيت العاشر . وفي البيت الحادي عشر : يقري ولا يقري ، وقوله : يسار وعسر في البيت الثاني عشر ، وسألتكما أن تسعداني ونهيتكما أن تشمتا بي في البيت السابع عشر والتاسع عشر .

وفيه من التوازي الذي هو الربط بين عناصر لغوية نتيجة لظهورها في سياقات متشابهة ، فالقدر غيب فقوله بعده وما تدري في البيت الأول : هو تلازم وللقدر الساري (إليك وما تدري) ، وكذلك في البيت الثاني : (وللشيء تنساه) هذا أمر يقع في العادة جاء معه بتوازي ذكرى (وتذكر غيره) فيها لتأكيد أن البال لا يكاد يخلو من تفكير فإن كان قد نسي أمراً ، فهو ذاكر لغيره . وقوله : في البيت العاشر : وأضيفنا إن نبهونا ذكرته ، فالضيوف تتوازي في الذكر مع نبهونا إذ هذا من المعروف أن الضيف ينبه من يأتيهم .

أما علاقة الجزء بالكل ففيه : القدر في البيت الأول جزء من الغيب في البيت الثالث ، وجزء من الغيب أيضاً المقادير والمنى في البيت الرابع ، وإحدى عشايتها الغبر جزء من السنة الشديدة في قوله : (زعازع حجرة) في البيت الثاني .

وجزاء (قرى الشحم) في البيت الحادي عشر بالنسبة (قرى الضيف منها) في البيت التاسع ، ومنه أيضاً (سلم الساري) فالساري في البيت الثاني عشر جزء من أضيفنا في البيت العاشر ، ومثله : الضيف في البيت التاسع . والوجه في البيت الثاني عشر جزء من بدر ، العينان في البيت السادس عشر هما جزء من الشاعر . وعلاقة القسم العام في : لا يعطي الدثور ولا يقرى ؛ فالعطاء عام وإقراء الضيف خاص .

أما علاقة التدرج فقد وردت في هذا النص في قوله : سألتكما أن تسعداني فجدتما هذه المرحلة أولى ، ثم يأتي بعدها في البيت الثامن عشر فلما شفاني اليأس عنه بسلوة كانت النهاية : نهيتكما أن تشمتا بي . فبدأ بالسؤال وانتهى بالنهي .

ثالثاً : نصية القصيدة :

ظهر فيما سبق عرضه أن هذا النص تضمن عدداً كبيراً من وسائل التماسك. ولعل هذا النص لا يختلف عن كثير من نصوص الشعر العربي من ناحية

تضمنه هذه الوسائل التي تمثل معياري النص المشتركين بين النحويين (السبك والحبك) ، وقد ظهر السبك جلياً فيما تقدم من إحالة وتحديد واستبدال وحذف وتكرار وتضام ، وهنا يبقى الكلام عن :

الحبك : الذي هو معيار للترابط المفهومي أي الترابط الدلالي ، وهناك مفاهيم تضبط علاقاته هي : مفهوم الحبك الطولي المتدرج ، ومفهوم علاقات الحبك ومفهوم الحلقات المفقودة .

١- الحبك الطولي المتدرج : هو ما تعبر عنه كل جملة ثم ما تعبر عنه متواليات الجمل وهو يظهر في النص من خلال :

الاستغاثة : يا لقومي تدرج في البيتين الأول والثاني بالعطف على المستغاث له ، للتجلد والصبر وللقدر ، وللشيء تنساه ، وللشيء لا تنساه .

كرم بدر : قرى الضيف ، فتى كان يقري الشحم في ليلة الصبا ، تهلل وجهه على كل حال من يسار ومن عسر .

تذكر أخيه : وللشيء تنساه وتذكر غيره وللشيء لا تنساه إلا على ذكر البيت الثاني ، وفي البيت الثامن تذكرني بدرأ زعازع حجرة هنا صرح باسمه على تدرجه أعلى من الأول فهو عام ، وفي البيت العاشر : وأضيافنا إن نبهونا ذكرته « فكيف إذن أنساه غابرة الدهر . ثم يعيد التصريح باسم في البيت الثاني عشر تذكرت بدرأ .

و بكاءه يدخل أيضاً في هذا التدرج المتوازي في الذكر فقوله :
وَمَا كُنْتُ بِكَاءٍ وَلَكِنْ يَهْجُنِي عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالذُّكْرُ
فقد نفى عن نفسه كثرة البكاء ، دون قليله ، ليبدأ بحوار مع عينيه من البيت السادس عشر ويختم به نصه .

٢- مفهوم علاقات الحبك : التي تمثلها علاقة وحدة المرجع وعلاقة الاختلاف والتغيير وعلاقة التبعية .

أ- وحدة المرجع . أكثر ما يظهر هذه العلاقة الاسم العلم ، أينما يرد في النص ؛ لأنه في الغالب لا يعاد بلفظه ، والذي ورد في هذا النص من الذوات :

١- بدر : وأول ذكر له صراحة في البيت السابع : وما لقفول بعد بدر بشاشة . وإعاد ذكره بالضمير في (ذكرته) في البيت العاشر ، وفيه أيضاً (أنساء) فالهاء في كليهما عائدة إلى بدر فمرجعها واحد .

ثم جاء ببدر لفظ (فتى) في قوله : (فتى كان يقري الشحم) . ومنها الضمير العائد إليه في البيت الثاني عشر ، قوله : (وجهه) ثم يعيد الاسم صريحاً في البيت الثالث عشر : (تذكرت بدرًا) مرتين ، وفيه أيضاً : (لما نابيه) بالضمير ، وفي الرابع عشر : (منه) وفي الخامس عشر : (على ذكره) وفي البيت الثامن عشر (فلما شفاني اليأس عنه بسلوة) .

٢- ذات الشاعر : وقد جاء الضمير معبراً عنها ففي البيت الأول : (الياء) في (قومي) ، وفي البيت الخامس : تكذبيني ، وفيه التاء (زجرت) والياء في (اعتيا في ولا زجري) .

وفي البيت الثامن : (تذكرني) ، وفي التاسع (شولنا) فالضمير (نا) يعود إلى ذات الشاعر ، ومثله في البيت العاشر (أضيافنا ، نهونا) والتاء في (ذكرته) في البيت الثالث عشر (تذكرت بدرًا) وفيه الياء في (نفسى) وفي البيت الرابع عشر استبدال بالذات لفظ (النفس) وفيه (الياء) في (دمع عيني) و(نحري) وفي البيت الخامس عشر : التاء في (وما كنت بكاء) ، وفي البيت السادس عشر : الياء في ثلاثة مواضع : (أعيني ، أنسي ، ابليتماني) وفي البيت السابع عشر التاء في (سألتكما) والياء في : (تسعداني) وفي البيت الثامن عشر ، الياء في : (شفاني) ، وفي البيت التاسع عشر الياء في (تشمنا بي) .

فالملاحظ أن الشاعر أبقى لنفسه الذات الأكثر ذكراً فهو المقصود حقيقة من النص فهو المفجوع بأخيه ، ثم يأتي (بدر) الذي كان سبباً لهذا النص فكان

ذكره على هذا المستوى ، أما (عثمان) الذي قتل (بدرا) ، فكأن الشاعر قتله في قصيدته فلم يذكره إلا مرة واحدة باسمه صراحة .

ب - علاقة الاختلاف والتغيير :

تدور هذه العلاقة حول أننا لا ندوم في الخطاب على ذكر الشيء نفسه عن الذوات أنفسها بل ندخل إلى عالم الخطاب ذواتاً جديدة أو نعين جديداً من الخصائص والعلاقات للذوات أدخلناها من قبل . وفي هذا النص جرى الاختلاف والتغيير في عدد من الذوات والأشياء منها :

يتحقق الاختلاف في ذكر ما يأتي : القوم يا لقومي ، ثم الشيء تنساه ، والشيء لا تنساه ، ثم خطاب اثنين ومالكما بالغيب علم ، وما لكما من أمر ، ثم ذات جديدة هي (عثمان) ، وفي البيت الرابع يدخل ذاتا هي (الطير) وطييراً جرت ، ويصرح في البيت السابع بذات المقتول (بدر) و(الحي) هنا ذات فيها تغيير من القوم في البيت الأول : فيا لقومي ، هي (ولا الحي) ثم يدخل ذاتاً جديدة وهي (الضيف) في البيت التاسع ، ثم تعبير من خصائصه من الأفراد إلى الجماعة في البيت العاشر : وأضيافنا .

ت - علاقة التبعية : وهي تتضمن علاقات منطقية منها السبب والشرط والمقارنة والتخصيص وتدرج الأجزاء وعلاقة الجزء بالكل ، فمن السببية في النص قوله :

تُذَكِّرُنِي بِدُرٍّ زَعَا زُجْجَرَةٍ إِذَا عَصَفَتْ إِحْدَى عَشِيرَاتِهَا الْغُبَرِ

فوجود الأداة (إذا) دل على سبب ، فعصف إحدى عشيرات سنة شديدة ، سبب في تذكر (المرار) (لبدر) . وفي البيت التاسع :

إِذَا شَوُّنَا لَمْ نُكُوتْ مِنْهَا بِمَحَلِّبٍ قَرَى الضَّيْفَ مِنْهَا بِالْمُهْدِ ذِي الْأُنْثَرِ

فهو إن لم تحلب بمقدار محلب ، فسيكون النحر وإطعام الضيوف . وفي البيت الثاني عشر : إذا سلم الساري تهلل وجهه . فسلام الساري سبب في تهلل وجهه . وفي البيت الرابع عشر :

إِذَا عَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ عَطْرَةً مَرَّتْ دَفَعَ عَنِّي فَاسْتَهْلَ عَلَى نَحْرِي
 وكان المبرر الذي يشار به إلى الاختيار حاضراً في هذا النص ، وهو قوله :
 وَقَائِلَ تَكْذِيبِي الْعِيفَةَ بَعْدَمَا رُجِرْتُ فَمَا أَغْنَى اعْتِيَافِي وَلَا رُجْرِي
 فلعنه للعيفة جاء بعد أن لم يغن عنه اعتايفه ولا زجره فأصبح مبرراً لهذا
 اللعن . وهو أيضاً في قوله :

تَرَوْحُ فَقَدْ طَالَ السَّوَاءُ وَقُضِّيَتْ مَشَارِبُ كَأَنَّ نَحْوَ غَايَتِهَا تُجْرِي
 فهنا تبرير لمقتل أخيه خارج الإرادة ؛ فكأنه يحيل جملة الأمر إلى الأقدار ،
 فهي مبرر لا يد له فيه ، ثم هو في البيت الخامس عشر لم يكن بكاءً ، فأوجد
 لنفسه مبرراً لهذا البكاء الحاصل منه فقال :

وَمَا كُنْتُ بِكَاءٍ وَلَكِنْ يَهْجُنِي عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالذِّكْرُ
٣- مفهوم الحلقات المفقودة :

هي القضايا التي تنشئ الحبكة النظري للنص والتي لا يعبر عنها في
 الخطاب ، وهذه الحلقات يمكن استعادتها بأحد الإجراءات الثلاثة ، قانون
 الاستدلال ، قانون التداول ، النظرية المعرفية .

فالنص الذي تحت التحليل نص في الرثاء والرثاء ذكر لفصائل الميت ، وفي
 هذا النص الميت هو (بدر) أخو الشاعر غير أن الشاعر لم يصرح قط بمقتله ،
 ولغرض توظيف الحلقات المفقودة في كشف الغرض من النص ومجاهيله ،
 يمكن إجراء استبعاد لأي سياق خارجي من شأنه كشف هذه الحقيقة ،
 والاعتماد على الحلقات المفقودة للكشف عن قصة النص بعد إعادة تركيبها .

فالشاعر عبر تسعة عشر بيتاً لم يصرح بمقتل أخيه ، وهنا أذكر الحلقات
 التي يمكن أن تتضمن حلقات مفقودة ، وأحدد ما فقد منها ثم أعيد تركيبها .
 فالبيت الأول :

أَلَا يَا لَقُومِي لِلتَّجْلُدِ وَالصُّبْرِ وَلِلْقَدْرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَمَا تَذْرِي

ما يمكن استرجاعه هنا : الاستغاثه تكون من شدة ومصيبة . والقدر الساري إليك وما تدري الموت بدليل ما جاء في صفته من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ٣٤) .

وفي البيت الثاني :

وَلِلْشَيْءِ نَسَاءٌ وَتَذَكُّرٌ غَيْرُهُ وَلِلْشَيْءِ لَا نَسَاءَ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
لفظ (الشيء) وإن جاء عاما إلا أنه في الأول عام في المصائب فهي تنسى لذكر غيرها ، وفي الثاني الموت (قتل أخيه) فلا ينسى مقتل أخيه إلا على ذكر أخيه إذن فهو لا ينساه قط .

وفي البيت الثالث :

وَمَا لَكُمْ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخْبِرَا وَمَا لَكُمْ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ
فالشطر الأول تضمن الغيب ، وجاء بنفي علمه عن المخاطبين ، ومن الغيب الموت كما ظهر في البيت الأول . أما الشطر الثاني فقد تضمن لفظ (أمر) نكرة الثانية منهما مجرورة بحرف جر زائد تأكيدا ، فهو أمر عظيم ، وللنكرة هنا مدلولها فيما يظهر لي فهو كأنه ينكر مقتل أخيه ، ويستكره فهذا الأمر عظيم نسب إلى هذا الرجل (عثمان) . وفي البيتين السادس والسابع يقول :

تَرَوْحَ فَقَدْ طَالَ الثَّوَاءُ وَقُضِّيَتْ مَشَارِيطُ كَأَنْتَ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجْرِي
وَمَا لِقُفُولٍ بَعْدَ بَشَاشَةٍ وَلَا الْحَيِّ آتِيَهُمْ وَلَا أَوْبَةَ السَّفَرِ
تروح قد لا تدل على موت أو فناء ، ثم كيف يطول الثواء وهو يراقب مقدمه ، غير أن قضيت مشاريط كانت نحو غايتها تجري تدل على الموت فصرفت ما قبلها إليه ، ودلالاتها تعدت إلى ما بعدها : فالقفل بعد بدر خلت من البشاشة ، وكذا الحي ورجوع المسافرين ، ولفظة (بعد) لا تدل وحدها على موت لو لا سابقها (قضيت مشاريط) إذ قد يكون تخلف (بدر) عن القوافل لحاجة ونحوها .

وفي البيت العاشر يقول :

وَأَضْيَافُنَا إِن تَبْهُؤْنَا ذَكَرْتُهُ فَكَيْفَ إِذْنَ أُنْسَاهُ غَابِرَةَ الدَّهْرِ

في هذا البيت والذي قبله والذي بعده صفات للمرثي (بدر) ولا دلالة فيها على موته ، وجملة (فكيف إذن أنساه غابرة الدهر) دليل على حلقة مفقودة يمكن استرجاعها : إنا كرماء وكثرة الضيوف الذين يأتون إلينا يذكرون ببدر ؛ لأنه كان يقربهم ويقوم على خدمتهم ، والتذكر لا يقال بحق من هو موجود ، ثم هو يستنكر أن ينساه بقية الدهر ؛ مما يعني أن عدم وجود (بدر) ليس لوقت محدد ، وإلا فليس لبقية الدهر قيمة في كلامه .

وفي البيت الثالث عشر :

تَذَكَّرْتُ نَذْرًا نَعْدَمًا قِيلَ عَارِفٌ لِمَا نَابَهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَذْرِ

فجملة (لما ناب) قد يكون غير القتل ؛ لكن (يا لهف نفسي على بدر) تحسر وبه صرف لها إلى أمر عظيم قد أصابه ، وهنا استعمل المظهر مكان المضمّر ، فكان يغني عن التصريح باسمه أن يقول : يا لهف نفسي عليه ، ولا سيما أنه صرح باسمه في صدر البيت ، ومنه يتبين أنه أراد بما ناب ذاته ووجوده .

ثم يبكيه في الأبيات الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ، وكلها بكاء غير مبين علة ، فلما دخل إلى البيت الثامن عشر ، قال :

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بِسَلْوَةٍ وَأَعْدَرْتُمَا ، لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعُذْرِ

فاليأس لا يكون إلا من الميت ، فأطاعته عيناه ، لهذا وصفهما في البيت الأخير بأنهما صبوران بعد اليأس .

فكل هذه الحلقات المفقودة لو أعيد تركيبها في هذا النص كتابة ؛ لأظهرت أن بدرًا قد مات وهو ما لم يصرح به الشاعر .

ومن ضمن مفهوم الحلقات المفقودة ما يعرف بأعراف الحبك والرابطة الإنجازية ، فأعراف الحبك هو ربط ما يقال بما تعرف ، وهنا المعرفة السابقة

أن (بدرًا) كان لصًا يسرق مع أخيه الشاعر، وقد قبض عليهما (عثمان بن حيان) والي المدينة فأفلت المرار وبقي (بدر) ومات في السجن . هذه المعرفة تفسر لنا النص الذي لم يصرح الشاعر فيه بمقتل أخيه ، منها في البيت الثالث :

وَمَالَكُمَا بِالْغَيْبِ عَلِمَ فَنُخْبِرَا وَمَالَكُمَا فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ فَأَمَرَ (عثمان) هنا أنه قتل أخاه (بدرًا) . ومثل هذا في البيت السادس تروح فقد طال الثواء ، وفي البيت السابع (ما لقول بعد بدر) هنا بعد موت (بدر) .

أما الرابطة الإنجازية : فهي أن نضع موقفًا في عقولنا يزودنا برابطة إنجازية بين منطوقين غير مرتبطين ببعضهما ارتباطًا صريحًا ، والموقف في هذا النص الذي يمكن أن تتصوره العقول هو أن شخصًا ما يفقد شخصًا عزيزًا . وقد تضمن هذا النص منطوقين غير مرتبطين في البيت الثاني :

وَلِلشَّيْءِ نَسَاهُ وَتَذَكَّرُ غَيْرَهُ وَلِلشَّيْءِ لَا نَسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ فَلَا رابط بين هذين الشئتين (شيء تنساه وشيء لا تنساه) لكن إذا تصورنا فقد هذا العزيز ، فكل ما سواه شيء تنساه ونذكر غيره ، أما هو فشيء لا تنساه إلا على ذكره لفضائله ومحامده .

وفي الأبيات الأربعة الأخيرة ، هو يشكر عينيه على البكاء ، ويفسر هذا الشكر بقوله :

سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَانِي فَبُذِثْمَا غَوَّائِنَ بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطُرَ فكيف تكون سعادته بالبكاء على مفقود إن لم يكن هذا المفقود بلغ مكانًا في قلبه فسعادته بالبكاء تأتي من جهة أنه بذل ما يقدر على بذله وهو الدمع هنا ، وقد قال فيه :

وَمَا كُنْتُ بَكَّاءَ وَلَكِنْ يَهْجِي عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالذِّكْرُ وفي البيت الأخير أتى بمفارقة هي نهيه عينيه عن البكاء حتى لا تقع الشماتة بسببهما فكتمتا وصبرتا على ما أراد منهما .

وهذا يظهر مكانة المفقود أكثر إذ البكاء كان حظاً لنفسه أما الصبر وعدم البكاء عليه برفع الشماعة عنه ؛ والشماعة لا تأتي على أحد إلا من جهة نفسه أو ما هو بمنزلتها ، فالمفقود نزل هذه المنزلة فكأنه ذاته ، وهذا القرب إن نُفي عن الذات تعلق بأقرب قريب وهو الأخ في هذا النص .

أما معياراً تأسيس النص بين المنتج والمتلقي (القصد والقبول) ، والقصد هو متضمن موقف منشئ النص في كون صورة ما من صور اللغة قصد منها أن تكون نصاً يتمتع بالتماسك .

وبما أن النص الذي بين يدي التحليل هو نص مسبوك ومحبوك من خلال وسائل التماسك النصي سابقة الذكر فهو يتضمن قصداً ظاهراً هو الرثاء .

أما تضمن هذا النص للأفعال الكلامية التي هي الأفعال الأدائية التي تسمح بإنجاز الفعل الذي تشير إليه والتي تقسم إلى فعل تعبير وفعل إنجاز وفعل استلزام ، وعلاقتها بالقصد مرتبطة بالمنتج والمتلقي في ذات الوقت ؛ لأن القصد هو من جهة المبدع ، فالأفعال الكلامية هي التي تظهر للمتلقي هذا القصد . سواء كانت صريحة أم غير صريحة وفي هذا النص . جاء الشاعر بعدد من الأفعال الكلامية ، منها .

جملة (يا لقومي) فعل كلامي إنجازي استغاث فيها الشاعر بقومه . أما الفعل الاستلزامي في هذه الجملة هو أن الشاعر قد دأبته مصيبة لا يقدر عليها .

وكذا جملة (ألا قاتل الله المقادير والمنى) فعلها الكلامي : خيبة الأمل في نجاة بدر من السجن ، وفي جملة : جرت بين السعافات والحبر ، فيها فعل أدائي لحركة الطير ، يمكن استرجاعه : ليتصور الموقف عندها ، ومنها يمكن تصور ما تفعله الطير .

والفعل الكلامي في (تروح فقد طال الثواء وقضيت مشاريط كانت نحو غايتها تجري) رضيت بقضاء الله وقدره .

وفي جملة (وما لقول بعد بدر بشاشة ...) فقدت السعادة بعده ، وفي الأبيات من الثامن إلى الثاني عشر ، كان (بدر) كريماً غاية في الكرم . ومن البيت الثالث عشر إلى البيت الأخير ، ندب لمقتله بالبكاء لكنه ليس بكبكاء النساء أو الضعفاء فهو أمر وناهٍ لعينيه . فالفعل الكلامي لهذا النص هو : حلت بي مصيبة كبيرة ، وليس لي أمل في النجاة منها ، فقد قتل (بدر) ، وهذا من القدر الواقع لا محالة (فبدر) كريم على كل حال فلا بد من البكاء عليه لكن بكاء يشفي قلبي ولا يشمت بي أحد بسبه .

والفعل الأدائي في : وأضيافنا إن نبهونا ، في البيت العاشر ، هو رفع أصواتهم بالنداء ، وهذا التنبيه شامل لأية وسيلة يستخدمها الضيوف لطلب القرى . وجملة : إذا سلم الساري تهلل وجهه ، قد تضمنت فعلاً كلامياً فالتهلل في الوجه هو الإشراف في الملامح كالتبسم ، ويمكن تصويره واسترجاعه في رؤية وجوه أهل الكرم .

والقبول : الذي هو موقف متلق النص من الصور التي ينبغي أن يتضمنها ، وهو متأثر بالثقافة المشتركة مثل المعرفة العامة عندما تذكر في النص لها أثرها في قبول النص ، كالأماكن والأعلام .

فالأعلام المذكورة في هذا النص هما : (عثمان) ، وهو قاتل بدر وقد ذكره في البيت الثالث ، وقد قدم ذكره دون تصريح أنه القاتل ، ثم ذكر (بدرًا) صراحة في أربعة مواضع في البيت السابع والبيت الثامن وموضعين في البيت الثالث عشر .

أما الأماكن فقد ضمن نصه مكانين هما : السعافات والحبر ؛ والسعافات موضع معروف والحبر واد ، فالأعلام والأماكن دور في قبول النص ؛ لأن المتلقي يتلقى مثل هذه المعلومات باشتراك في الثقافة العامة ، فيقبل النص من جانب هذه المعرفة .

يلاحظ قلة الأعلام والأماكن في هذا النص ، وهذا فيما يبدو لي جاء متوافقاً مع غرض النص الذي هو رثاء ، فجاء مشحوناً بمشاعر الحزن تجاه فقد الأخ وذكر صفاته .

أما المبررات التي ضمنها الشاعر هذا النص فمنها **الاعتقادية** فقد استفتح بالكلام عن القدر وعلم الغيب ثم إن القدر قد قضى ، وهو في علامات نحو غايتها تجري . وقد جعل هذه القضايا الاعتقادية استفتاحاً لنصه ومدخلاً إليه . مما يسهم في قبول المتلقي له لأنه يظهر تعلقاً بالإيمان ، وهو أمر مقبول في جملته .

أما المبرر **العقلي** فهو في قوله : وللشيء تنسأه وتذكر غيره . فالمنطق يقضي أن نسيان الأشياء يكون في تذكر غيرها . وفي قوله أيضاً :
فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلَوَةٌ وَأَعْدَرْتُهَا ، لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعُدْرِ
فلما شفاني اليأس عنه بسلوة : هذا منطق عقلي وهو أن دخول اليأس في الحصول على المفقود يخفف من أثر الحدث .

مبرر **العاطفة** يتجلى هذا المبرر في النص بقوله في البيتين الثالث عشر والرابع عشر :

تَذَكَّرْتُ بَذْرًا بَعْدَمَا قِيلَ عَارِفٌ لِمَا نَابَهُ يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى بَذْرِ
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةٌ مَرْتُ دَمْعَ عَيْنِي فَاسْتَهَلَّ عَلَى نُحُورِي

في هذين البيتين هو في غاية عاطفته تجاه أخيه ، والنص كله مشحون بهذه العاطفة التي امتزجت بما يتصف به بدر من صفات لا يملك المرار إلا حبه والتعلق به . يضاف إلى هذا ما للأخ من عاطفة فطرية تربطه بأخيه .

ومبرر **الحالية** : إن الشاعر منكوب في قتل أخيه ، وهذه حالة تكون مبرراً لما يقوله في نصه وإن جاء بمبالغة في وصفه أو حاله وحالة الشاعر تظهر في هذا النص وهو يكابد المرارة التي ذاقها لفراق أخيه ، حتى إن البشاشة التي

تكون على العائدين إلى الديار قد خلت منهم ، كذا هي خالية من مجالس القوم أو رجوع المسافرين فيقول :

وَمَا لِقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بَشَاشَةٍ وَلَا لِحَيٍّ آتِيهِمْ وَلَا أَوْبَةِ السَّفَرِ
وفي البيت الخامس عشر يقول عن حاله :

وَمَا كُنْتُ بَكَاءً وَلَكِنْ يَهْجِي عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالذِّكْرِ

ثم يفصل في جزء من حالته تؤثر على مدى قبول نصه ، وهي الحوار الذي أجراه مع عينيه . وختم به نصه ، فهو يسألها مرة وينهاها مرة أخرى وكأنهما منفصلتان عن حالته التي يكابدها بعد أن شكر لهما ما فعلاه :

أَعْيَيْ إِلَيَّ شَاكِرٌ مَا فَعَلْتُمَا وَحَقٌّ لِمَا أَلْتَمَسَايَ بِالشُّكْرِ
سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَانِي فَبُجِدْتُمَا عَوَّائِنَ بِالتَّسْجَامِ بِأَقْيَيْ قَطْرِ
فَلَمَّا شَفَانِي الرَّأْسُ عَنْهُ بِسَلْوَةٍ وَأَعْذَرْتُمَا ، لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعُذْرِ
تَهَيَّئْتُكُمَا أَنْ تُشْمِتَا بِي فَكُنْتُمَا صَبُورَيْنِ بَعْدَ الرَّأْسِ طَاوِئَتِي غُرِّ

ثم هو يضمن النص حال الميت من البيت الثامن إلى البيت الثاني عشر ، وكلها تنص على كرمه ، فهو غير خامل في خدمة البيت فالليلة العاصفة في السنة الشديدة كان يعالج فيها ما يحتاج إليه أهل بيته من رعاية ، بل كان كرمه متصلاً بحماسة ، فالناقة التي لا تكرم بما يُطعم به الضيف أكرمه بلحمها . قرى الضيف منها بالمهند ذي الأثر ، وكان هو من يستقبل الضيوف ، فكان من تنبيههم تذكير له ببدر . ثم هو يكرم بالعزير (الشحم) في ليلة البرد ، وهذا الكرم فيه ليس رياء ، وإنما هو طبع وخلق ثابت له على كل حال من أحواله .

إِذَا مَسَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ غُسْرِ
فشخص بهذه الصفات وهذا الحال لا بد لأخيه أن يرثه ، ونص تضمن هذا الرثاء أولى بالقبول .

أما المبررات اللغوية في هذا النص فهي التكرار : ففي جملتي : (وما لكما بالغيب علم) ، و(وما لكما في أمر عثمان) ، وجملة (ألا قاتل الله المقادير) ، وجملة (وقاتل تكذبي العيافة) .

وتكرار معنى التذكر سواء كان بالفعل أم الاسم ، فالأفعال من قوله : تذكرني (بدرًا) في البيت الثامن ، وفي البيت العاشر : وأضيفنا إن نبهونا ذكرته . وللشيء تنسأه وتذكر غيره ، وتذكرت (بدرًا) بعدما قيل : في البيت الثالث عشر أما الاسم : ففي قوله في البيت الثاني : وللشيء لا تنسأه إلا على ذكر وقوله : وَمَا كُنْتُ بِكَاءَ وَلَكِنْ يَهْنِجُنِي عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالذُّكْرُ وقد تكرر ضمناً في قوله : إذا خطرت منه على النفس خطرة .

وتكرار اسم (بدر) في أربعة مواضع في البيتين السابع والثامن وموضعين في البيت الثالث عشر ، هذه أبرز ما تكرر في النص وهي التي لها الأثر في قبوله من خلال هذا المبرر اللغوي ؛ لأن من خلاله ينفي الشاعر عن نفسه التهمة ويزيد من التنبيه على قضيته .

التعليل وهو مبرر لغوي به يحصل التقرير للموضوع المتضمن له فهو أبعد للنفوس على تقبل الأحكام وجاء التعليل في هذا النص بحرف اللام في قوله :

أَعْيَنِي إِي شَاكِرَ مَا فَعَلْتُمَا وَحَقُّ لِمَا أَهْلَيْتُمَانِي بِالشُّكْرِ
فلعل ما ألبياه كان شكره لهما . ومثله بالباء قوله :

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بِسَلْوَةٍ وَأَعْدَرْتُمَا ، لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعَذْرِ
أي : بحصول السلوة شفاني اليأس .

وأما معيار المقامية : فقد تضمن هذا النص مقامية يمكن استرجاعها ؛ لكونها موقفاً سائداً، وإن جاءت بنص مكتوب ، فالرثاء غرض شعري معروف ، وهو ذكر محاسن الميت ، هذا هو المقام الأساس الذي تتم قراءة النص من

خلاله : إنما المواقف الجزئية المكونة لهذا المقام فهي في هذا النص ، الاستغاثة بقومه على مصيبة ، وقد جاءت في مطلع القصيدة في البيتين الأول والثاني ، ثم الموقف الثاني ، وهو أنه جاهل بالغيب والقدر المكتوب والقضاء النازل بأخيه ، وقد ترابط الموقفان بذكر القدر الساري في البيت الأول من الموقف الأول وكأنه يمهّد لذكر الغيب والأقدار .

ثم الموقف الثالث وهو التحسر على بدر بذكر إكرامه للضيف على كل حال والتركيز على تذكره والأسباب التي تمنع من نسيانه ، ثم التحسر عليه (يا لهف نفسي على بدر) هذا الموقف كان له النصيب الأكبر من هذا النص فبدأ بالبيت السابع وانتهى بالبيت الرابع عشر . والموقف الرابع هو الموقف الفعلي الأدائي للرثاء وهو يكاء الميت وقد بدأ بالبيت الخامس عشر وانتهت القصيدة به .

الإعلامية : يتناول هذا المعيار ما يدل على ناحية الجدة والتنوع الذي توصف به المعلومات في الوقائع داخل النص ، أو خارجه . أي من ناحية توقع ورودها ، أو عدم التوقع .

إن إعلامية الشعر لها خصوصية لخصوصية الشعر فهي غالباً ما ترد مرتفعة بين الدرجتين الثانية والثالثة ؛ لأن تركيب اللغة في الشعر يختلف عما في النثر ، فالتقديم والتأخير والحذف والتأكيد والمجاز والاستعارة والتشبيه وغيرها من أساليب وأنماط بلاغية يكثر استعمالها في الشعر ، وقد يحدد الوزن التراكيب أو تلزمها القافية صيغة معينة ، مما لا يسمح به في النثر ، وكل ذلك يصب في وعاء الإعلامية .

إن التزام الشعر العربي بالوزن والقافية يقلل من احتمالات التوقع فالقصيدة الواحدة تلتزم بالوزن والقافية من أول بيت إلى آخرها . لكن هذا المقدار من التوقع لا يؤثر فيما أرى على إعلامية المحتوى ، بل قد يساهم الوزن في رفع إعلامية النص من خلال (يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره) وكذلك القافية فقد

ترفع من إعلامية النص لفرضها على الشاعر انتقاء الألفاظ لتوحيدها ؛
مما يضطره أحياناً إلى الغريب أو النادر أو المرادف .

وفي هذا النص إعلامية عالية يمكن أن تكون في المرتبة الثالثة ، ؛ لتضمنه
مراكز إعلام قوية ، منها في البيت الأول .

أَلَا يَا لِقُومِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ وَلِلْقَدْرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَمَا تَذْرِي
فالقدر لا أحد يعلمه إلا مَنْ شاء الله تعليمه بعضاً منه ، وليس منهم شاعرنا ،
إلا أن لفظة تدري لا تأتي بجديد فهي متوقعة غير أن الغرابة في استعمالها إنه
يتكلم عن حادثة مخصوصة فهو وأخوه لصان قبض عليهما وسجنا فأفلت
وبقي أخوه (بدر) ، فهل مثله لا يدري مصيره ، بل يدري ولاشك ، ولاسيما من
الشاعر نفسه شريك التلصص ، وهنا رفع خروجي ؛ لأنه يظهر إنكار الجرم
فلا يرى لأخيه ذنباً يستحق به ما جرى له من قتل .

أما البيت الثاني فهو وإن تضمن بالشطر الأول جملة متوقعة ذات مدلول
ساذج ، غير أن الشطر الثاني جاء بمقابلة شديدة وهو قوله :

وَلِلشَّيْءِ نِسَاءٌ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ وَلِلشَّيْءِ لَا نِسَاءَ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ
وهو عدم متوقع الورد فكيف يكون الذكر نسيانا ، وهو هنا مبالغ في
محاسن أخيه قبل التصريح بكرمه ، وذات الشيء (بدر) لا ينسأه الشاعر إلا
بذكر صفاته فهذا خفض للإعلامية خروجي أيضاً ، وهو هنا لا ينسأه أبداً ،
فكأنني به يقول مثله لا ينسى .

وكذا قوله :

وَأَضْيَافُنَا إِنْ تَهْوُوا ذَكَرْتُهُ فَكَيْفَ إِذَنْ أَلَسَاءُ غَابِرَةَ الدَّهْرِ
هو في تذكره لأخيه يذكر سبباً لهذا التذكر ، وهو تنبيه الضيوف لهم ؛ لأن
(بدرًا) كان هو المبادر لاستقبالهم وخدمتهم ، وفيه مدح ضمني للشاعر فهو
يقول : إن الضيوف متى يأتون يذكر بدرًا فكيف ينسأه ؛ لأنهم لا ينقطعون عن

المجيء وهو دليل الكرم وإعلامية البيت في استعمال (أضياف) جمع قلة مع عدم التوقع لمجيئها ؛ لأنه علق عدم النسيان بقدوم الأضياف فهو لا ينسأه إذن باقي دهره ، ولا يقع هذا إلا بكثرة الضيوف وعدم انقطاعهم .
وفي قوله :

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلَوَةٌ وَأَعْذَرْتُمَا ، لَا بَلْ أَجَلَ مِنَ الْعُذْرِ
نَهَيْتُكُمَا أَنْ تُشِمَّتَا بِي فَكُنْتُمَا صَبُورَيْنِ بَعْدَ الْيَأْسِ طَارِئَتِي غُيِّرَ

اليأس لا يشفي من قتل الأخ واستعمال الشاعر اليأس هذا الاستعمال هو غير متوقع الورود ، وهنا خفض تقديمي في البيت الذي يليه ، وهو صبورين بعد اليأس ، وفيه تفسير للشفاء الذي جاء بعد اليأس وهو الصبر .

ظهر لي بعد هذا التحليل أن قصيدة (المرار الفقعسي) في رثاء أخيه نموذج لنص عربي تضمن رسالة واضحة نقل فيها حالة إنسانية عاناها وكابد أحداثها ، فخرجت معبرة عن شعور صادق ، يجذب المتلقي ليعيش الحالة وكأنه يعاينها ، بل يستشعر مأساة المرار كلما رأى مصاباً بموت عزيز .

* * *

الخاتمة

حاولت إظهار شعر الصعاليك الأمويين ، على أنه نصوص تستحق مزيد عناية وكبير اهتمام ، وذلك من خلال نظرية النص ، التي يرفع من خلال معاييرها كثير من القيود المفروضة على النصوص ، وقد وقفت الدراسة عند بعض القضايا ، وعينت نتائج لعمليتي البحث والتحليل ؛ فمنها ما يتعلق بشعر الصعاليك الأمويين ، ومنها ما يتعلق بالدراسة النحوية النصية ، وهي :

- شعر الصعاليك بحاجة إلى إعادة تحقيق ولاسيما في عصر بني أمية ، لضياح ما جمعه الأوائل من شعرهم ككتاب (السكري) وغيره ، وهذا لا يعني بحال التقليل من جهود المتأخرين في جمع وتحقيق أشعار قسم كبير من هؤلاء الشعراء مثل جهد الدكتور (نوري حمودي القيسي) ، والدكتور (عبد المعين الملوحي) وغيرهما ، وآية هذه الحاجة أنني وقفت على أبيات كثيرة لم تذكر فيما حققه المتأخرون .
- إثبات الصعلكة لعدد من الشعراء في العصر الأموي ، هم (توبة ابن مضرس ، وأبو الرئيس الثعلبي ، وعبد الله بن الحمير) إذ لم تثبت المصادر الحديثة - بحسب ما اطلعت عليه - الصعلكة لأحد منهم .
- تصحيح نسبة قطعة ذكرها الدكتور (عبد المعين الملوحي) على أنها (لمحمد بن أنس الأسدي) وتبعه على هذا الدكتور (محمد نبيل طريفي) في ديوان اللصوص ، والصواب أنها (لمالك بن ربيع الأسدي) محققاً ما ذهب إليه بما جاء بصريح نسبتها إلى مالك بن ربيع .
- التعريف بالعهدية يطابق إلى حد كبير ما شرح به دي بوجراند التعريف بقوله : « إنه وضع للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة كل منها لا تحتل الجدل في سياق الموقف » .

● هناك معياران أحدهما منطقي والآخر نفسي تتوقف عليهما أبعاد التحديد المختلفة بحسب النظر إلى كل منهما . وهذان المعياران ظاهران في تناول العربية لقضية التعريف بـ(ال) العهدية وتقسهما ففي المعيار الأول : « ينصب التحديد على الموضوعات المقررة في عالم منطقي^(١) ، وهذا ما تمثل (بال العهدية) في حالتي العهد الحضوري والعهد الذكري . أما المعيار الثاني : فهو إجراءات ذهنية ؛ لأن « الأمور ذات التحديد هي التي تصلح بذاتها للتعرف عليها من قبل المشاركين في الاتصال » وهو ما ذكر في اللغة العربية في (ال) العهدية .

● تاء التأنيث الساكنة أداة من أدوات التحديد النوعي لعنصر لاحق ، أو عنصر سابق ، فذكرها يحدد نوع الفاعل بالتأنيث .

● الحذف عند هاليداي ورقية حسن ليس كالحذف في اللغة العربية على مستوى التراكيب بل هو عين ما أطلقا عليه الإحالة الضميرية ، وليس ما ذكرا من مثال (القبعة) منطبقا على الاستبدال الصفري ، فقد أبدلا الضمير (هي) بـ(القبعة) ، فيمكن أن يصدق عليه عنوان الحذف الاستبدالي .

● التكرار هو أهم ما يجعل الحذف وسيلة من وسائل التماسك النصي ، ويتشكل هذا التكرار من خلال تقدير ما حذف وهو ما جعلني أميزه عن باقي أنواع التكرار بتقييده بالتقدير ليكون (التكرار التقديري) .

● التكرار الضمني يكون بحروف التأكيد والزيادة وهو تكرار دلالي يسهم إسهاماً فاعلاً في تماسك النص .

● قسّم (هاليداي ورقية حسن) الأسماء العامة إلى ثلاث مجموعات (الدالة على الإنسان ، الدالة على مكان ، الدالة على حقيقة) والذي يبدو لي أن من الضروري إضافة مجموعة رابعة لأسماء عامة تخص الزمن فهناك أسماء زمان تدل على العموم (زمن ، وقت ، مدة ، أمد ، حين) ونحوها . ثم إن

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

ما قسمه (هاليداي ورقية حسن) في الاسم العام صوابه أنه لا يخرج بحال من أحد أقسام الأسماء الدالة على العموم عند الأصوليين بل إن الأصوليين في تقسيمهم قد استوعبوا أكثر ما يمكن أن يرد في إفادة العموم .

● لا يظهر للباحث فرق بين وحدة مرجع الذوات ووحدة مرجع غير الذوات (الأفكار) : في تحقيق الحبك : منه قول السمهوري العكلي : [الطويل] **فَإِنْ أُلْجِ مِنْهَا أُلْجِ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِنْ تُكُنِ الْأُخْرَى فَبِكَ سَبِيلُ** ففي البيت : اسم إشارة (تلك) أحيل به إلى معنى لا ذات ، هو (عدم النجاة) التي قابل النجاة من السجن ، وفي البيت أيضاً استبدال (أخرى) عن ذكر عدم النجاة ، وهو استبدال لغير ذات ، فوحدة المرجع للمستبدل والمستبدل منه معنى لا ذات .

● هناك مبررات لقبول النص منها ما هو غير لغوي وأخرى لغوية ، فغير اللغوية (الاعتقادية والعقلية والعاطفية والحالية) واللغوية التي منها (التأكيد والتعليل والتقريب) يضمنها المبدع نصه ليرفع من درجة قبوله لدى المتلقي .

● التناص في الاتصال شبه المباشر من أنواع الاتصال الذي يمكن أن يطلق عليه شبه المباشر ويكون فيه معيار التناص بمستوى يقترب من الاتصال المباشر هو الاتصال الذي ينقل عن قائله بصيغة الحوار (قال ويقول) .

● فكرة الدرجات الإعلامية الثلاثة (المنخفضة والمتوسطة والمرتفعة) كان سبق فيها للتراث العربي ممثلاً (بعبد القاهر الجرجاني) الذي أجرى الكلام عن العبرتين في قرب تشبيه الصورة الكلية ، وبعد تشبيه الصور التفصيلية من وجهة التأمل والحاجة إليه لفهم التشبيه ، وكانت العبرة الثانية في الكلام عن الشيء تثبت صورته في النفس إذا كثر دوراته على العيون ، ودام تردده في مواقع الأبصار .

- سبق (عبد القاهر الجرجاني) علماء النص في تقرير أن المستوى الطبيعي للكلام يكون في الدرجة الوسطى في التشبيه ، التي تمثل عندهم الدرجة الوسطى من الكفاءة الإعلامية ، لأنه انطلق منها إلى الخفض والرفع .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

حرف الألف

- ١- آفاق التناسلية ، المفهوم والمنظور ، ترجمة الدكتور محمد خير البقاعي : سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٨ م .
- ٢- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، مدخل لغوي أسلوبي ، تأليف : الدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط/٢ ، ٢٠٠٧ م .
- ٣- الإبداع الموازي - التحليل النصي للشعر ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف : دار غريب ، القاهرة - مصر . د . ط . ٢٠٠١ م .
- ٤- الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، (ت ٩١١هـ) ، طبعة جديدة محققة ، مخرجة الأحاديث مع الحكم للعلامة شعيب الأرنؤوط اعتنى به وعلق عليه : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
- ٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تأليف : محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق (ت ٢٥٠هـ) تحقيق ودراسة : الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهبش ، مكتبة الأسد ، المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة ، ط/١ ، ٢٠٠٣ م .
- ٦- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق : الدكتور رجب عثمان محمد ، مراجعة : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٨ م .
- ٧- الأزهية في علم الحروف ، تأليف علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥هـ) تحقيق : عبد المعين الملوحي ، دمشق - سوريا ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م .
- ٨- أساس البلاغة ، تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨ م .

- ٩- أسباب النزول ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، تخريج وتدقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، الدمام - السعودية ، ط/٢ ، ١٩٩٢ م .
- ١٠- أسرار البلاغة ، تأليف : الشيخ الإمام أبي بكر عبد القادر بن عبد الرحمن ابن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ هـ) ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ط/١ ، ١٩٩١ م .
- ١١- أسرار العربية ، تأليف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) عني بتحقيقه : محمد بهجت البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د . ط ، د . ت .
- ١٢- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو الدلالة ، نقله إلى العربية وعلق عليه : الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠ م .
- ١٣- الأشباه والنظائر في النحو ، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١٤- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، للمخالددين ، أبي بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) وأبي عثمان سعيد (ت ٣٩١ هـ) ابني هاشم ، حققه وعلق عليه : الدكتور السيد محمد يوسف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة - مصر ، د . ط ، د . ت .
- ١٥- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩١ م .
- ١٦- أشعار اللصوص وأخبارهم جمع وتحقيق : عبد المعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م .
- ١٧- الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٢ م .
- ١٨- إصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر - القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٨٧ م .

- ١٩- الأصمعيّات ، اختيار الأصمعيّ أبي سعيد عبد الملك بن قريب ابن عبد الملك (ت ٢١٦ هـ) تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة - مصر - ط/٦ ، ٢٠١٢ م .
- ٢٠- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس (نحو النص) ، محمد الشاوش ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس - تونس ، ط/١ ، ٢٠٠١ م .
- ٢١- أصول التفكير النحوي ، الدكتور علي أبو المكارم ، دار غرب للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٢٢- الأصول ، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو - فقه اللغة - البلاغة) الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٩ م .
- ٢٣- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦ هـ) تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط/٣ ، ١٩٩٦ م .
- ٢٤- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر رجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط/١٥ ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٥- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) تحقيق : الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط/٣ ، ٢٠٠٨ م .
- ٢٦- الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، تأليف : الأمير الحافظ ابن مأكولا (ت ٤٧٥ هـ) اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط/٣ ، ١٩٩٣ م .
- ٢٧- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق : الدكتور فتح الله صالح علي المصري ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة - مصر ، ط/١ ، ١٩٨٧ م .
- ٢٨- الأمالي تأليف : أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، ويليهِ الذيل والنوادر للمؤلف وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ، د . ط ، د . ت .

٢٩- أنساب الأشراف (كتاب جمل من أنساب الأشراف) صنفه : الإمام أحمد ابن يحيى بن حياء البلاذري (ت ٢٧٩هـ) حققه وقدم له : الأستاذ الدكتور سهيل زكار ، والدكتور باقى زركلى ، دار الفكر العربى ، بيروت - لبنان ط/١ ، ١٩٩٦م .

٣٠- أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، تحقيق : أحمد زكى مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ط/٤ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٣١- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، لأبى البركات ابن الأثير (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق : جودة مبروك محمد مبروك ، راجعه : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ط/١ ، ٢٠٠٠م .

٣٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف ابن هشام الأنصارى المصرى (ت ٧٦١هـ) وكتاب : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٣٣- الإيضاح فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتحقيق : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط/١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .

٣٤- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي ، عني به : المعلم رفعت ييلكه الكليسي ، دار إحياء التراث العربى بيروت - لبنان د . ط ، د . ت .

حرف الباء

٣٥- البحر المحيط - تفسير - لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ ، علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ .

٣٦- بدائع الفوائد تأليف : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق : علي بن محمد العمران ، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدّة ، د . ط ، د . ت .

٣٧- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية الدكتور جميل عبد المجيد ، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٩٩٨ م .

٣٨- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، (ت ٥٨٤هـ) ، بتحقيق : الدكتور أحمد أحمد بدوي ، الدكتور حامد عبد المجيد ، ومراجعة الأستاذ : إبراهيم مصطفى ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د . ط ، د . ت .

٣٩- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ط ، ٢٠١٢ م

٤٠- البطولة في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط / ٢ ، ١٩٨٤ م .

٤١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والحاة، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، ط / ٢ ، ١٩٧٩ م .

٤٢- بلاغة الخطاب وعلم النص ، تأليف : الدكتور صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة (١٦٤) ، الكويت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

٤٣- بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء ، لأبي الحسن الروحي ، تحقيق : عماد أحمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن ، وسعاد محمود عبد الستار ، إشراف ومراجعة : الدكتور أيمن فؤاد سيد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / مركز السيرة والسنة ، جمهورية مصر العربية ، د . ط ، ٢٠٠٩ م .

٤٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تصنيف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق : محمد المصري ، طبعة منقحة وموسعة حسان راتب المصري ، دار سعد الدين - دمشق - سوريا ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ م .

٤٥- بناء الجملة العربية ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٣ م .

- ٤٦- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/٣ ، ٢٠٠٩ م .
- ٤٧- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٧ ، ١٩٩٨ م .

حرف التاء

- ٤٨- تاج العروس ، من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق عدد من المتخصصين منهم عبد الستار أحمد فراج ، الدكتور حسين نصار ومصطفى حجازي وعبد السلام هارون وغيرهم ، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء ، في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت . طبعات الأجزاء مختلفة في سنة الطبع .
- ٤٩- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، ط/٥ ، د . ت .
- ٥٠- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأئمة ، تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي : تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ١٩٩٥ م .
- ٥١- تحقيق النصوص ونشرها ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٧ ، ١٩٩٨ م .
- ٥٢- تحليل الخطاب تأليف : ج . ب . براون وج . يول ، ترجمة وتعليق : الدكتور محمد لطف الزليطي والدكتور منير التريكي ، النشر العلمي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٩٩٧ م .
- ٥٣- تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص - الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط/٣ ، ١٩٩٢ م .
- ٥٤- التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، تأليف كلاوس برينكر ، ترجمه ومهد له وعلق عليه : الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠ م .
- ٥٥- التحليل النحوي ، أصوله وأدلتها ، الدكتور فخر الدين قباوة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الجيزة - مصر ، ط/١ ، ٢٠٠٠ م .

٥٦- التذليل والتكميل في شرح التسهيل ، ألفه أبو حيان الأندلسي ، حققه : الأستاذ الدكتور حسن هندلوي ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ط / ١ ، ١٩٩٨ م .

٥٧- التطور والتجديد في الشعر الأموي : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط / ٩ ، ١٩٩١ م .

٥٨- التعريفات ، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت

٥٩- التلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت ٧٣٩هـ) ، ضبطه وشرحه الأستاذ : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، د . ط ، د . ت .

٦٠- تمام المثنون في شرح رسالة ابن زيدون ، لخليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، د . ط ، ١٩٦٩ م .

٦١- التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق : سيدة حامد عبد العال وتغريد حسن أحمد عبد العاطي ، إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، د . ط ، ٢٠١٠ م .

٦٢- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (مطابع سجل العرب) مصر ، ١٩٦٤-١٩٦٧ م .

٦٣- توضيح المشتبّه (في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم) لابن ناصر القيسي الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) حققه وعلق عليه : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، د . ط ، د . ت .

حرف الجيم

٦٤- جامع الدروس العربية ، موسوعة في ثلاثة أجزاء تأليف : مصطفى الغلاييني ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠٩ م .

٦٥- جرّة الحاطب وتحفة الطالب ، يتضمن (صفة السرج واللجام لابن دريد وصفة السحاب والغيث : لابن دريد أيضاً وتقليب القوافي لابن كيسان ،

وديوان طهمان بن عمرو الكلابي لابي سعيد السكري ومقطعات مرثي
لبعض الاعراب) تحرير وإخراج : البروفسور (William Wright) في بريل ،
ليدن عام ١٨٥٩م .

٦٦- جمهرة الأمثال ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، ضبطه
وكتب هوامشه ونسقه : الدكتور أحمد عبد السلام ، خرج أحاديثه :
أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط / ، ١٩٨٨م .

٦٧- الجنى الداني في حروف المعاني ، صنعة : الحسين بن قاسم المرادي
(ت ٧٤٩هـ) تحقيق : فخر الدين قباوة والأستاذ : محمد نديم فاضل ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط / ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٦٨- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لأبي الفرج المعافي
ابن زكريا النهرواني الجريدي (ت ٣٩٠هـ) تحقيق : الدكتور محمد مرسي
الخولي وإحسان عباس ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط / ، ١٩٩٣م .

٦٩- الجيم ، لأبي عمرو الشيباني ، حققه وقدم له : إبراهيم الإياري وآخرون
مراجعة ، محمد خلف الله أحمد وآخرين ، الهيئة العامة للشئون المطابع
الأميرية ، القاهرة - مصر . د . ط ، ١٩٧٤م .

حرف الحاء

٧٠- الحماسة البصرية ، تأليف : صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن
البصري (ت ٦٥٦هـ) تحقيق وشرح ودراسة : الدكتور عادل سليمان جمال
، مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر ، ط / ، ١٩٩٩م .

٧١- الحماسة الشجرية ، تأليف ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) تحقيق : عبد المعين
الملوحي وأسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، د . ط ،
١٩٧٠م .

٧٢- الحيوان : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق :
عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط / ، ٢ ،
١٩٦٥م .

حرف الخاء

٧٣- خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ، (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - بالقاهرة - د . ط ، د . ت .

٧٤- الخصائص : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، د . ط ، ١٩٥٢ م .

حرف الدال

٧٥- دلائل الإعجاز ، تأليف : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٥ ، ٢٠٠٤ م .

٧٦- دلالة السياق ، الدكتوراة ردة الله بن ردة الله بن ضيف الله الطلحي ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، المملكة العربية السعودية . ط/١ ، ١٤٢٤هـ .

٧٧- الدلالة السياقية عند اللغويين ، الدكتور عواطف كنوش المصطفى ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط/١ ، ٢٠٠٧ م .

٧٨- دور الكلمة في اللغة ، تأليف : ستيفن أولمن ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : الدكتور محمد كمال بشر ، مكتبة الشباب - مصر ، د . ط ، ١٩٨٨ م .

٧٩- ديوان ابن الدمينه ، صنعة : أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ١٣٧٩هـ .

٨٠- ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور : خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان : ط/٢ ، ١٩٩٤ م .

٨١- ديوان الأبيوري أبي المظفر محمد بن أحمد القرشي الأموي (ت ٥٥٧هـ) ، ملتزمه ومناظر طبيعه : السيد عبد الباسط الأنسي ، المطبعة العثمانية ، لبنان ، د . ط ، ١٣٧٧هـ .

٨٢- ديوان الأخطل ، شرحه وصنف قوافيه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٤ م .

٨٣- ديوان امرئ القيس ، ضبطه وصححه : الأستاذ مصطفى عبد الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/٥ ، ٢٠٠٤ م .

- ٨٤- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر - بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٨٥- ديوان البحري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط/٣ ، ١٩٦٣م .
- ٨٦- ديوان توبة بن الحمير ، عني بتحقيقه وشرحه : الدكتور خليل إبراهيم العطية ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨م .
- ٨٧- ديوان جميل بثينة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان ، د . ط : ١٩٨٢م .
- ٨٨- ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ط ، ١٩٨٦م .
- ٨٩ ديوان حاتم الطائي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٨١م .
- ٩٠- ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) دققة : محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر : ط/٢ ، ٢٠١٢م .
- ٩١- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، وفيه بائية أبي ذؤاد الأيادي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجمهورية العربية المتحدة - القاهرة د . ط ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- ٩٢- ديوان ذي الرمة ، قدم له وشرحه : أحمد حسن بسيج ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٥م .
- ٩٣- ديوان الشريف الرضي ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦١م .
- ٩٤- ديوان الطرماح بن حكيم ، عني بتحقيقه : الدكتور عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت - لبنان ، حلب - سورية ، ط/٢ ، ١٩٩٤م .
- ٩٥- ديوان عروة بن الورد (أمير الصعاليك) دراسة وشرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٩٨م .
- ٩٦- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٨٧م .
- ٩٧- ديوان القتال الكلابي ، حققه وقدم له : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان - د . ط ، ١٩٨٩م .
- ٩٨- ديوان قيس بن الملوح - مجنون ليلى ، رواية أبي بكر الوبلي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م .

- ٩٩- ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٧١ م .
- ١٠٠- ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي صنعة : الدكتور محمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ٢٠٠٤ م .
- ١٠١- ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ط ، ١٩٨٣ م .
- ١٠٢- ديوان المهلهل ، شرح وتحقيق : أنطوان محسن القوّال ، دار الجبل ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٥ م .

حرف الراء

- ١٠٣- الربط في اللفظ والمعنى ، تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النصي ، الدكتور محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة - مصر ، ط / ١ ، ٢٠١٠ م .
- ١٠٤- رسالة الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري ، (ت ٤٤٩هـ) ، تحقيق : الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط / ٢ ، ١٩٨٤ م .
- ١٠٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي ، (ت ٧٠٢ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د . ط ، د . ت .

حرف السين

- ١٠٦- السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ، الدكتور محمد سالم أبو عفرة ، تقديم الدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب ، مصر ، ط / ١ ، ٢٠١٠ م .
- ١٠٧- سر صناعة الإعراب ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور حسن هندأوي ، دار القلم ، دمشق ، ط / ٢ ، ١٩٩٣ م .
- ١٠٨- سر الفصاحة ، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٨٢ م .

١٠٩- سمط اللآلئ للوزير أبي عبيد البكري الأوني (ت ٤٨٧ هـ) ويحتوي على (الآلئ في شرح أمالي القالي ، بمشاطرة عبد العزيز الميمني) نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه (ذيل اللآلئ في شرح ذيل الأمالي) عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، د . ط ، د . ت .

حرف الشين

١١٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي ، (ت ٥٧٦ هـ) المصري الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر - سوريا ، ١٩٨٥ م .

١١١- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١١٢- شرح أبيات مغني اللبيب ، صنفه عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) حققه : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط / ٢ ، ١٩٨٨ م .

١١٣- شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى ، (منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك) حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٥٥ م .

١١٤- شرح التسهيل ، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائفي الجباني الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر / مصر ، ط / ١ ، ١٩٩٠ م .

١١٥- شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) على ألفية بن مالك في النحو وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العلمي الحمصي ، حققه وشرح حواشيه ، أحمد السيد سيد أحمد ، راجعه : إسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة - مصر ، د / ط ، د . ت .

- ١١٦- شرح جمل الزجاجة ، لابن عصفور الأشيلي (ت ٦٦٩هـ) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٨ م .
- ١١٧- شرح حماسة أبي تمام ، للأعلم الشنتمري ، تحقيق : علي المفضل حمودان ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بديي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ودار الفكر ، دمشق - سورية ، ط / ١ ، ١٩٩٢ م .
- ١١٨- شرح ديوان الحماسة ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت .
- ١١٩- شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد المرزوقي (ت ٤٢١هـ) نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٢٠- شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي - من شعراء اللصوص - لأبي سعيد السكري ، تحقيق وشرح ودراسة : محمد عبد الكريم مسعود ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٢١- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : الدكتور حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٣ .
- ١٢٢- شرح الرضي على الكافية : لرضي الدين الأسترابادي (ت ٦٨٨هـ) تصحيح : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط / ٢ ، ١٩٩٦ م .
- ١٢٣- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ومعه كتاب منتهى الأرب في تحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٤ م .
- ١٢٤- شرح قطر الندى وبل الصدى ، تصنيف : أبي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، ويليهِ : ميبيل الهدى بتحقيق قطر الندى ،

تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط/ ١ ، ١٩٩٤ م .

١٢٥- شرح الكافية الشافية ، تأليف جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجباني ، تحقيق : الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث ، المملكة العربية السعودية ، ط/ ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٢٦- شرح المفصل ، لابن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) طبعة بأمر وإشراف مشيخة الأزهر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر - القاهرة د . ط ، د . ت .
١٢٧- شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان لياقوت الحموي ، بقلم : جورج خليل مارون ، أشرف عليه وراجعته : الدكتور ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ط/ ١ ، ١٩٩٧ م .

١٢٨- شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق : الدكتور نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، د . ط ، ١٩٧٦ م .

١٢٩- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، د . ط ، ١٩٧٠ م .

١٣٠- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ، الدكتور حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط/ ٤ ، ١٩٩٧ م .

١٣١- الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت ، جمع وتنسيق : عبد المعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة ، بيروت - لبنان ط/ ١ ، ١٩٩٢ م .

١٣٢- شعر ابن ميادة ، جمعه وحققه : الدكتور حنا جميل حداد راجعه : قدري الحكيم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د . ط ، ١٩٨٢ م .

١٣٣- شعر البعيث المجاشعي ، جمعه وحققه : الدكتور عدنان محمد أحمد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د . ط ، ٢٠١٠ م .

١٣٤- شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق عبد الحميد محمود المعيني ، منشورات نادي القصيم ، السعودية ، ١٩٨٢ م .

١٣٥- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، جمعه ونسقه : مطاع الطريشي مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط/ ٣ ، ١٩٨٥ م .

- ١٣٦- شعر الفند الزماني : الدكتور حاتم صالح الضامن ، فرز من مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد السابع والثلاثون ربيع أول ، ١٤٠٧ هـ ، كانون الأول ١٩٨٦ م . ط . د . ت .
- ١٣٧- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ط/٢ ، ١٩٦٧ م .
- ١٣٨- شعر هدية بن الخشرم العذري ، إعداد : الدكتور يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط/٢ ، ١٩٨٦ م .
- ١٣٩- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تأليف : جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ط/٢ ، ١٤١٣ هـ .

حرف الصاد

- ١٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط/٤ ، ١٩٩٠ م .
- ١٤١- صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) مؤسسة زاد ، القاهرة - مصر ، ط/١ ، ٢٠١٢ م .
- ١٤٢- صحيح مسلم ، المسمى : المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، وفي طبعته غاية الانبهاج المقتفي أسانيد كتاب مسلم بن الحجاج ، للعلامة السيد محمد ابن محمد مرتضي الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) (وبهامشه كتب عديدة) تشرف بخدمته ، أبو قتيبة نظير محمد الفاريابي ، دار طبية ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط/١ ، ٢٠٠٦ م .
- ١٤٣- الصعاليك في العصر الأموي ، أخبارهم وأشعارهم ، إعداد : محمد رضا مروءة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٠ م .
- ١٤٤- صفة السرج والدجاجة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) حققه واستدرك عليه : الدكتور مناف مهدي محمد ، المنظمة العربية

للتربية والثقافة والفنون ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، د . ط .
١٩٩٢ م .

١٤٥- الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل
إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ط ، ٢٠١٣ م .

حرف الضاد

١٤٦- ضرائر الشعر ، تأليف أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي
الأشبيلي المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٣ هـ) ، وضع حواشيه : خليل
عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٩ م .

حرف الطاء

١٤٧- العليقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق :
الدكتور : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠١ م .

حرف الظاء

١٤٨- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدكتور طاهر سليمان حمودة ، الدار
الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، د . ط ، ١٩٩٨ م .

حرف العين

١٤٩- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، الدكتور محمد حماسة
عبد اللطيف ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة - مصر ، ط / ٢ ، ١٤٢٩ هـ -
٢٠٠٨ م .

١٥٠- علم الدلالة ، تأليف : الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ،
مصر ، ط / ٥ ، ١٩٩٨ م .

١٥١- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، الدكتور سعيد بحيري ، مؤسسة
المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط / ٢ ، ٢٠١٠ م .

١٥٢- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ،
الدكتور صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،
القاهرة - مصر ، د . ط ، ٢٠٠٠ م .

١٥٣- علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، تأليف : الدكتورة عزة شبل محمد ،
تقديم : الدكتور سليمان العطار ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، ط/٢ ،
٢٠٠٩م.

١٥٤- علم النص : جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد زاهي ، مراجعة ،
عبد الجليل نازم ، دار توبقال للنشر ، المغرب - الدار البيضاء ، ط/١ ،
١٩٩٧م.

١٥٥- علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تأليف : تون أ . فان داك ،
ترجمة : الدكتور سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، مصر ، ط/٢ ،
٢٠٠٥م.

١٥٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق
القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وعلق على حواشيه : محمد محيي
الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط/٥ ،
١٩٨١م.

١٥٧- العين - كتاب العين - مرتباً على حروف المعجم تصنيف : الخليل
ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ترتيب وتحقيق : الدكتور عبد الحميد
هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٣م.

١٥٨- عيون الأخبار ، تأليف : أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(ت ٣٧٦هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٩٦م.

حرف الفاء

١٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر
أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد
عبد الباقي ، وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ،
تعليقات العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة - بيروت ،
١٣٧٩هـ.

١٦٠- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري (وهو شرح
لكتاب (الأمثال) لأبي عبيد القاسم بن سلام) حققه : الدكتور إحسان
عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ،
لبنان ، ط/٣ ، ١٩٨٣م.

١٦١- فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) قرأه : خالد فهمي ، تصدير : الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٨ .

١٦٢- في اللسانيات ونحو النص ، الدكتور إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان - الأردن ، ط/٢ ، ٢٠٠٩ م .

حرف القاف

١٦٣- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، وبهامشه تعليقات وشروح لنسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للطبعة الأميرية سنة (١٣٠٢هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

١٦٤- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٥ م .

حرف الكاف

١٦٥- الكامل في التاريخ ، للإمام ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، راجعه وصححه ، الدكتور محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط/١ ، ١٩٨٧ م .

١٦٦- الكتاب (كتاب سيبويه) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/٣ ، ١٩٨٨ م .

١٦٧- كتاب السبعة في القراءات تأليف : أحمد بن موسى بن العباس التميمي ، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط/٢ ، ١٤٠٠هـ .

١٦٨- الكشف ، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، وشارك في تحقيقه : الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرياض - السعودية ، ط/١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .

- ١٦٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة عني بتصحيحه :
محمد شرف الدين بالتقاي والمعلم رفعت بيلكه الكليسي ، دار إحياء
التراث العربي ، بيروت - لبنان د . ط ، د . ت .
١٧٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب
ابن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية وأعدّه
للتطبع ووضع فهرسه ، الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط / ٢ ، ١٩٩٨ م .

حرف اللام

- ١٧١- اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري
(ت ٦١٦ هـ) تحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان ، دار الفكر ، دمشق - سورية ، ط / ١ ، ١٩٩٥ م .
١٧٢- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
ابن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ، د . ط ،
د . ت .
١٧٣- لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز
الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط / ٢ ، ٢٠٠٦ م .
١٧٤- لسانيات النص ، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ، أحمد محمد
مداس ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن - أربد ، ط / ١ ، ٢٠٠٧ م .
١٧٥- اللغة والإبداع الأدبي ، الدكتور محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب
الجامعي ، دار المعرفة ، بالقاهرة - مصر ، ط / ٢ ، ٢٠٠٧ م .
١٧٦- اللغة والمعنى ، والسياق ، جون لاينز ، ترجمة الدكتور عباس صادق
الوهاب مراجعة : الدكتور يوثيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة .
آفاق عربية ، بغداد - العراق ، ط / ١ ، ١٩٨٧ م .
١٧٧- اللمع في العربية ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٥ هـ)
تحقيق : الدكتور سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي ، عمان - الأردن ، د .
ط / ١٩٨٨ .

حرف الميم

- ١٧٨- المؤلف والمختلف ، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) دراسة وتحقيق : الدكتور موفق بن عبد الله ابن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط/ ١ ، ١٩٨٦ م.
- ١٧٩- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم ، للإمام أبي القاسم لحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، صححه وعلق عليه : الأستاذ الدكتور : ف . كرنكو ، دار الجيل ، لبنان ، ط/ ١ ، ١٩٩١ م.
- ١٨٠- المثل السائر في أداب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير ، ويليهِ كتاب الفلك الدائر على المثل السائر ، لابن أبي الحديد ، قدمه وعلق عليه ، الدكتور أحمد الحوفي الدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة - مصر ، ط/ ٢ ، د . ت .
- ١٨١- مجالس ثعلب ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط/ ٢ ، د . ت .
- ١٨٢- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميدان (ت ٥١٨ هـ) حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة - مصر د . ط ، ١٩٥٥ م.
- ١٨٣- مجمل اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق ودراسة : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط/ ٢ ، ١٩٨٦ م.
- ١٨٤- مجموعة المعاني (لمجهول) إعداد عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط/ ١ ، ١٩٩٢ م.
- ١٨٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وساعده ابنه محمد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ، بالمملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١٨٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القرارات والإيضاح عنها ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف

- والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إحياء كتب السنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة - مصر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- ١٨٧- مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية ، الدكتور صبري إبراهيم السيد ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر ، ط / ١ ، ٢٠١١م .
- ١٨٨- مدخل إلى علم لغة النص : تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ، ولفجانج دريسلر ، الدكتورة إلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ٢٠٠٧م .
- ١٨٩- مدخل إلى علم اللغة النصي ، تأليف : فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر ، ترجمة : الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود الرياض - المملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٩٩٩م .
- ١٩٠- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، تأليف : زتسيسلاف واو رزنيك ، ترجمه وعلق عليه ، الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر . ط / ٣ ، ٢٠١٠م .
- ١٩١- المذكر والمؤنث ، لنفظويه (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق : الدكتور عبد الجليل مغناظ التميمي ، منشورات جامعة سبها ، الجماهيرية العربية الليبية ، ط / ١ ، ١٩٩٥م .
- ١٩٢- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط / ٢ ، ١٩٧٠م .
- ١٩٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : محمد أحمد جاد المولي بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط / ٣ ، د . ت .
- ١٩٤- المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل لابن عقيل) شرح للإمام الجليل بهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك ، تحقيق وتعليق : الدكتور محمد كامل بركات ، دار الفكر بدمشق د . ط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- ١٩٥- المستدرك على الصحيحين ، تأليف : محمد بن عبد الله بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ، وبذيله : تتبع أو هام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ، لأبي عبد الله مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، مصر - القاهرة ، ط / ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ١٩٦- المصاحبة في التعبير اللغوي ، الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، د . ط ، ١٩٩٠م .
- ١٩٧- مصارع العشاق ، لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ (ت ٥٥٠ هـ) دار صادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت .
- ١٩٨- المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي عربي ، الدكتور محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الجيزة ، ط / ٣ ، ٢٠١٢م .
- ١٩٩- المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ماري نوال غاري بريور ، ترجمة : عبد القادر فهمي الشيباني ، سيدي بلعباس - الجزائر ، ط / ١ ، ٢٠٠٧م .
- ٢٠٠- معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط / ٣ ، ١٩٨٣م .
- ٢٠١- معاني النحو : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط / ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ٢٠٢- معاهد التنقيص على شواهد التلخيص ، تأليف : الشيخ عبد الرحيم ابن أحمد العباسي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب - بيروت ، ١٩٤٧م .
- ٢٠٣- المعايير النصية في القرآن الكريم ، تأليف الدكتور أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة - مصر ، ط / ١ ، ٢٠١١م .
- ٢٠٤- معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف : ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٣م .

- ٢٠٥- معجم أسماء الأشياء المسمى النطائف في اللغة ، للبايبيدي أحمد ابن مصطفى الدمشقي ، تحقيق : أحمد عبد التواب ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .
- ٢٠٦- معجم ألقاب الشعراء ، الدكتور سامي مكّي العاني ، مكتبة الفلاح ، دبي ، ط / ١ ، ١٩٨٢م
- ٢٠٧- معجم البلدان ، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٧٧م .
- ٢٠٨- معجم الشعراء (ع - ي) للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) بتهديب الدكتور سالم الكرناكوي ، مكتبة القدس ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط / ٢ ، ١٩٨٢م .
- ٢٠٩- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، الدكتورة عزيزة فوال بابتسي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٨م .
- ٢١٠- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، جمهورية مصر العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط / ٤ ، ٢٠٠٤م .
- ٢١١- المغرب في ترتيب المعرب - معجم لغوي - تأليف : الإمام أبي الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠هـ) حققه : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب - سورية ، ط / ١ ، ١٩٧٩م .
- ٢١٢- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد اللطيف الخطيب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د . ط ، د . ت .
- ٢١٣- المفاهيم معالم ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط / ١ ، ١٩٩٩م
- ٢١٤- مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، حققه وقدم فهارسه : الدكتور عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط / ١ ، ٢٠٠٠م .
- ٢١٥- المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت ١٦٨هـ) شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر - ط / ٩ ، ٢٠٠٦م .

- ٢١٦- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ،
حققه وضبطه : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٩٧٩ م .
- ٢١٧- المقتضب : تأليف : محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق : محمد
عبد الخالق عزيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء
التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية : القاهرة ط/٣ ،
١٩٩٤ م .
- ٢١٨- مقدمة في نظريات الخطاب ، مكدونيل (ديان) ، ترجمة : الدكتور عز
الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠١ م .
- ٢١٩- المقرب ، تأليف : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) ،
تحقيق : أحمد عبد الستار الجوراي ، وعبد الله الجبوري ، ط/١ ،
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٢٢٠- المنازل والديار ، لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) تحقيق : الأستاذ مصطفى
حجازي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث
الإسلامي ، القاهرة د . ط ، ٢٠١١ م .
- ٢٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر
عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور ،
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٢ م .
- ٢٢٢- منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع : محمد بن المبارك بن محمد
ابن ميمون (ت ٥٧٩ هـ) تحقيق وشرح : الدكتور محمد نبيل طريفي ،
دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩ م .
- ٢٢٣- موسوعة الشعراء الصعاليك ، للدكتور حسن جعفر نور الدين ، شركة
رشاد برس ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ٢٠٠٧ م .
- ٢٢٤- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)
حققه وقدم له بدراسة : الدكتور البدرى زهران ، الشركة المصرية
العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٨ م .

٢٢٥- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، يشتمل على فنون الشعر الخمسة عشر ، تأليف العلامة ، السيد أحمد الهاشمي ، شركة الفاتحين ، القاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠٧ م .

حرف النون

٢٢٦- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، الدكتور أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠١ م .

٢٢٧- نحو النص بين الأصالة والحداثة : تأليف : الدكتور أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية : مصر ، القاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠٨ م .

٢٢٨- النحو والدلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٦ م .

٢٢٩- نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٣ م .

٢٣٠- نسب معد واليمن الكبير ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) تحقيق : الدكتور ناجي حسن ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، مصر . ط / ١ ، ١٩٨٨ م .

٢٣١- النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠١ م .

٢٣٢- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، الدكتور عدنان ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠٠ م .

٢٣٣- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تأليف الدكتور محمد عبد الباسط عيد ، تقديم الدكتور صلاح رزق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط / ١ ، ٢٠٠٩ م .

٢٣٤- النص والخطاب والاتصال ، الدكتور محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط / ١ ، ٢٠٠٥ م .

٢٣٥- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط / ٢ ، ٢٠٠٧ م .

٢٣٦- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الدكتور مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، مصر ، ط / ١ ، ١٩٩٧ م .

٢٣٧- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت .

٢٣٨- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ) ، تحقيق : علي محمد هاشم وعبد المجيد ترحيني وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٤ م .

حرف الهاء

٢٣٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين مؤلفه : إسماعيل باشا البغدادي ، طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية استانبول ، سنة : ١٩٥١ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت .

٢٤٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق وشرح : الدكتور عبد العالم سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، د . ط ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

حرف الواو

٢٤١- الوجيز في أصول الفقه ، الدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

٢٤٢- الوافي بالوفيات ، تأليف : صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٠ م .

٢٤٣- الوساطة بين المتنبئ وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرحاني ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٦ م .

٢٤٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د . ت .

البحوث والرسائل

٢٤٥- الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، الدكتور أحمد عفيفي، ضمن كتاب: (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) كتاب المؤتمر الثالث للعربية، الدراسات النحوية ٢٢-٢٣- فبراير ٢٠٠٥م من ص ٥٦٢-٥٢٣/٢.

٢٤٦- أشعار اللصوص وأخبارهم للدكتور عبد المعين الملوحي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الأعداد: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج ٤٩، ج: ٢ نيسان ١٩٧٤م، وفيه القسم الأول: الصفحات: ٣٧٦-٣٦٢. ومج: ٤٩، ج: ٣، نيسان ١٩٧٤م، وفيه القسم الثاني: الصفحات: ٥٩٥-٦٠٨، ومج: ٥٠، ج: ٣، تموز ١٩٧٥م، وفيه القسم الثالث: الصفحات: ٥٨٨-٦١٣، ومج: ٥٠، ج: ٤، أكتوبر ١٩٧٥م، وفيه القسم الرابع: الصفحات: ٨١٤-٨٢٨. ومج: ٥٩، ج: ١، كانون الثاني ١٩٨٤م، وفيه القسم السابع: الصفحات: ٨٠-٦٥.

٢٤٧- أشعار اللصوص وأخبارهم، الدكتور مصطفى الجدري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩١م، المجلد/ ٦٦، الجزء/ ٤ الصفحات، ٧٨١-٧٦٠.

٢٤٨- الإعلامية في نحو النص (دراسة تطبيقية) بحث دكتورة في كلية دار العلوم، إعداد: محمد أشرف عبد العال الشامي، إشراف، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ٢٠١١م.

٢٤٩- التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر، مجلة النقد الأدبي فصول مج ١٦، ع ١٤، القاهرة/ ١٩٩٧م. ١٢٧.

٢٥٠- حبك النص: منظورات من التراث العربي الدكتور محمد العبد، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية، المملكة العربية السعودية، الرياض، مج/ ٣، عدد/ ٣، شهر أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠١م من: ص ١٢٥-٢٢٣.

٢٥١- دراسة لغوية لصور التماسك النصي - في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى صلاح قطب، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم / جامعة القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٢٥٢- السبك في معلقة زهير ابن أبي سلمى ، دراسة على ضوء علم اللغة النصي ،
الدكتور عصام الدين عبد السلام أبو زلال ، بحث منشور في مجلة
الدراسات اللغوية ، مجلد/١٣ ، عدد/ ٤ ، سبتمبر ، نوفمبر ، ٢٠١١م ،
ص : ١٩١-٢٤٤ .

٢٥٣- ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني ، رسالة دكتوراه
إعداد : طه محمد عوض الله الجندي ، إشراف الدكتور أمين علي السيد
والدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٥٤- عناصر السبك بين القدماء والمحدثين ، الدكتوراة نادية رمضان محمد
النجار ، كلية الآداب جامعة حلوان ، بحث منشور في (العربية بين نحو
الجملة ونحو النص ، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوي ،
من ٢٢ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٥م ، دار الهاني للطباعة والنشر - القاهرة ،
مصر ، ٢٠٠٥م .

٢٥٥- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً الدكتوراة
نادية رمضان النجار ، مجلة علوم اللغة ، مع ٩ ، العدد/٢ ، ٢٠٠٦م : ١٦ .

٢٥٦- نظرية السياق بن الموروث العربي واللسانيات الحديثة الدكتور حسن
طبل ، مجلة فكر وإبداع ، ج / ٥٣ ، يونيو ٢٠٠٩م ، من ص :
٦١-١١٥ .

٢٥٧- نحو أجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، الدكتور سعد
مصلوح ، فصول مجلة النقد الأدبي قضايا الإبداع ، ج/١ ، المجلد /١٠ ،
العددان الأول والثاني : يوليو ١٩٩١م ، أغسطس ١٩٩١م ، الصفحات :
١٥١-١٦٧ .

ملحق رقم (١)
كشف بأشعار الصعاليك الأمويين حسب كل بحر

البحر	العلويل	البسيط	الوافر	الكامل	الرجز	الرمل	المتقارب	الخفيف	المجموع
١- بدر القفصي	٣								٣
٢- تلبد الضبي	٩								٩
٣- نوبة بن الحمير	١٠٤		٦	٣	٢				١١٥
٤- نوبة بن مفرس	٢٢			٥					٢٧
٥- جندب المكلبي	٢٧	٤٣	٣٥	٢٧	٧				١٣٩
٦- جعفر بن علة	٦٣		١						٦٤
٧- أبو حردبة				١					١
٨- حريث بن غناب	٤٥	١٢		٢					٥٩
٩- الحطيم المحوزي	١٦٢	٢							١٦٥
١٠- أبو الرئيس	١٥			٢					١٧
١١- السهري	٧٢								٧٢
١٢- شبيب بن كريب	٣		١٤		٣				٢٠
١٣- شظاظ الضبي	٣				٢				٥
١٤- طهمان الكلابي	٩٤	٦	٣	٢٢					١٢٥
١٥- عبد الله الأحمد	٤								٤
١٦- عبد الله بن الحمير	٣		١٩						٢٢
١٧- عوفل المحوزي			١٦						١٦
١٨- عطارد	٢٤	٦							٣٠
١٩- فضالة الأسدي	٣٠	٣	٢١			٢	٨	٣	٦٧
٢٠- القتال الكلابي	١٨٣	٤٢	٢١	٧٠	١٩				٣٣٥
٢١- مالك بن رفيع			٦						٦

المجموع	الخفيف	المتقارب	الرملي	الرجز	الكامل	الوافر	البسيط	الطويل	البحر	
									الشعر	
١٩٩	١٢	٣		٨	١١	٣٢	٢٤	١٠٩	مالك بن الريب	-٢٢
٣٩٨	١	٥٣	١	٢٧	٤٢	٨١	٣٥	١٥٨	المرار	-٢٣
٢٤							١١	١٣	أبو النشاش	-٢٤
٨						٨			الهيردان	-٢٥
١٧								١٧	يعلى الأحول	-٢٦
١٩٨١	١٦	٦٤	٣	٦٨	١٨٥	٢٦٣	١٨٧	١١٩٥	المجموع	

ملحق رقم (٢)
جدول أشعار الصعاليك الأمويين في لسان العرب

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
١-	توبة بن الحمير	١	ترنّع ليلى بالمضيح فالحمى	لطويل	ضيق	٥٢٨/٢	١
		٢	وأشرف بالقور... بصيرها	=	بصر	٦٦/٤	١
		٣	وقسورة الليل... أسيرها	=	قصر	٩٢/٥	١
		٤	ترنّع ليلى... السواقيا	=	قيظ	٤٥٦/٧	١
		٥	وكتت إنا... سفورها	-	برقع	٩/٨	١
٢-	توبة بن مضر	١	فإن تك... لها تكلا	الطويل	أجل	١٢/١١	١
		٢	وأمل غباء... أنا أجله	=	أجل	١٣/١١	٢
٣-	جحدر العكلي	١	ومما زادني... تجاوني	الوافر	جوب	٢٨٢/١	٢
		٢	وتقدمي... على الأحرار	الكامل	حرج	٢٣٦/٢	١
		٣	تأويني... حوتي	الوافر	كبح	٣١٥/٨	١
		٤	ليث... ومحك	الرجز	درك	٤٢٠/١٠	٤
		٥	وظهر تنوفة... وأني	الوافر	وفى	٤١٥/١٥	١
٤-	جعفر بن علبة	١	ولم ندر... المتناول	الطويل	جيب	١٣٢/٧	١
		٢	ألهمى... المباسل	=	محب	٣٣١/١١	١
		٣	لهم صدر... الأنامل	=	=	٣٣٢/١١	١
		٤	ولكن عرنتي... مطلق	=	زمن	١٩٩/١٣	١
		٥	نقاسمهم... صبورها	=	غشا	١٢٧/١٥	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
٥-	حريث بن عتاب	١	تري الجون . . . وهو عائر	الطويل	شمرع	٣١/٣	١
		٢	دفعت إليه . . . حتى تضلعا	=	ضلع	٢٢٥/٨	١
		٣	ديالية قلف . . . يتمطق	=	مطلق	٣٤٥/١٠	١
		٤	تعالوا أفاعركم . . . عشيرة حاتم	=	عيا	١١٤/١٥	١
		٥	لقد آذنت . . . المشهر	=	نصا	٣٢٧/١٥	
٦-	أبو الرئيس	١	أحب تراب . . . جزع الخلائق	الطويل	عسج	٣٢٤/٢	١
		٢	لثيم نزت . . . أحد أباثر	=	بتر	٣٨/٤	١
		٣	قفي تخبرينا . . . الصوائق	=	صفق	٢٠٤/١٠	١
		٤	يكاد يفوق . . . أبمن حادر	=	فوق	٣٢٠/١٠	١
		٥	مراجع نجد . . . جافله	=	فرك	٤٧٥/١٠	١
		٦	=====	=	جفل	١١٤/١١	١
		٧	مطاره قلب . . . يماجله	=	سلم	٢٩٩/١٢	١
		٨	خلوية إن قلت . . . للعلائق	=	خلا	٢٤٢/١٤	١
		٩	من الثفر . . . نعتقوا		لوي	٢٦٧/١٥	١
		١٠	لا صلح بيني . . . عاتقي		ودي	٣٨٤/١٥	٢
٧-	شبيب بن عمرو	١	مالي من هلي ولا تكلم	الرجز	حلل	٧٠٩/١١	٣
٨-	شقاط الضبي	١	رُبَّ جوز . . . للفرقة	الرجز	شهير	٤٣٤/٤	١
		٢	=====	=	قور	٨٩/٥	١
		٣	=====	=	نقض	٢٤٣/٧	١
٩-	مطهمان الكلبي	١	وما كان غضي . . . غربان	الطويل	غرب	٦٤٠/١	٢
		٢	كفى حزنا . . . ثريان	=	دمخ	١٥/٣	١
		٣	قطعت وحرباء . . . تقيق	=	برق	١٧/١٠	١
		٤	كفى حزنا . . . ثريان	=	طلل	٤٠٧/١١	٣

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
١٠-	عطارد	١	ودوني من نجران ... متكاس	الطويل	كوس	٢٠٠/٦	١
١١-	فضالة الأسدي	١	نصبت لهم ... حران ثائر	الطويل	ظلم	٣٨٠/١٢	١
١٢-	القتال الكلاسي	١	أ باكية ... حيون	الطويل	جنب	٢٨٣/١	١
		٢	عفا النجب ... فالحجر	=	نجب	٧٤٩/١	١
		٣	رفعن ... فرّح	=	سعد	٢١٨/٣	١
		٤	عفا الثبت ... فالبت	=	بتر	٣٩/٤	شطر
		٥	ومن لا تلد ... لن تبحترا	=	بحتر	٤٧/٤	١
		٦	إنما ما تجعفرتم ... تبيّر	=	بزر	٥٧/٤	١
		٧	وتحملني ... غدر	الوافر	غدر	٢٣٣/٤	١
		٨	ونحن أناس ... لا تزور	الطويل	زور	٣٣٧/٤	١
		٩	عفا بطن يهي من سليمي وصمعر	=	صمعر	٤٦٨/٤	شطر
		١٠	يا قاتل الله ... واري	البسيط	هبر	٢٦٧/٥	٢
		١١	عفا النجب بعدي فالعريشان فالبت	الطويل	عرش	٣١٦/٦	شطر
		١٢	وأنتم أناس ... تهذر	=	قرص	٧٠/٧	١
		١٣	من وسط ... خوكر	الكامل	وسط	٤٢٩/٧	١
		١٤	عفا لعلف ... تضج	الطويل	لفف	٣٢٠/٩	١
		١٥	فلا يستر أهل ... أنسرا	=	فشل	٥٢١/١١	١
		١٦	بكرته يعثر في النقال	الرجز	نقل	٦٧٦/١١	١
		١٧	ولي صاحب ... لا يعمل	الطويل	جون	١٠٤/١٣	١
		١٨	ولقد لحت ... بالمرتاب	الكامل	لحن	٣٨٠/١٣ ٣٨٢،	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
		١٩	أما الاماء... بالعار	البسيط	أما	٤٤/١٤	١
		٢٠	تذكرت ذكرى... وملعبا	الطويل	دوا	٢٧٨/١٤	١
		٢١	سقى الله... جنين	=	فرا	٢٨٦/١٤	١
		٢٢	لفظية ريع... اثروا	=	كلا	٢٣١/١٥	١
		٢٣	طوال أنفية... بأزفار	=	فرا	٣٣٢/١٥	١
١٣-	مالك بن الريب	١	وعطل قلوصي... بواكيا	الطويل	برد	٨٢/٣	١
		٢	يقولون لا تبع... إلا مكانيا	=	بعد	٩١/٣	١
		٣	إن أك... أمدر جانبه	=	مدر	١٦٣/٥	١
		٤	دعاني الهوى... وراثيا	=	طيس	١٢١/٦	١
		٥	تحمل أصحابي... ثاويا	=	عرص	٥٢/٧	١
		٦	والمشي في... المراجيل	الرجز	برك	٣٩٨/١٠	٢
		٧	فإن بأطراف... ما بيا	الطويل	شيك	٤٤٨/١٠	١
		٨	علام تقول... الجنحندل	=	جنحندل	١٢٨/١١	١
		٩	ترى جدثا... هايا	=	قسطل	٥٥٧/١١	١
		١٠	=====	=	ها	٣٥١/١٥	١
		١١	آلا ليت شعرب... كما هيا	=	مثل	٦٦٦/١١	١
		١٢	إنامت... القواديا	=	ريم	٢٦٠/١٢	١
		١٣	وأنت إذا ما... مصرع	=	سنن	٢٢٨/١٣	١
١٤-	المرار الفقمسي	١	يدين لمزود... طيبها	الطويل	طيب	٥٥٣/١	١
		٢	روافع للحمى... عباب	الوافر	عب	٥٧٣/١	١
		٣	ضرين بكل... نصيل	=	حجج	٢٢٩/٢	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
		٤	كما ماحت ... يعيل	=	مبح	٦٠٨/٢	١
		٥	إذا تركت ... طيب	الطويل	نجد	٤١٤/٣	١
		٦	يدين لمزور ... طيبها	=	زور	٣٢٢/٤	١
		٧	كما لاح ... وعضيها	=	سور	٣٨٧/٤	١
		٨	أتين على يمين ... زليل	الوافر	شلو	٣٩٩/٤	١
		٩	على عفر ... عن عفر	الطويل	عفر	٥٨٨/٤	١
		١٠	خليلي ... الكلم	=	غفر	٢٧/٥	١
		١١	فما شهدت ... الوعول	الوافر	كبر	١٣١/٥	٢
		١٢	وقلت أشيما ... لم تشر	الطويل	مشر	١٧٤/٥	١
		١٣	ألز إن خرجت ... ما يستقر	الرملي	ألز	٣٠٩/٥	١
		١٤	بيضاء ... المتطرس	الطويل	طرس	١٢١/٦	١
		١٥	لقد تعسفت ... أملسا	الرجز	طلعس	١٢٥/٦	١
		١٦	إذا رأها ... يبا	د	علس	١٤٦/٦	١
		١٧	إذا تركت ... طيب	الطويل	وحش	٣٧٠/٦	١
		١٨	فلا يستحمدون ... الشؤون	الوافر	وسط	٤٢٧/٧	١
		١٩	عداتي ... ثقيل	=	ثبع	١٨٠/٨	١
		٢٠	إذا أقبلن ... صديعا	=	صدع	١٩٦/٨	١
		٢١	وجامت ... صنع الشواء	المتقارب	صنع	٢١٢/٨	١
		٢٢	لها أسهم ... طوالع	الطويل	طلع	٢٣٧/٨	١
		٢٣	ما يسأل الناس ... صدر	البسيط	قدع	٢٦١/٨	١
		٢٤	رأيت ودونها ... مليعا	الوافر	ملع	٣٤٣/٨	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
		٢٥	عقلت ... التزيعا	=	نزع	٣٥٠/٨	١
		٢٦	إليكم ... نشوعا	=	نشع	٣٥٤/٨	١
		٢٧	نقمن جيوبهن ... والمعويلا	الوافر	نقع	٣٦٣/٨	١
		٢٨	بنظرة ... البقوعا	=	يقع	٤١٤/٨	١
		٢٩	وإن رفعت ... يتعا	=	يتع	٤١٦/٨	١
		٣٠	ولا متلاقيا ... حمولا	=	نشع	٤٥٦/٨	١
		٣١	ولم أجلف ... أريعا	و	جلف	٣٢/٩	١
		٣٢	وجودت العوائل ... الزيوفا	=	زحف	١٤١/٩	١
		٣٣	دعا بالسواف ... أن يسوا	=	سوف	١٦٦/٩	١
		٣٤	وغادر مرفقا ... صريعا	=	رفق	١٢١/١٠	١
		٣٥	كأنني فوق ... الإرنان	الرجز	سهق	١٦٦/١٠	١
		٣٦	ويزينهن ... والقخر	الكامل	شرق	١٧٧/١٠	١
		٣٧	وقد بلغن ... التميل	الوافر	طرق	٢٢٣/١٠	١
		٣٨	أعلاقة ... المخلص	الكامل	علق	٢٦٢/١٠	١
		٣٩	جرين ... النواعد	الطويل	غلق	٢٩٣/١٠	١
		٤٠	وأحل أفوام ... الأروم	الكامل	غرق	٣٢١/١٠	١
		٤١	دنون فكلهن ... أليلا	الوافر	ألل	٢٥/١١	١
		٤٢	ذكرنا الديون ... حلوقا	المتقارب	بلل	٦٧/١١	١
		٤٣	إننا ملنا ... بليل	الوافر	بلل	٦٩/١١	١
		٤٤	تغنى ثم ... استول	=	حزل	١٥٠/١١	١
		٤٥	ألز إن غرجت ... ما يستقر	الرميل	سلل	٣٤٢/١١	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
		٤٦	وإن المال ... عيول	الوافر	عبل	٤٢٢/١١	١
		٤٧	ونرجو أن ... العجول	=	عجل	٤٢٨/١١	١
		٤٨	فما أن صرمت ... العنول	=	عدل	٤٣٥/١١	١
		٤٩	والوحش سارية ... الصقل	الكامل	فحل	٥١٧/١١	١
		٥٠	فأصبحت مهموما ... ظالع	الطويل	مرجل	٦٢٣/١١	١
		٥١	على صرماء ... مليل	الوافر	ملل	٦٣٠/١١	١
		٥٢	أصلا قيل الليل ... الهضل	الكامل	مضل	٦٩٧/١١	١
		٥٣	إذا خف ماء ... تروم	الطويل	أمم	٢٣/١٢	١
		٥٤	أعلقة ... المنلس	الكامل	ثتم	٧٨/١٢	١
		٥٥	يعشين هوناً ... مستور	البسيط	جشم	١٠٠/١٢	١
		٥٦	يقول صحابي ... بطمح	الطويل	حزم	١٣٣/١٢	١
		٥٧	مواشكة ... نعيم	=	فم	٢٢٣/١٢	١
		٥٨	يعطي الجزيل ... شتم	=	شتم	٣١٨/١٢	١
		٥٩	على صرماء ... مليل	الوافر	صرم	٣٣٩/١٢	١
		٦٠	فأما كل ... صيل	=	عزم	٤٠١/١٢	١
		٦١	يعشين رهوا ... مستور	البسيط	نسم	٥٧٦/١٢	١
		٦٢	ولو أنني حدثت ... أقول	الوافر	نعم	٥٨٤/١٢	١
		٦٣	في ليلة ... النيم	البسيط	نوم	٥٩٩/١٢	١
		٦٤	ألن إن خرجت ... ما يستقر	الرملي	الن	٢٠/١٣	١
		٦٥	فتهاوسوا سرا ... معرس	الكامل	أنن	٢٩/١٣	١
		٦٦	=====	=	مان	٣٩٧/١٣	١

ت	الشاعر		الشاهد	البحر	المادة	الجزء والصفحة	مجموع
		٦٧	أعلاقة ... المجلس	الكامل	فنن	٣٢٧/١٣	١
		٦٨	تدين لمزور ... طيبها	الطويل	شبه	٥٠٥/١٣	١
		٦٩	أعان غريب ... غصومها	=	جلنا	١٣٧/١٤	١
		٧٠	فأني إذا حولي ... هضمي	=	حلا	١٩٢/١٤	١
		٧١	إليك عفت ... غول	الوافر	غفا	٢٣٦/١٤	١
		٧٢	بما قد تسقى ... غضيب	الطويل	سقى	٣٩٣/١٤	١
		٧٣	بنات بناتها ... روينا	الوافر	صدي	٤٥٣/١٤	١
		٧٤	تجرد ... الرعيل	الوافر	نصا	٣٢٨/١٥	١
		٧٥	وإنما لي يوم ... العمر	البسيط	ودي	٣٨٥/١٥	١
		١	طريد عشيرة ... لساني	الوافر	جرم	٩٢/١٢	١
		١	فليت لنا ... طهيان	الطويل	حمن	١٢٨/١٣	١
-١٧	المجموع	٢	بواد يعان ... والشبهان	=	شبه	٥٠٦/١٣	١
		٣	وليت لنا ... طهيان	الطويل	طها	١٧/١٥	١
		٤	مبرة باتت على طهيان	=	=	١٨/١٥	شطر
		٥	فطلت لدى البيت ... أرقان	=	مطا	٢٨٧/١٥	٢
		٦	***	=	ها	٤٧٧/١٥	٢
		١٥٩					